

تيسير
القرآن الكريم
للقرأة والفهم والتيسير

ولقد نزلنا القرآن للذکر فافهموا حُرُوفَهُ
مَدْرُؤَ اللَّهِ الْعَظِيمِ

من سورة الفاتحة إلى سورة التوبة

الجزء الأول

لفضيلة الأستاذ الشيخ

عبد الجليل عيسى

شيخ كلية اللغة العربية

بالأزهر الشريف (سابقاً)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٩

عيسى عبد الجليل

تيسير القرآن الكريم للقرأة والفهم
المستقيم/ عبد الجليل عيسى - القاهرة :

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

٢٨٠ ص : ٢٨٠ سم .

٩٧٨ ٩٧٧ ٤٢٠ ٥٢٩ ١

١ - القرآن .

(١) العنوان .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧١٣٥ / ٢٠٠٨

ISBN - 978 - 977 - 420 - 529 - 1

ديوي ٢٢٠

مقدمة الطبعة الأولى (عام ١٩٥٨م، ١٣٧٦هـ)



والصلاة والسلام على خاتم النبيين: سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم

باحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .

فإن القرآن هو كتاب الله الكريم الذي أنزله على رسوله الأمين مهيمنا على جميع ما أنزل قبله على الرسل أجمعين، فيه شفاء لما في الصدور، وهدى للساري ونور. فلذا عُنِيَ العلماء قديما وحديثا بشأنه، ووضعوا العلوم المختلفة لخدمته، وكان شأن المسلمين في كل عصر وبلد، الرغبة الملحة في حفظه وتلاوته، ومداومة النظر فيه، لاستنباط ما حواه من الأحكام والعبر، ولما اتسعت رقعة الإسلام، ودخله أمم تختلف في لغاتها وطرق كتابتها، وتقدر على كثير من متعلميها قراءة القرآن، وهي على رسم المصحف الإمام، فلم ينتفع بتلاوته على الوجه الصحيح إلا النذر اليسير، ممن انقطع لتعلم طريقته، أو أمضى زمنا ليس بالتصوير في معالجه قراءته، لذلك رغب كثير من المسلمين في كتابته على طريقة الإملاء الحديثة، فتصدي لمحاولة هذه الرغبة، مؤمنون بصيرون بالعواقب، غيررون على قدسية الكتاب الكريم، وكان الصواب حلقتهم في محاربة هذه الرغبة الطائشة، لأن القرآن هو عمدة هذا الدين، وطرق الإملاء الحديثة تختلف باختلاف أقطار المسلمين، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر الواحد، فإذا فتح باب كتابته بالإملاء الحديث تسرب له ما تسرب للكتب السابقة من التحريف والتغيير، ونال من قدسيته ما قد نال من قدسيته، فآثر في قيمتها الدينية والعلمية .

لما كان كل هذا، وكنا ذات يوم في مجلس دار فيه الحديث حول الدين وطرق خدمته، فتطرق البحث إلى هذه الناحية المذكورة آنفا . وكان ممن صمهم هذا المجلس الرجل المؤمن الذي أهدق الله عليه الكثير من نعمه، وتوجهها بنعمة التوفيق لكل ما يقر به إلى ربه، هو السيد أحمد حامد سراج الدين فسانى: وهل من حل لهذه العقبة التي لو ذلت، لانتفع بقراءة كتاب الله خلق كثير؟ فقلت: إنه قد عرض لى حل يجمع بين المصلحتين: مصلحة القارئ في

■ الكتاب: تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم

■ المؤلف: فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى - شيخ كلية اللغة العربية بالازهر

■ الشريف سابقا.

■ الطبعة الأولى: ١٩٥٨.

■ الطبعة الثانية: ١٩٨٠.

■ الطبعة الثالثة: ٢٠٠٩.

■ طبع في مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

■ العلاقات والإخراج الفني: أميمة على أحمد.

■ تصحيح: محمد صابر - أحمد حسن

■ مراجعة: سعيد عبد الفتاح - أميمة على

التسهيل عليه، ومصلحة المحافظة على الرسم العثماني الذي توارثه المسلمون هذه القرون الطويلة. ولما شرحتها له أعجب بها. وألح في سرعة إبرازها للوجود، وأعداً في سبيل تحقيقها بيد كل مجتهد. ولما صمنا العزم على الإنجاز، رغب بعض الإخوان أن ينضم إلى تسهيل قراءة القرآن تيسير فهمه على القارئ العادي، ولو باختصار تفسير مختصر من التفسيرات الكثيرة يوضع على هامش المصحف، فاستعرضنا كل التفسيرات، فلم نجد من بينها ما ينفي بالمقصود، إذ وجدنا منها ما وضع للخاصة من العلماء، كتفسير البيضاوي، والفخر الرازي، ومنها ما حاول صاحبه الارتقاء بمبارته عن مستوى القارئ العادي، وجعل أبحاثه كلها تدور حول إثبات إعجاز القرآن، كتفسير الكشاف، ومنها ما أطلأ صاحبه فيه تطويلاً مملاً كتفسير الطبري أو اختصاره اختصاراً مملاً كتفسير الجلالين، ومنها ما حشاه صاحبه بالأبحاث النحوية والصرفية أو الفقهية، وغير ذلك. كتفسير أبي حيان والقرطبي. ومنها ما ملأه صاحبه بغرائب الحكايات وأباطيل الإسرائيليات التي دسها اليهود الذين استتروا وراء إظهارهم الإسلام، وكادوا لكتابه الكريم، ونسبوا لكبار الصعابة في فهمه آراء باطلة، شوهت جماله، وكانت مادة خصبة لأعداء الإسلام. ومن هؤلاء اليهود: (كعب الأحبار) و(رهب بن منبه) بعد ذلك استقر الرأي على أن يعهد إلينا بوضع تفسير مختصر يوضح معنى اللفظ الغريب، وما لا بد منه في فهم التركيب. على أن تبعد عنه ما استطنأنا العبارات الاصطلاحية، والخلافات الطائفية والمذهبية، وإذا اضطررنا لذكر بعض الاصطلاحات فإننا لا نذكرها إلا في مقدمة الصفحة بين تفسير المفردات، ولكن عندما نقول (المعنى): فإننا حرمانا على أنفسنا ذكر شيء من ذلك، مطلقاً وقد تجنبنا أيضاً زخرفة العبارة، محافظة على محاكاة المعاني التي تضمنتها الحروف، أو أشارت إليها الأساليب، حتى يتجلى المعنى الأصلي بارزاً ليس عليه حجاب، فإذا رأيتنا نقسره قوله تعالى «إياك نعبد» صفحة (٧) بقولنا (لا نعبد غيرك) تعلم أننا فهمنا هذا الحصر من تقديم المفعول «إياك». وإذا فسرنا قوله تعالى «ثم في النار يسجرون» الآية (٧٧) من سورة غافر صفحة ٦٢٧ بقولنا (ثم يدخلون في النار تحرق ظاهراً وباطنهم) تعلم أننا أخذنا إدخالهم النار من الحرف (في) وإحراق باطنهم من قوله (يسجرون). وإذا قلنا في تفسير قوله تعالى «وأنت حل بهذا البلد» الآية (٢) من سورة البلد صفحة ٨٠٨ (والحال أن الكفار من أهله استحلوا إيمانك أيها النبي.. إلخ) تعلم أن الواو في «وأنت حل» تدل على أن الجملة التي بعدها حال مما قبلها.. وهكذا في كل ما كان في هذا النوع.

وقد رأينا لدواعي الاختصار، وضيق حيز الصفحات مع الرغبة في إبقاء بعض المقامات حقها، بتدعيمها بالأدلة من القرآن نفسه، أن نكتفي بذكر رقم الآية وسورتها أو صفحتها من المصحف نفسه بدل ذكر ألفاظ الآيات كلها. ولما كان من المقرر عند العلماء أن خير تفسير لكلامه تعالى هو كلامه نفسه، فإننا لم نأل جهداً في الإحالة على كل ما يوضح معنى الكلمة، أو يعين المراد منها. وقد نتوسع في ذلك أحياناً لئتمكن من بريد تكوين فكرة في موضوع معين.

• ٩ •

من تحقيق رغبته، فإذا رأيت كثرة الإحالات في موضوع تعتبره في نظرك واضحاً، فلا تشغل نفسك بتتبع الإحالات، وامض في سبيلك. وأعلم أن المقصود بها غيرك.

وقد نفسر المفرد في مكان بغير ما نفسره به في مكان آخر، نشير بذلك إلى أن لعلماء السلف في هذا اللفظ رأيين، ونترك للمطلع حرية اختيار ما نظمنا إليه نفسه منهما.

وينبغي أن يعلم أن كل الذي حاولناه في هذا المختصر هو أننا أعدنا مصباحاً صغيراً يكشف بعض معالم الطريق لمن أراد استجلاء بعض أسرار كتاب الله تعالى. وذلك أننا نعلم أن القرآن قد تعرض لمعظم شتى، من: شريعة، واجتماعية، وخلقية، وتاريخية، وطبية، وزراعية، وفلكية، وغير ذلك.

كما نعلم أن لهذه العلوم رجالاً تخصصوا فيها، ومن المؤكد أن يكون من بينهم من إذا وضعنا أمامه هذا المصباح الذي يبرز له المعاني الأصلية من ثلثا العبارات المعجزة واضحة ليس دونها حجاب. من قد يخرج من أسرار القرآن ومعجزاته ما خفي على كثير غيره، وذلك بفضل الله يؤتبه من يشاء.

وقد بذلنا في الوصول إلى ذلك جهد المقلين، راجين من الله العلي القدير أن يغفر لنا خطايانا، وأن يدخلنا في زمرة من شملهم عفوه، إنه واسع المغفرة جواد كريم.

وقد وضعنا كل كلمة تخالف في الرسم الإملاء المعاصر رقماً، ووضعنا أمام هذا الرقم في أدنى الصفحة رسمها الموافق للإملاء الحديث، وفيها يلي هذا نموذج لبعض الكلمات بالرسم الوارد في المصحف الإمام وما يقابلها بالرسم الحديث.

وبهذا نكون قد جمعنا بين المحافظة على رسم المصحف، الإمام، وبين تسهيل قراءته على القارئ، وإذا رأيت بعض كلمات القرآن في أثناء الشرح مكتوبة بالإملاء الحديث، فاعلم أن هذا خاص بالكتابة في أثناء التفسير فقط، ولا يجوز أن يعمل ذلك في صلب المصحف نفسه ولا تكون قد وقعنا في الخطر المشار إليه سابقاً.

وقد وضعنا الشرح بالهامش مبدؤاً ببيان معاني المفردات اللغوية، وبعد الفراغ منها، نبداً في بيان المعنى بقولنا: (المعنى)..

والله الموفق للصواب.

عبد الجليل عيسى

• ٩ •

مقدمة الطبعة الثانية (عام ١٩٨٠م، ١٤٠٠هـ)



والصلاة والسلام على خاتم النبيين: سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن القرآن هو كتاب الله الكريم، الذي أنزله على رسوله الأمين، مهيبنا على جميع ما أنزل قبله على الرسل أجمعين. فيه شفاء لما في الصدور، وهدى للمساري ونور، فلذا عنى العلماء قديما وحديثا بشأنه، ووضعوا العلوم المختلفة لخدمته. وكان شأن المسلمين في كل عصر وبلد، الرغبة الملحة في حفظه وتلاوته، ومداومة النظر فيه، لاستنباط ما حواه من الأحكام والعبر. ولما اتسعت رقعة الإسلام، ودخلته أمم تختلف في لغاتها وطرق كتابتها، وقعدت على كثير من متعلميها قراءة القرآن، وهو على رسم المصحف الإمام، فلم ينتفع بتلاوته على الوجه الصحيح إلا النزر اليسير، ممن انقطع لتعلم طريقته، أو أمضى زمنا ليس بالقصير في معالجة النكرة مؤمنون بصيرون بالعواقب، غيرون على قدسية الكتاب الكريم. وكان الصواب لحفيهم في محاربة هذه الرغبة الطائشة. لأن القرآن هو عمدة هذا الدين. وطرق الإملاء العادية تختلف باختلاف أقطار المسلمين، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر الواحد. فإذا فتح باب كتابته بالإملاء المعتاد عند كل طائفة من طوائف المسلمين، تسرب إليه ما تسرب للكتب السابقة من التعريف والتغيير، وثال من قدسيته ما ثال من قدسيته، وأثر في قيمتها الدينية والعلمية.

لما كان كل هذا، رأينا أن نجتمع بين الأمرين: التسهيل على القارئ، والمحافظة على أصل رسم المصحف الإمام؛ فوضعنا على كل كلمة تخالف الرسم المعتاد رقما، ووضعنا أمام هذا الرقم في قامش المصحف الكلمة بالرسم المعتاد.

نموذج من الكلمات المكتوبة بالرسم العثماني مع مقابلتها بالرسم العثماني بين صمودية صحفة النطق بالكلمة على وجهها الصحيح

الكلمة بالإملاء	رقم الآية	رقم الصفحة	الكلمة بالإملاء	رقم الآية	رقم الصفحة	الكلمة بالإملاء	رقم الآية	رقم الصفحة	الكلمة بالإملاء
وَمَلَكُهُ	٩٧	٢٩٩	وَمَلَايِهِ	٤٠	٩	إِسْرَائِيلَ	٤٠	٩	إِسْرَائِيلَ
الَّتِي	٥٠	٢١٠	الَّتِي	٤٣	٩	الصَّلَاةِ	٤٣	٩	الصَّلَاةِ
نَبَا	٩	٣٣٠	نَبَا	٤٣	٩	الرَّكَاءِ	٤٣	٩	الرَّكَاءِ
الضَعْفَاءُ	٢١	٣٣٢	الضَعْفَاءُ	٨٥	١٧	الْحَيَاةِ	٨٥	١٧	الْحَيَاةِ
وَنَائِي	٨٣	٣٧٦	وَنَائِي	١٦٤	٣١	اللَّيْلِ	١٦٤	٣١	اللَّيْلِ
يَابْنَ أُمِّ	٩٤	٤١٤	يَنْبُؤُ	٣	٦٣	التَّوْرَةِ	٣	٦٣	التَّوْرَةِ
فَالسَّائِلُوا	٧	٤٢١	فَسَلُّوا	١٦٣	٩٠	وَمَوَاهِ	١٦٣	٩٠	وَمَوَاهِ
أَفَانِ	٣٤	٤٢٤	أَفَانِ	١٦١	١٣٠	الرَّبَا	١٦١	١٣٠	الرَّبَا
سَارِيكُمْ	٣٧	٤٢٤	سَارِيكُمْ	٢٠	١٤٠	وَأَتَاكُمْ	٢٠	١٤٠	وَأَتَاكُمْ
أَيُّهَا	٢١	٤٦٢	أَيُّهُ	٤٦	١٤٦	وَأَتَيْنَاهُ	٤٦	١٤٦	وَأَتَيْنَاهُ
مَالِهَا	٧	٤٧١	مَالِ هَذَا	١٠٩	١٥٩	عَلَامِ	١٠٩	١٥٩	عَلَامِ
لَاذِيْعَتُهُ	٢١	٤٩٦	لَاذِيْعَتُهُ	٥	١٦٢	إِنْبَاءِ	٥	١٦٢	إِنْبَاءِ
الْمَلَأُ	٢٩	٤٩٧	الْمَلَأُ	٢٦	١٦٦	وَيَتَّوْنِ	٢٦	١٦٦	وَيَتَّوْنِ
شُرَكَائِي	٦٢	٥١٦	شُرَكَائِي	٢٨	١٦٨	طَائِرِ	٢٨	١٦٨	طَائِرِ
أَسَاوَا	١٠	٥٣٢	أَسَاوَا	٥٢	١٧٠	بِالْعَدَاةِ	٥٢	١٧٠	بِالْعَدَاةِ
السَّوَاءِ	١٠	٥٣٢	السَّوَاءِ	٧٤	١٧٤	أَرَاكَ	٧٤	١٧٤	أَرَاكَ
يَبْدَأُ	١١	٥٣٢	يَبْدَأُ	٨٠	١٧٥	هَدَيْنَ	٨٠	١٧٥	هَدَيْنَ
شَفَعَاءُ	١٣	٥٣٢	شَفَعَاءُ	٩٤	١٧٨	شُرَكَاءِ	٩٤	١٧٨	شُرَكَاءِ
وَلَقَاءِ	١٦	٥٣٢	وَلَقَاءِ	٥	١٩٢	دَعَوَاهُمْ	٥	١٩٢	دَعَوَاهُمْ
الْبَلَاءِ	١٠٦	٥٩٣	الْبَلَاءِ	٢٦	١٩٥	يَا بَنِي آدَمَ	٢٦	١٩٥	يَا بَنِي آدَمَ
يَادَاوُدَ	٢٦	٦٠٠	يَادَاوُدَ	٣٥	١٩٧	أَيَاتِي	٣٥	١٩٧	أَيَاتِي
النَّجَاةِ	٤١	٦٢٣	النَّجَاةِ	٤٦	١٩٩	يَسْمِعَاهُمْ	٤٦	١٩٩	يَسْمِعَاهُمْ
دَعَاءُ	٥٠	٦٢٤	دُعَا	٨٧	٢٩٧	نَشَأُ	٨٧	٢٩٧	نَشَأُ

جريد، أو حجر رقيق أملس، إلى غير ذلك. ولما هاجر ﷺ إلى المدينة كانت كل هذه الصحف محفوظة عند عائشة. أم المؤمنين رضي الله عنها.

وبعد أن جاور ﷺ ربه، وتولى أبو بكر الخلافة، ووقعت بين المسلمين وبين الكفار حروب شديدة، كان منها حرب (اليمامة) المشهورة التي قتل فيها كثير ممن يحفظون القرآن، عند ذلك جاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر وقال له: إن القتل قد اشتد في حفاظ القرآن، وإنني أخشى أن يشتد القتل فيهم في مواطن أخرى. فيضئ أشياخ الحفاظ، فأرى أن تجمع من بقي منهم، وتجمع معهم كتاب الوحي، ويراجعوا ما كتب على ما هو محفوظ في الصدور: ثم يحفظ وعند ذلك نأمن على القرآن من الضياع. فدعا أبو بكر زيد بن ثابت، وقال له: إنك شاب عاقل، لا تنهك، وكنت ممن يكتب الوحي للنبي ﷺ، فتتبع القرآن واجمعه، قال زيد: فقمتم أسمعهم مما كتب عليه في زمن النبي ﷺ وأقارنه بما في صدور الحفاظ. فلما فرغت قدمته لأبي بكر رضي الله عنه، فأودع هذه الصحف عند ابنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. وتسمى هذه (الكتبة الأولى).

ولما مات أبو بكر، وتولى عمر بن الخطاب نقلت تلك الصحف عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ولما ولي عثمان بن عفان الخلافة - وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في حرب (أرمينية). وكان معه جند من الشام، والعراق، والحجاز، واختلفوا في قراءاتهم. وتغصب كل فريق منهم لما يقرأ. حتى إن الرجل منهم ليقول للآخر: إن قراءتي خير من قراءتك، وكفر بعضهم بعضاً وتلاعوا - فأنزعج لذلك حذيفة. وبمجرد وصوله المدينة راجعاً، توجه إلى عثمان قبل أن يذهب إلى بيته، وقال له: أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك. ثم وصف له ما حدث، وقال: إنني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى.

فجمع عثمان وجوه الصحابة، وكان من بينهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعرض عليهم الأمر: فاتفقوا جميعاً على أن يجمع ما سيجل في عهد أبي بكر ويكون هو المرجع الوحيد. فأرسل عثمان إلى حفصة، وقال لها: أرسلينا الصحف ننسخها في مصاحف ثم نردها إليك. فأرسلتها إليه. فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها كما هي في مصاحف. قال الطبري: إن الصحف التي كانت عند حفصة جعلت إماماً في هذا الجمع. وتسمى هذه (الكتبة الثانية). وأرسل عثمان إلى كل قطر نسخة من هذه النسخ، كما هو مبين في آخر هذا المصحف تحت عنوان (تعريف بهذا المصحف) صفحة ج. وأمر بحرق كل ما كتب من القرآن خلاف ذلك فأحرقت جميعها. هذا ما حصل في سبب كتابة القرآن في تلك الصحف.

وقبل أن تغادر هذا المقام، نرى أن من الواجب علينا لمنااسبة ما بذل من المحافظة على كتاب الله، إنصافاً للعاملين، وتشجيعاً للمصلحين، أن نسجل هنا ذلك العمل الجيد الذي تم في

ومما جاء موافقاً للرسم العادي تارة، ومخالفاً أخرى، تبعاً لاختلاف كتاب الوحي كما سيأتى، كلمات في آخرها تاء التأنيث التي تكتب في المعتاد تاء مربوطة فقد وردت في المصحف أحياناً تاء مربوطة، وفقاً للإملاء المعتاد، وأحياناً تاء مفتوحة من ذلك كلمات:

نعمة: وردت بناء مربوطة في آيتي ١٧١ صفحة ٩١ و ٩٠ صفحة ٥٥٠ وبناء مفتوحة. كما في آيتي ١٠٣ صفحة ٢١، ٧٩ صفحة ٥٤٣.

رحمة: وردت بناء مربوطة في آية ٥٢ صفحة ٢٠٠، وبناء مفتوحة كما في آيات ٥٦ صفحة ٧٣، ٢٠١ صفحة ٥٠، ٢٩٥ صفحة ٣٢، ٥٢٧ صفحة ٦٥٠.

امراً: وردت بناء مربوطة في آية ١٥٨ صفحة ١٢٤، وبناء مفتوحة كما في آيتي ٣٥ صفحة ٣٠، ٦٨ صفحة ٢٠٧.

سنة: وردت مربوطة في آية ٧٧ صفحة ٣٧٥، وبناء مفتوحة كما في آيتي ٢٨ صفحة ٢٢٢، ٤٣ صفحة ٥٧٨.

لغة: وردت بناء مربوطة في آية ١٦١ صفحة ٣١، وبناء مفتوحة كما في آيتي ٦١ صفحة ٧٧، ٧٢ صفحة ٤٥٧.

ومنها كلمة (مما) فقد وردت في آية ٣ صفحة ٢٢٧ (مما رزقناهم) وجاءت (من ما) في آية ١٠ صفحة ٧٤٤.

شجرة: وردت بناء مربوطة في آية ٢٥ صفحة ٨، وبناء مفتوحة كما في آية ٤٣ صفحة ٦٥٩.

ومما جاء مضطرباً أيضاً كتابة الحروف المبتدئة بها بعض السور فينما نرى في سورة مريم (كهيعص) متصلاً ببعضها ببعض وعليها رقم آية، نجد أول سورة الشورى (حم) (عسق) آيتين.

رسم المصحف

لماذا خالف الرسم المعتاد في بعض كلماته؟

يسأل كثيرون عن سبب مخالفة الرسم المعتاد في بعض كلمات المصحف.

وقد تعرض لبيان ذلك جمهرة كبيرة من العلماء، وحاصل ما ثبت من طريق صحيح أن النبي ﷺ عندما كان ينزل عليه شيء من القرآن يدعو برجل ممن يعرفون الكتابة من العرب، وكانوا قلة بين أمة أمية. عولت في المحافظة على تراثها على قوة الذاكرة، فكانت صديروهم هي دواوينهم. يدعوه ﷺ ويملى عليه ما نزل. ويقول له اكتب هذه الآيات، في مكان كذا من السورة التي يدكر فيها كذا وكذا. فيكتب على ما تيسر له من جلد حيوان أو عظمه، أو كتفه، أو قشرة

ولكنهم يكابرون انظر آيات ٤١ و ٤٢ صفحة ٩،
 ٨٩ صفحة ١١٤، ١٧ صفحة ١٨١.
 ١٥ - علماء أهل الكتاب كانوا يعلمون أن الرسول صادق، ولكنهم كانوا يخفون ذلك محافظة على رياستهم من الضياع آية ١٤٦ صفحة ٢٨.
 ١٦ - فرعون كان يعتقد أن موسى رسول الله ولكنه كان يكابر خوفاً على سلطانه من الذهاب آيتاً ١٠٢ صفحة ١٤، ٣٧٨ صفحة ٤٩٥.
 ١٧ - المشركون كانوا يعتقدون أن الخالق لهم ولجميع العالم هو الله وحده، ومنشأ كفرهم أنهم اتخذوا من المخلوقات شفعاء يقربونهم له سبحانه، انظر الآيات ٦١ و ٦٢ صفحة ٥٢٩، ٨٧ صفحة ٦٥٥، ١٨، ٦٥٥ صفحة ٢٦٨ و ٢ صفحة ٧٠٦ وشرح آية ٢٣ صفحة ٧٦٩.
 ١٨ - متى يشاء الله إضلال الناس أو هدايتهم وبيان "منته سبيلاته في ذلك انظر آيات ٧٨، ٧٩ ص ١١٤، ٤٨، ١٤٦ ص ١٤٨، ١٨٨، ٢٥ ص ١٦٧، ٩٩ ص ٢٥٨، ٣٤٩ ص ٥٢، ٤٤١ ص ٥٠، ٥٧٠ ص ١٠ ص ٨١٠.
 ١٩ - معاني الضلال في القرآن آية ٢٤ ص ١٦٥.
 ٢٠ - التفسير من التقليد، والبحث على استعمال العقل آية ٥٢ وما بعدها صفحة ٤٢٦، ٢١ صفحة ٥٤٢.
 ٢١ - القرآن يرشدنا كيف نعبّر عما يستحي من التصريح به بكتابات لطيفة. آيات ١٨٧ صفحة ١٩٦، ١٩٦ صفحة ٢٨ (أو به أدنى من رأسه) كتابية عمما يصيب الرأس من أمراض أو حشرات وآيات ٣٣٦ صفحة ٦، ٤٨ صفحة ١٣٧، ٧٥ صفحة ١٥٢ (كانا ياكلان الطعام) كتابية عمما يستلزمه أكل الطعام من إخراج الفضلات وآية ١٨٩ صفحة ٢٢٤.
 ٢٢ - كيف يربى الله تعالى المسلم على تحمل الشدائد حتى يكون قوى المزمزة معداً لتحمل كل خطر آية ٢١٤ صفحة ٤٢.
 ٢٣ - ينبغي لقائد الجيش أن يختبر قوة عزائم جنده قبل خوض المعركة، ويبعد عنه ضعيف المزمزة آية ٢٤٩ صفحة ٥١.
 ٢٤ - أربع تمثيل للترغيب في الإنفاق في سبيل الله، آيتا ٢٦١، ٥٥، ٢٦٥ صفحة ٥٦.

٢٥ - إخفاء الصدقات أفضل من إعلانها آية ٢٧١ صفحة ٥٧.
 ٢٦ - خلق باب تلاعب الشيطان بضعاف النفوس حيث أمر بكتابة الدين، والإشهاد عليها آية ٢٨٢ صفحة ٦٠.
 ٢٧ - يعلمنا الله سبحانه كيف نتغاضى عن ذكر سيئات الغير عند الاجتماع به في وقت الصفاء انظر ذلك في آية ١٠٠ ص ٣١٨، وتامل كيف أغفل يوسف عليه السلام حادث الحب المذكور في آيتي ١٠ و ١٥٥ صفحة ٣٠٤، ثانياً يؤذي إخوته.
 ٢٨ - المؤمن الصادق يستعيز بالله من أن يكون فتنة للقوم الظالمين، انظر آية ٨٥ ص ٣٧٨.
 ٢٩ - الغاوى يطلق على الذي يضلل السبيل الحق، وعلى الذي يضلل غيره، آيتا ٩١ و ٩٤ ص ٤٨٥، ٢٠ - متى يزين الله للمبد ما فيه هلاكه آية ٤ ص ٤٩٤.
 ٣١ - لماذا يظن الكافرون عند مشاهدة العذاب أنهم لم يهلكوا في القيور إلا زمناً يسيراً، آيتا ٤٥ و ٤٥٧، ٣٧٢ ص ٢٥، ١٧٢.
 ٣٢ - شروط قبول التوبة، وأنها ليست مجرّد النطق بلفظ التوبة، انظر آيات ٢٩ صفحة ١٤٤ و ٥٥ صفحة ١١، ٢٤٠ صفحة ١١٩ و ٣١٢ و ٥ و ٥٧٧ و ٧٠ و ٧١ صفحة ٤٧٨ و ٨٢ ص ٤١٣.
 ٣٣ - تسبيح الجبال وغيرها وسجودها، انظر آية ٧٩ صفحة ٤٢٨.
 ٣٤ - اختلاف أحوال وجوه الكفار وأبصارهم يوم القيامة باختلاف مواقفهم انظر آية ٤٥ صفحة ٦٤٥.
 ٣٥ - لا يصلح الله حال أمسة إلا إذا أصابحت ضمائرنا وأعدت نفسها للثبوت، آية ١١ ص ٢٢٢.
 ٣٦ - كل ما في الأرض والسماء مسخر لمصلحة الإنسان، انظر آيات ٢٩ صفحة ٣٢، ٧، ٣٣ و ٣٤ صفحة ٥ و وما بعدها صفحة ٢٤٦ و ٢٤٧ وآية ٦٥ صفحة ٤٤٢.
 ٣٧ - لماذا كانت أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس؟ انظر الصفات التي استحققت بها ذلك،

في آية ١١٠ صفحة ٨٠، وانظر لم لمن غيرها في آيتي ٧٨ و ٧٩ صفحة ١٥٣.
 ٢٨ - إذا وقعت الخطيئة في قرية فما هي طريقة النجاة من آثارها؟ انظر آية ١٢٣ وما بعدها ص ٢١٩.
 ٢٩ - تمنى الكافر عند مشاهدة العذاب الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً، انظر آيتي ١٠٠ صفحة ٤٤، ٤٥٤، ٣٢٦.
 ٤٠ - معنى إحكام آيات القرآن ومعنى تفصيلها انظر آية ١ ص ٢٨٢.
 ٤١ - متى فضل الله بني إسرائيل على العالمين، وما سبب ذلك؛ وكيف انتفضى هذا التفضيل؟ انظر آية ٣٢ ص ٦٥٨.
 ٤٢ - من هم الشهداء يوم القيامة الذين يشهدون على غيرهم انظر آية ٦٩ ص ٦١٦.
 ٤٣ - معنى الغيب والشهادة في القرآن، انظر آية ٧٣ ص ١٧٤.
 ٤٤ - مقدار اليوم عند الله في الدنيا والآخرة انظر آية ٤٨ ص ٤٤٠.
 ٤٥ - قد يوسع الله للمبد استرجاعاً له ثم ينزل به عقابه الشديد انظر آيات ١٧٨ صفحة ٩٢، ١٨٢ و ١٨٣ صفحة ٤٤، ١٦٨، ٥٠، ٥٥، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧،

مقدمة الطبعة الثالثة (عام ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله .. احمده واستعينه وأملئ على خاتم رسله ورحمته للعالمين سيدنا محمد ﷺ .
وبعد .. فقد شاء الله تعالى أن يكرمني بكتابة مقدمة كتاب الله الكريم .. ميسر الفهم .. دقيق
الإيجاز في غير إلغاز .. يفهم الألباب في غير إطناب .. هذا هو كتاب (تيسير القرآن الكريم للقراءة
والفهم المستقيم) لعلم من أعلام الإسلام الذين ربوا دعاه الدين لله .. ومهدوا لمن بعدهم الدعوة إلى
الله تعالى .. فوصف مؤلفه .. رضي الله تعالى عنه استاذ أجيالنا ..

فضيلة الشيخ / عبد الحليل عيسى .. بأنه ناصر السنة ، وقاهر البدعة ، وميسر كتاب الله وسنة
رسول الله للقارئ والدارس والمذكر . ذلك الرجل الذي شاء الله تعالى أن يجعل حياته المباركة ممتدة
في تراثه القيم إلى أن تقوم الساعة .. وتلك المقدمة سبقتها مقدمة للمقدمة وهي الكتاب نفسه .
والذي سبق مقدمتي الآن .. وسيحكم قارئ الكتاب قبل على صدقي في تكريم كاتبه ، واسأل الله
سبحانه كما يبارك فيه أن يبارك في تراثه ، وأن ييسط البركة على يد كل أبناء الشيخ بروض الله ،
وحسن في تكريم شيخنا أن كتابه (تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم) يعلم الله أنه أول
مراجع لأنه عرفني كيف أجمع شتات الآيات جمعاً يستوعب كل ما قيل بعلاوة كل ما يقول .

نفع الله كل قارئ به ، وأخرز للشيخ عظيم الثواب ووافر الرضوان .. وبارك الله في كل من يعمل
على إشاعة هذا التراث والبلاغ منه لكل من يقرأ عنه .

والله ولي التوفيق

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾: حروف مفردة لإقامة الحجة على الذين قالوا إن القرآن من كلام البشر، بأنه كلام منظم من هذه الحروف التي تنظمون منها كلامكم، فلماذا عجزتم عن الإتيان بمثله. ﴿الكتاب﴾: القرآن. ﴿الرب﴾: الشك. ﴿هدى﴾: هاد ومرشد للخير. ﴿المتقين﴾: الذين جعلوا بينهم وبين ما بغض الله وقاية فلا يقربونه. ﴿الغيب﴾: كل ما غاب عنا وأخبرنا الله ورسوله به كاللائكة والجن والبعث وتقدير الأرزاق والأعمار وغير ذلك.

﴿يقيمون الصلاة﴾: أي يأتون بها كاملة الأركان حسبا ومعنى.

﴿ما أنزل إليك﴾: أي القرآن. ﴿وما أنزل من قبلك﴾: أي التوراة والإنجيل الصحيحين. و﴿الآخرة﴾: الدار الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب. ﴿يوقنون﴾: الإيقان الإيمان بالشئ مع الإحساس به كأنه يراه. وأخر الآخرة بالذكر مع دخولها في الغيب لأهميتها وخطرها إنكارها. ﴿الهدى﴾: هنا ضد الضلال. ﴿الفلاح﴾: الفوز. ﴿الإنذار﴾: الإعلام مع تخويف. ﴿الخنم﴾: الطبع والتغطية. ﴿الغشاوة﴾: الغطاء.

- (١) الف. لام. ميم.
- (٢) الكتاب.
- (٣) الصلاة.
- (٤) رزقناهم.

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رب﴾: خالق ومربى. ﴿الدين﴾: الحساب. ﴿الصراط﴾: الطريق المعنى: إقرأ مستبشرين باسم الله واسع الرحمة دائمين، المستحق لجميع الثناء الجميل لأنه صاحب كل النعم، وهو وحده المتصرف يوم الحساب والجزاء. ولما فرغ سبحانه من ذكر الصفات الدالة على أن مصدر كل النعم هو الله وحده، وأنه المتصرف وحده في مصير الخلائق يوم الحساب، كان واسع الرحمة ومسيغها على خلقه، وأنه المتصرف وحده في مصير الخلائق يوم الحساب، كان طبيعيا لمن تمر على خاطره تلك الصفات العظيمة أن يستحضر صاحبها ويراه كأنه حاضر معه.

فيصح أن يخاطبه بقوله:

﴿إياك نعبد﴾ أي لا نعبد إلا إياك يا رب ولا نستعين إلا بك، فوفقنا للطريق الموصل للخير في أقرب وقت، طريق عبادك الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وابدعنا عن طريق المغضوب عليهم الذين أعرضوا عن الحق بعد العلم به كثيرا وحسدا، والضالين البعيدين عن الصواب خيرة وجهلا.

- (١) تعالىين.
- (٢) مالك.
- (٣) الصراط.
- (٤) صراط.

فيسبغ عليهم: المراد بهم زعماءهم،
فيسبغهم: يسهلهم. بالطغيان: تجاوز
الحد. فيعمهون: يترددون تحييراً.
واستورقوهم: أوقد. المصيبة: المطر
الشديد. المصاعقة: قصفة الرعد
المصوبة بنار.

المنى: إن هؤلاء المنافقين إذا اجتمعوا

بالمؤمنين أظهروا أنهم منهم، وإذا انفردوا مع
رؤسائهم قالوا لهم إنا معكم في الباطن وما
قلناه للمؤمنين قصداً به الاستهزاء بهم،
والله سيجازيهم على استهزائهم هذا، ولكنه
يهمهم ليزدادوا طغياناً وحيرة فيزيد عذابهم
أو تلك المنافقون هم الذين احتاروا الضلال

لغائده عاجلة زائلة وتركوا هدى الله الموصول للقيم دائم، وفعل ذلك خاسر في تجارتهم، وحال
بعض هؤلاء المنافقين كحال فريق من الناس أوقد تاراً ليستضيء ويأمن المخاوف فلما اشتد
نورها أذهب الله وتركهم في ظلمات لا يعمسون وقد استولى عليهم الرعب، فهم صم لا
يسمعون الحق سماع قبول ولا يطبقون به عن عقيدة، ولا يقولون خيراً، عسى عن طريق
الهداية، فهم لكل هذا لا يرجعون إلى الحق أبداً. وحال بعضهم الآخر كحال قوم أصابهم مطر
مصحوب بظلمات ورعد وبرق بلغ من دهشتهم أنهم توهّموا أن سدّ آذانهم بأطراف أصابعهم
يعمّهم من الموت، وما هو بحافظ، لأن الله محيط بهم فلا يمكنهم من الخلاص، وبلغ من
شدة البرق عليهم أنه يكاد يحرقهم بأبصارهم وكلما ظهر منه بعض الضوء الخافت أسرعوا
يطلبون النجاة ولكن سرعان ما يذهب الضوء فيظلم الجو فيقفون وهذا منتهى الحيرة. ولو
شاء الله لأذهب سمعهم بقصف الرعد، وأبصارهم بلمعان البرق، لأنه قدّير لا يعجزه شيء عما
يريد.

- (١) ظلمات. (٢) ظلمات. (٣) ظلمات. (٤) ظلمات. (٥) ظلمات.
(٦) ظلمات. (٧) ظلمات. (٨) ظلمات. (٩) ظلمات. (١٠) ظلمات. (١١) ظلمات.

أَنْتُمْ عَلَىٰ حُدُودِ الْحُدُودِ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ حُدُودِ الْحُدُودِ
إِنَّ الْأَرْضَ كَثُورٌ مَّا عَلَيْهَا الْحُيُوتُ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ حُدُودِ الْحُدُودِ
لَا تُؤْمِنُونَ ۖ خَسِمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ
وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غُشُوقٌ ۖ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ
مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۚ
يُخْلِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَحْدِثُونَ إِلَّا فِي أَنْفُسِهِمْ
وَمَا يُؤْمِنُونَ ۚ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُؤَادِمُ اللَّهُ رُسُلَهُ
وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ كَانُوا يَكْفُرُونَ ۚ وَإِنَّا قَوْلُكُمْ
لَا تُؤْمِنُونَ إِلَّا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّكُمْ تَقُولُونَ
إِلَّا أَنْفُسَكُمْ ۚ وَالْقُلُوبُ لِلَّهِ لَا لِلنَّاسِ ۚ قَالُوا الْتَوَيْنَ كِتَابَ
يَلْ كَلَّمَ وَإِنَّا لَكَا مِنْ النَّاسِ قَالُوا الْتَوَيْنَ كِتَابَ
الْغُفَاةِ إِلَّا أَنْفُسَكُمْ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۚ

والخداع: إظهار غير ما في النفس
للتعمية والخلل. والمراد بالمرض هنا النفاق.
فقد أذهم الله مرضاً: بسبب تكذيبهم بكل
ما يتجدد من وحى وبراهين. أنظر الآيتين
١٢٤، ١٢٥ من سورة التوبة: صفحة
٣٦٤.

والسنة: طيش وخفة في العقل.

المنى: إن هؤلاء المؤمن مضمكون من
هداية ربهم، فالتزوا بكل ما يأملون أما كفار
مكة الذين جاهدوا بالعناد فقد أصبحوا
بحالة لا ينفع معها إنذارك لهم، لأن قلوبهم

وأسماعهم وأبصارهم غطيت بغشاة كثيف من ظلمة الكفر فلا يتغذ إلى ما وراءه إيمان. ومن
الناس منافقون يظهرون الإيمان ويخفون الكفر زاعمين أنهم يعلمهم هذا يخادعون الله
والمؤمنين لينجوا منهم، ولكنهم في الحقيقة إنما خدعوا أنفسهم وأضروها. وإذا قال لهم
بعض المؤمنين الذين يشكون فيهم لا تفسدوا في الأرض بالنفاق قالوا إنما نحن مصلحون.
والحقيقة أنهم من كبار المفسدين ولكن لا يشعرون لأن طباعهم فسدت فزأوا الحسن فيجرحوا
والقبيح حسناً.

وإذا قال لهم بعض المؤمنين أيضاً آمنا بإيماننا صحيحاً كإيمان الناس أظهروا القبول وقالوا
سراً بينهم وبين أنفسهم لا تؤمن كما آمن السفهاء؛ يريدون قبيحهم الله بالسفهاء اتباع الرسول.
والحقيقة أنهم هم السفهاء الذين فقدوا عقولهم.

- (١) أبصارهم.
(٢) غشوة.
(٣) يخادعون.

ثانيها .. إذا كان من أسرار الله تعالى وحكمه ما يخفى على الملائكة فتعفن أولى بأن يخفى عنا فلا مطلع للإنسان في أن يعرف جميع أسرار الخفية وحكمها لأنه لم يؤت من العلم إلا قليلاً ..

ثالثها .. أن الله تعالى هدى الملائكة في حيرتهم وأجابهم عن سؤالهم لإقامة الدليل، بعد الإرشاد إلى الخضوع والتسليم، وذلك بعد أن أخبرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون علم آدم الأسماء ثم عرضهم على الملائكة كما سيأتي بيانه.

رابعها .. تسليية النبي ﷺ عن تكذيب الناس، ومحتاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا وبطلان ما جحدوا، فإذا كان الملائكة قد مثلوا على أنهم يختصمون ومثلون البيان والبرهان فيما لا يعلمون، فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين، وبالأنباء أن يعاملهم كما عامل الله الملائكة المقربين، أي فعليك أيها الرسول أن تصبر على هؤلاء الكافرين، وترشد المسترشدين، وتأتى أهل الدعوة بسلمطان مبين، وهذا الوجه هو الذي يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وبما جاء خاصة في الآية (٢٦) من هذه السورة وكون الكلام لا يزال في موضوع الكتاب وكونه لا ريب فيه، وفي الرسول وكونه يبالغ وحى الله تعالى ويهدى به عباده وفي اختلاف الناس فيها، ومن خواص القرآن الحكيم الانتقال إلى مسألة أخرى مبيانية لها أو قريبة منها مع كون الجميع في سياق موضوع واحد ..

وبعد ما عرض الإمام إلى آراء كثيرة في حقيقة الملائكة، وحقيقة هذا الحوار، وما دار فيه من آراء حكموا فيها تقاليدهم وعوائدهم قال: ولست أحيط علماً بما فملت العادة والتقاليد في أنفس بعض من يظنون أنهم من المتشددين في الدين إذ ينظرون من هذه المعاني كما ينظر المرضى أو المخدجون^(١) من جيد الأطعمة التي لا تضرهم، وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم، ويتشبهون بأولادهم مألوفة لهم تشبث أوتلك المرضى والمخدجين بأمنز طعام يفسد الأجسام، ويريد السقام، لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك، وما الذي يتخيلونه من لفظ قوة، ليس الروح في الأدمى مثلاً هذا الذي يظهر لنا في أفراد هذا النوع بالمقل والحس والوجدان

(١) المخدجون من خدجت الناقة تغدح بالكسر خدأها فهي خادج وأنها خديج أي ناقص لم يتم أيام الحمل.

في الأرض من خيرات، ثم توجهت إرادته إلى السماء فجعلها سبع سموات، واذكر أيها الرسول لهؤلاء الناس فضلى على الإنسان حين قلت للملائكة: إنى جاعل منه في الأرض خليفة يخلفنى في عمارتها، فقالوا هذا الإنسان من شأنه أن يفسد ويسفك الدماء، أما نحن فنسبح بحمك وننزهك.

ويجدر بنا هنا أن نذكر رأى فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده في هذه المسألة. قال الأستاذ الإمام: وقد بحث أناس في جوهر الملائكة وحاولوا معرفتهم ولكن من وفقهم الله تعالى على هذا السر قليلون، والدين إنما شرع للناس كلفة، فكان الصواب الاكتفاء بالإيمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته لأن تكليف الناس هذا البحث أو العلم يكاد يكون من تكليف ما لا يطاق، ومن خضعه الله تعالى بزيادة في العلم فذلك فضله يؤتيه من يشاء، فقد ورد في الصحيح عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه في هذا العلم اللدني الخاص، وقد سئل (هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء من العلم؟ فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتى الله عبداً فهما في القرآن ... إلخ).

وأما ذلك الحوار في الآيات فهو شأن من شئون الله تعالى مع ملائكته صوره لنا في هذه القصة بالقول والمراجعة والسؤال والجواب ونحن لا نعرف حقيقة ذلك القول ولكننا نعلم أنه ليس كما يكون منا، وأن هناك معاني قصدت إفادتها بهذه العبارات وهي عبارة عن شأن من شؤنه تعالى قبل خلق آدم، وأنه كان يعد له الكون، وشأن مع الملائكة يتعلق بخلق نوع الإنسان، وشأن آخر في بيان كرامة هذا النوع وفضله .. وأما الفائدة فيما وراء البحث في حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهي من وجوه:

أحدها .. أن الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى لعبيده أن يسأله عن حكمته في صنعه، وما يخفى عليهم من أسرار في خلقه، ولا سيما عند العبرة، والسؤال يكون بالمقال ويكون بالحوال، والتوجه إلى الله تعالى في استفاضة العلم بالمطلوب من يتابعه التي جرت سنته تعالى بأن يفيض منها (كالبعث العلمي والاستدلال العقلي والإلهام الإلهي) .. وربما كان للملائكة طريق آخر لاستفاضة العلم غير معروفة لأحد من البشر، فيمكننا أن نحمل سؤال

الملائكة على ذلك ..

والإرادة والعمل، وإذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهيت له فإذا سمى الروح ظهور أثر قوة، أو سميت القوة لخصاء حقيقتها روحاً، فهل يضر ذلك بالدين، أو ينقص معتقده شيئاً من اليقين؟ ألا لا يسمى الإيمان إيماناً حتى يكون إيماناً، ولا يكون كذلك حتى يستسلم الوجدان، وتخشع الأركان لذلك السلطان الذي تعلق به الإيمان ولا يكون كذلك حتى يلقي الوهم سلاحه، ويبلغ العقل فلاحه، وهل يستكمل هذا لمن لا يفهم ما يمكنه فهمه، ولا يعلم مالا يتيسر له علمه؟ كلا إنما يعرف الحق أهله، ولا يضل سبيله، ولا يعرف أهل الغفلة، لو أن مسكيناً من عبدة الألفاظ من أشدهم ذكاء، وأذربهم لساناً، أخذ بما قيل له إن الملائكة أجسام نورانية قابلة للتشكل^(٢) ثم تطلع عقله إلى أن يفهم معنى نورانية الأجسام، وهل النور وحدة له قوام يكون به شخصاً ممتازاً بدون أن يقوم بحرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء؟ ومعنى قابلية التشكل، وهل يمكن للنفس، الواحد أن يتقلب في أشكال من الصور مختلفة حسيماً يريد وكيف يكون ذلك؟ ألا يقع في حيرة، ولو سأل عما يعتقد من ذلك ألا يحدث في لسانه من الاعتد ما لا يستطيع حله؟ اليس مثل هذه الحيرة بعد شك؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون أبواب الغيب يطرف لما لا يستطيع النظر إليه، لكنها حيرة من أخذ بقول لا يفهمه، وكلف نفسه علم ما لا تعلمه، فلا يعد مثله ممن آمن بالملائكة إيماناً صحيحاً، وأطمأنت بإيمانه نفسه، وأذن له قلبه، ولم يبق لوهمه سلاح ينازع به عقله، كما هو شأن صاحب الإيمان الصحيح، فليرجع هؤلاء إلى أنفسهم ليعلموا أن الذي وفر فيها تقاليد حفت بالمخاوف، لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة، هؤلاء لم يشرق في نفوسهم ذلك السر الذي يعبر عنه بالنور الإلهي، والبضياء الملكوتي، واللالاء القدسي، أو ما يماثل ذلك من العبادات، لم يسبق لنفوسهم عهد بملاحظة جانب الحق، ولم تكتحل أعين بصائرهم بنظرة إلى مطلع الوجود منه على الخلق، ولو علموا أن العالم بأسره فإن في نفسه، وأن ليس في الكون باق كان أو يكون إلا وجه الكريم، وأن ما كشف في الكون وما لطف وما ظهر منه وما بطن، إنما هو فيض من جوده، ونسبة إلى وجوده، وليس الشريف

(٢) هذا هو التعريف المشهور في كتب الكلام وغيرها. وأول ما يترسب به عليه أنه لا يصح فيه معنى الجسم في اللغة، ولكنه صار مأثوفاً وإن لم يكن مفهوماً.

إلا ما أعلى بذكره منزلته، ولا الخسيس إلا ما بين لنا بالنظر إلى الأول نسبة، فإن كل مظهر من مظاهر الوجود في نفسه واقع موقعه، ليس شيء أعلى ولا أخط منه، فإن كان كذلك ولابد أن يكون كما قدره. لو عرفوا ذلك كله لأطلقوا لأنفسهم أن تجول في تلك الشؤون حتى تصل إلى مستقر الطمأنينة حيث لا ينازع العقل شيء من وساوس الوهم، ولا تجد طائفاً من الخوف ثم لا يتخرجون من إطلاق لفظ مكان لفظ آخر. هذه القوى التي نرى آثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا، وقد خفيت حقائقها عنا، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها إلا إلى آثار تجل إذا كشفت، وتقل بل تضمحل إذا حجبت، وهي التي يدور عليها كمال الوجود، وبها ينشأ الناشئ، وبها ينتهي إلى غايته الكامل، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل، أليست أشعة من ضياء الحق؟ أليست أجل مظهر من مظاهر سلطانه؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب وإن كانت آثارها من عالم الشهادة؟ ألا يجوز أن يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها. لا ندرك كله لاحتجابه بما تنصوره من حياتنا واختيارنا؟ يستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها، ومعرفة الطريق إلى استدرار منافعها؟

صفحتي ٦٣٠، ٦٣١.

أليس الوجود الإلهي الأعلى من عالم الغيب وآثاره في خلقه من عالم الشهادة؟ أليس هو الذي وهب تلك القوى خواصها وقدر لها آثارها؟ لم لا تقول أيها العاقل، إنه بذلك وهبها حياتها الخاصة بها، ولم قصرت معنى الحياة على ما تراه فليك وفي حيوان مثلك؟ مع أنك لو سئلت عن هذا الذي تزعم أنك فهمته وسميته حياة لم تستطع له تعريفاً، ولا لفضله تعريفاً؟ لم لا تقول كما قال الله وبه تقول (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم). أنظر قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ (الآية ١١) من سورة فصلت صفحتي ٦٣٠، ٦٣١.

وقوله عز وجل: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (الآية ٢١) من سورة الحشر صفحة ٧٣٣.

وقوله سبحانه: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ (الآية ٦٨) من سورة النحل صفحة ٢٥٤.

مَنْ هَدَىٰ فِي كِتَابٍ أَوْ عَلَىٰ لِسَانٍ رَسُولٍ فَهِنَّ سَارٍ عَلَيْهِ فَلَا يَخَافُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سُوءٍ وَلَا يَحْزَنُ لِنَفَوَاتٍ خَيْرٍ .

أما الذين كفروا وأعرضوا عن هذا الهدى فيخالدون في جهنم. ثم خاطب اليهود بقوله يا بني إسرائيل أى يا أولاد يعقوب أذكروا نعمتى على آبائكم حين أنجيتهم من فرعون ومن الغرق وظللت عليهم الغمام فى التيه إلى غير ذلك. وأشكروها بطاعتي. وأوفوا بعهدى الذى أخذته عليكم فى التوراة من الإيمان بكل رسول يأتى مصدقا لما فى الشورى ومنهم محمد. أوف بعهديكم الذى وعدتكم به من السعادة فى الدنيا والأخرة. ولا تخافوا غيرى. وأمنوا بالقرآن المصدق للتوراة فى التوحيد والنبوة وغير ذلك من مكارم الأخلاق. ولا يصح أن تكونوا أنتم يا أهل الكتاب أول كافر بهذا القرآن فبيعتكم غيركم فيكون إثمه عليكم. ولا تستبدلوا بسبب تحريف آياتى فى التوراة من حذف صفة محمد ﷺ ثمنا قليلا هو حب الرياسة وزخرف الدنيا واحذروا عدايى ولا تخطأوا الحق الذى أنزل عليكم بالباطل الذى تفترونه. ولا تكتنموا الحق وهو صدق محمد ﷺ وأنتم تعلمون أنكم ملبسون كاتمون. فإذا آتتم فاقبموا الصلاة وآتوا الزكاة واخضعوا لأوامر الله عز وجل مع الخاضعين لها من المسلمين. أنظر الآية (٦٥) من سورة النساء صفحة ١١٦. والآية (٥٥) من سورة المائدة صفحة ١٤٨. وكان الأحيار يأمرون أتباعهم بالعمل بما فى التوراة من البر والتقوى. وكانوا هم لا يعملون إلا بما يوافق شهواتهم. فويخهم الله بقوله: أأأمرون أتباعكم بالخير وتتركون أنفسكم مع أنكم أنتم الذين تقرؤون التوراة؟ أليس لكم عقل يمنعكم من هذا؟

عدل : فداء.

يَسْأَلُونَكَ : يَذِيقُونَكَ .

فلا يبالى بشئ. وأن الصلاة الصحيحة الكاملة التي تحدث هذا الأثر شاققة على النفوس
والمنفى واستعينوا على ما يلائقكم بالصبر وعدم الضجر وبالصلاة لأنها تربط البرء بربه

لأنه كثير قبول التوبة رحيم بعباده. ثم كرر الأمام
ظلمنا أنفسنا الآية (٢٣) من سورة الأعراف
ذلك كلمات قالها إعلانا للتوبة، وهي ﴿ربنا
إلى انقضاء الدنيا، وألهم الله تعالى آدم يعد
مكان استقرار وما تتمتعون به مما تخبرجه
المعنى: أهيطوا إلى الأرض ولكم فيها
﴿البر﴾: كل ما فيه خير.
﴿ربلسوا﴾: تخلصوا.
﴿فالهيون﴾: فخافوني.
الساعة.
﴿مستقر﴾: موضع قرار.

(١) ومناجاة.
(٢) كلمات.
(٣) آياتنا.
(٤) أصعب.
(٥) خالدين.
(٦) يابني..
(٧) إسرائيل.
(٨) وإياي..
(٩) يأتيني..
(١٠) وإياي..
(١١) بالباطل..
(١٢) الصلاة..
(١٣) الزكاة..
(١٤) التراكمين..
(١٥) الكتاب.

هدنا إليك الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧. أي تبنا إليك. وقال بعض العلماء: يهود في الأصل قولهم (هدنا إليك) وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم اسما لازما لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح ويقال هاد فلان إذا تحرى طريق اليهود في الدين. والعرب قد تشق من اسم العلم فعلا فتقول (من لفظ فرعون) تفرعن أي صار جبارا كفرعون مصر، وتقول فلان تطفل إذا قتل قتل الطفل الصغير وصار يحضر الموائد بدون دعوة من أصحابها، ومنه الطفيل الذي يحضر بدون دعوة كما يفعل الأطفال.

﴿الصائبين﴾: قوم كانوا على دين نوح ثم حرفوا وعبدوا الكواكب.

المعنى: فلما بدلوا ما قيل لهم أنزلنا على الظالمين منهم عذابا بسبب فسقهم. وذكروا يا بنى إسرائيل حين طلب موسى من ربه الماء ليشرب قومه في التيه ففجرنا لهم اثنتي عشرة عينا بعدد قبائل الأسباط المشار إليهم في الآية (١٦٠) من سورة الأعراف صفحة ٢١٨. لتعلم كل قبيلة مكان شربها فلا يزاحمها غيرها، وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا مما رزقناكم، ولا تفسدوا في الأرض فتعدوا في عداد المفسدين قبلكم. وذكروا حين قلتم وأنتم في التيه لموسى لن نصبر على طعام واحد لا يتغير، هو المن والسلوى. فاطلب من ربك ما يفتح شهيتنا من البقول والقثاء... إلخ، فقال موسى: لا يصح أن تتركوا طعاما طيبا وتأخذوا بدله خسيسا لا يوجد إلا في البلد الكبير في الحضر. ثم بين سبحانه مآل أمرهم حتى بعد خروجهم من التيه فقال: وضربت عليهم الذلة أي لزمهم الذل والهوان والاستكانة وعدم القوة المادية، ورجعوا بفضب من الله بسبب كفرهم بآيات الله وتعتديهم على أنبيائهم بالقتل، وذلك بسبب ما تاصل في طباعهم من الجراة على المعاصي وتجاوز حدود الله. ومع كل هذا فباب التوبة مفتوح لكل الطوائف، فالذين آمنوا بمحمد واليهود والنصارى والصائبون هم من آمن منهم إيمانا صحيحا.

﴿ميتاقتكم﴾: هو العهد على العمل بما في التوراة.

﴿الطور﴾: الجبل المعروف الذي ناجى موسى ربه عليه.

الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجَا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٦﴾
 * وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اقْرَبْ بِمِلَّةِ
 الْحَجَرِ فَتَصَوَّرَتْ مِنْ أَفْنَانِ غَيْرِهَا نَبَاتٌ لَّدُنَّا أُنَاسٌ
 مِّمَّنْهُمْ كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَقِفُوا فِي الْأَرْضِ
 مُعْسِدِينَ ﴿١٥٧﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَهُودَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ مَا
 وَجَدْنَا قَدَحَ لَكَ رَبِّكَ نُجْرَجُ لَنَا بِمِثْلِ الْأَرْضِ مِنْ
 بَنَاتٍهَا وَقَتْلَانَا وَفُورِهَا وَعَسِيهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَلْبِذُونَ
 الَّذِي هُوَ أَذَىٰ هُوَ خَيْرٌ أَعْيُظُمُ بِمِصْرَ فَإِنْ لَكُمْ
 سَآلِمٌ وَصِرْتُمْ عَلَيْهِمُ الْآلَةُ وَالنَّسَكَةُ وَيَأْتُوا بِغُصْبٍ
 مِنْ اللَّهِ ذَٰلِكَ يَأْتِيهِمْ كَأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَيَقُولُونَ
 الْيَهُودُ يَفْعَلُ الْحَقَّ ذَٰلِكَ يَمْشُرُونَ وَكَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ
 إِلَّا الْآلِينَ عَمَّاؤَ الَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مِنْ

منك يا رب حط واسقاط خطايانا عنا، فتغفر
 للمخطئ منكم، وتزيد المحسن إحسانا.
 فببذل الظالمون منكم كلمة (حطة) بكلمة
 (خطئة) بالنون استهزاء بما قيل لهم كما يفعل
 السفهاء.

﴿رجزا﴾: عذابا..

﴿استسقى﴾: طلب السقيا أي الشرب.

﴿مشرهم﴾: موضع شربهم.

﴿تصووا﴾: تفسدوا..

﴿بقاتلها﴾: ما تثبته الأرض من الخضرة

كالكرفس والكراث وكل ما يغرى بالاكل.

﴿فتاتها﴾: أخت الخيار ويسمى العامة في مصر (قته).

﴿فومها﴾: فومها.

﴿مصر﴾: بلدا كبيرا في الحضر.

﴿يا عوا﴾: رجعوا.

﴿الذين هادوا﴾: أي دخلوا في اليهودية أي اليهود.. وقد تكلم الراجب الأصفهانى في كتابه
 غريب القرآن صفحة ٥٦٩ عند قول الله تعالى ﴿والذين هادوا﴾ فقال "الهود الرجوع برفق،
 ومنه التهويد وهو مشى كالديب وصار الهود في المعارف التوبة من الذنب. قال تعالى ﴿إنا

(١) يا موسى.

(٢) بايات.

(٣) التبيين.

(٤) النصارى.

(٥) والصائبين.

وقالوا الآن جئت بالبيان الوافي. وبحسبوا كثيرا وليس بها علامة من لون آخر غير الصفرة.

سهلة الضياد ولم تعمل في حرث ولا سقى

سائمة لم تعمل أبدا. قال: هي سائمة ليست

قالوا بين لنا هل هي عاملة تحرث وتسقى أم

إنها صفراء شديدة الصفار تسر الناظر إليها.

المعنى: قالوا أطلب من الله بيان لونها. قال

الشبهة عن نفسه.

للشئ. إدار آتم: تخاصمتم وصار كل يدرا

الشبهة: خالية من الميوب...

وسيجازيكم عليه.

وتففيذهما ما هيئت له، أما أنتم فتعملون تقيض ما طلبه الله منكم، وما الله بغافل عما تعملون.

ومنهما ما يهبط من أعلى الجبل طوع ما يريد الله لا يتأخر، فالحجارة أتفع من قلوبكم مع

لأن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار الواسعة، ومنها ما يشقق طولاً وعرضاً فيسيل منه الماء،

كل هذا قست قلوبكم ليها اليهود وتصلبت عن قبول الحق، فهي كالحجارة في القسوة أو أشد،

إحياء الموتى يوم القيامة للحساب، فلا يصح إنكاره بعد أن رأيتم هذه الأدلة فاعملوها: ثم بعد

تعالى وذكر لهم اسم قاتله ثم مات ثانياً.. فكما أحيا الله هذا الرجل أمام أعينكم هو قادر على

القاتل والله سيخرجه من بينكم فاضربوا القتل بجزء من هذه البقرة، فضربوه فإحياء الله

حتى وجدوها واذبحوها بعد مشقة في العثور عليها، وبما أنكم قتلتم نفساً واختلفتم في معرفة

وسیعاً از یکم علیہ

(١) التفاضل بين:

(۲) تشابه

١٥٢١ (٢).

(٤) فداد اراتم.

(۵) آیاتہ.

(٦) الأنصار

قَالُوا دَعْ رَبَّنَا رَبَّنَا بَيْنَ يَدَيْهِ لَنَا مَاتَوْنَاهُ قَالَهُمْ يَقُولُ
إِنَّمَا بُعِثُوا صَفَرَاءُ يُفَصِّحُ لَهَا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾
قَالُوا دَعْ رَبَّنَا رَبَّنَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّا نَعْتَدُ عَذَابًا
وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْذِبُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ لَهُمْ يَقُولُ إِنَّمَا بُعِثُوا
لَاذِلَّةٌ يُبْشِرُ لِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَأَنْتَ الْغَنِيُّ جِئْتَ الْغَنِيَّ كَذِبًا
وَأَذِّنْ لَنَا نَسَاءً قَالُوا ذُوَيْبٌ وَاللَّهِ كَذِبٌ مُعْتَدٍ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٦٩﴾ فَقَالُوا أَصْرُؤٌ بِصُفْهِهَا كَذَلِكَ يُبْحِي اللَّهُ
الْمُتَوَفَّى وَيُرْسِلُ فِيهِ رُسُلَهُ يَقُولُونَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ كُنْتَ
تَقُولُونَ مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ فَنُفِيَ كَذَلِكَ هَاجِرَةٌ أَوْ أَشَدُّ صِرَافًا
وَإِنَّا مِنَ الْهَاجِرَةِ كَمَا يَبْغُرُونَهُ الْأُنْهَارُ ﴿٧١﴾

فرد سبحانه بقوله هل أخذتم بذلك وعدا من الله أم فشترون على الله بغير علم..

فى التوراة أن النار لن تمس اليهود إلا أربعين يوما، وهى المدة التى عبد فيها أجدادهم العجل الخبيث، ولما توعدهم القرآن بالنار قال رؤسائهم لمواهم ليصرفوهم عن الخوف من النار : إن الثورة ليتوسل بذلك إلى متاع زائل، فالهلاك والعذاب لهؤلاء بسبب افتراءتهم وبسبب كسبهم الإطن ووهم لا يفتنى من الحق شيئا، ومن أحبارهم فريق يكتب بيده كتابا ويقول لأتباعه هذا من وما يعلمون، ومنهم فريق أمينون لا يعلمون من التوراة إلا أكاذيب تلقوها عن رؤسائهم فليس عندهم كما تجهل أنه نبي، فسفه سبحانه عقولهم بقوله أولا يعلم هؤلاء السفهاء أن الله يعلم ما يسرون تعقلون أنكم يعملكم هذا أضعتم حجة لنا كان يمكن أن نعترض بها يوم القيامة، وهى أن تقول إنا فى التوراة من صدق نبينهم فيقيموا عليكم الحجة يوم القيامة بأنكم كنتم تعرفون صدقه، أفلا لم ينأق قال هذا الأخير مخطئا الفريق المناق: كيف تخبرون المسلمين بما أطلعكم الله عليه قالا آمنا مثلكم بصدق ما جاء به النبي، وإذا خلا بعض اليهود من هؤلاء المناقطين ببعض آخر

(۱) بغافل

(1) $5K^2$

1571 (2)

﴿أَمَانِي﴾: أكاذيب، كان النبي ﷺ وأصحابه يظنون أن أقرب الناس إلى الإيمان هم اليهود دون المشركين والنصارى، لأن أغلبهم موحدون ولأن الإسلام خفف عنهم ما شددت فيه التوراة، فقتل سبعائه لنبيه وأصحابه: أبعد كل ما سمعتموه من جرائمهم التي عدناها لكم فيما سبق ما زلتم تطعمون في أن يصدقوا دينكم لأجل دعوتكم لهم إليه مع أنهم منغمسون في شرور أخرى، فمنهم أخبارا بحرقون التوراة ويحرقونها تقسيرا فاسدا ليحافظوا على شهواتهم وهم يعلمون أنهم مفترزون، ومنهم منافقون إذا لقوا المؤمنين

مفترون، ومنهم منافقون إذا لقوا المؤمنين.

يطعمون أن يكون من بني إسرائيل، فلما جاء من العرب الأميين حسدوه وحاربوه حرصا على الجاه، فلغنه الله عليهم، لانهم كفروا برسوله وكتابه.

اشتروا به: باعوه، فاشترى وشري كلاهما يستعمل في البيع والشراء.

بنفسيا: حسدا وطمبلا لما ليس لهم.

رجعوا: رجعوا.

اشربوا في قلوبهم العجل: أي خلط حبه قلوبهم.

المعنى: فبعت صفقة باعوا فيها نعيم

الآخرة الذي كان معدا لهم لو آمنوا، في مقابل كفرهم بالقرآن حسدا على أن ينزل الله من فضله وحيا على من اختار من عباده وهو محمد ﷺ، فرجعوا بغضب من الله على كفرهم بمعهد زائد على غضب استحقاقه من قبل بالكفر بعيسى وبإضاعة التوراة، فلهم على هذا عذاب مهين منل.

ورأى قيل لليهود الموجودين في عصره ﷺ آمنوا بالقرآن الذي أنزله الله كما أنزل التوراة على موسى قالوا يكفيننا الإيمان بالتوراة التي أنزلت علينا، وفي الوقت الذي يزعمون فيه الإيمان بالتوراة هم يكفرون بالقرآن الذي أنزله الله بعدها مع أنه حق مصدق لما في التوراة، فإذا كفروا بالتوراة نفسها.. قل لهم أيها النبي إذا كنتم صادقين في دعوى إيمانكم بالتوراة فلائي سبب قتل أبائكم أنبياء الله من قبل نزول القرآن ورضيت بعلهم؟ وقد مضى نظير ما

(١) ولتكاثرين. (٢) بالبينات. (٣) ظالمون. (٤) متناقض. (٥) اتيناكم. (٦) إيمانكم.

لما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بك أنزل الله بقا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فجاءه يغضب على غضب ولتكاثرين عذاب مهين.

وإذا قيل لهم عذبنا ربنا الله أنزل الله أنزلنا نؤمن بك أنزل علينا ويكفرون بما ورثنا من الحق مصداقا لما معهم قل لهم فقلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين.

وقد جاءهم موسى بالبينات ثم اتخذهم العجل من بعدهم وأنتم ظالمون.

وإذا أخذنا بفسخكم ورفضكم فوكمكم أطروا عذرا ما آتيناكم فيه وأخبروا قلوبهم وتصيبنا وأخبروا قلوبهم العجل يكفرهم قل يسألكم ما بهم يومئذ إن كنتم مؤمنين.

قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الدار التي كنتم تؤمنون

الكتب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أنشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون.

أولئك الذين اشتروا الآخرة بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعفون.

ولقد آتينا موسى الكتاب وقبضنا من بعدهم الرسل واتينا عيسى بن مريم البينتين وآتينا روح القدس أفضنا كما ذكر رسولنا ما لا يهوى الفسك استكبرتم فمرمنا كذبكم وتريفا فقلون وقالوا قل ربنا علف بل لننهم الله يكفرهم قليلا ما يؤمنون.

ولما جاءهم كتب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين.

قتلوا أنفسهم إلى آخر ما تقدم، هم الذين اختاروا نعيم الحياة الدنيا الزائل على نعيم الآخرة الخالد، فلا يخفف عنهم عذاب جهنم ولا يجحدون من يدفعه عنهم، ولقد آتينا موسى التوراة، وحثنا من بعده بالرسول رسولا بعد رسول، وآتينا عيسى بن مريم المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وبقية ما جاء في الآية (٤٩) من سورة آل عمران وقبضنا بجبريل الطاهر من كل دنس، يسير معه حيث سار، فلم يستقم لكم معه حال، فهل يصح منكم أنه كلما جاءكم رسول بما لا يحب نفوسكم الخبيثة تحاربونه وتكذبونه وتشتتونه إن قدرتم على قتله؟ وقال هؤلاء اليهود لنبيينا محمد ﷺ نبيسا له من إيمانهم بما جاء به: قلوبنا مغلفة في أغطية لا تنهم ما تقول يا محمد، فلا تحاول أن تجعلنا تنبعك، والحقيقة أنهم مخادعون وأن قلوبهم أصلها كظلوب غيرهم.. يمكنها الوصول للحق أو تركت الحسد وأخلصت، ولكنها لم تغلص فكان جزاؤهم لعنة الله والطرد من رحمته بسبب طول عهدهم بالكفر بأنبيائهم وكتبهم، فلا يؤمنون إلا بالقليل كالبعض منهم بما وافق شهواتهم مما ذكر في التوراة كفداء الأسرى المتقدم، وهذا لا يدفع عنهم من الخطوب في النار شيئا، وكان اليهود في الجاهلية إذا قاتلوا المشركين يقولون اللهم انصرنا عليهم بجيى نبي آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، ولما جاء القرآن بصديق ما في التوراة من أصول المقائد وصفة الرسول وجاءهم الرسول الذي عرفوه وكانوا يستصرون به على المشركين، كفروا به حسدا لانهم كانوا

(١) الكتاب. (٢) الحياة. (٣) القيامة. (٤) بغافل. (٥) الحياة. (٦) الكتاب. (٧) البينات. (٨) وآتيناكم. (٩) كتاب. (١٠) الكافرين.

قال: (والذي نفسي بيده لو تمنناه أحدهم لملت غاصاً بريقه) .. ولأنهم يعلمون في نفوسهم أن محمداً رسول الله حقاً وأنه صادق في كل ما يقول خافوا جميعاً من هذا التحدي الصريح الذي لا يحوم حوله الشك. انظر الملاحظة في الآية (١١) من سورة آل عمران صفحة ٧٢. وكانوا يعرفون ذلك وصدقه كما يعرفون أنبائهم.. انظر الآية (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨. ولها يجب أحدهم لو يعيش ألف سنة خوفاً من عذاب ما بعد الموت، وليس تتميز أحدهم ألف سنة بمنجي من العذاب، لأن الله تعالى علم بهمهم وسيأتيهم حصاً.

ولما كانوا تتلوا أولاً بأن إيمانهم بالتوراة يكفيهم ورد عليهم بما تقدم وتلوا ثانياً بأن الجنة خاصة بهم فلا خوف عليهم ورد عليهم، تلوا ثالثاً بأنه كان يمكن أن يؤمنوا به محمد لو كان الذي يأتيه بالروح ميكائيل لأن جبريل كما زعموا عدوهم، فهو الذي أخبرهم بتخريب بيت المقدس على يد عدوهم بختنصر، كما في أول سورة الإسراء، وهو الذي يطالع معهم على أسرارهم، فقال الله عز وجل قل لهم أيها النبي من كان منكم عدوا لجبريل فهو عدو الله، لأن جبريل ما نزل القرآن على قلبك إلا بإذنه تعالى هذا القرآن المصدق لما تقدمه من التوراة والإنجيل، فكان حق جبريل الشكر لا الكراهية، والقرآن هاد من الضلال ونبش للمؤمنين بالنعيم الخالد، فإن كنتم مؤمنين حقاً فكيف تكفرون بالبشرى، فاسمعوا القول الفصل: من كان عدواً لله بكفره بما أنزل، ولما أنزلته لكراهة قيامهم بأجبههم، ولرسله بالكذب والقتل، ولجبريل بكفرهم له لأنه ينزل بالإنبياءات وليكاثل وهو كجبريل، فمن عادى جبريل فقد عاداه، ولهذا خصهما بالذكر مع دخولهم في عموم الملائكة، من عادى واحداً مما ذكر فإن الله تعالى يعامله معاملة الأعداء لأنه كافر فيخلده في النار. ولقد أنزلنا إليك أيها النبي على لسان جبريل هذا القرآن الواضح فلا يكفر به إلا الخارج عن طريق الحق. وكان اليهود عاصدهم ^١ على أن لا يمازوا المشركين عليه ونقض هذا العهد أكثرهم على طريقتهم في نقض العهد، فويخصهم سبحانه بقوله: هل مكن هؤلاء على الفسق، وكلما عاصدوا لا يوفون ولذلك لا يؤمن منهم إلا قليل وقد صدق الله، فكان اليهود أقل الطوائف إيماناً بالإسلام، ولما جاء محمد رسولاً من الله يؤيد التوراة على الوجه المبين في الآيتين (٤١)، (٨٩) من سورة البقرة طرقتهم ففرق منهم التوراة وراء ظهره ولم يعملوا بها فيها من الإيمان به محمد ^٢ كأنهم لا يعلمون شيئاً منها.

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٥٠ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَتَةً ٥١ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْيَوْمَ لَهُ الْفَتْهُ ٥٢ وَعَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا الْبُزْءُ ٥٣ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ٥٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٥٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٥٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٥٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٥٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٥٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦٠ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٦٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧٠ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨٠ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٨٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩٠ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩٣ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ١٠٠

هنا في الآية (٨٥) صفحة ١٦. وقال لهم أيضاً قد جاءكم نبيكم موسى بالمعجزات الواضحة كالعصا واليد وقلق البحر وتظليل الغمام ثم اتخذتم المعجل إلها بعد محيى موسى بها فظالمتم أنفسكم بذلك واذكروا إذ أخذنا عليكم العهد ورفعنا الطور إلى آخر ما تقدم في الآية (١٢) وقلنا لكم اسمعوا ما تؤمرون به بسمع قلوب، قالوا بإسائهم سمعنا قولك وسنعمل، وقالوا في سرهم عصيتم أمرنا كما يفعل السفهاء، وامتنح بقلوبهم حب عبادة المعجل بسبب مراتهم على الكفر. قل لهم أيها

النبي قبيح ما يجريكم إليه هذا الإيمان الكاذب لأن الإيمان الصحيح لا يدعو إلى الكفر... ولما كانوا يقولون لن يدخل الجنة إلا اليهود كما في الآية (١١١) صفحة ٢٢ قال سبحانه قل لهم أيها النبي إن كانت لكم الجنة ذات النعيم العظيم كما تزعمون فتمنوا الموت الذي يوصلكم إليها إن كنتم صادقين في أن الجنة خاصة بكم.

فيعبركم: يعيش طويلاً.

المننى: ولما كانوا كاذبين ويعلمون أن الجنة للمؤمنين فإنه يستحيل عليهم أن يتمنوا الموت بسبب ما ارتكبوا من الكفر وغيره، والله يعلم أنهم ظالمون لأنفسهم ولحق بتجهمهم بالباطل الواضح كالشمس، فلو تمنوا لأدخلهم جهنم، ومن إعجاز القرآن أنه لم يجرؤ أحد منهم أن يتمنى الموت لأنفسهم بظلمهم، وسبب ذلك أنهم أحرص الناس على حياة، أي حياة كانت ولو حقيرة، وأحرص حتى من المشركين الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، وقد روى البخاري أنه ^١

(١) الكتاب... (٢) حياة... (٣) وملائكة... (٤) وميكان... (٥) الكتاب... (٦) الفاسقون... (٧) عاصدوا... (٨) يثبات... (٩) الكتاب... (١٠) الكتاب... (١١) الكتاب... (١٢) الكتاب... (١٣) الكتاب... (١٤) الكتاب... (١٥) الكتاب... (١٦) الكتاب... (١٧) الكتاب... (١٨) الكتاب... (١٩) الكتاب... (٢٠) الكتاب...

﴿خلاق﴾: نصيب.

﴿شروا به أنفسهم﴾: باعوها.

﴿انظرونا﴾: انتظرونا. المعنى: واتبع اليهود السحر الذي كانت تشيخه النفوس الخبيثة عن

ملك سليمان من أن عهده راج فيه السحر، وأنه ما سخر الريح والجن إلا بالسحر، وقد دونوا

هذه الشرور والمفاسد في كتب يتلونها على الناس ليضلوا عقولهم وينصرفوا عن الطريق

المستقيم كما هي طبيعتهم دائماً، فرد سبحانه كل ذلك بقوله: وما كسر سليمان، أي لم يعمل

بالسحر الذي يكسر من عمل به ولكن شياطين الإنس من اليهود هم الذين كفروا بالعمل به

وتعلم الناس ما أنزل على الملكين هاروت وماروت بيبابل، وذلك أن كثرة شيوع السحر فيها

اقتضت أن يرسل الله تعالى ملكين في صورة رجلين بهذين الإسمين هاروت وماروت فيبصران

الناس حقيقة السحر وكيفية الاحتيال به ليعتدوا عنه، وكان لا يظلمان أحداً إلا ونصحاء بأن

تعليمنا هذا سبب فتنة واختيار يظهر به الصالح من الطالح فلا يخدعك به أحد، ولا تكفر

بالعمل به، فالصالح ابتعد عن العمل به، والفاسق صار يفسد به العلاقة بين الزوجين. ولولا أن

الله تعالى ترك الأسباب تنتج مسبباتها لنتج ضرره كما منع النار عن حرق نبيه إبراهيم، فهو لا

الخباء تعلموا ما ضرهم ولم ينفعهم لفساد طبيعتهم، ولقد علموا من الملكين أن من اختار العمل

به لكسب متاع الدنيا فليس له في نعيم الآخرة نصيب، وقبح ما باعوا به ثواب أنفسهم لو كانوا

يعلمون علماً نافعا. ولو أنهم آمنوا وخافوا الله لعلموا أن رضا الله خير من متاع زائل، وكان

المسلمون الذين يحضرون مجلسه ﷺ لسماع الوحي يقولون له عند تلاوته يا رسول الله: راعنا

أي راقب حالتنا وانتظرونا، حتى نتمكن من حفظ ما تلقاه علينا أثلا يفوتنا شيء، فبسمهم

اليهود وانتهزوها فرصة للسخرية منه ﷺ، فصاروا يقولون يا أبا القاسم راعنا، يوهمون أنهم

يريدون المراجعة ولكنهم يريدون (أنت راعنا) من الرعونة والطيش، فتفى الله المسلمين عنها

وأمرهم أن يقولوا بدلها، انظرونا أي انتظرونا، وأن يحسنوا السماع حتى لا يحتاجوا إلى طلب

الإمهال. وللكافرين من هؤلاء اليهود عذاب شديد.

وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ وَأَتَيْنَاهُمَا نَتَلَوْنَا
 الشَّيْطَانِ عَلَى مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَكَافَرُوا سُلَيْمَانَ وَلَكِنْ
 الشَّيْطَانُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٩﴾ النَّاسُ الْغَائِبُونَ عَنْ
 الْمَلَائِكَةِ بِيَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ
 حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَقُونَ بِهَا
 مَآيُفُوهً فِيهَا بَيْنَ الرَّوِّ وَرَوْحِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ فِيهِ
 مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَصْرُمُونَ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
 وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ابْنَ إِدْرِيسَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ الرَّحْمَٰنُ خُذْهُ بِخُفَّيْهِ
 مَا نَرَا بِهٖ الْفِتْنَةَ وَلَوْ كُنَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٩٠﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
 وَأَتَمُّوا شُكْرَهُمْ مِنْ عِندِ اللَّهِ غَيْرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٩١﴾
 بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَلَا تَحْزَنُوا رَوْحًا وَلَا غَمًّا أَنْظُرْنَا وَانْصَبُوا
 لِّلْكَافِرِينَ عَذَابَ آلِيمٍ ﴿١٩٢﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
 السَّحَرِ.

﴿هاروت وماروت﴾: بيان للملكين المذكورين سابقاً، والمراد ما أنزل على الملكين اللذين هما

هاروت وماروت، أنزل الله عليهما وصف السحر وكيفية الاحتيال به ليعرفاه للناس ليتجنبوه

كما يعلم رجال الأمن أي رجال الشرطة حيل اللصوص في ارتكاب الجرائم ليتأكدوا من

مقاومتهم والقبض عليهم.

﴿فتنة﴾: أي سبب ابتلاء وامتحان ليميز المطيع من الماصي.

﴿اشترأه﴾: أخذه.

- (١) الشياطين.
- (٢) سليمان.
- (٣) سليمان.
- (٤) الشياطين.
- (٥) هاروت وماروت.
- (٦) اشتراء.
- (٧) خلاق.
- (٨) راعنا.

الفضل والخير يسمعه كما يشاء. وما كان المشركون يقولون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الخ^(١). ويقولون لو جاء بمعجزات مثل معجزات موسى لأمنا به^(٢). وقالت اليهود انزل علينا يا محمد كتابا من السماء^(٣)؛ فلما حصل كل هذا رد سبحانه عليهم بقوله: (ما ننسخ الخ) أي ما نترك تأكيد نبى متأخر بمعجزة كانت لنبيه سابق، أو ننسى الناس هذه المعجزة السابقة لطول العهد بها إلا وأبدنا هذا الرسول المتأخر بمعجزة خير من السابقة في قوة الإقناع وإثبات النبوة. أو مثلها في ذلك تكون مناسبة لمصدر نبيها، وذلك لما عندنا من القدرة التي تمكننا من عدم التقيد بمعجزة واحدة لجميع الرسل.

لم تعلم أيها المخاطب أن الله مالك السموات والأرض يفعل فيهما ما يشاء، وليس لكم أيها الناس من دونه تعالى صديق يدفع عذاب الله عنكم بالشفاعة، ولا نصير بينك عذابه عنكم إن عصيتم، فهل تريدون يا أهل مكة باقتراحكم معجزات معينة أن تسألوا رسواكم محمدا ﷺ كما سأل اليهود موسى من قبل معجزة معينة ولم يكتفوا بمعجزاته الكثيرة، وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرا^(٤)؟ إنكم إن فعلتم ذلك فقد اخترتم الكفر، ومن يختار الكفر ويترك الإيمان فقد انحرف في سيرة عن وسط الطريق، فلا بد أن يخرج منه ويثب في الهاوية^(٥). لقد أحب كثير من اليهود والنصارى أن يردوكم أيها المؤمنون من بعد إيمانكم إلى الكفر، لاعتقاد أنه صواب، بل لحسدكم لكم من بعد ما تبين لهم في التوراة الحق من أن محمدا رسول الله حقا وأن دينه صدق، فاعنوا عنهم الآن ولا تؤاخذوهم بعصيتهم واصفحوا عنهم فلا تؤبخوهم حتى يأذن الله بقتالهم، وقد فعل سبحانه فأذن في قتال بني قريظة وطرد بني النضير، وقد دبر على نصيركم وخذلانهم، فاطلبوا نصره تعالى بالمداومة على طاعته البدنية والمالية، فلقيتوا الصلاة، وأدوا الزكاة لأصحابها، وما تقدموا من خير بعد ذلك يستجدون ثوابه عنده تعالى، لأنه يعلم أعمالكم ولن يضيع أجرها.

- (٢) انظر الآيات ٩٠ إلى ٩٣ من سورة الإسراء صفحة ٣٧٧، ٣٧٨.
(٤) انظر الآية ١٧٤ من سورة الأنعام صفحة ١٨٢، والآية ٢٨ من سورة القصص صفحة ٥١٧، ٥١٨.
(٥) انظر الآية ١٥٢ من سورة النساء صفحة ١٢٩.
(٦) انظر الآية (٥٥) من سورة البقرة صفحة ١١.
(٧) انظر الآية (١٦٣) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩.

أَفَلَا يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنْ غُفْرَةٍ
رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ يُحْصِي رَجَعَهُ مِنْ شَيْءٍ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ * مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا لَأَنْ يَذَّكَّرَ مِنْهَا
أَوْ يُذَكَّرَ بِهَا أَلَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ أَلَمْ تَكُنْ
أَنَّ اللَّهَ يَمْكِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۖ أَمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْأَلُوا رَسُولَكَ
كَسَبِيلِ مُوسَى مِنْ قَبْلِ دُونِ يُحْيِي الْمَيِّتَ ۖ وَكَفَيَ مِنْ أَمْرِ الْكَافِرِ
قَدْ قِيلَ سَوَاءٌ السَّبِيلُ ۖ وَكَفَيَ مِنْ أَمْرِ الْكَافِرِ
لَوْ رَدُّوهُ إِلَى رَبِّكَ لَأُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابًا مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْنِ لَمْ تَحْكَمْ فَاتُفَعَّلُوا وَاصْفَعُوا ۖ قَالَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ وَلَئِنْ أَسْأَلْتَهُ
وَأَنْتُمْ أَنْزِلُوا كِتَابَ الْغُفْرَانِ ۖ لَقَدْ نُنْزِلُ الْكِتَابَ عَلَيْكُمْ مِنْ غَيْرِ مُبْدَرٍ

فونسخ: تغير.

فمن آية: (من) تدل على النص على عموم

نفس ما بعدها وفراية: المراد بها هنا

(المعجزة...)

فونسخها: نذنبها من الدائرة... فمن ولي

ولا نصير: (فمن) كالسابقة في (فمن آية)

والوالى: هو الصديق الذي يدفع الضر عن

صديقه بالحسن والنعيم: هو الذي

يدفعه بالقوة. (فمن تريدون: الخ): (فمن)

حرف متضمن معنى حرفين (ل) التي تفيد

الانتقال من كلام لآخر، وهمزة الاستفهام

التي تفيد التوبيخ، والمخاطب في تريدون للكفار من أهل مكة واليهود لأن لكل أمة دعوته ﷺ

أرسل لهم كما أرسل لغيرهم.

فمن يتبيل الكفر بالإيمان: يفضل الكفر على الإيمان.

فوسواء السبيل: وسط الطريق^(١)...

هود: أحب

المعنى: لا يحب الكافرون من اليهود والنصارى ولا المشركون عبادة الأصنام أن ينزل الله

عليكم أيها المؤمنون خيرا من وحى ورحمة. والله يختص برحمته ورسالته من يشاء من عباده

كمحمد ﷺ بالرسالة والهداية وأتمه بالرحمة سواء أحب هؤلاء أم كرهوا^(٢). والله وحده هو ذو

- (١) الكلاب.
(٢) إيمانكم.
(٣) السموات.
(٤) تسألوا.
(٥) بالإيمان.
(٦) الكلاب.
(٧) الصلاة.
(٨) الزكاة.
(٩) بالإنعام.
(١٠) انظر سواء السبيل في شرح آية (٢٢) من سورة القصص صفحة ٥٠٩.
(١١) انظر الآية ٩٠ من سورة البقرة صفحة ١٨.

القصـد إلى الشئ بإسلام الوجه، كما عيّر عنه في مكان آخر بتوجيه الوجه حيث قال حكاية عن خليل الرحمن عليه السلام ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض الآية﴾ (٥). وذلك لأن قاصـد الشئ عادة يقبل عليه بوجهه ولا يولييه ظهره، ولما كان توجيه الوجه إلى جهة الشئ يدل على قصده واشتغال القلب به عيّر سبحانه عن قصـد أفرادـه بالعبادة بإسلام الوجه. (وهو محسن): أي مجيد لعمله بأن يكون متفقاً مع ما شرعه الله. ﴿وهم يتلون الكتاب﴾: المراد من هذه الجملة هو توجيه هؤلاء الناس على أنهم يعرفون ما في كتبهم ويحالفونها. ﴿الذين لا يعلمون﴾: المراد مشركوا العرب ومن مثـالهم.

فهو كفولهم يعجبني محمد علمه، والمراد منع ذكر الله في المساجد، وذكر الله كناية عن كل العبادات التي تحصل في المساجد من صلاة وتسبيح وقراءة قرآن وغير ذلك مما أذن الشارع في حصوله في المساجد.

﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: هذا كناية عن الجهات كلها. ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾: المراد من أي جهة توجهوا وجوهكم إليها. ﴿فَتَمَّ﴾: أي فتمتلك.

«وجه الله»: الوجه هنا بمعنى الجهة، والمراد الجهة التي أمركم سبحانه بالتوجه إليها.
قال الفخر الرازي: المعنى فأى مكان أمركم بالله باستقباله فهو القبلة التي يرضاها.
وقال ابن عباس: وجه الله أى قبلة الله والمراد أنى مكان التوجه إليه لا يختص بمسجد، دون مسجد، ولا بمكان دون مكان.

المعنى: وقال اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصراني لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، وهذه كلها تمنيات ليس لها أصل، والأفغاليا دالواكم إن كتبتم إليهم.

(٥) الآية (٧٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧٥.

(٧) الآية (١) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٤.

٣٨٣ من سورة الكهف صفة (٦) الآية (٢١)

يهودا: أى يهودا، والمراد من كان يهوديا.

﴿أو نصارى﴾: (أو) هنا للتقسيم لا لترديد لأن كلا منهما يكره الآخر ويرى أنه على باطل كما سيأتى فى الآية (١١٣) من هذه السورة الآتية فى هذه الصفحة.

ما بعده، وأنه هو الحق.

«اسلم وجهه..... إلخ»: جاء في لسان
العرب أسلم فلان فلانا إلى خصمه أتى تركه
للهلاك ولم يحمه منه، ومنه حديث رسول الله
ﷺ «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا
يسلمه... الحديث».

وَأَسْلَمَ فَلَانَ أَمْرَهُ لِلَّهِ، فَانْفَعَلَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مُتَمَدِّ لِمَفْعُولٍ. وَيُقَالُ أَيْضًا أَسْلَمَ الرَّجُلُ أَى انْقَادَ، وَمَنْعَهُ (يُحْكَمُ بِهَا التَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا)^(١) وَقَوْلُهُ مُسْلِمِينَ^(٢) وَقَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ (إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مِنْ يَزُومُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَاتَوَنَّى مُسْلِمِينَ)^(٣) وَقَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ (إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مِنْ يَزُومُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ)^(٤) وَيُقَالُ أَيْضًا أَسْلَمَ الرَّجُلُ أَى دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْفَعْلُ فِي ذَلِكَ لَازِمٌ غَيْرُ مُتَمَدِّ، وَقَدْ يَكُونُ أَصْلُهُ مِنَ التَّمَعُّدِ وَلَا حَذْفَ مَفْعُولِهِ كَثِيرًا صَارَ كَاللَّازِمِ، وَالْأَصْلُ أَسْلَمَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ لِلَّهِ، فَتَفْسِيرُهُ بِأَسْلَمَ (الِلَّازِمِ) تَفْسِيرٌ لِحَاصِلِ الْمَعْنَى، وَكَذَا يُقَالُ فِي أَسْلَمَ بِمَعْنَى انْقَادَ وَالْأَصْلُ أَسْلَمَ قِيَادَهُ لغيرِهِ، وَ(الْوَجْهَ) هُوَ تَوَجُّهُ الْقَلْبِ وَالنِّيَّةِ^(٥) وَقَالَ الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عِيَدُهُ: إِسْلَامُ الْوَجْهِ لِلَّهِ هُوَ التَّوَجُّهُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، وَإِفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ كَمَا قَالَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ (لِيَاكُ نَعْبُدُكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، وَقَدْ عُبِّرَ الْقُرْآنُ هُنَا عَنْ إِسْلَامِ الْقَلْبِ وَصَحَّةِ الْقَصْدِ إِلَى الشَّيْءِ

(١) نصارى.	(٢) برهانهكم.
(٥) النصارى.	(٦) الكتاب.

(٣) صادقین.

(٧) القيامة.

(٤) الانتصاری.

(٨) مساجد.

(١) الآية (٤٤) من سورة المائدة صفحة ١٤٥.

(٣) الآية (٨١) من سورة النمل صفحة ٠٠٤.

(٤) أنظر معاني الوجه في شرح الآية (٤٧) من سورة النساء، صفحة ١٠٨...

كذلك قال الذين لا يعلمون.. إنَّ الحمراء بهذا التعصب الدينية الناتج عنه طعن في النير بلا دليل تعصبيَّ الجهة من مشركي العرب ومنَّ على شاكلتهم، فقالوا قولا يجعلون فيه على أهل الأرض (١٢١) الأديان جميعا بلا دليل بل مجرد التعصب لما عليه الآباء، فقالوا في اليهود والنصارى إنهم ليسوا على شيء من الحق، وأن من يزعمونهم رسلا لهم إنما هم كهنة دجالون يتلون عليهم أساطير الأولين، وقال الصخر الرازي: وهذا توبيخ شديد لأهل الكتاب حيث وضعوا أنفسهم مع أنهم علماء مع من لا يعلم من جهة المشركون.

قد علم أيها النبي، وسيعلمكم الله تعالى بينهم بعدله يوم القيامة، ويجازي كل فريق على قدر جرمه، وكان اليهود خربوا معابد النصارى، والنصارى خربوا بيت المقدس في عهد طيئس الروماني، فذيعوا فيه الخنازير ورموا فيه الجيف، وبقي خرابا إلى أن بناه المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والمشركون منعوا النبي ﷺ وأصحابه من دخول البيت الحرام، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَحَدٍ ظَلَمَ مَنْ مَنَعَ النَّاسَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَذَكَرَهُ فِي الْمَسَاجِدِ أَيْ أَمَكَّةَ الْعِبَادَةِ، وَسَعَى فِي تَخْرِيبِهَا، مَعَ أَنَّ اللَّائِقَ بِهِؤَلَاءِ الْمَانِعِينَ أَنْ يَكُونُوا خَاشِعِينَ لِلَّهِ فَلَا يَدْخُلُوا الْعِبَادَ إِلَّا خَائِفِينَ مِنْهُ لَا هَادِمِينَ لَهَا مَانِعِينَ النَّاسَ مِنْ عِمَارَتِهَا بِالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ، فَهَؤُلَاءِ جَزَاءُ هُمْ الْخَزَى فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ. وَإِذَا مَنَعَكُمْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُوكُونَ مِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا لِلَّهِ، فَفِي أَيِّ مَكَانٍ مِنْهَا وَلِيْتُمْ وَجُوهَكُمْ الْجِهَةَ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِذْنِ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي أَيِّ مَكَانٍ، كَمَا قَالَ ﷺ «جَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا».

قال ابن عباس لما حوت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أكره اليهود ذلك فقال سبحانه ردا عليهم ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...﴾ إلخ، فهي تظير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٢٢)، وقال الصخر الرازي: أي أن المشرق والمغرب وجميع الجهات كلها مخلوقة ومملوكة لله سبحانه وتعالى، فأي مكان أكره الله باستقباله فهو القبلة التي أرادها لأن القبلة ليست قبلة لداتها بل لأن الله سبحانه جعلها قبلة، فإن جعل الكعبة قبلة فلا تنكروا ذلك لأنه تعالى يدير شؤون عباده كما يريد وهو واسع الفضل عليم بمصالحهم.

(١٢١) الآية (١٤٢) من سورة البقرة صفحة ٣٧.

يكون هذا، بل الصحيح أن الذي يدخل الجنة هو كل من أخلص عبادته لله وحده، وأحسن عمله، فله أجره على ذلك عند ربه يوم القيامة، ولا يخاف مكروهها، ولا يعجز عن قوات مرغوب. قال ابن كثير: أفادت هذه الآية أن العمل المقبول شرطين الأول: أن يكون خالصا لله وحده، والثاني: أن يكون صوابا موافقا لما شرعه الله سبحانه، فإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لا يقبله الله منه، وفي هذا قال ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو مردود عليه» رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها. فعمل الرهبان ومن شابههم من المبتدعين، وإن فرض أنهم فيه مخلصون لله، لأنه لا يقبل منهم إلا إذا كان موافقا للشرعية التي جاء بها رسولهم الذي أرسل إليهم، من ذلك شرعية خاتم الرسل ﷺ الذي أرسل للناس كافة، بشرعية جديدة ناسخة لكل ما تقدمها، فكل عمل بعد بعثة محمد ﷺ جاء على خلاف ما في شريعته فهو باطل، قال تعالى ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْإً مَنثورًا﴾ (الآية ٢٣ من سورة الفرقان صفحة ٤٧٣).

وقال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالَهُمْ كَسْرَابٍ يَقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ (١) ثم ذكر ابن كثير بعد ذلك حادثة بكاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما زار الشام ورأى راهبا منهم كما في العبادة (١)، وقال سبحانه ﴿وَهَلْ تَنْبِئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٢) وأما إذا كان العمل موافقا للشرعية في الصورة الظاهرة فقط ولم يكن خالصا لوجه الله فهو أيضا مردود على فاعله، وهذا حال المرأفين والمناطفين، لذلك هدد سبحانه المصلين رياء بالهلاك (٣) وقالت اليهود ليست النصارى على شيء يعتقد به لأن المسيح المبشر به في التوراة لم يأت إلى الآن فهم في تصديقهم بعيسى على باطل. وقالت النصارى ليست اليهود على شيء يعتقد به لأنهم كفروا بعيسى. وهكذا تتأيد الفريقان مع أن كلا منهما يتلو كتابه، فاليهود يعلمون ما في التوراة من صفات عيسى وأنه رسول الله، والنصارى يعلمون ما في الإنجيل من أن عيسى مقم لتعاليم موسى، فكان اللائق بهم أن يكونوا متقين ضد المشركين، ولكن الشهوات مزقتهم وجعلتهم مثل المشركين الذين يقولون لكل ذي دين سماوى أنه ليس على شيء.

(١) الآية (٣٩) من سورة النور صفحة ٤٦٤.

(٢) الآية (١٠٢) من سورة النور صفحة ٤٦٤.

(٣) الآية (١٠٢) من سورة النور صفحة ٤٦٤.

والجمع. فالنصارى قالوا المسيح ابن الله، وبعض اليهود قالوا العزيز ابن الله، وبعض مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله، أنظر الآية (٤٠) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٩. والآية (١٤٩) من سورة الصافات صفحة ٥٩٥ والآية (١٩) من سورة الزخرف صفحات ٦٤٨، ٦٤٩. والآية (٢١) من سورة النجم صفحة ٧٠١. تتره سبحانه وتعالى عما يقولون، فإن له كل ما فى السموات والأرض خلقا وملاكا وعبيدا، ولا يصح أن يكون من هذه ولد للخالق القديم الباقي، لأن الولد لابد أن يكون من جنس أبيه، وكل المخلوقات قانئة له تعالى خاضعة مسخرة لما خلقت له، وهو سبحانه خالق السموات والأرض على نظام لم يسبق، وإذا أراد إيجاد أمر حصل بلا إبطاء، وقال جهلة المشركين عناداً أطلب يا محمد أن يكلمنا الله عيانا وبخبرنا بصديقك أو برينا حجة صدقك مما اقترحناه عليك أنظر الآية (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء صفحات ٣٧٦، ٣٧٧. فلا تحزن أيها النبي فإن ما قالوه قالت الأمم السابقة لأتبيائهم؛ فقد قال اليهود لموسى «لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة» وقالت النصارى لمعيسى «هل تستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء» فقد تشابهت قلوب الكفار من كل أمة فى الجود والعناد.

وقد بينا من الأدلة ما يكفى المنصفين فيعتقدون الحق اعتقاداً جازماً فلم يتغنوا.

إنا أرسلناك أيها النبي بالدين الحق مبشراً من آمن به بالجنة، ومنذراً من كفر به بالنار، فافعل ما أمرت به، ولن يسالك أحد عمن لم يؤمن من أصحاب الجحيم، لأنه ليس عليك إلا البلاغ، ولا تحاول إرضاءهم فإنهم لن يرضوا عنك إلا إذا اتبعت دينهم الباطل. فقل لهم إن هدى الله الذى جاء به القرآن هو الهدى الصحيح، ولئن اتبعت شهواتهم فربما بعد ما ظهر لك من العلم بالحق فمالك من صديق يحفظك ولا نصير يمتنع من العذاب. ونزل فيمن أسلم من اليهود والنصارى قول الله سبحانه «الذين آتيناهم الكتاب» أى التوراة والإنجيل، حال كونهم يتلوه حق تلاوته فلم يحرفوه، يؤمنون بكتابتهم إيماناً صحيحاً يستتبع إيمانهم بالقرآن، أما من يكفر بالكتب السابقة بالتحريف والإنكار فأولئك هم الخاسرون.

﴿قَاتِلُون﴾: خاضعون.

﴿ربيع السموات والأرض﴾: مروج وهما على مثال لم يسبق..

﴿يَدْعُو لَهُ كَن فَيَكُون﴾: لم يطلما الله سبحانه حقيقة هذا القول وإنما الذى يجب علينا أن نعتقد أنه سبحانه إذا قضى أمراً فقد يشدركه سريماً من غير توقف على شيء آخر.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: هم مشركوا العرب..

﴿أَوَلَا يَكْفُرُوا بِاللَّهِ﴾: (أولا) حرف يدل على الرغبة فى حصول ما بعده..

﴿آيَةٍ﴾: معجزة. ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: كهذا العناد الصادر عنه قول فاسد. عاند الذين من قبل العرب وهم اليهود والنصارى فقالوا أقوالاً فاسدة. ﴿مَنْ وَلَّى وَلَا نَصِير﴾: تقدم فى صفحة ٢١ السابقة.

وَسِعَ عِلْمُ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَ ۝ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ كُلُّ لَمْ قُنِيتُ ۝ يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَإِنَّا فَتَقَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا بِقَوْلِ ۝ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنَزَّلُ ۝ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ۝ تَشَبَّهَ قَوْمُهُمْ ۝ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۝ وَلَا تُسَلِّمْ عَلَى الْكُفَّ ۝ ۝ كَلَّ ۝ وَلَمْ يَنْصُرِ ۝ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَةٍ ۝ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۝ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۝ فَإِنَّكَ

- (١) واسع.
- (٢) سموات.
- (٣) قاتلون.
- (٤) تشابهت.
- (٥) السموات.
- (٦) الآيات.
- (٧) أرسلناك.
- (٨) أصحاب.
- (٩) تسال.
- (١٠) آتيناهم.
- (١١) النصارى.
- (١٢) الكتاب.

حرف (ل) الذي يفيد انقطاع الكلام الآتي بعدها عما قبل من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، وحرف نفى يفيد النفي أى الإنكار وإبطال الكلام السابق عليهما وهو هنا كما سيأتى بيانه فى الشرح أن اليهود قالوه للنبي ﷺ كذباً فالمعنى هنا إنكار ما قالوه وإثبات نقيضه.

﴿شهداء﴾ بمعنى حاضرين.

المعنى: وادكر حين بنى إبراهيم وإسماعيل البيت قائنين يا ربنا تقبل منا عملنا هذا إنك سمع لدعائنا عليم بنياتنا. ربنا وفقنا واجعلنا مستمرين على الاتقياد لك، وأجعل من ذريتنا طائفة منقادة لك، وعلمنا طرق عبادتك حتى لا نخطئ الصواب، وتب علينا مما قد يكون حصل منا. إنك كثير قبول التوبة رحيم بعبادك، ربنا اسمع دعائنا وابعث فى ذريتنا رسولا منهم يتلو عليهم ما تنزله عليه من آياتك. وقد استجاب الله تعالى وبعث محمداً ﷺ يتلو عليهم القرآن ويعلمهم الكتابة لينتظم من الأمية للعلم فكان أول ما نزل على هذا الرسول قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك... الذى علم بالقلم﴾ ويعلمهم أسرار شريعتك حتى يسارعوا إلى العمل.

وهذا يفيد أن العلم وحده لا يكتفى فى النجاة، ويظهرهم من ذميم الأخلاق، إنك العزيز الغالب الذى لا يعجزه شيء، الحكيم الذى يدبر ما فيه المصلحة. وإذا كانت هذه ملة إبراهيم فلا يرغب عنها ويتركها إلا من احتقر نفسه وامتهنها. ولقد اخترنا إبراهيم فى الدنيا لرسالتنا، وهو فى الآخرة من الصالحين أصحاب الدرجات العلا.. اصطفيناه حين قلنا له أسلم، أى أذعن وأخلص دينك لله، فقال فوراً: قد انقذت وأخلصت لله رب العالمين. ووصى بهذه الملة إبراهيم بنيه بالمحافظة عليها. وكذلك وصى بها يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بنيه قائلاً: يا بنى إن الله تعالى اختار لكم هذا الدين الإسلام فاثبتوا عليه فى كل لحظة حتى لا يدرككم الموت، الذى قد يأتى فجأة إلا وأنتم مسلمون. ولما قالت اليهود للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات وصى بنيه باليهودية؟ رد عليهم بقوله «ألم كنتم شهداء بإلخ، أى هل كنتم حاضرين وقت حضور الموت ليعقوب فسمعتم ما قال؟»

أَنَّا رِيسُ الْقَصْرِ ۖ وَإِذْ يَرْغَبُ بِرَحْمَةِ الْفَرَادِ
مِنَ الْبَيْتِ وَيَسْأَلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ۖ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ
مُسْلِمَةٌ لَكَ وَإِنَّا مَنَّانُونَ ۖ رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ۖ رَبَّنَا وَاعْلَمْ رَبَّنَا أَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي بَنَيْنَا لَكَ
عَلَيْكَ وَبِطْنِهِمُ الْكِنْبِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ
إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَإِسْرَافٍ
فِي الْأَمْرِ لِمَنْ اصْطَفَيْنَا ۖ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ
قَالَ أَسْلَمْتُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ
يَبْنَوعُقُوبَ بَنِي إِدْنَا اللَّهُ صَلَّى لَكَ الَّذِينَ فَلَا تَحْزَنُ
إِلَّا أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۖ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

﴿القدواعد﴾: الأسس. ورفعها بالبناء عليها.

﴿أمة﴾: جماعة.

﴿مسلمة﴾: منقادة.

﴿مناسكتنا﴾: شرائع عبادتنا لك.

﴿آياتك﴾: المراد بها هنا القرآن.

﴿الكتاب﴾: المراد به هنا الخط والكتابة.

﴿الحكمة﴾: معرفة أسرار الشريعة.

﴿يركهم﴾: يظهرهم.

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾: ﴿من﴾

اسم استفهام مشرب معنى النفي (يرغب) أى يعرض عنها. والمعنى لا أحد يعرض عن ملة إبراهيم. ومثلها (ومن يغفر الذنوب إلا الله) الآية (١٣٥) من سورة آل عمران صفحات ٨٤، ٨٥.. (سقه نفسه): استغفها وامتهنها.

﴿اصطفيناه﴾: اخترناه.

﴿ألم كنتم شهداء... إلخ﴾ (ألم) كلمة يسميها علماء العربية منقطعة، تفيد معنى حرفين..

- (١) إبراهيم.
- (٢) وإسماعيل.
- (٣) يعقوب.
- (٤) الكتاب.
- (٥) إبراهيم.
- (٦) اصطفيناه.
- (٧) الصالحين.
- (٨) إسماعيلين..
- (٩) إبراهيم.
- (١٠) يابنى.

وكان سبحانه أمره ﷻ وهو بمكة أن يصلى إلى بيت المقدس فكان ﷻ يصلى إليه وهو

قائم بجوار الكعبة يجعلها بينه وبين المقدس لغشيته من استبصارها فيشند ثور قریش منه

لشدّة تعظيمهم لها لأنها قبلة أبيهم إبراهيم ﷻ ولما هاجر ﷻ إلى المدينة تقدّر عليه الجمع

بينهما. لأن الكعبة في الجنوب وبيت المقدس في الشمال، فصار في صلاته يستدير الكعبة،

ومكث على ذلك بضعة عشر شهرا، فانتهر المشركون ذلك في التنفير منه لأنه ترك قبلة

أبيه إبراهيم واستقبل قبلة اليهود، وقالوا لو كان على دين جديد لما استقبل قبلتنا. فتمنت

نفسه الشريفة استقبال قبلة أبيه إبراهيم الذي جاء لإحياء ملته، فتوجه بقلبه الطاهر إلى ربه

طالباً بلسان حاله متعلماً بوجهه إلى السماء راجياً أن يعجب الله عز وجل أمينه ليسهل إيمان

قومه، فوعده الله تعالى بقوله: **فولنولينك قبلة ترضاها** ثم أرفق الوعد بالإجابة فقال

تعالى: **فول وجهك جنة المسجد الحرام** الذي به الكعبة، وفي أى مكان وجدتم أيها المسلمون

فاتجهوا جهته. ثم وبلغ مشيرى الفتنة وهدد بقوله: **وان الذين أتوا الكتاب** وهم علماء اليهود

والنصارى يعلمون أن تحويل القبلة هو الحق الموجود في كتبهم من أن النبی المبشر به يحيى

ملة إبراهيم ويصلى إلى قبلته، وما الله بغافل عن تفاصيلهم وسجائزهم عليه، ثم بين سبحانه

حال هؤلاء المعاندین بعد معرفتهم الحق فقال: **ولئن أتيت الإنجى ولئن جئتكم بكل حجة دالة**

على صدق ما تبصرون قبلك ثم قطع أطماعهم بقول **فوما أنت بتابع قبلكم** ومع اتحادهم في

مخاصمتك فهم فيما بينهم مختلفون فلا يتبع بعضهم قبلة بعض. فاليهود لا يتكفرون بيت

المقدس، والنصارى لا يتكفرون مصلح الشمس. **ولئن اتعت شهواتهم** فرفضاً من بعد ما علمت

الحق فأنفت من الطالعين أنفسهم. **والكلام تنبيه لقرب العهد بالإيمان** الذي يخشى عليه من

الخداع المزعج. **وكل علماء أهل الكتاب يعرفونه** من صفته في كتبهم التي لا تنطبق

على غيره كما يعرفون أبناءهم الذين لا يجهلون من أمرهم شيئاً، وأن فريقاً منهم وهم

علمائهم الذين فضلوا الدنيا على الآخرة يخفون الحق على أتباعهم مع علمهم بأنه الحق أما

المنصف منهم كعبد الله بن سلام فقد أسرع إلى الإيمان به ﷻ.

الرَّسُولُ مَن يَتَّبِعْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ يَضْحَكُ بِشُكْرِكَ
إِنَّ اللَّهَ يَأْتِيَنَّكَ رُزُقٌ رَّحِيمٌ ٢٠ قَدْ رَوَىٰ تَلَّحُّبُ وَجْهِكَ
فِي السَّيِّئَةِ فَلَنُلَاقِيَنَّكَ فِيهَا رُزُقًا مَّا كُنْ تَرْتَدُّ وَجْهَكَ
السَّيِّئَةِ الْحَرَامِ وَجِئْتَ مَأْكُومًا وَرَبُّكَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ٢١ وَأَلَّا يَأْتِيََنَّ الْكُفْرَ لَيْسَ اللَّهُ الْغَفُورَ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِيرٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ٢٢ وَكَانَ آيَةُ الْإِيمَانِ
الْكُتُبُ كُلُّهَا وَالْإِيمَانُ أَيْضًا وَكَانَ آيَةُ الْإِيمَانِ
وَمَا يَعْمَلُ بَعْضُ قِبَلَةٍ بَعْضٍ وَلَكِنْ أَتَيْتُمْ أَمْرَكُمْ
مِّنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ إِنَّكُمْ إِذْ لَأُمِّنَ الْغُلَامُ ٢٣
الَّذِينَ يَتَّبِعُهُمُ الْكُفْرُ يَرَوْنَهُ كَآيَةً يُرْزَقُونَ بِهَا مَالٌ
وَأَنْ يَرَوْا قِبَلَتَهُمْ لَيَكُونُنَّ أَكْثَرُ ٢٤ وَمَنْ يَتَّبِعْ

فوققلب على عقبيه: يرجع إلى الكفر.

فكبيره: شاقة في فهم حكمها

فيسبغ إيمانكم: أي ثواب إيمانكم.

فرووف: يرفع كل بلاء ومشقة. فرحيم:

يضم إلى رفع البلاء الإحسان إلى عباده.

فوققلب وجهك في السماء: تعلمك إلى

السماء راجياً من ربك بلسان الحال جعل

قبلك الكعبة.

فوشطر المسجد: جهته فركل آية:

حجة.

المعنى: تميز من ثبتت على اتباع الرسول

ممن يرجع إلى الكفر فلما منه لضعف إيمانه أن النبي ﷻ في حيرة من أمر دينه. وقد ارتد

فعلا بعض ضعفاء الإيمان وطهر الله المؤمنين منهم، وأن هذه التحويلة من قبلة إلى قبلة

لشاقة في فهم حكمها على ضعيف الإيمان، لكن أصحاب الإيمان الكامل والهادية يعلمون أن

هذا منه تعالى لحكمة، وهؤلاء لا يضئع الله عليهم ثواب ثباتهم على الإيمان، بل يجازيهم

أحسن الجزاء لأنه روف بعباده المخلصين، فينقذهم من البلاء، رحيم كثير الإحسان فيجزل

لهم الثواب.

(١) إيمانكم.

(٢) ترضاها.

(٣) الكتاب.

(٤) بغافل.

(٥) الكتاب.

(٦) آية.

(٧) الطالعين.

(٨) أتباعهم.

(٩) الكفاف.

مسألة القبلة، فقد كانت شديدة لدقة فهمها على كثير من البسطاء، ولخرقة ما عرضه من الشبه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ الخ. ولهذا رتب على هذا الأمر الأخير ثلاث حكم.

الأولى: لئلا يكون للناس عليكم حجة، أى ليطال ما يزعمونه حجة بيجادولكنكم بها، فاليهود قالوا يترك ديننا ويتبع قبلتنا، والمشركون قالوا: يدعى اتباع إبراهيم ويخالف قبلة، فباتجاهك إلى الكعبة تنقطع حجة الناس ما عدا الظالمين منهم بالعناد فإنه لا يمكن إسكاتهم، فهؤلاء لا قيمة لهم، فلا تخشوهم لأن الباطل زاهق، وأخشونى فأنى قادر على العذاب إذا توعدت.

وأشار للحكمة الثانية بقوله: ﴿وَلَا تَمْنُنْ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ عِبَادٌ مِنِّي وَلَدٌ لِّإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾، وكتابه عربى، وقومه الذين امتدت بهم دعوته عرب يعبدون إبراهيم واسماعيل، فتعظيم الكعبة التى بناها إبراهيم بالتوجه إليها نعمة على الجميع.

وأشار للحكمة الثالثة بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أى ليهيئكم بذلك للثبات على الهداية إلى الحق، ثم خاطب العرب جميعا فقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ أى يتم نعمته عليكم بتعظيم بيته الذى تحبونه وتطهروه من مظاهر الوشية كما أتمها عليكم بإرسال رسول منكم يتلو عليكم آياتنا أى القرآن الذى فيه سعادتكم، وطهركم من الشرك ويعلمكم الكتاب والحكمة، أى الكتابة وأسرار الشريعة ويعلمكم ما لم تعلموه من استنباط الأحكام وطرق الانتفاع بخيرات الأرض، فادكرونى باستحضار عظمتى ونعمتى عليكم، أذكركم أى أجازيكم بالعز فى الدنيا والتعظيم فى الآخرة، وأشكروا لى نعمتى عليكم بالطاعة، ولا تجدوها بعصيانى فيحل عليكم غضبى، وهذا إنذار قصد به تأكيد الأمر بالشكر.

﴿يُؤْمِنُ بِكُمْ﴾: أى تختبريكم والمراد تعاملكم معاملة المختبر ليتبين للناس القوى الإيمان والضعيف أنظر الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢ والآية (١٨٦) من سورة آل عمران صفحة ٩٤.

الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لَا تَسْكُرُونَ مِنَ الْمُعْذِرَةِ ۖ وَلِكُلِّ وُجْهٍ مَّوْجٍ مَّا يَسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِنَّمَا تَسْكُرُونَ بِأَنَّ رَّبَّكُمْ جَمِيعٌ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠
وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَلَهُ الْخُطْبُ مِن رَّبِّكَ رَبَّنَا اللَّهُ يَعْلَمُ غَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢١
وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ فَلَا تَحْزَنُوا ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَلْقَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٢
وَلَا تَتَّبِعُوا فِي عِبَادَتِهِ ۚ إِنَّمَا تَتَّبِعُونَ ۝٢٣
وَيَذَرُوكُم بِالْأَكْثَرِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُخَيِّطُ الْأُمُورَ لِلنَّاسِ لِيَأْتِيَهُمْ خَيْرٌ مِّمَّا يَحْكُمُونَ ۝٢٤
فَأَذْكُرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۝٢٥

﴿المتعذرين﴾: الشاكين.

﴿أرسلنا فيكم﴾: أى إليكم.

﴿الكتاب والحكمة﴾: الكتابة وأسرار

الشريعة. أنظر الآية (٤٨) من سورة آل

عمران صفحة ٧٠.

المعنى: أن الحق هو ما يأتيك من ربك،

فلا تلتفت إليها السامع لأوهامهم فتكون من

الشاكين. ولكل أمة وفريق من الناس قبلة هو

موليها وجهه فى عبادته، ولم يكن لكل الأمم

قبلة واحدة كما تقدم فى الآية (١٤٥) من

سورة البقرة صفحة ٢٨ فلا معنى لتشتيتكم

بقبلة معينة. وإذا كان الأمر كذلك فالخير فى اتباع ما أمر به الله وعدم العناد، فبادروا إلى

العمل الصالح الذى اختاره الله لكم، ثم هدد الله سبحانه المعاندين بقوله: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَاتِ

بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم من طاعة أو معصية. فهو سبحانه قدير

لا يعجزه جمعكم للحساب والجزاء. ومن حيث خرجت لسفر قول وجهك إلخ أى فالحكم فى

القبلة واحد سفرا أو حضرا.

ثم زاد فى طمأنينته ﴿وَأَصْحَابِهِ فَقَالَ﴾: وإنه للحق من ربك، وسبكا فتكم على اتباعه.

ثم أعاد الأمر ثالثا موجهها الخطاب له ﴿وَلَا مَقَمَهُ لِسَدِّ بَابِ الْفِتْنَةِ﴾ التى أثارها الخبيثاء فى

(١) الخيرات.

(٢) أيضا.

(٣) يعاقل.

(٤) ياتنا.

(٥) الكتاب.

المعنى لما استولى الغيظ على اليهود والكفار لعجزهم عن الحجة، وصمموا على إيدائه ﷺ
 وأصحابه، نبههم سبحانه على ما يستعينن به على دفع كيدهم، وهو الصبر والصلاة كما تقدم
 فى الآية (٤٥): فإنهما حصنان لا يهزم متحصن بهما، بدليل قوله تعالى: إن الله مع
الصابرين أي بالمساعدة ومن كان الله تعالى معه لا يهزم. ولما كانت الدعوة تعرض أهلها لأن
 يجاربهم عدوها ولا تصان غالبا إلا بدفعه بقتاله، وكان المنافقون يخبطون بعض المؤمنين عن
 القتال رغب فيه سبحانه بقوله: ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله هم أَمْواتٌ، بل هم أحياء
 لا تشعرون بحياتهم، لأنها حياة برزخية تجامع الموت ولا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل.
 ثم نبه سبحانه المؤمنين ببعض مصاعب استلحاقهم فقال: ولنبليزكم أى يختبركم بشىء من
الخوف من العدو ^{لأنهم} لأنكم فى وسط كفار كثيرين والجمع الناشئ عن إخراج كثير منكم من
أموالهم والأنفس بالقتل فى الحرب والمرض، والتمرات من النخيل والعنب وغيرهما.. وقد
 حصل شىء من ذلك فى غزوة الأحزاب فى سورة الأحزاب وفى غزوة العسرة الآتية فى
 الآية (١١٧) من سورة التوبة صفحة ٢١٢. ثم رغب سبحانه فى الصبر فقال: «وبشر الصابرين
الذين إذا أصابهم مصيبة من هذه المذكورات قالوا إنا لله يفعل بنا ما يشاء وإنا إليه راجعون
بالموت ويوم القيامة ففرحو إحصائه. هؤلاء عليهم صلوات أى تعطفات وحنن من ربهم وإحسان،
 وهم المهتدون للصواب، إن الصفا والمروة من أمكنة عبادة شرعها الله وهى السعى الآتى، فمن
 حج أو اعتمر فلا إثم عليه فى أن يسعى بينهما، وإنما قال لا إثم مع أنه ركن لأن المسلمين
 كانوا يخرجون منه لوجود صنمين عليهما وضعهما كفار مكة، فقال سبحانه لا حرج فى
 السعى ما دمتم عاجزين عن إزالة الأصنام، أى كما أنه لا حرج فى التوجه إلى الكعبة قبل
 الفتح والمسلمون بالمدنية مع إنها فى ذلك الوقت محاطة بالأصنام، ومن تطوع خيرا بأن يأتى
 بحجة وعمره بعد الفرض فإن الله شاكرك عمله أى يجازيه أحسن الجزاء، علم بنيه وعمله فلا
 يضيع عليه شيئا من ثوابه، إن أخبار اليهود الذين أخفوا عن الناس ما أنزلنا فى التوراة من
 الآيات الدالة على صدقه ﷺ يلعنهم الله ولعنهم اللاعنون الآتى ذكرهم فى الآية (١١١) من
 سورة البقرة صفحة ٢١. أى يطالبون منه تعالى طردهم من رحمته.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْعَوْا إِلَىٰ اقْتَصَابِ أَعْمَالِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ^٢
مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٥﴾ لَا تَقُولُوا إِنَّمَا أَتَيْنَا لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
الْبَيِّنَاتِ إِنَّا إِنَّمَا بَنَيْنَا لِنُذَكِّرَ الْبَشَرَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا
بَنِي سُلَيْمَانَ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْأَمْثَالِ
وَلَا تُلْقُوا بِأَعْيُنِكُمْ وَلَا تَبْغُوا لِلْعَالَمِينَ
الْأَيْنِ آتَا^٣ أَسْمَاءُ^٤ وَهِيَ الصَّغِيرَةُ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ إِذَا
أَمْسَحُوا مَعْصِيَتَهُ قَالُوا مَا لَآلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ^٥ وَمَا يَدْعُوا بِإِلَٰهٍ
أُخَرَ سِوَاهُ ۚ وَمَا كُنَّا عَالِمِينَ^٦ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾
أَرْسَلْنَا^٧ مُوسَىٰ وَهَارُونَ^٨ بِآيَاتِنَا^٩ فَكَلَّمْنَا^{١٠} هَٰمَ
أَرْثُوكَ عِلْمَ صَوْلَاتٍ مِّن دُونِمْ وَرَحِمَهُ^{١١} وَارْتَبِكُمْ^{١٢} هِمَّ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ * إِنَّا لَنَعْلَمُ الْكَافِرِينَ^{١٣} مِمَّا يَفْعَلُونَ
مِمَّا هُمْ يُوعَدُونَ ۚ وَأَمَّا^{١٤} الْغُلَامُ^{١٥} فَكَانَ عِشْرِينَ^{١٦} سَنًا
وَمِنْ نَّهَضَةٍ خَرَّاقًا^{١٧} فَآتَا^{١٨} اللَّهُ عَالِمُكُمْ عِلْمَ^{١٩} إِنَّا الْغُلَامَ
يَكُونُ مِمَّا أَتَيْنَا مِنْ مَّوَدِّعَةٍ ۖ وَكَلَّمَا^{٢٠} مِنْ عِندِ رَبِّكَ
بِالنَّاسِ فِي الصَّكْبِ^{٢١} أَرْثُوكَ^{٢٢} يَدْعُهُمْ^{٢٣} اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ^{٢٤}

(ونقص من الأموال) : التي تركها المسلمون وراءهم بركة والمراد بالأموال هنا الأنعام خاصة التي هي الإبل والبقر والغنم لأنها كانت معظم ما يموله العرب، و«فوتق» : معطوف على الخوف، وما بعده يشير به إلى بعض أسباب الجوع والخوف.

هو والآنفس : بالقتل في الحروب أو المرض في جو المدينة لما فيه من حمى لم يأنفها أهل مكة.

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: المراد بها ثمرات الخيل والأغاب وغيرها.

﴿صلوات﴾: تعطف وإحسان. ﴿والصفا

والمرودة ﴿١٠﴾: جبلان صغيران قربان من الكعبة. ﴿١١﴾ الشعيرة تعلق في الشَّرع على

مكان العبادة وعلى العبادة نفسها.

﴿حج البيت﴾: أى قصده للحج وأعماله من إجماع وطواف حول الكعبة وسعى بين الصفا والمروة ووقوف بعرفة.

﴿اعتمر﴾ أى أتى بعمرة. وأعمالها هى أعمال الحج ما عدا الوقوف بعرفة، وليس لها وقت معين. ﴿جناح﴾: إثم. ﴿يطوف بهما﴾: يسمى بينهما. ﴿الذين يكفون﴾: هم أحبار اليهود.

﴿مَنْ أَنْزَلَ﴾ : ف. التثنية. السنات : الدالة على صفته ﷺ. الواضحات : الآيات

﴿الهدى﴾: الإرشاد للحق.. ﴿الكتاب﴾: التوراة.

- (١) والمصالحة. (٢) الصابرين. (٣) أوقات. (٤) الأهموال. (٥) الثمرات. (٦) الصابرين. (٧) أصدقاءهم. (٨) راجعون. (٩) صلوات... (١٠) اللبنيات. (١١) يتنام. (١٢) الكلاب.

والأرض وما فيهما من عجائب، واختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلمة والنور بنظام لا يتخلف، والفلك وهي العظيم من السفن، ويطلق على الواحد والجمع، التي تجري في البحر بما ينفع الناس من طعام ومتاع، ومن وجوه العبرة فيها أن يجعل الله سبحانه هذا الماء المسائل يعمل هذه الأجسام الضخمة، وفيما أنزل الله من السحاب من ماء، أنظر الآية (٤٢) من سورة التور صفحة ٤٦٥، فاحيا به الأرض باظهار ما أودع فيها من نبات وأشجار بعد موتها أي خلوها من ذلك كما في الآية (٥) من سورة الحج صفحات ٤٣٢، ٤٢٤ والآية (٣٩) من سورة فصلت صفحة ٦٣٥، وبث فيها أي فرق في جهاتها من كل دابة، وهي كل ما دب على وجه الأرض، وتصريف الرياح أي تطهيرها من جهة إلى أخرى وتحولها من شدة إلى لين ومن برودة إلى حر وبالعكس، والسحاب المسخر المذلل بين السماء والأرض فلا يسقط منه شيء، إلا في المكان والزمان المقدر له كما في الآية (٤٢) من سورة التور صفحة ٤٦٥، في كل ما ذكر آيات وبراهين على وجوده تعالى وحكمته تقوم يعقلون ويتدبرون في أن هذا النظام البديع لا يمكن أن يكون بدون خالق مدبر حكيم، ومع هذه البراهين القاطعة تجد من الناس من يتخذ لنفسه من المخلوقات آلهة ويعملها مماثلة له تعالى فيخضع لها كما يخضع له ويحبها كحبه مع أن الله وحده هو خالقهم ورازقهم، وهذه الآلهة لا تمالك حتى لنفسها نفعا ولا تدفع ضررا، والذين آمنوا أشد حبا لله من حب الكافر لمعبوده الباطل، لأن المؤمن لا يلجأ إلا لله في الرخاء والشدة وأما الكافر فإنه في الشدة ينسى آلهته ويلجأ لله كما في الآيات (٥٢) من سورة النحل صفحة ٣٥٢، (٦٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٣، (٨) من سورة الزمر صفحة ٦٠٧، فلو تبتة المسكين لهذا العلم أنه جانب الصواب حين قدس من لا يستحق تقديسا.

﴿الذين اتبعوا﴾: هم أئمة الكفر الذين قلدوا الضمضاء إلى اتباعهم..

﴿الذين اتبعوا﴾: هم الأتباع المقلدون.

﴿تقطع بهم الأسباب﴾: تنككت الروابط التي كانت بينهم في الدنيا..

أنظر الآية (٩٤) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ إِلَّا الَّذِينَ بَايَعُوا وَصَلُّوا وَبَيَّعُوا فَأَنكِرُوا
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَبَايَعُواكُمْ كَيْفَارَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ
النَّاسِ أَتُجِيبُونَ ﴿٥٣﴾ خَلِّينَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
وَلَمْ يَنْظُرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاللَّهُ لَهُ وَجْدٌ لَأَنَّهُ لَا هُمْ
الْأَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٥٥﴾ إِذْ فِي غُلُوِّ السُّعُورِ وَالْأَرْضِ
كَانَتْ خَائِلًا أَثَلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْبَحْرِ
يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَالْتَمَاحُ
الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَفِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ وَفِيهَا
الرِّيحُ وَالسَّحَابُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَبْصُرُ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُتَخَذُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَدَاءًا يُجَاهِدُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ حِبَا لِلَّهِ

﴿أنداد﴾: جمع ند بالكسر وهو المماثل، أي مماثلين له سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

المعنى: جميع من ذكروا ملعونون إلا الذين تابوا منهم عن الكتمان وأصلحوا أعمالهم بالإخلاص والإنتقان، وبينوا لأتباعهم رجوعهم إلى الحق ليتبعوهم فيه كما نبعوهم في الباطل، هؤلاء أتوب عليهم أي أقبل توبتهم لأنني كُشِّير قبول توبة عبدي إذا رجع إلى وندمك على ما فرط منه، الرحيم الذي لا يعجل بالعقوبة ليفسح المجال للتوبة، ثم بين سبحانه من هم الملعونون ومن هم اللاعنون، وأن الملعونين من غير التائبين ضربت عليهم

اللعة الأبدية فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَى يلعنهم الله والملائكة والناس أجمعون، خالدين في اللعة بالخلود في أثرها وهو جهنم، لا يخفف عنهم العذاب ولا يمهلون عنه لحظة، والهكم المعبود بحق إله واحد، فمن عبد غيره خلد في النار. الرحمن الرحيم، فيجب المبادرة إلى أسباب رحمته، ثم بين سبحانه دليل وحدانيته بقوله: إن

- (١) اللاعنون.
- (٢) والملائكة.
- (٣) خالدين.
- (٤) واحد.
- (٥) السموات.
- (٦) واختلاف.
- (٧) الليل.
- (٨) الرياح.
- (٩) لأيات.

كما في الآيتين (١٧)، (٦٨) من سورة الأحزاب صفحات ٥٦٠، ٥٦١ والآيات (٣١)، (٣٢)، (٣٣) من سورة سبأ صفحة ٥٦٧؛ ورأى المريقان التابع والمتبوع العذاب، وتكلمت روابطهم حتى قال الاتباع لو منحنا الله رجعة للدين لتبرأنا من الرؤساء كما تبرعوا منا في هذا اليوم المصيب... هذا المنظر المتخيل الفطيع يربهم الله أعمالهم فمثل حشرات لهم، وفي النهاية يخلدون في النار. ولا كان من ضمن جرائم هؤلاء الكافرين تحريم ما أحل الله، فالشركون حرموا ما في الآية (١٠٣) من سورة المائدة صفحة ١٥٧، والآيتين (١٣٨)، (١٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٨٦. واليهود حرموا ما أشرت إليه الآية (٩١) من سورة آل عمران صفحة ٧٨، رد سبحانه على زعم الجميع بقوله كلوا من طيبات إلخ، والطيبات ما تقبله النفس الطاهرة، ولا تتبعوا وساوس الشيطان لأنه عدو لكم وواضح العداوة، والعدو لا يأمر بخير، وإنما يأمر بالمحاصن وبناقبها عند الله، ومنها أن تقولوا حرم الله كذا وأحل كذا بدون علم، وإذا قيل لهم أنركوا الشيطان واتبعوا ما أنزل الله من توحيد الله وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث قالوا: كلا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. ففسفه سبحانه عقولهم بقوله أو لو كان إلخ أي أيتبعون آباءهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين عن دليل ولا يهتدون إلى الصواب. فمثل هؤلاء الكفار ومن يدعوهم إلى الهدى والتوحيد كممثل البهائم وراعبيها الذي يصيح بها لتقبل أو تدبر فلا تسمع من الراعي إلا صوتاً ساذجاً ولا تعقل للكلام المركب مفنى، لا اشتغال قلوبهم بتقليد الآباء. فلا تلتفت عقولهم للنظر في القول الصحيح أنظر الآية (٢١) من سورة الأنفال صفحات ٢٢٩، ٢٣٠.

﴿صم﴾: لا يسمعون.

﴿كفم﴾: لا ينطقون.

﴿أهل﴾ به لغير الله: يقال أهل الرجل أي رفع صوته، ومعنى التركيب وما رفع الصوت لاسم غير اسم الله مقترناً ذلك الرفع بذبحه، والمراد ما ذكر عند ذبحه اسم غير الله.

﴿اضطر﴾: الجأته ضرورة إلى ارتكاب المحظور.

وَلَوْ رَكِبُوا الدِّينَ لَمَنَّا أَنْ يُدْعَوْا إِلَى دِينِ اللَّهِ أَنْ تُقَرَّبَ إِلَيْهِمْ
جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٠٣﴾ وَأَنَّهُ الَّذِينَ
أُتُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَعَّتْ رِجُلُهُمْ
أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَلَا تَأْتِي تِلْكَ صَفْوَةً مِّنَ
الْأَسْيَابِ ﴿١٠٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ
مِنْهُمْ كَيْتَبُوا لَنَا مِنَّا حُرُوفًا فَاصْتَلَتْ بِهِمْ نَفَرًا
عَلَيْهِمْ وَمَا يُمِيزُهُمْ مِنَّا وَلَا يَمِيزُهُمْ أَجْنَابٌ وَلَا
جُنُودٌ فَرَأَوْهُ مُصَوِّدًا ﴿١٠٥﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقُلْ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
كَانَ آيَاتُهُمْ لَا يَقُولُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٦﴾ وَعَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا أَكْثَرُ الْكُفْرِ أَتَى بِشَيْءٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا دَعَاءَ وَبَاءً
كُفْرًا وَكَفَرُوا بِالَّذِي يُبْعَثُونَ

﴿حكمة﴾: رجعة للدين.
﴿عدو مبين﴾: أي واضح أنظر معاني كلمة مبين في الآية (٢) من سورة القصص صفحة ٥٠٦.
﴿يامرهم﴾: أي يورس ويزين.
﴿بالسوء﴾: ما يسوء في الآخرة وهو المعصية.
﴿المرسل﴾: أي يورس ويزين.
﴿المرسل﴾: أي يورس ويزين.
﴿المرسل﴾: أي يورس ويزين.

المرسل.

﴿دعاء﴾: يريد المصباح على القريب منها لتأني مثلاً. ﴿وباء﴾: هو المصباح على البعيد منها.

منها.

المعنى: أراد سبحانه أن يبين سوء عاقبة المتخذين أنداداً فقال: ولو يرى الذين ظلموا إلى آخروهم، أي لو يرى الظالمون أنفسهم بالكفر حين يشاهدون العذاب المعد لهم في الآخرة أن القدرة كلها لله وحده وأن عذابه شديد لرأوا ما لا يوصف من شدة هولاء، وفي هذا الحين يتصل أنمة الكفر من آتياهم عندما يعلمون أن عليهم فوق جزاء كفرهم جزاء كفر آتياهم.

(١) أعمالهم.

(٢) حشرات.

(٣) بهائم.

(٤) حلالاً.

(٥) مخلوقات.

(٦) الشيطان.

يحبون أكل الميتة، وقال كثير من المفسرين...

من الهلاك.
يأخذ منه ما كان لو ترك له لانتدّه هو أيضا
﴿غير باع﴾: أي على مضطر آخر بأن

الشئ...
متجاوز حد الضرورة إلى حد

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: يقصر لعباده الخطايا
اليسير في تحديد المقدار الذي يدفع
الضرر.

(رحیم): حیث حرم علیہم ما یضرہم

الذين يكتمون: المراد بهم هنا آحبار اليهود.

﴿الكتاب﴾: هنا التوراة.

﴿يَسْتَرْوْنَ﴾ : يَا خَذَوْنَ .

يزكيهم : يطهرهم من الخبث.

﴿وَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: (ما) هذه معناها شيء عجيب. والمعنى شيء عجيب جعلهم يصبرون الخ. ويقول علماء العربية إن هذا التركيب من صيغ التعجب، ومثله صيغة (أسمعهم) أي سمعوا عجباً.

- (١) طبيبات.
(٢) رزقناكم.
(٣) الكتاب.
(٤) النقيامة.
(٥) التضلّالة.
(٦، ٧) تكباب.

(مسورة البقرة)

يَعْلَمُ * نَبَسَ الَّذِينَ تَوَلَّوْا وَجْهَهُمْ قِيلَ الْمَشْرِقِ
إِلَهِكُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِيُضِلَّوْا
قُلْ أَصْبَحُ عَلَى اللَّهِ * فَإِنَّ اللَّهَ يَرَى الَّذِينَ
أَلْهَيْكُمْ يَوْمَ الْآيَاتِ مَاذَا يَكُونُ فِي طُغْيَانِهِمْ
إِلَّا النَّارُ لَا يَكْفُرُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلَا رَحْمَةٍ لَهُمْ فِي ذَلِكَ يَوْمٍ * اللَّهُ يَوْمَ
الْآيَاتِ أَغْفِرُ الْغَفْلَةَ الْكَلْبَةَ وَالْعُصْبَ وَالْمَقَافِرَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ
أُولُوا الْأَرْحَامَ وَالْأَقْرَبُونَ وَلَكِنْ يَتْلُو
أَلْفَ مِائَةٍ مِنْهُ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَحْشُرُونَ
قُلْ أَمَرَ بِالْعَدْلِ إِذَا أَمَرَ اللَّهُ بِشَيْءٍ
وَأَن أَتَى بِهِ لَبِئْسَ مَا تَحْكُمُ بِهِمْ أَغْفِرُ
لَهُمْ سَائِرَ الْكُتُوبِ * وَإِنَّ الَّذِينَ
يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأُولُوا الْأَرْحَامَ وَالْأَقْرَبُونَ
لَا يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأُولُوا الْأَرْحَامَ وَالْأَقْرَبُونَ
لَا يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأُولُوا الْأَرْحَامَ وَالْأَقْرَبُونَ

فَإِذَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ: (ما) هذه معناها شيء عجيب. والمعنى شيء عجيب جعلهم يصبرون الخ. ويقول علماء العربية إن هذا التركيب من صيغ التعجب، ومثله صيغة (أسمع بهم) الآية في الآية (٣٨) من سورة مريم صفحاتي ٣٩٩، ٤٠٠.

ولما كان التعجب هو انفعال النفس عند شعورهم بشيء يخفى عليها سببه، ولذا يقولون: إذا ظهر السبب بطل العجب، ولما كان التعجب لا يتأتى منه تعالى لأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لدفع هذا قال العلماء: إن المراد بهذا التركيب إذا صدر منه سبحانه وتعالى هو تعجب الناس من شأن هؤلاء، فهو تعجب للمؤمنين من صبر هؤلاء الكفار على ارتكاب المعاصى الموجبة لدخول النار من غير ميلاة. وليس المراد أن لهم على النار صبراً، بدليل أنهم يستغيثون منها^(١)، وبدليل صراخهم من عذابها^(٢)، وأمثال ذلك كثير^(٣)، ولهذا قال الحسن وقطادة: والله ما لهم على النار من صبر، ولكن المعنى: ما أجراهم على العمل الذى يقربهم من النار. وقال ابن كثير: ما أودهم على عمل أهل المعاصى التى تقضى بهم إلى النار. ومن هذا القبيل فى صدورهم عنه سبحانه وتعالى ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٤) وهو تعجب للخلق من شدة كفر الإنسان، وفى هذا الموضوع قال القرافى فى كتابه الفروق^(٥): إن علماء العربية نصوا على أن (إن) بكسر فسكون لا تدخل إلا على الفعل المشكوك فى وقوعه. فلا تقول إن غربت الشمس فأتيتى، بل تقول إذا غربت.. الخ لأن (إذا) هى التى تدخل على الفعل المحقق الوقوع، أو المظنون على الأقل. ومقتضى قولهم هذا أن (إن) لا ترد فى كتاب الله تعالى صادرة منه سبحانه، لأنه سبحانه بكل شيء عليم. فلا يعثره شك ولا ظن. فكانت الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾^(٦)، ولا تخفى

- (١) كما في الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٢٨٥.
 (٢) كما في الايتين (٢٦)، (٢٧) من سورة فاطر صفحتي ٥٧٦، ٥٧٧.
 (٣) انظر الآية (٤٢) من سورة النساء صفحة ١٠٧ والايتين (١٠٦)، (١٠٧) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٥، والآية (٤٠) من سورة النبا صفحة ٧٨٨.
 (٤) انظر الآية (١٧) من سورة عبس صفحة ٧٩٢.
 (٥) صفحة ٩٢ الجزء الأول.
 (٦) الآية (١٢) من سورة البقرة صفحة ٦.

يكتفون الحق الذي أنزله الله تعالى في التوراة والإنجيل. انظر الآية (١٥٧) من سورة الأعراف صفتي ٢١٨، ٢١٧. وبما خذون بدل هذا الكتمان من أتباعهم وجهاتهم فمننا قليلا هو الأموال التي يأخذونها بحكم رباستهم، تفسير تلك الأموال نارا بعد الموت، ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلاما يسرههم، ولا يظهرهم من الذنوب والجبايت، ولهم في الآخرة عذاب شديد الألم، هؤلاء هم الذين فضّلوا الضلالة أي الكفر والمصيان وتركوا الهدى وهو الإيمان والطاعة. واختاروا العذاب بدل المغفرة، فاجعروا أي الناس من مداومة هؤلاء الذين يكتفون الحق على إجرامهم الذي سيوصلهم إلى النار حتما.. هذا العذاب حل بهم بسبب أن الله تعالى نزل التوراة مقرونة بالحق فبدلوها وحاربوه، وأن هؤلاء اليهود والنصارى هم الذين اختلفوا في كتب الله، فاليهود رفضوا ما عدا التوراة، والنصارى رفضوا القرآن. أما المؤمنون الصادقون كالمسلمين فإنهم يؤمنون بكتب الله الصادقة كلها كما تقدم في الآية (٤) من سورة البقرة صفحة ٢ وما سيأتي في الآية ٢٨٥ من نفس السورة صفتي ٦١، ٦٢، هؤلاء المختلفون بالباطل في خلاف وتناقض بعيد المدى لا يمكن إصلاحهم لتعمص كل لما عنده ولما استقل الكفار جميعا تحويل القبلة في إحداث جدل باطل فتن به ضعيف الإيمان، كرسبجانه الكلام فيه ليزيل كل أثر لفتنتهم مبينا لهم أنه لا يصح الجدل في شيء ليس في ذاته برا، فقال: ليس البر إلخ أي ليس البر مجرد أن تولوا وجوهكم جهة المشرق والمغرب.

فؤمن آمن: المراد عمل من آمن. حتى يصح الإخبار به عن البر. يقول المرئي: يهيجيني فلان يريد يهيجني عمله.

والكتاب: المراد جنس الكتاب، فيشمل جميع الكتب المنزلة^(١).

فأتى المال على جبهه: فحلى حرف يفيد هنا معنى (مع) كما في قوله تعالى: فلو أن ربك لنذر مغفرة للناس على ظلمهم أي مع ظلمهم^(٢) أي أنفق المال مع جبهه له.

قال ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف المعنى مع جبهه للمال والرغبة

(١) انظر الآية (١٨٥) من سورة البقرة صفتي ٦١، ٦٢.

(٢) انظر الآية (٦١) من سورة الرعد صفتي ٣٢١، ٣٢٢.

بلفتهم وعلى أسلوب كلامهم، فكل ما كان في أساليبهم حسنا جاء في القرآن. وما كان قبيحا في أساليبهم لم يأت في القرآن، تحقيقا لكونه عربيا على أتم وجه، فالضابط أن كل قل من شأنه أن يكون في العادة مشکوكا فيه بين الناس يحسن تعليقه ب (أن) من جهته تعالى ومن جهة غيره، سواء أكان معلوما للمتكلم أو السامع أم لا. ولذلك يحسن لمن يسمع حركة في بيت أهله مسافرون، ويتيقن أنها من لص أن يقول: إن كانت هذه حركة لص يجب أن تقيض عليه.. لأن وجود رجل غريب في بيت غيره من شأنه أن يكون قليلا مشكوكا فيه. وجاء على هذه الفاعلة في القرآن قوله تعالى: فاستفرغ لكم أيها الثقلان الآية (٢١) من سورة الرحمن صفحة ٧٠. فهو جار على أسلوب كلام العرب. ولا قاله سبجانه لا يشغله شيء عن شيء حتى يحتاج للتفرغ لبعض خلقه.

والكتاب: المراد جنسه، فيشمل التوراة والإنجيل، والقرآن. (شقاق بعيد): خلاف وتناقض بعيد المدى لا يمكن تلافيه.

والبر: الخير الواسع.

المنى: فهم كالصم والبكم الذين لا يعقلون شيئا، لأنهم أنفروا عقولهم بإهمال النظر في

الأدلة والركون إلى التقليد. ثم أعاد سبجانه الأمر بكل الطيبات ليرتب عليه الأمر بالشكر

وما بعده، فقال: واشكروا الله بصرف نعمه فيما يرضيه إن كنتم حقا تخلصونه بالعبادة،

واعلموا أنه لم يحرم عليكم إلا الميتة والدم المسفوح، وهو ما يخرج من الحيوان عند ذبحه وقبل

خروج الروح، وكذا حرم أجزاء الضئير، وفحص اللحم بالذكرب لأنه المقصود بالأكل غالبا وغيره

تبعاً له، وحرم ما ذكر غير اسم الله عليه أو يقصد بذبحه التقرب لغيره سبجانه، فمن الجاهل

الضرورة لأكل شيء من تلك المحرمات كان كأن مسافرا ولم يجد ما يقتات به وخاف على

نفسه الهلاك فأكل منها وكان غير طالب لما ينتد غيره كما تقدم ولا متجاوز حد دفع الضرورة

إلى حد الشبه، فهذا المضطر بهذه الشروط لا ذنب عليه في الأكل منها، إن الله غفور لمن سبق

له شيء يخالف قبل التحريم، رحيم بهم فلا يشق عليهم، ورؤساء اليهود والنصارى الذين

سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لَكَ مَا يُكْرَهُونَ﴾ (٥)، قال المرحوم الشيخ محمد عبده في تفسيره: وهذا الإيتاء غير إيتاء الزكاة الآتي. وهو ركن من أركان البر الواجب كالزكاة، وهو مطلوب لسد حاجة المحتاج.

ولا يشترط فيه نصاب معين بل هو على حسب الاستطاعة، فإذا كان البازل لا يملك إلا رغبنا واحدا لم يكن محتاجا إليه لنفسه، ولا لمن تجب عليه نفقته، ورأى مضطرا لهذا الرغيف وجب عليه بدله له. ثم قال: وليس المضطر وحده هو الذي له حق في ذلك بل أمر الله تعالى المؤمن أن يعطى من غير الزكاة ذوى القربى، ولو كان غنيا، لأنها من صلة الرحم، وهم أحق الناس بالبر والصلة.

فمن قطع رحمه خصوصا المحتاجين، ورضى بأن ينعم وذوى قرياه بائسون فهو برئ من الدين، ويعبد من البر (٦) وكل هذا يفيد أن في المال غير الزكاة المفروضة، ويؤيد هذا ما أخرجه الدارقطني وابن ماجة في سننه والترمذي في جامعه عن فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ قال: إن في المال حقا سوى الزكاة، ثم تلا هذه الآية (ليس البر.. إلخ) وما يتفق مع هذا الحديث مهما كانت درجته قول القرطبي: اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف الزكاة إليها وقال مالك يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم (ذوى القربى): قال المرحوم الشيخ عباس الجمل (٧): ذوى القربى هنا هم كل قريب من الأصول والفروع وغيرهم، ولا يشترط أن يكونوا محتاجين، لأن فيها صلة رحم وهي تطالب للمحتاج كما تطالب للفقير منهم، لأن إيتاء المال هنا ليس هو الزكاة المفروضة، لأن نفقتهم واجبة على قريتهم الغنى، ولا تصح زكاته لمن تجب عليه نفقته، وليس هو صدقة التطوع لأن الأقربين الأغنياء من الأصول والفروع ليسوا مصرفا لصدقة التطوع، ولأن القرآن عدد مصارف الزكاة المفروضة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعَالِمِينَ

(٥) انظر الآية (١١٢) من سورة النحل صفحة ٢٥٢.

(٦) انظر شيئا من هذا في شرح الآية (٨) من سورة النساء صفحة ١٦٩، ٩٩. وشرح الآية (١٤١) من سورة الأنعام صفحة ١٨٦، والآيتين (٢٤)، (٢٥) من سورة المارج صفحة ٧٦٦.

(٧) في رسالته التي وضعها في شرح هذه الآية (آية البر).

فيه، ويؤيدهم قوله تعالى: «لن تتناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» (٨) فالبر ذكر في الآيتين. وحب المال المنفق ذكر فيهما، وكانت الثانية صريحة في حب المال، فتحمل عليها الأولى، وهذا لا يمنع أنهم أنفقوا هذا المال الذي يحبونه لوجه الله تعالى وطلباً لرضاه، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا﴾ إلى قوله ﴿إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ (٩)، فجمع في هذه الآية بين حب المال وطلب لرضاه الله. ويؤيدهم أيضا ما جاء في الصحيحين مرفوعا قال ﷺ: (أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الفنى، وتخشى الفقر). أى أن أفضل الصدقة ما يبذله المؤمن وهو يحرص عليها ويحبها لأنها ذات قيمة عنده، ولذا ذم سبحانه من يتصدق بما يكره فقال

- (١) والملائكة.
- (٢) الكتاب.
- (٣) والنبين.
- (٤) واليتامى.
- (٥) والمساكين.
- (٦) الصلاة.
- (٧) الزكاة.
- (٨) عاهدوا.
- (٩) والصابرين..
- (١٠) بإحسان.
- (١١) حياة.
- (١٢) الألباب.

(٣) انظر الآية (١١٢) من سورة آل عمران صفحة ٧٨.

(٤) انظر الآيتين (٨) - (٩) من سورة الإنسان صفحة ٧٨٢، ٧٨١.

﴿القصاص﴾: قال صاحب الأساس تقول العرب قصصت أثر فلان يريدون تتبعته، ومنه في القرآن الكريم ﴿وقالت لأخته قصيه﴾^(١١).

وقال الرافعي: القصاص تتبع الدم يقتل القتال، لهذا قال بعضهم إن القصاص يلزمه معنى (المساواة) قال المرحوم الشيخ محمد عبده: القصاص معناه هنا أن يقتل القتال لأنه في نظر الشريعة مساو للمقتول.

﴿وفي القتلى﴾: (في) بمعنى بآء السببية، كما في قوله ﷺ: دخلت امرأة النار في هرة. أي دخلت النار بسبب حبسها هرة حتى ماتت جوعاً. والقتلى جمع قتيل كجرى جمع جريح.. (الحر بالحر.. إلخ): أي الحر يقتل بالحر، والعبد يقتل بالعبد إلخ وهذا بيان لحكم النوع إذا قتل نوع، ولم تتعرض الآية لحكم أحد النوعين إذا قتل الآخر، كما إذا قتل رجل امرأة أو بالعكس، فالآية مجملة، وبين هذا الإجمال أمور: الأول قوله تعالى في شأن بني إسرائيل ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين.. إلخ﴾^(١٢). قال أبو السعود لأن شريعة من قبلنا إذا قصها الله سبحانه علينا من غير قيام دليل على نسخها فهي شريعة لنا.. والثاني أن النبي ﷺ بينها بيننا بسنته، فقتل الرجل اليهودي الذي قتل امرأة.. والثالث أن القصاص بني على المساواة في العصمة. والعصمة تكون بالمساواة في الدين، أو بالوجود في قطر واحد تحت حكومة واحدة، فالعاصون من غير المسلمين الذين يشاركوننا في الوطن لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

﴿فمن عفى له من أخيه﴾ أي والقتال الذي صدر له العفو من جهة أخيه أي أولى الدم شيء من العفو ولو قليلاً، فإنه بمنزلة العفو التام في إسقاط القصاص فإن عفا بعض أولياء الدم ولو كان واحداً من مائة سقط القصاص، والتعبير بصفة الأخوة الثابتة بينهما فيه تحريك عوامل التراحم والعطف، وأشعار بأن الله سبحانه يحب العفو، ﴿فإنباغ بمعروف﴾: أي فالأمر المطلوب اتباع إلخ والمراد فليكن من العافى اتباع المعروف في استيفاء الدية من القتال.

(١١) الآية (١١) من سورة القصص صفحة ٥٠٧.
(١٢) الآية (٤٥) من سورة المائدة صفحة ١٤٥.

عليها.. الآية^(٨). ولم يذكر فيها ذوى القربى أما الأغنياء من ذوى القربى فإنما يؤتون المال لصلة الرحم، لا صدقة، لأنها لا تحل لغنى، فالفرق بين الصدقة، وصلة الرحم في إعطاء ذوى القربى هي النية فعلى من يؤتي المال لذى القربى أن يتوى بذلك صلة الرحم، لا التصديق عليهم..

﴿اليتامى﴾: اليتيم هنا هو من مات أبوه وتركه صغيراً محتاجاً للغذاء والكساء.

﴿المساكين﴾: المراد بالمساكين هنا المحتاج الذي لا يسأل الناس شيئاً، فهو مستكين منطو على نفسه. هــن السبيل: هو المسافر المحتاج للقطع عن أهله ولو كان غنياً في بلده.

﴿السائلين﴾: هم الفقراء الذين يسألون الناس^(٩). ﴿وفي الرقاب﴾: أي في فك رقاب العبيد بشرائهم وعقبتهم. ﴿أو الصابرين﴾: معطوف على (من آمن) الذي هو خبر الابتداء فكان حقه الرفع كما في (الوفون بعهدهم) ولكن علماء العربية قالوا إنه يجوز للمتكلم أن يغير إعراب الكلمة ليثبت الأنظار إلى معناها^(١٠). ويكون الأصل هنا. وأخص بالذكر من بين هذه الطوائف

المصابرين، لأن أجروهم يوفى بغير حساب، لما ثبت أن الصبر نصف الإيمان، ومن هذا النوع الانتفاع في قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا.. الآية﴾^(١١).

﴿البنساء﴾: هي كل شدة تحصل للإنسان بسبب مصيبة طعته في غير نفسه مما يزع عليه كقصد ولد أو مال مثلاً. ﴿والضراء﴾: هي الضر الذي يصيب الإنسان في نفسه كالمرض.

﴿البناس﴾: المراد به هنا شدة القتال في سبيل الله.

﴿كتب عليكم﴾: أي فرض، والخطاب لجميع المؤمنين على أن يتولى القصاص ولي الأمر منهم، وذلك إذا طلب ولي الدم القصاص فهذا يدل على أن لولي الدم حق العفو، فالجواب بالنسبة للحكام فقط، فلا يجوز لهم العفو إذا طلب صاحب الحق القصاص.

(٨) الآية (١٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥١.
(٩) السائل والمجروح في الآية (٢٥) من سورة الماعز صفحة ٧٦٦.
(١٠) انظر شرح الآية (١٦٢) من سورة النساء صفحة ١٢٠، ١٢١.
(١١) الآية (٩٦) من سورة الأنعام صفحة ١٧٩.

من غير تعسف ولا إرهاب.. «وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ»: أى المطلوب من القاتل أداء الدية للعافى بإحسان بأن لا يماطل ولا يتقص منها شيئاً..

بإحسان

المعنى: بل البر الصحيح هو عمل من آمن بالله.. أى بوجوده ووحدانيته، واستحقاقه وحده

جميع صفات الكمال، وباليوم الآخر بأنه حاصل لاشك فيه وبوجود الملائكة، وأنهم عباد مكرمون، ويجمع الكتب السماوية، وبالنبيين الذين ذكرهم الله سبحانه تفضيلاً، والإيمان بأن لله رسلاً غيرهم وإن كنا لا نعلمهم^(١٤)، وأعطى المال مع حبه له ذوى القربى واليتامى والمساكين إلى آخر ما ذكر، وأدى الصلاة على وجهها، وآتى الزكاة المفروضة، والموفون بعهدهم مع الله ومع الناس، ومدح سبحانه من أصحاب صفات البر الصابرين فى تلك الشدائد المذكورة وخصوصاً فى ميدان الجهاد^(١٥)، أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا فى إيمانهم وفيما عاهدوا الله عليه صدقاً قريباً حتى كأنه لا صادق غيرهم. والذين اتقوا الله تقوى تامة حتى كأنه لا أنقياء غيرهم^(١٦)، فرض عليكم أيها المؤمنون أن يقتص حكاكم من القاتل بقتله، ولما كانت عوائد الجاهلية أن للأقوياء على الضعفاء امتيازات غير عادلة من ذلك أنه إذا قتل عبداً حرّاً تركوا العبد وقتلوا سيده، وإذا قتلت امرأة رجلاً تركوها وقتلوا من أسرتها رجلاً، وإذا قتل رجل فقير رجلاً من الأغنياء يقتلون بدله رجلاً من الضعفاء، لما كان كل هذا أراد سبحانه أن يبطله بهذه الآية، فالمعنى: إذا قتل حرّاً يقتل هو به لا غيره من كبار أسرة القاتل، ولا يقتل به أكثر من واحد، وإذا قتل عبيد من عبيد الضعفاء عبداً مملوكاً للأقوياء يقتل هو به لا سيده، ولا أحد الأحرار من أسياده، وإذا قتلت امرأة امرأة أخرى تقتل هى، لا رجلاً من أفراد قبيلتها بدلها، فالقصاص على نفسه، لا على أحد من قبيلته كما كان فى الجاهلية، ومما يدل على أن المعنى الحرفى لما ذكر غير مراد أن قتل العبد بالعبد والأنتى بالأنتى يفيد من باب أولى قتل العبد بالحر وقتل الأنتى بالذکر.

قال البيضاوى: إن الآية لا تدل على أنه لا يقتل الحر بالعبد ولا الذکر بالأنتى لأن ما ذكر

(١٤) انظر الآيتين (١٦٣) - (١٦٤) من سورة النساء صفحة ١٣١، والآيات (٨٣) حتى (٩٠) من سورة الأنعام

صفحات ١٩٧٥، ١٩٧٧.

(١٥) انظر الآيتين (٦٥)، (٦٦) من سورة الأنفال صفحة ٢٣٧.

(١٦) أخذ هذا الحصر فى الجملة من تعريف طرفيهما وزيادة ضمير الفصل (هم) فى الثانية.

فيها كان مجرد محاربة عادة جاهلية، فليس مقصوداً ظاهره، وذلك لأن مفهوم المخالفة إنما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر غرض سوى اختصاص الحكم به، وهنا ظهر أن له غرضاً غير التخصيص وهو ما ذكر من إبطال تلك العادة^(١٧)، فالمراد من كل ما تقدم أن حكم الشريعة أنه لا يقتل غير القاتل مهما كان من الفوارق بين القاتل والمقتول.

ولما كانت الديانة اليهودية لا تجيز العفو عن الجانى، والنصرانية تطلب العفو وتشدد فى طلبه، جاء الإسلام بالعدل الوسط فجوز العفو واحتساب الأجر عند الله وأخذ الدية بدل القصاص فقال سبحانه فى ذلك (فمن عفى له من أخيه.. إلخ)، أى فالجانى الذى صدر له شيء من العفو عن جانيته من جهة أخيه ولى الدم حتى لو كان هذا العفو قليلاً كما تقدم فى شرح المفردات بأن كل من بعض الورثة دون بعض فالمطلوب شرعاً من العافى أن يتبع فى مطالبته الدية الطريق المعروف حسنه وهو عدم إرهابه بدفعها مرة واحدة إن كان ذلك يعجزه، ولا يأخذ أكثر مما ينبغى، والمطلوب من الجانى العفو عنه أن يؤدى الدية إلى أولياء المقتول على الوجه الحسن، فلا يماطل ولا ينقص منها شيئاً، وأسلوب الآية يفيد بأن الله سبحانه يحب من عباده العفو ولذلك فرض اتباع العفو وإن لم يكن من جميع أولياء الدم، لأن فى العفو إيقاظ الضمائر لتغليب جانب الأخوة الإنسانية والدينية فتقتل الشرور وتتشر المحبة^(١٨) وذلك الحكم من عدم وجوب القصاص، والعفو مع أخذ الدية تسهيل ورحمة منه تعالى بكم حيث لم يحتم عليكم ما حتمه على من سبقكم، فمن اعتدى من أهل القتل بأن قتل القاتل بعد أخذ الدية فله عذاب أليم فى الدنيا بالقصاص أو الدية، وفى الآخرة بالنار. ولكم فى شرع هذا القصاص حياة، أى بقاء وحفظ، لأن القاتل إذا علم أنه سيقتل امتنع عن القتل فأحيا نفسه ونفس من كان يريد قتله.

﴿جَنَافًا﴾: عدولاً عن الحق خطأ.

﴿إِنَّمَا﴾: عدولاً عن الحق عمداً.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: أى بين الموصى لهم بعضهم مع بعض أو مع الورثة.

(١٧) فهو من قبيل قوله تعالى: ﴿وَرَبَّانِيكَمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ.. إلخ﴾ (الآية ٧٣) من سورة النساء صفحتى ١٠٣، ١٠٢.

(١٨) انظر الآية (٢٢) من سورة النور صفحة ٤٦٠.

ولمّا استشعروا أنّ للرسول ﷺ مقاماً خاصاً عند ربه، يوجب عليهم عدم الإفتغال عليه بما لا يفيد، خصوصاً وهو الرحيم بهم، شديد الحياء، لمّا حصل هذا خفف عنهم بما في الآية (١٢) من نفس السورة مصفحة ٧٢٧، وكذا يقال في قيامك الليل في الآيات (٢) وما بعدها من سورة المزمل مصفحة ٧٢٣ ثم الآية (٢٠) من نفس السورة مصفحتي ٧٢٤، ٧٢٥. نقول لمّا تعودوا الصوم مع التعبير انتقل بهم إلى الوجوب.

﴿يطيئونه﴾: المراد بقرله (يطيئونه) أى يتحملونه بغيره المشقة، ولا يقال أطبق حمل هذه الوردية، أو السماء فوقنا، لأن من أركان تعريف الكلام العربى أن يكون مفيداً للسامع فائدة يجعلها، ولذا قالوا لا يقال السيف أمضى من العصا، أو أنا أطبق حمل عود العطب لأنه فقد ركنا من أركانه كلما عند العرب.

لهذه الناس... إلخ: المبراد هادي للناس إلى الصواب هداية خاصة به لهما فيه من الإعجاز وتفصيل الأحكام مما ليس في غيره، ولهذا جعله الهدي نفسه.

هؤويات من الهدي: أي حال كونه أدلة واضحات من بين الكتب الإلهية الهادية إلى النور، فهو هاد بواسطة أمرين، أمر مختص به وآخر غير مختص.

﴿الفرقان﴾: هو الخارق بقوة بين الحق والباطل. ﴿وقض شهد منكم الشهر﴾: أدرك رمضان وهو حي..

المعنى: فرض عليكم إذا حصر أحدكم مقدمات الموت وكان يملك خيرا أى مالا له قيمة وذلك يختلف تقديره باختلاف أحوال الناس في منازلهم وأزمانهم الوصية، أى فرض عليكم أن يوصى من حضرته الوفاة للوالدين اللذين لا يرثان كالأجداد مع وجود الأباء، والوالدين الكافرين، لأنه من البر المطلوب لهما شرعا، والأقربين من الفقراء، فإن لم يكن في قرابته فقراء يوصى نبا لفقراء المسلمين، فإن مات ولم يوص ولم يوص على الورثة أن يخرجوها عنه، فإن لم يخرجوها أخرجه القاضي النائب عن جماعة المسلمين وهذا هو سر توجيه الخطاب لهم في قوله تعالى فكتب عليكم ولم يقل: كتب على الواحد منكم لأن فرضها ثابت بالآية، وبعيد البخارى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى

۱
إِذَا حَضَرَ أَحَدُكَ الْمَوْتُ أَنْ تَزُكَّ حُزْرًا أَوْ صَبْرًا أَوْ لَدُنَّ
وَالْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَدَّ
بَعْدَ مَوْتِهِ يَدَّ يَبْسُودُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ
يَسْمِعُ عِلْمٌ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ عَلَّمَ بِمَوْصٍ جَفَاءً أَوْ آتَاكَ
تَا صَاحِبَ بَيْتِهِمْ لَا آتِمِ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ رَحِيمٌ ﴿٥٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمُبِّ عَلَيْكَ الصَّبْرُ كَمَا كُنْتَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا كُنْتُمْ تُتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الْعَصِدُونَ
مَنْ كَانَ مِنْكُمْ رِضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدُوا فِي آيَامِ الْحَرِّ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيعُونَ فِدْيَةٌ عَلَيْهِمْ سَكِينٌ مَن تَطَّلِعُ
خَيْرًا فَهَوَّ خَيْرٌ لَّهُ ۚ فَإِنْ حَضَرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ شَاهِدْ رَحْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَرْسَلَ فِيهِ الْفُرْقَانَ هَدًى
لِّلنَّاسِ وَيُبَيِّنُ مِنَ الْهَدْيِ مِنَ الْفُرْقَانِ قَوْلَ شَيْدِ بَكْرٍ

معدودات الآية (٢٤) من سورة آل عمران
وقوله تعالى في الحديث عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَشَرَاهُ بَيْنَهُمْ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ

معلومة الآية (٢٠) من سورة يوسف صفحة ٢٠٥.

وقوله سبحانه: «وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ» الآية (٢٠٣) من سورة البقرة صفحة ٤٠ وهي أيام التشريق الثلاثة التي يقضيها الحاج في منى بعد يوم العيد الأكبر، فالمراد تسهيل أمر الصيام عليهم، كما هي سنته تعالى في التدرج بعبادته ليعاخذهم باللطاف إلى التشريع النهائي ولا يفاجئهم بما يشق عليهم، انظر كيف تدرج بالزكاة في شرح الآية (٢) من سورة لقمان صفحة ٥٩، وفي تحريم الخمر في شرح الآية (٢٩) من سورة البقرة صفحة ٤٣، وفي الأمر بتقديم صدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ في الآية (١٢) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٧. ولما استعملوا أن الرسول ﷺ مقاماً خاصاً عند ربه يوجب عليهم عدم الإقبال عليه بما لا يفيد

(١) للوالدين.

(٢) معدودات.

(۳) و بیانات.

وأياماً معدودات: اختار المرحوم الشيخ

محمد عبده أن هذه الأيام هي أيام رمضان،

لأنه لم يثبت في السنة الصحيحة البسالة من

معارض أن الصوم كان واجبا على المسلمين

قبل صوم رمضان، ولو ثبت ذلك لنقل إلينا

ممتواً، لأنه من العبادات العملية التي تتكرر

ولا ينسأها الناس. والمراد من (معدودات) أي

قليلات، فمن أساليب العرب أنهم إذا أرادوا

تقلیل، عدد بی، مقولون: بی، محدود ای قلیل

[illegible]

وَمِنْ سِوَاكَ سِرٌّ سِرٌّ

ابتیهود سترهوا من مسمعا اترایه یه

معدودات ﴿١٤﴾ من سورة ال عمران

صفحة ٦٦. وقوله تعالى في الحديث عن نبه

معدودة الآية (٢٠) من سورة يوسف صفحة ٥

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ

وهي أبان التشرق الثلاثة التي يضيئها الحام

امام الصلاة عليه: كما هـ، سنته تعالى، فـ

$\frac{1}{2}$
 $\frac{1}{3}$
 $\frac{1}{4}$
 $\frac{1}{5}$
 $\frac{1}{6}$
 $\frac{1}{7}$
 $\frac{1}{8}$
 $\frac{1}{9}$
 $\frac{1}{10}$
 $\frac{1}{11}$
 $\frac{1}{12}$
 $\frac{1}{13}$
 $\frac{1}{14}$
 $\frac{1}{15}$
 $\frac{1}{16}$
 $\frac{1}{17}$
 $\frac{1}{18}$
 $\frac{1}{19}$
 $\frac{1}{20}$
 $\frac{1}{21}$
 $\frac{1}{22}$
 $\frac{1}{23}$
 $\frac{1}{24}$
 $\frac{1}{25}$
 $\frac{1}{26}$
 $\frac{1}{27}$
 $\frac{1}{28}$
 $\frac{1}{29}$
 $\frac{1}{30}$
 $\frac{1}{31}$
 $\frac{1}{32}$
 $\frac{1}{33}$
 $\frac{1}{34}$
 $\frac{1}{35}$
 $\frac{1}{36}$
 $\frac{1}{37}$
 $\frac{1}{38}$
 $\frac{1}{39}$
 $\frac{1}{40}$
 $\frac{1}{41}$
 $\frac{1}{42}$
 $\frac{1}{43}$
 $\frac{1}{44}$
 $\frac{1}{45}$
 $\frac{1}{46}$
 $\frac{1}{47}$
 $\frac{1}{48}$
 $\frac{1}{49}$
 $\frac{1}{50}$
 $\frac{1}{51}$
 $\frac{1}{52}$
 $\frac{1}{53}$
 $\frac{1}{54}$
 $\frac{1}{55}$
 $\frac{1}{56}$
 $\frac{1}{57}$
 $\frac{1}{58}$
 $\frac{1}{59}$
 $\frac{1}{60}$
 $\frac{1}{61}$
 $\frac{1}{62}$
 $\frac{1}{63}$
 $\frac{1}{64}$
 $\frac{1}{65}$
 $\frac{1}{66}$
 $\frac{1}{67}$
 $\frac{1}{68}$
 $\frac{1}{69}$
 $\frac{1}{70}$
 $\frac{1}{71}$
 $\frac{1}{72}$
 $\frac{1}{73}$
 $\frac{1}{74}$
 $\frac{1}{75}$
 $\frac{1}{76}$
 $\frac{1}{77}$
 $\frac{1}{78}$
 $\frac{1}{79}$
 $\frac{1}{80}$
 $\frac{1}{81}$
 $\frac{1}{82}$
 $\frac{1}{83}$
 $\frac{1}{84}$
 $\frac{1}{85}$
 $\frac{1}{86}$
 $\frac{1}{87}$
 $\frac{1}{88}$
 $\frac{1}{89}$
 $\frac{1}{90}$
 $\frac{1}{91}$
 $\frac{1}{92}$
 $\frac{1}{93}$
 $\frac{1}{94}$
 $\frac{1}{95}$
 $\frac{1}{96}$
 $\frac{1}{97}$
 $\frac{1}{98}$
 $\frac{1}{99}$
 $\frac{1}{100}$

استقامت وادب يتفهمونهم بعد حين عيتهم، استمر

بسمان مملکتہ ۱۵۱۱ و فی تحریر الاحمر فی سدر

الامر بتقديم صدقه قبل مناجاة الرسول ﷺ و

استمعوا أن الرسول ﷺ مقامًا خاصًا عند

1

(١) اللوالدين.

(۸) محدودیات.

三

المسلمين النبي ﷺ عن الهلال لم يظهر أول الشهر صفيراً ثم يكبر ولم لا يكون على حالة واحدة كالشمس؟ أجابهم سبحانه عن الحكمة في ذلك فقال: قل لهم النبي جعل الله تعالى حالة الأهلة كما ترون لتكون مبينة لأوقات أعمال الناس الدينية كالصوم وعدة الطلاق والحج، والدينية كالإجارة والرهن وسداد الديون. انظر الآية (٥) من سورة يونس صفحة ٣٦٦. والآية (١٢) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٥.

وكان من عوائد العرب التي لا أصل لها أنهم كانوا إذا رجعوا من الحج لا يدخل الرجل بيته من بابه بل يدخل من خلف الخيام إن كان من أهل الخيام، ومن ثقب في خلف البيت إن كان من أهل البقاء، طائفتين من سفوف الباب يحول بينهم وبين رحمة السماء ويحسبون فعلهم هذا يرايهم إلى الله. وقد بقيت هذه العادة إلى ما بعد الإسلام، فقد روى البخاري أن بعض الأنصار كانوا إذا حجوا دخلوا البيوت من ظهورها، فأبطل سبحانه هذا التخريف بأسلوب التوبيخ والإرشاد فقال (وليس البر) إلخ أي ليس عمل الخير أن تدخلوا البيوت من خلف ولكن العمل المقرب لله هو عمل من اتقى الله وعمل ما تقدم بيانه في الآية (١٧٧) من هذه السورة صفحة ٣٢٣، ٣٢٤.

فلا تعصوا أمره. وكان مشركو مكة منغوه وأصحابه من دخول مكة معتصراً في السنة السادسة ثم صالحوه صلح الحديبية المشهور على أن يمكثوه من الدخول في العام القادم، فلما حل الموعد وطلب ﷺ من أصحابه أن يتجهزوا بأدوات الحرب مخافة أن يغدر بهم الكفار، جزع بعضهم خوفاً القتال في الحرم وفي وقت الإحرام، فأنزل الله تعالى ﴿وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم﴾ إلخ، فأذن لهم في القتال دفاعاً ليمكثوا من عبادته التي هي سبيل رضا، ولا يمتدوا باليد بالقتال فإذا بدءوا هم فاقتلوهم في أي مكان وجدتموهم فيه من حل أو حرم وأخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها. والبيداء أظلم، وفتنتهم لكم بمكة أيام ضعفكم بتعذيبكم ومحاولة إكراهكم على الكفر أشد قسوة على الحر من القتل. ثم استثنى من عموم الأمكة المصرح لهم بالقتال فيها المسجد الحرام فقال: ﴿ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ المراد أن من دخل منهم المسجد يكون آمناً إلا إذا بدأ هو بالقتال فيه، فإن قاتلوكم فيه فاقتلوهم. لأن المدافع غير ملوم.

لَا تَكُونُ مِثْلَ مَا كُنْتُمْ دُونَ اللَّهِ فَإِنْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
الْأَعْلَى الظَّالِمِينَ ۝ الشَّرُّ لَكُمْ وَ الشَّرُّ لَكُمْ
وَأَنْتُمْ قَصَاصٌ مِمَّنْ أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
يَعْلَى مَا عَنِتُّمْ عَلَيْهِمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ
الْمُتَّقِينَ ۝ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْرَأُوا بِاللَّهِ
إِلَّا أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ
وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ
أَنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُرِيباً أَوْ يَدِيراً أَدَّى مِنْ رَأْسِهِ قَدْحَةً
مِنْ صَبَإٍ أَوْ صَدَقَةً أَوْ سَبْطَةً فَإِذَا أَمْسَمَ قَدْ خَمَعَ
بِالْعَمَةِ إِلَى الْحَجِّ مَا اسْتَبَسَّرَ مِنَ الْحَدْيِ قَدْ لَمْ يَجِدْ
فَصَبَّامٌ لَنْتُهُ أَلَيْسَ فِي الْحَجِّ وَبِسَبِّهِ إِذَا رَجَعْتُمْ بَلَكَ عَتَرَةٌ

﴿فلا عدوان﴾: المراد فلا مجازاة على التعدي.

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾: أي

انتهاك حرمة الشهر الحرام يكون بانتهاك غيركم لحرمة، والأشهر الحرم أربعة كما في

الآية (٣٦) من سورة التوبة صفحة ٢٤٦.

﴿والحرورات﴾: الحرورات كل ما يجب احترامه والمحافظة عليه.

﴿قصاص﴾: أي يجزى فيها القصاص وهو

القابلية بالمثل كما تقدم في الآية (١٧٨) من

هذه السورة صفحة ٣٢٤.

﴿فاعتدوا عليه﴾: انظر ما قيل في شرح

قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتهم فاعقبوا بمثل ما عوقبتهم به﴾ صفحة ٣٦٢. ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾: أي لا تعرضوا أنفسكم إلى الهلاك بسبب بخلكم عن الإنفاق في شراء عدة القتال، لأن ذلك يمكن عدوكم من إهلاككم.

﴿التهلكة﴾: مصدر بمعنى الهلاك، والباء في ﴿بأيديكم﴾ جاءت في المفعول لتأكيد وقوع الفعل عليه، والأصل: لا تلقوا بأيديكم، والمراد أنفسكم، كما تقول لصاحبك لا تلق بمالك في البحر. ومثل الباء هنا الباء في (يجزع النخلة) الآية (٢٥) من سورة مريم صفحة ٣٩٨، ومثلها أيضاً الباء في (بسبب) الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٥.

﴿الحج والعمره﴾: تقدما في الآية (١٥٨) من هذه السورة صفحة ٣٠.

﴿أحصرتم﴾: منعتم عن إتمامهما بمناع قهرى. ﴿استيسر﴾: تسرر لكم الحصول عليه.

﴿الهدى﴾: هي الذبائح التي يهديها الحاج لفقرائه بيت الله وأقلاها شاة.

ولم يكن أهله حاضري المسجد

الحرام: أي يكون من غير أهل الحرم

القيمين في مكة أو فيما حولها داخل منطقة

الحرم التي يحرم صيدها وقطع شجرها.

فوفرض فيهن الحج: أوجبه على نفسه

بالشروع فيه

فرقت: تقدم بيانه في الآية (١٨٧) من

هذه السورة صفحتي ٣٦، ٣٧.

ففسوق: معصية.

فجدال: خصام.

فجناح: إثم.

فأفقتهم من عرفاتهم: أصبل معني هذه

المادة (فاض) سال الماء بكثرة، يقال فاض الماء في الوادي أي سال، واستعمل مجازاً في غير

الماء، فيقال فاض القدر أي كثر في الناس، وأفاض الرجل الماء أي جعله يسيل، ثم استعمل

(أفاض) مجازاً في الدفع بقوة، ومنه ما ههنا، ومنعوله محذوف وجوبا للعلم به، والأصل إذا

أفقتهم أنفسكم من عرفات، أي إذا دفعتم أنفسكم، والبراد إذا انصرفتم من عرفات.

فأشعر الحرام: حيل يعزذنة ثبت أنه ^{يُحِلُّ} بعد أن صلى الصبح ركب ناقته ووقف فوقه

مستقبلاً القبلة وصار يدعو الله ويذكره ويحمده حتى طلعت الشمس ثم سار إلى منى.

فمناسككم: عبادات الحج، وأراد أشد ذكراً: (أراد) بمعنى بل كما في الآية (١٤٧) من سورة

الصفحات صفحة ٥٩٥.

العنى: ذلك الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام إنما يكون على الحاج المستمتع إذا

كان غير مستوطن في الحرم، أما إذا كان المستمتع من أهل الحرم فلا دم ولا صيام، ولتقوا

(٥) فمناسككم.

(٤) هداكم.

(٣) عرفات.

(٢) الألبان.

(١) معلومات.

كَلِمَةً ذَاكَ لِيَنْزِلَ عَلَيْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

الْحَرَامِ وَأَنْتُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

وَلَا تُسَوِّقُوا وَلَا يَدْعَا فِي الْحَجِّ وَلَا تَتَسَوَّلُوا مِنْ خَيْرِ

بَيْتِهِ اللَّهُ وَرُودُوا وَأَنْتُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

يَتَأْتِي الْأَنْبِيَاءَ لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قَوْدًا لِنَفْسِكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

النَّبِيِّ أَلَمَّا وَأَذْكُوه كَذِبًا إِنَّكُمْ مِنْ قِبَلِهِ

لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قَوْدًا لِنَفْسِكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

النَّبِيِّ أَلَمَّا وَأَذْكُوه كَذِبًا إِنَّكُمْ مِنْ قِبَلِهِ

لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قَوْدًا لِنَفْسِكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

النَّبِيِّ أَلَمَّا وَأَذْكُوه كَذِبًا إِنَّكُمْ مِنْ قِبَلِهِ

لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قَوْدًا لِنَفْسِكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

النَّبِيِّ أَلَمَّا وَأَذْكُوه كَذِبًا إِنَّكُمْ مِنْ قِبَلِهِ

لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قَوْدًا لِنَفْسِكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

النَّبِيِّ أَلَمَّا وَأَذْكُوه كَذِبًا إِنَّكُمْ مِنْ قِبَلِهِ

لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قَوْدًا لِنَفْسِكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

النَّبِيِّ أَلَمَّا وَأَذْكُوه كَذِبًا إِنَّكُمْ مِنْ قِبَلِهِ

لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قَوْدًا لِنَفْسِكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

النَّبِيِّ أَلَمَّا وَأَذْكُوه كَذِبًا إِنَّكُمْ مِنْ قِبَلِهِ

لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قَوْدًا لِنَفْسِكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

النَّبِيِّ أَلَمَّا وَأَذْكُوه كَذِبًا إِنَّكُمْ مِنْ قِبَلِهِ

لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

رَبِّكُمْ قَوْدًا لِنَفْسِكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

النَّبِيِّ أَلَمَّا وَأَذْكُوه كَذِبًا إِنَّكُمْ مِنْ قِبَلِهِ

لَنْ يَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ كَذَبُوا كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ

فحمله: المكان الذي شرع ذبحه فيه وهو جوار الكعبة، فحمله: حيوان يذبح وأقله شاة.

فوضع بالعمرة إلى الحج: أي جمع بينهما مقدما للعمرة والتحلل فيها ثم يشرع بعد ذلك في

أعمال الحج.

المعنى: وقاتلوا هؤلاء المعتدين حتى نذهب قوتهم التي يفتنون بها من أمن ويمعنونه من

إظهار عقيدته، وبهذا يكون الدين الذي شرعه الله على لسان أنبيائه خالصا له تعالى ليس فيه

شيء من مظاهر الشرك، فإن انتهوا عن مقاتلتكم وصدكم عن دينكم فكفوا عن قتالهم لأنه لا

عدوان إلا على الظالم أي لا مجازاة إلا على المعتدى الظالم، فإذا كفوا فلا ظلم منهم فلا

مجازاة منكم، ثم أكد مجازاتهم في أسلوب قاعدة عامة ليدفع تعرج المسلمين من القتال في

الأشهر الحرم فقال (الشهر الحرام) الحج.

أي انتهك حرمة تكون بسبب انتهالك غيركم لحرمة، وكذا كل ما يجب احترامه يجري فيه

التخصص، فمن اعتدى عليكم فجازوه بمثل ما فعل، وقاتلوا الله فلا تعصوه ولا تتجاوزوا المثل

حتى تلقوا بأنفسكم في الهلاك، لأن الله تعالى مع المعتدين بالنصر والتأييد، وإذا كان الكفار

فنتركم ولا يزالون يقتلون إخوانا لكم فلا تتخلوا في الإنفاق في طريق طاعة الله تعالى من

جهاد وغيره، وأحسنوا كل أعمالكم واتقوها فإن الله يحب المحسنين ويجازيهم بجز الدنيا

ونعيم الآخرة، وأدوا الحج والعمرة لله تامين، وقد تقدم بيان أركانها في الآية (١٥٨) من هذه

السورة صفحة ٣٠، فإن منعكم عدو أو حيوان مفترس أو غير ذلك عن الإتمام فقدموا ما تيسر

لكم من الهدى إلى فقراء بيت الله، ولا تخلقوا دعوكم، أي استمروا على إحرامكم حتى يبلغ

الهدى الكعبة، وإذا كان المحرم الممنوع من حلق الرأس مريضا يضربه عدم الحلق أو به ما

يؤذيه في رأسه كجرح أو قمل يؤذيه عدم الحلق أيضا فله أن يحلق ويفدى بصيام ثلاثة أيام،

أو صدقة مقدار إطعام ستة مساكين لكل مسكين مقدار عشر كيلة بالكيل المصري من قمح أو

تمر أو بذبح نسلك مثل شاة مثلا فإذا أتممت بذهاب سبب الخوف الذي منعكم من الإتمام فمن

تمتع بالعمرة أي جاء بها أولا ثم تحلل منها ومكث مدة إحلاله ثم شرع في أعمال الحج قبيل

يوم عرفة فعليه نظير تمتعه بما يتبع به غير المحرم بين العمرة والحج أن يقدم لقراء البيت

ما تيسر له من الهدى يذبحه يوم النحر، فمن لم يجد هديا لعمده أو لعجزه عن ثمته فعليه

صيام ثلاثة أيام في أيام الإحرام بالحج تمتد إلى نهاية يوم عرفة، وسبعة أيام إذا رجع، فيكون

صيام عشرة كاملة.

الجميع عشرة كاملة.

واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، واعلموا أنه شديد العقاب لمن خالفه. ثم بين سبحانه وقت الحج الذي لا يصح إلا فيه فقال (الحج أشهر معلومات) أي وقت الحج الذي يصح فيه هو أشهر معلومات عند الناس من عهد إبراهيم عليه السلام، وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة. والمراد أن الإحرام يصح في أي وقت منها، وتنتهي أركانه وواجباته في أثناء آخرها، وأما العمرة فتصح في جميع أيام العام، فمن أوجب على نفسه الحج بالشروع فيه فيجب عليه وجوباً مؤكداً أن يعتمد عن ملازمة النساء وعن المعاصي والخصوصيات التي قد تغير القلوب في وقت يطلب فيه أن تكون صافية. وما تفعلوا من خير غير ذلك كصدقة أو طواف يعلمه الله فيجازيكم عليه أحسن الجزاء، وتزودوا بالأعمال الصالحة في موسم الطاعة العظمى لأن خير الزاد التقوى ليقائه، وما عداه زائل. ومن كان له عقل فليحذر ما يفضي به، وليس عليكم مؤاخذة في أن تطلبوا رزقاً حسناً من فضل ربحكم بتجارة أو غيرها مادام قصدكم أولاً هو الحج، لأن طلب الرزق لا ينافي الإخلاص في الحج. فإذا انصرفتم من عرفات بعد غروب الشمس ووصلتم مزدلفة فادكروا الله تعالى بالتلبية والتهايل والدعاء عند المشعر الحرام، وادكروا ذكرنا حسناً كما هداكم هداية حسنة، لأنكم كنتم قبل هذا الهدى الإلهي من الضالين البعيدين عن الحق، ولما كان من عادة أشراف العرب أنهم يقفون في بعض أماكن الحج وحدهم ويفيضون وحدهم قبل الناس استكباراً على غيرهم مع أن أعمال الحج تنادي بالمساواة في حرم الله، أبطل سبحانه تلك العادة بقوله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ مما سلف. فإذا فرغتم من عبادتكم في الحج فادكروا الله كذكركم آباءكم إني. وقد كانت العرب في الجاهلية إذا فرغوا من أعمال الحج تجمعوا في منى للتفاخر بذكر محاسن الآباء شمعراً ونثراً لينتشر في القبائل، فمنع سبحانه ذلك وصرفهم إلى ما يفيد وهو ذكر الله وحده بحماسة ونشاط مثلما كانوا يذكرون آباءهم عند التفاخر، بل يجب أن يكون ذكركم لله تعالى أقوى وأشد من ذكركم لأنفسهم، لأن فضله سبحانه لا يساويه فضل. ثم بين سبحانه أن الناس في ذكركم له تعالى ودعائهم ينقسمون بحسب استعدادهم وما يشغل قلوبهم إلى قسمين، فمنهم من يقول في ذكركم ربنا آتياً في الدنيا حظناً منها، وهذا ليس له في الآخرة نصيب من الخير.

فِي الْآخِرَةِ مَنْ خَلَّى ﴿١﴾ وَبَنِيهِمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَدْ عُلِّمَ الْكَلَامَ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَصِبْ مَا كُتِبَ لَهُمْ وَلَهُمْ سُرْعُ الْحِسَابِ ﴿٣﴾ * وَذَكَرَ اللَّهُ فِي آيَةِ مَعْدُونَةٍ مَنْ تَعَمَّلَ فِي يَوْمِهِمْ فَلَا يَمُوتُ عَلَيْهِمْ وَنَافِرٌ وَلَا يَمُوتُ عَلَيْهِ لَيْسَ أَتَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْعَمَلُ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٤﴾ وَمَنْ كَفَرَ بِالنَّاسِ مِنْ بَعْدِ مَا قَبِلَهُمْ فِي الْحَقِّ الدِّينِ وَبَشِّرِ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ اللَّهُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّاسَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ الْأُولَى حَسِبَهُمْ لَيْسَ الْبَاهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ نَبَأَ النَّاسَ مِنْ بَرِّى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْغَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ

صنفتي ٧٤٢، ٧٤٣، وتصريحهم بالحلف في الآية (٧٤) من سورة التوبة صفحة ٢٥٤.

﴿الند الخصام﴾: أشد في المخاصمة.

﴿الحرت﴾: ثمرات الأرض كالزرع.

﴿النسل﴾: ما يتناسل من حيوان ينتفع به.

﴿أخذته العزة بالإثم﴾: العزة في الأصل خلاف الذل، انظر الآية (١٨٠) من سورة ص صفحة ٥٧٧، وأريد بها هنا التكبر. فالمعنى استولت عليه أنفة الكبر مقرونة بالإثم أي الذنب.

﴿ليس المهاد﴾: قبح المكان الذي أعد لإقامته وهو جهنم.

﴿يشري﴾: يبيع وشري تستعمل عند العرب في أخذ أو إعطى.

(١) خلق.

(٢) معدونات.

(٣) الحياة.

﴿خلق﴾: نصيب.

﴿أيام معدونات﴾: هي الأيام الثلاثة بعد يوم العيد.

﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾: نفى الإثم في

الحالين. ردا على ما كان يزعمه العرب في الجاهلية، بعضهم يقول بأنهم إذا تعجلوا وأخسروا يقولون بأنهم إذا تأخروا، فإبطال كل ذلك، وبهذا تعلم أنه لا ينافي أفضلية التأخير.

﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾: العرب تستعمل هذا التعبير كناية عن الحلف بالله،

انظر الآيتين (١)، (٢) من سورة المنافقون

﴿وقضى الأمر﴾: أي تم أمر إهلاكهم. ﴿لکم آتیاهم﴾: (کم) اسم بمعنى كثير (من آية) (من) حرف يدل على أن ما بعده بيان لهذا الكثير.

﴿کأن الناس أمة واحدة﴾: أي وجد الناس حال كونهم طائفة واحدة مشبكية المصالح والمنافع يعاج بعضهم إلى بعض متميزة عن غيرها من بقية الحيوانات والطيور، انظر أصل (أمة) في الآية (٨) من سورة هود صفحة ٢٨٥.

المعنى بأنها الذين نطقوا بكلمة الإيمان ابتعدوا عن النفاق وادخلوا في الإسلام الصحيح بكل أحوالكم الظاهر منها والباطن ولا تجطروا شيئاً من باطنكم يخالف ظاهرهم، ولا تتبعوا سبيل الشيطان الذي يبعدكم عن الصواب لأنه عدو لكم ظاهر العداوة، والعدو لا يدل على خير، فإن انحرفتم عن طريق الإسلام الصحيح من بعد ما جاءتكم الحجج الظاهرة الدالة على أن الله تعالى يرشدكم إلى الخير، والشيطان يدلکم على الهلاك، فاعلموا أن الله عزيز قوي غالب لا يعجزه شيء، عن الانتقام منكم، حکم لا يسو بين مؤمن وفاسق، انظر الآية (١٨) من سورة السجدة صفحات ٥٤٦، ٥٤٧، ثم بين سبحانه نهاية الوعيد بقوله: ﴿هل ينظرون﴾ أي ينتظرون كما في الآية (١٨) من سورة محمد صفحة ١٧٥، أي يجب ألا ينتظر هؤلاء الذين اتبعوا الشيطان إلا شراً هو أن يأتيهم عذاب الله فجأة مستوراً في ظلل من الغمام حتى تكون حسرتهم شديدة، انظر الآية (٢٤) من سورة الأحقاف ٦٦٩، ٦٧٠، وتأتيهم الملائكة المكلفون بعدائهم وعند ذلك يتم أمر إهلاكهم، وإليه سبحانه مرجع كل شيء، ومنه مرجعهم فيعاقبهم بعد الهلاك بأشد العذاب، وبعد ذلك أزد سبحانه أن يذكر هؤلاء العاقلين بما حل بهم قبلهم لما خافوه سبحانه فقال: ﴿سل من إسرائيل، ألخ أي أسأل يا من تنتقم بالسؤال بني إسرائيل عن الآيات الكثيرة التي آتيناها لهم على لسان أنبيائهم واضحة في الدلالة على طريق الحق، قبل أن يشكروا عليها كفرؤا بها، ومن يبدل نعمة الله الدالة على الهدى والرشاد من بعد علمها وتيقنها فلا بد من عقابه عقاباً شديداً؛ لأنه تعالى شديد العقاب لمن كفر نعمته ثم بين سبحانه سبب الغفلة عن الآيات فقال: ﴿زين للذين كفروا، ألخ، أي زين لهم الشيطان زخارف

الدنيا فانصرفوا إلى طلبها، وغفلوا عن النظر في الدليل النافع حتى بلغ من غرورهم أنهم يسخرون من المؤمنين الفقراء لحرمانهم في زعمهم من نعيم الدنيا الذي يحسبونه كل شيء، مع أن الذين آمنوا واتقوا سيكونون فوقهم يوم القيامة في جنة عالية وهم في الهواية وهي النار الحامية، ثم بين سبحانه أن رزق الدنيا ليس خاصاً بتقى دون شقى، بل هو مبدول لكل مخلوق، فقال: ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ أي رزقاً واسعاً، بل قد يكون للكافر أوسع استدراجاً له ليزداد كفراً فيزداد عذاباً، انظر الآيات (٧١) وحتى (٨٣) من سورة القصص صفحات ٥١٧، ٥١٨، والآيات (٣٤)، (٣٥)، (٥٥) من سورة التوبة صفحات ٢٤٥، ٢٤٦، والآيات من (٣١) إلى (٣٥) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠، ولقد أوجد الله الناس أمة واحدة ذات طابع خاص لها مميزات تميزها عن بقية المخلوقات بالعتل والتفكير وتشابك مصالحهم في الماش وتزاحمهم، وهذا مع قصر عقولهم عن معرفة ما فيه سعادتهم على الوجه الصحيح كان السبب في أن الله رحمهم، فأرسل إليهم رسلاً ينظمون حياتهم ويبشرونهم بالنعيم الدائم إذا أطاعوا، ويخيفونهم من عذاب الله إذا عصوا، وأنزل مع الرسل الكتاب والمراد جسده أي كتباً مملوءة بالحق ليحكم الله بها على لسان رسله فيما يختلفون فيه تبعاً لاختلاف أعراضهم.

﴿أم حسبتم﴾: (أم) حرف متضمن معنى حرفين الأول (بل) التي تفيد الانتقال من كلام إلى آخر والثاني همزة الاستفهام الإنكارى المفيد للنفي فيكون حاصل معنى (أم) بل ليس الأمر كما تظنون.

﴿مثل الذين خلوا من قبلكم﴾: مثل الوصف العظيم والحال التي تستلقت الأنظار حتى أصبحت يضرب بها المثل، أي حال الذين مضوا من الأمم قبلكم.

﴿الأساء﴾: ما يصيب الإنسان في غير نفسه كفقد ولد أو مال.

﴿الضرأ﴾: ما يصيبه في نفسه كالمرض.

﴿زلزلوا﴾: أزعجوا إزعاجاً شديداً.

﴿الفتنة﴾: الابتلاء الشديد والامتحان

القاسى.

﴿حبطت﴾: بطلت فلا تنفع صاحبها في

إنقاذه من الخلود في النار.

﴿الميسر﴾: القمار بكل أنواعه.

﴿العفو﴾: قال الراغب: العفو هو ما سهل

إنفاقه. وقال صاحب الأساس: يقول العرب:

هذا من عفو مالى أى من حلاله وطيبه،

وأعطيته الشيء عفواً أى من غير طلب منه.

وقال صاحب النار: يطلق العفو في اللغة على

معانٍ على الجيد الخالص من الدخيل وعلى

الفاضل الزائد عن الحاجة، وعلى السهل

الذى لا كلفة فيه ولا مشقة في إنفاقه على النفوس وهذا هو المراد هنا كما سيأتى في الآية

(١٩٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥. وله معنى سلبى ومنه عفت الريح آثار الديار أى

أزالتها. وعفا الله عن الذنب أى أزال أثره من العقاب. والغالب أنه ما زاد على مقدار حاجة

الشخص وعفاله.

المعنى: أرسل ﷺ سرية إلى مكة تستطلع أحوال قريش بعد واقعة بدر الأولى، فلقيت بعض

كفار قريش فتقاتلوا، وقتل المسلمون رجلاً من المشركين، وكان ذلك في أول يوم من رجب وهم

(١) يقاتلونكم.

(٢) استطاعوا.

(٣) أعمالهم.

(٤) أصحاب.

(٥) خلدون.

(٦) وجاهدوا.

(٧) ومنافع.

(٨) الآيات.

(سورة البقرة)

٤٢

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَحْرِ الْكَرَامِ قُلْ فِيهِ قُلٌّ وَإِذْ كَبُرُ
وَصَدُّعٌ سَبِيلَ اللَّهِ وَكَفَرِيهِ وَالْمَسْجِدَ الْكَرَامَ وَإِخْرَاجُ
أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْبَيْتُ الْأَكْبَرُ مِنَ الْقُبُلِ
وَلَا يَزَالُونَ يَقْبَلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ
اسْتَظْمَرُوا وَمَنْ يَرُدَّكُمْ عَنْ دِينِهِ فَبِمَا كَفَرُ
فَاتَّيْتُكَ حَبَطَ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوتِيكَ
أَحْسَبُ النَّارَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩٩﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجْهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْتِيكَ رِجْرَجٌ
رَحِمَتْ اللَّهُ أَهْلَهُ فَأَتَوُوا مَلَكَهُمْ فَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ
فَتُخَرِّجُهُمْ كُلٌّ حِمًّا بِمَا كَفَرُوا مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ لِلنَّاسِ
وَأُفٍّ لَهُمْ مِنْهُمْ وَنُفٍّ لَهُمْ مِنْهُمْ وَنُفٍّ لَهُمْ مِنْهُمْ
وَأُفٍّ لَهُمْ مِنْهُمْ وَنُفٍّ لَهُمْ مِنْهُمْ وَنُفٍّ لَهُمْ مِنْهُمْ
وَأُفٍّ لَهُمْ مِنْهُمْ وَنُفٍّ لَهُمْ مِنْهُمْ وَنُفٍّ لَهُمْ مِنْهُمْ

سورة البقرة

لا يعلمون أنهم دخلوا في شهر رجب، فاشاعت قريش في القبائل أن محمداً ينتهك حرمة
الأشهر الحرم، فتسائل الناس من كمار ومسلمين، فانزل الله سبحانه «يسألونك عن الشهر
الحرام، الخ، أى عن القتال في الشهر الحرم المحرم القتال فيه وهو رجب أحد الأشهر الأربعة الحرم،
وبقيتها ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، قل لهم أيها النبي: حنأ القتال في الشهر الحرم ذنب
كبير، لكن هناك ما هو أكبر وأبشع جرماً منه فينبغى أن تتبععدوا عنه إذا كنتم جادين في

المحافظة على حرمات الله، ذلك هو صدكم أي منكم النبي ﷺ وأصحابه عن سبيل الله أى

إقامة دينه تقتلكم من يؤمن أو تعذيبه بأقسى أنواع العذاب، وكفركم به تعالى وهو خالفكم

ورازكم، ومنعكم المؤمنين عن دخول المسجد الحرام وإخراجكم أهل هذا المسجد، وهم النبي

وأصحابه منه أى من بلده مكة، فكل ذلك من الصد عن سبيل الله والمسجد، والكفر به تعالى

وإخراج المؤمنين من بلدهم أكبر عند الله، أى أعظم وزراً في حكم الله تعالى من قتل رجل في

أول يوم من رجب خطأ لجهله بدخول زمن الشهر، وقد علمتم أن فتنة الناس عن دينهم أكبر

وزراً من القتل في الشهر الحرم كما تقدم في الآية (١٩١) من هذه السورة صفحة ٣٧، ثم بين

سبحانه للمؤمنين خطاهم في الطمع في إيمان هؤلاء المشركين وشدة عنادهم فقال ولا

يزالون، أى سيستمر هؤلاء الذين تكرهون قتالهم يقاتلونكم في كل فرصة إلى أن يردوكم إلى

الكفر إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ومن يرجع منكم إلى الكفر ويستمر حتى يموت كافراً فقد

بطل كل ما عمله من خير، وحرم ثمرته في الدنيا، فلا يكون له ما للمسلمين من مزايا

الإسلام، وفي الآخرة فلا ينال من نعيمها شيئاً، بل سيكون من الخالدين في النار. أما الذين

أمنوا وحافظوا على إيمانهم والذين هاجروا من مكة وطنهم خوفاً على دينهم وجاهدوا

بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله فإنهم يعق لهم أن يرجوا رحمة الله أى جنته، والله تبارك

وتعالى غفور لهفواتهم، رحيم لا يؤاخذ المخلص بما فعل خطأ، ولما كثر تساؤل المسلمين عن

حكم الخمر والميسر وعندما تهبوا لشروهما قال سبحانه: قل لهم أيها النبي إن في تطاطبهما

دنبا كبيراً، وفيهما أيضاً منافع دينية للناس بالتجارة في الخمر وكسب المال دون مشقة في

الميسر، ولكن ذنبهما أعظم ضرراً من فائدتهما، ففى الآية ترغيب التارك، ثم جاءت بعد ذلك

الآية (٩٠) من سورة المائدة صفحة ١٥٥ قاطعة في التعريم، وهنا يحسن أن نقف على سر

عظيم من أسرار رحمته تعالى بعباده وهو الذى خلقهم ويعلم مواطن الضعف منهم، ذلك أنه

سبحانه: قل لهم النبی: إصلاح لهم، أى مخالطة على وجه الإصلاح لهم بالترقية والتهدیب وأموالهم بالحفظ والتمیة، خیر من مجانبتهم فی المیة مع ترك ذلك، لأنكم إن تخالطوهم فی الماشرة والأكل معهم إخوانكم فی الدین، ومن حق الأخ أن یخالط أخاه على الوجه اللائق الذی فیهِ صلاحه ولا یقاطعه لما فی ذلك من تعویده على الجفوة، والله یعلم المفسد لهم وأموالهم عند المخالطة من المصلح لهم ولها فیجازی كلا حسب عمله، ولو شاء الله تحمیلکم المشقة بتحریم المخالطة لفعل وأخرجكم كما شدد على من قبلکم كما فی آخر آیه من هذه السورة، لأنه عزیز أى غالب یقدر على فعل ما یشاء، حکیم لا یکلف نفسه إلا ما فیهِ مصلحتها، ولما استأذن بعضهم فی أن یتزوج مشرکة نزل قوله تعالى: ولا تتکفوا أنها المؤمنون النساء المشرکات أى الکافرات غیر الکتابیات والله لامرأة رقیقة مؤمنة خیر من مشرکة غایة التباين فیما یجب لله عز وجل، وفى اعتقاد الرسل، وفى الیوم الآخر، بخلاف الکتابیة فإنها تؤمن بالله ورسله والیوم الآخر. ولا تتکفوا أى تزوجوا الرجال المشرکین النساء المؤمنات حتی یؤمنوا بالله، والله إن العبد الرقیق المؤمن خیر من مشرک حر ولو أعجبکم المشرک. ثم بین سبحانه بعض أسباب المنع فقال أولئك، أى أهل الشریک من شأنهم أنهم یدعون ویرغبون فی أسباب دخول النار کحب الأصنام والتوسل بها، فمن الخطر معاشرتهم، والله تعالى یدعو على لسان رسله إلى أسباب دخول الجنة والفطرة بإذنه وتوفیقه من یستحق ذلك أى فأطیعوا أسباب دخول النار کحب الأصنام والتوسل بها، فمن الخطر معاشرتهم، والله تعالى یدعو على أوامره. ومن فضله سبحانه أنه یدین ویوضح دلائل حکمة شرعه للناس، لهم لتذكرون أن الحکمة فیما شرع. ولما رأى المسلمون أن الیهود لا یخالطون الحائض مطلقا حتی فی الماکل والمسکن، والتصداری یمسوهن فی الحیض کالمطاهرات سألوا عن ذلك، فنزل: «یسألونک عن تقریوهن بالملامسة حتی ینتهی الحیض ویغتسلن، أما غیر الملامسة من أكل وغیره فلا حرج، فإذا تطهرون فلامسوهن فی المكان الذی أمر الله عز وجل بالإتيان فیهِ وهو موضع النسل، إن الله یحب التوابین الذین إذا ذنبوا تابوا، ویحب المتطهرین من الأقدار الحسبیه والمعنویة. ثم بین سبحانه ما أشار إلیه فی قوله: «من حیث أمرکم» مع الإشار بال حکمة فیما أمر به فقال: «نساءکم حرتکم» أى مکان ترزعون فیهِ الولد فلا تصیبوا الحکمة وتتركوا مکان الرزق.

۱۰۱

﴿عُرْضَةٌ﴾: قيل في المصباح تقول العرب: لا تعرض لفلان بكسر الراء في (تعريض) أى لا تعرض له فتمتنعه بسبب اعتراضك من أن يبلغ مراده. ويقال: سرت في الطريق فغرض لى فيه عارض من جبل أو نحوه، أى مانع، والعرب لم تستعمل وزن (فُعْلَةٌ) بضم فسكون إلا بمعنى المفعول فيقولون (غرفة) من ماء أى مقداراً مغروباً منه، كما فى الآية (٢:٤٩) من هذه السورة صَفَحَتى ٥١، ٥٢. ويقولون (مُضَفَّة) أى مقدار ما يُمَضِّغ فى الفم انظر الآية (٥) من سورة الحج صفحتى ٤٣، ٤٤. و(القمة) أى شئ، يلثم، وهكذا. وعرضة هنا وضعت عليه ليمنع دخول شئ فيه، فالعود

(عبرضة) أى مانع.

الأيامانكم): جمع ممين وهو صولة على الح

جمع الغنيين الحديث الشريف وهو قوله ﷺ: (من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فليكثر عن يمينه وليفعل الذي هو خير) فاليمين الأولى بمعنى المألوف عليه، والثانية بمعنى الحلف نفسه، والمراد في الآية هو المألوف عليه.

- (١) ملائكة.
(٢) إيمانكم.
(٣) إيمانكم.
(٤) الطلاق.
(٥) والمطلقات.
(٦) ثلاثة.
(٧) إصدااحا.

الخير، أو أن يفعل كذا من الشر، فإذا قيل له لم تفعل هذا الخير؟ يقول أخاف أن الحنث في يميني، فأنزل الله «ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم.. إلخ» أي لا تجعلوا الحلف بالله مانعا من فعل المحلوف عليه من الخير، بأن تجعلوه مانعا من بركم بإراحاكم وبإسباكم، ومانعا من أن تتقوا ما حرم عليكم، ومانعا من أن تصلحوا بين الناس فيفسدهم الشقاق. وقد بين تفسير أن من حلف على شيء من ذلك لا يفعل المحلوف عليه بل يفعل الخير ويتترك الشر ويكفر عن يمينه، والله سميع عليم، فلا تخافوا أوامره، واعلموا أن رحمته سبحانه بكم أنه لا يؤاخذكم باللغو في إيمانكم التي تجرى على ألسنتكم من غير قصد، فلم يعتبر يمينًا يكفر عليه عند الحنث، وإنما يؤاخذكم باليمين المقصود لكم المصمم عليه من قلوبكم، فلو أخذكم عند الحنث فيه بالكفارة أو العقاب في الآخرة إذا لم يكن له كفارة، كالإيمان الكاذبة أو على شهادة الزور، والله عز وجل غفور لعباده ما كان منهم من اللغو، حليم فلا يعجل العقوبة لتيوب العبد.

يقول الفخر الرازي: «لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم» في الآية مسألتان: المسألة الأولى «اللغو» الساقط الذي لا يعتد به سواء كان كلاما أو غيره كقوله سبحانه «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وقوله «ولا تسمع فيها لافية».. أما المفسرين فقد ذكروا وجوها: الأول: قول الشافعي أنه قول العرب (لا والله) و(بلى والله) مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف، والثاني: قول أبي حنيفة أن اللغو هو أن يحلف على شيء يعتقد أنه كان ثم بان أنه لم يكن.

وآثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة، والحجة الأولى: قوله تفسير «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكن من يمينه وليفعل الذي هو خير». الحديث دل على وجوب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل بين المجد والهازل، الحجة الثانية أن اليمين معنى لا يلحقه النسخ، فلا يعتبر فيه النقص كالنسخ في الحنثان يوجبان الكفارة في قول الناس (لا والله) و(بلى والله) إذا حصل الحنث ثم الذي يدل على أن اللغو لا يمكن تفسيره بما قاله الشافعي ويجب تفسيره بما قاله أبو حنيفة أن اليمين في اللغة عبارة عن القوة قال الشاعر:

«إن تبرا»: بيان لإيمانكم، أي للأمور المحلوف عليها بأنها هي البر والتقوى، والإصلاح بين الناس. فيكون حاصل المعنى: لا تجعلوا الله أي الحلف بالله سبعاينة مانعا لكم من فعل المحلوف عليه الذي هو البر والتقوى.. إلخ.

(والعرضة) معنى آخر، هو ما ينصب للشيء ويُعرض له كالهدف للسهام، يقال جعلته عرضة لكذا، أي نصبته له، وكان معرضا له، ومن ذلك قول الشاعر (إن النساء لعرضة للتعلق) أي معرضات له، وإرادة هذا المعنى هنا في الآية بعيد، والأنسب هو المعنى الأول.

﴿اللغو في إيمانكم﴾: هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد نحو لا والله.

﴿كسبت قلوبكم﴾: أي ما قصدتموه وعقدتم عليه النية.

﴿يؤثرون من نسائهم﴾: أي يحالفون إلا يلامسوا نسائهم، انظر تفصيل المادة في الآية (٣٢)

من سورة النور صفحة ٤١٠.

﴿تريص﴾: انتظار.

﴿هاعوا﴾: رجعوا.

﴿عزموا الطلاق﴾: صمموا عليه.

﴿قروء﴾: جمع قرء يضم أوله وفتحه، ويطلق على المهر الواقع بين حيفتين، وعلى الحيفنة، ويرجع أن المراد بالقرء هنا الأظهار، ويؤكد ذلك تأنيث ثلاثة لأنها توثقت مع الذكر كما في أربعة أشهر، وتذكر مع المؤنث كما في سبع ليال وثمانية أيام انظر الآية (٧) من سورة الحاقة صفحات ٧٦١، ٧٦٢.. فلو كان المراد الحيضات لقال ثلاث قروء.

المعنى: فأتوا نساءكم في مكان النسل على أي وضع شئتم ما دمت تتحرون النسل الذي به يقاء النوع الإنساني، وقدموا لأنفسكم ما يقيمكم وهو طاعة الله وطلب الولد الصالح الذي يدعو لكم، واتقوا الله فلا تعصوه لأنكم ستلاقونه بعد البعث فيجازيكم، ويشتر أيها النبي المؤمنون المطاعين بكل خير. وكان الرجل يقبل عليه الغضب فيحلف بالله ألا يفعل كذا من

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أي بالقوة والمقصود من اليمين التقوية أي تقوية جانب البر على جانب الخسب اليمين وهذا يكون في الموضع الذي يكون قابلاً للتقوية وهذا إنما يكون إذا وقع اليمين على فعل في المستقبل أما إذا وقع اليمين على الماضي فذلك لا يقبل التقوية البتة. فعلى هذا اليمين على الماضي تكون خالية عن الفائدة المطلوبة منها والخالي عن المطلوب يكون لغوا. فثبت أن اللغة هو اليمين على الماضي. والقول الثالث في تفسير يمين اللغو هو أنه إذا حلف على ترك طاعة أو فعل معصية فهذا هو يمين اللغو وهو المعصية قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللغو أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ فبين أنه تعالى لا يؤخذ بترك هذه الأيمان ثم قال ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذْكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ﴾ أي بإقامتكم على ذلك الذي حلفتُم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية، فالإواخذ التفسير مناف لقوله عليه السلام «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير» وهذا التأويل ضعيف من وجهين: الأول: أن المؤاخذة المذكورة في هذه الآية صارت مفسرة في آية المائدة بقوله تعالى ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذْكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكُفَّارَتَهُ.. الآية﴾ ولما كان المراد بالمؤاخذة إيجاب الكفارة والكفارة ههنا واجبة علمنا أن المراد من الآية ليس هو هذه الصورة. الثاني: أنه تعالى جعل المقابل للغو هو كسب القلب، ولا يمكن تفسيره بما ذكره من الإصرار على الشيء الذي حلفوا عليه. لأن كسب القلب مشعر بالشروع في فعل جديد، فإما الاستمرار على ما كان فذلك لا يسمى كسب القلب. الثالث: أنها اليمين المكفرة سميت لغوا لأن الكفارة استقطبت الإثم فكانه يقول لا يؤاخذكُم الله باللغو إذا كتمتم. وهذا قول الضحاک. والقول الرابع وهو قول القاضي أن المراد به ما يقع سهواً غير مقصود إليه والدليل على قوله تعالى بعد ذلك ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذْكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ﴾ أي يؤاخذكُم إذا تعمدتم والمعلوم أن المقابل للعمد هو السهو. المسألة الثانية: احتج الشافعي بهذه الآية على وجوب الكفارة في اليمين الغموس قال إنه تعالى ذكر هنا في آية سورة البقرة: ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذْكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ﴾ وفي آية سورة المائدة ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذْكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾ وعقد اليمين محتمل لأن يكون المراد منه عقد القلب به، ولأن يكون المراد به العقد

الذي يضاد الحل، فلما ذكر هنا قوله ﴿بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ﴾ علمنا أن المراد من هذا العقد هو عقد القلب. وأيضاً ذكر المؤاخذة هنا ولأن يبين تلك المؤاخذة ما هي؟ وبينها في آية سورة المائدة بقوله ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذْكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكُفَّارَتَهُ.. إلخ﴾ فبين أن المؤاخذة هي الكفارة. فكل واحدة من هاتين الآيتين مجتمعة من وجه ومبينة من وجه آخر فصار كل واحدة منهما مفسرة للأخرى من وجه، وحصل من كل واحدة منهما أن كل يمين ذكر على سبيل الجد وربط القلب، فالكفارة واجبة فيها واليمين الغموس كذلك واجبة فيها.

﴿لَا يُوَاخِذْكُمْ اللَّهُ بِاللغو في إيمانكم﴾ قد ذكرنا أنه تعالى بين في هذا الموضع أنواعاً من الشرائع والأحكام. بقى أن يقال: أي مناسبة بين هذا الحكم وبين ما قبله حتى يحسن ذكره عقبيه؟ فنقول قد ذكرنا أن سبب نزول الآية الأولى أن قوماً من الصحابة حرّموا على أنفسهم المطامع والملابس واختاروا الرهبانية وحلفوا على ذلك فلما نهاهم الله تعالى عنها قالوا: يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا أنزل الله هذه الآية واعلم أن الكلام في أن يمين اللغو ما هو قد سبق على الاستقصاء في سورة البقرة في تفسير قوله ﴿لَا يُوَاخِذْكُمْ اللَّهُ بِاللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكُم بما كسبت قلوبكم﴾ فلا وجه للإعادة ثم قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذْكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم (عقَدْتُم) بتشديد القاف بغير ألف، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (عَقَدْتُم) بتخفيف القاف بغير ألف، وقرأ ابن عامر (عاقَدْتُم) بالألف والتخفيف. قال الواحدي يقال: عقد فلان اليمين والمهد والحبل عقداً إذا وكده وأحكمه. ومثل ذلك أيضاً عقد بالتشديد إذا وكد، ومثله أيضاً عاقد بالألف.

إذا عرفت هذا فنقول: أما من قرأ بالتخفيف فإنه صالح للثقل والكثير، يقال: عقد زيد يمينه، وعقدوا إيمانهم، وأما من قرأ بالتشديد فاعلم أن أبا عبيدة زيف هذه القراءة وقال: التشديد للتكرير مرة بعد مرة، فالقراءة بالتشديد توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحد لأنها لم تتكرر وأجاب الواحدي رحمه الله عنه من وجهين: الأول: أن بعضهم قال: عقد

رجعوا في تلك المدة أو في آخرها بأن حثوا في اليمين ولا مسموا زوجاتهم وكفروا عن اليمين فإن الله تعالى يغفر لهم ما سبق من إصرار زوجاتهم، رحيم يفتح باب التوبة. وإن صموا على الطلاق فليراقبوا الله لأنه سميع لإيلافهم، عليم بنياتهم، هل هم معذورون أو يتقصدون الإصرار بالراء.

فالحاصل أن من حلف أن لا يلامس زوجته لا يجوز أن يهمل أكثر من أربعة أشهر، فإن تاب وعاد قبل انقضائها فلا جناح عليه، وإن أبى حتى انقضت تعيين أحد أمرين: إما الرجوع أو الطلاق، فإن لم يطلق ولا يراجع طلقها عليه الحاكم، والمطلقات ينتظرن بأنفسهن عن الزواج مدة ثلاثة قروء، أي يجب أن ينتظرن ولا يتزوجن حتى تنتهي هذه المدة وهذا في المدخول بهن غير اليانسات من الحيض لكبر سن أو لصغر فهاثان عدتهن ثلاثة أشهر كما في الآية (٢) من سورة الطلاق صفحة ٧٤٩، وغير الحوامل لأن عدتهن وضع الحمل كما في الآية السابقة من سورة الطلاق، وغير المتوفى عنهن أزواجهن فعدتهن أربعة أشهر وعشر كما سيأتي في الآية (٢١٤) من هذه السورة صفحة ٤٨، وغير الإماء فإن السنة بينت أن عدتهن قرءان. أما غير المدخول بهن فلا عدة عليهن كما في الآية (٢٩) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٧.

ولا يعمل للمطلقات أن يكتمن ما في أرحامهن من الولد استعجالاً للزواج، ولا أن يكتمن الحيض لتطويل مدة العدة فتأخذ نقشة بدون حق، فإن كن يؤمن بالله الذي لا يخفى عليه شيء، وباليوم الآخر الذي سيحاسبن فيه، فلا يعملن ما نهاهن الله عنه. وأزواج المطلقات أولى بردهن أي مراجعتهم في ذلك أي في مدة التريعص. والمراء أن الرجل إن أراد مراجعتها وأبت وجب تقديم رأيه على رأيها إن أراد بالراجعة إصلاحاً لما بينهما، وأن لا يكون مريداً بالراجعة الإصرار بها كطويل العدة حتى لا تتزوج ففى تلك الحالة يحرم عليه المراجعة. ويجب لها من الحقوق في حال قيام الزوجية من مهر ونقشة وحسن معايشة مثل البى يجب عليهن للرجال ممل يقتضيه العرف بين الناس في معايشة الأزواج من حفظ عرضه وولده وماله وخدمته في بيته. فالمطالبة في الزوج لا في جنس ما يجب، ويزيد الرجال عليهن درجة وسيأتي بيانها.

فخرجة: هي قوامتهم عليهن لأنهم هم الذين ينفقون، انظر الآية (٢٤) من سورة النساء

بالتشديد والتخفيف واحد في المعنى. الثاني: هب أنها تقيد التكثير كما في قوله: فوغلقت الأبواب إلا أن هذا التكثير يحصل بأن يعقدها بقلبه ولسانه، ومتى جمع بين القلب واللسان، فقد حصل التكثير، أما لو عقد اليمين بأحدهما دون الآخر لم يكن معقداً. وأما من قرأ بالآلف فإنه من المضاعلة التي تختص بالواحد مثل عافاه الله. ومثل ربنا لا تواجدنا إن نسبنا أو أخطأنا.

وطارقت الفعل. وعاقبت اللس فتكون هذه القراءة من خفف. المسألة الثانية: (ما) مع الفعل بمنزلة المصدر. والتقدير: ولكن يؤاخذكم بعقدكم أو بتعقيدكم أو بمعاقبتكم الأيمان. المسألة الثالثة: في الآية محذوف، والتقدير: لكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حثتم فعذف وقت المؤاخذه لأنه كان معلوما عندهم أو بكثرة ما عقباهم، فعذف المضاف. وأما عن كيفية استدلال الشافعي بهذه الآية على أن اليمين الغموس توجب الكفارة فقد ذكرناها في سورة البقرة.

يقول الزمخشري: اللغو في اليمين. الساقط الذي لا يتعلق به حكم، واختلف فيه فعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سألت عنها فقالت: هو قول الرجل: (لا والله) و(بلى والله). وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد: هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن. وهو مذهب أبي حنيفة (بما عقدتم الأيمان) بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالتصديق. وروى أن الحسن رضي الله عنه سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال: يا أبا سعيد دعني أحب علك فقال:

ولست بما أخذ بلغو تقولهُ إذا لم تُعمده عاقدات العزائم.

وقرى عقدتم بالتخفيف وعاقبتهم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حثتم فعذف وقت المؤاخذه لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فعذف المضاف (فكفارتهم) الخ.

بعد ذلك يوضح سبحانه الإيلاء. وكان الرجل يحلف على أن لا يلامس امرأته ويتركها معاقبة: لا هي مطلقة ولا زوجة. فوضع سبحانه حداً لهذا فقال للذين يؤلون: أي يحلفون على البيعة من نسائهم، انتحار مدة أربعة أشهر. ليتروى فيها أحدهم لعله يرجع إلى رشده، فإن

لأن من يتجاوزها فقد ظلم نفسه بتعريضها لعذاب الله. فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد الثالثة إلا بعد أن تتزوج رجلاً غيره وبما شرها معاشرته الأزواج. فإن طلقها الزوج الثاني بعد الملامسة فلا يتم على الزوج الأول ولا على هذه المطلقة من الثاني في أن يرجع كل منهما إلى صاحبه بعد انقضاء العدة من الثاني. إن ظننا أن يحافظا على أوامر الله بعد اعتبارهما بما سبق. وتلك الأحكام السابقة هي حدود الله التي لا يجوز تخطيها يوضحها سبحانه لتقوم يفهمون ما يبين لهم. وإذا طلقتم النساء طلاقاً رجعيًا وقاربن انقضاء العدة فيجوز لكم إمساكهن بالمراجعة. بشرط أن يكون الإمساك بقصد الإحسان لا بالإضرار بهن، أو تسريحهن أي تركهن حتى تنقضي العدة. ولتمام العناية بهذا الموضوع الكثير الوقوع بين الناس وللتحذير من مخالفة الله عز وجل فيه صرح سبحانه بما فهم مما سبق فقال: ولا تمسكوهن بالرجعة قبل انقضاء العدة ضرراً أي بقصد الإضرار بإطالة العدة حتى يمنعهن عن الزواج أطول مدة يستطيعها. ولذا قال: «تعتدوا» أي عليهن أي تظلموهن وتجتوهن لدفع مال. ومن يمسكهن يقصد الإضرار فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب. ولا تتخذوا آيات الله التي بينت تلك الأحكام هزواً أي مهزواً بها بسبب مخالفتها فإن هذا لا يليق بهؤمن.

﴿الكتاب﴾: القرآن.

﴿الحكمة﴾: أسرار الشريعة.

﴿لئن أجهلن﴾: انقضت عدتهن.

﴿تفعلوهن أن ينكحن﴾: إباح تفعلوهن من أن يتزوجن الذيل برغبتن في أن يكونوا أزواجاً لهن.

﴿ذلك يوعظ به﴾: أفرد اسم الإشارة مع إن المخاطبين جتمع بدليل (منكم) ملاحظة في

الأول جنس المخاطبين. وفي الجمع أفراد. وهذا أسلوب عربي فصيح نظيره لفظ (من) في الآية (٦) من سورة لقمان صفحة ٥٣٣. والآية (١٨) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦. ٥٤٧.

والآية (١١) من سورة الطلاق صفحة ٧٥٠.

درجه والله عز وجل حكيم ﴿الطلاق مرتان فلهناك﴾
يعرف أو تسريحاً بإحسان ولا يحل لكر أن تأخذوا.
يما يتنصرون شيئاً إلا أن يحققاً الأيقيناً حدود الله
فإن ختم الأيقيناً حدود الله فلا جناح عليهما فيما
أفندت به. تلك حدود الله فلا تعدوها ومن يتعد
حدود الله فأنزل الله ما يشاء. فإن طلقها فلا
تحل لكر من بعد حتى تنكح زوجاً غيره. فإن طلقها فلا
جناح عليهما أن يراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله
وتلك حدود الله يقربها بقرن يعطرون ﴿وإذا طلقتم
النساء فلهن ما كنهن من معروف أو سرورهن
يعرف ولا تمسكوهن ضرراً لتعتدوا ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه ولا تحلوا آيات الله هزواً

صفحتي ١٠٥، ١٠٦.

المعنى: الطلاق الذي يجوز المراجعة بعده لا يزيد عن مرتين، أي تطليقة بعد تطليقة. فإن طلقتم دون الثلاث فيجوز لكم إمساكهن أي مراجعتهن، بشرط أن تكون المراجعة مقرونة بالمعروف شرعاً من حسن العشرة والبعد عن الإضرار، أو تسريحهن أي تركهن مقروناً بإحسان كجبر خاطر وأداء حقوق بلا معاملة من مؤخر صدق وغيره. ولا يحل لكم أن تأخذوا في مقابل الطلاق مما آتيتموهن من صداق وغيره شيئاً، لمنافاة ذلك للإحسان. والخطاب في الآية للحاكم لتنظيم الضمانات الآتية. واستناد الأخذ والإتيان إلى الحكم لأنهم هم الأمرون بها عند التقاضي إليهم. ومحل ما تقدم إذا كان الزوج هو الذي اختار الطلاق، أما إذا كانت المرأة هي التي طلبته فلا جناح أن يأخذ منها مالا لتحقيق رغبتها كما قال «إلا أن يخافا» إلخ، أي الزوجان أو أحدهما، كأن تخاف المرأة أن تعصى الله في أمر زوجها أو تخونه، أو يخاف هو أن يخرج عن الحد المشروع في مؤاخذتها إذا رأى منها كرهاً له، أو يخافا معا سوء العشرة. وعندئذ فلا جناح عليهما فيما افتردت به نفسها من مال ليطلقها، فلا يتم على الرجل فيما أخذ، ولا على المرأة فيما أعطت.

وتلك الأحكام المذكورة حدود الله التي حدد بها الحلال والحرام فلا تتجاوزوها بالمخالفة

(١) الطلاق.

(٢) بإحسان.

(٣) الظالمون.

(٤) آيات.

الأخضر الذي سيجازي فيه ما عمل، لأنه هو الذي يفتح فيه الوعاء، ذلكم أي ترك المتبع باتباع الشريع لأجل البركة وأظهر للرجل والمرأة ما يخشى عليهما من الرية بسبب ميل كل لصاحبه. والله يعلم من المصلحة ما لا تعلمون. والوالدات سواء أكن زوجات أو مطلقات عليهن الزيادة عليهما، وعلى الآباء إطمأهن وكسوتهن إن كن مطلقات. أما الزوجات فزقن ثابتةن لأنهن بالزوجية بالمعروف بين الناس أنه في طاعة الأب أي بلا إسراف ولا تقتير، لأن الله سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها أي ما في طاقتها. لا تضار أي لا تؤثر في والدة بسبب ولدها بأن تكره على إرضاعه مع التضييق عليها فيما تستحقه من رزق وكسوة، ولا يضار مولود له بسبب ولده، بأن يكلف فوق طاقتها. وعلى الوارث أي وارث الأب وهو الصبي إن كان والده ترك له مالا أوجده إن لم يترك والده شيئاً مثل الذي كان على أب الطفل من الرزق والكسوة للمرضع. فإن أراد الولدان طعام الطفل قبل الحولين بعد اتفاق وتشاور فيما فيه مصلحة الطفل حتى لا يضر فلا حرج عليهما في قطامه قبل الحولين.

وضع : ثانی

• **پایہ: (Foot)**

والمعروف ﴿: المتعارف بين الناس.

﴿يَتَرِيصْنَ﴾ : يَتَتَضَرَّعْنَ بِدُونِ زَوَاجٍ.

وَعَرْضْتُمْ بِهِ: لَوْحْتُمْ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ.

﴿لَا تَعْرُضُوا﴾ : لا تصمموا جازمين.

عقدة النكاح: عقد الزواج.

✻ الكتاب ✻: المكتوب أى المفروض وهو العدة.

راجله: نہایتہ.

(سورة البقرة)

وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ أَنْ يُطَاقَ بِهِ وَأَعْلَمُ أَنْ اللَّهَ أَكْبَرُ
وَأَعْلَمُ وَأَعْلَمُ النَّاسُ فَبَلِّغْ أَهْلَهُ
فَلَا تَعْلُوقُ أَنْ يَكُونَ أَرْجَى إِنْ كُنَّا نَحْمِلُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوضَعُ مِنْ كَنْ يَكْفُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَالْبَرِّ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْهَى لَكُمْ وَأَهْلُكُمْ وَأَعْلَمُ
لَا تَعْلَمُونَ * وَاللَّيَالِي يَرِيعُنَ الزَّانِبِينَ حَتَّى
يَكُونُوا لَيْسَ أَرَادَ أَنْ يَنْجِي أَرْضَهُمْ دَعَى الْمَعْرُوفِ
رَدُّنَ كَرِهَتْهُنَّ الْمَعْرُوفِ لَا تَكْفُلُ نَفْسٌ إِلَّا ذَنْبَهَا
لَا تُنْصَرُ إِلَيْهَا وَلَا تُعَادُ وَلَا مَعْرُوفٌ وَلَا يُعْلَمُ وَفِي اللَّيَالِي
مَعْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ كَوْمٍ مِنْهُمْ فَبِأَنَّهُمْ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَادَا أَنْ يَنْتَرِفِعُوا لَأَنْتُمْ

وازی: اجلب للبركة.

• **أظهر** : أنصف للسمعة وأبعد من

الشبهة عن الرجل والمرأة.

﴿المولد له﴾: الأب.

❦ ففصلا ❧ : فظالما للطفل .

﴿تَسْتَزِعُّهُمْ أَوْ لَا رَكُمْ﴾: تَجْعَلُوا لَهُم

مراجعة

المعنى: واذكروا أيها المؤمنون نعمته تعالى

عليكم بهدائيتكم للإسلام لتشكروه بطلاعته،

واذكروا القرآن الذي أنزله عليكم ليعظكم به

لعل ذلك يساعدهم على تقوى الله. واعلموا

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَمِنْهُ تَذَكَّرُكُمْ لِكِتَابِهِ وَالْخَوْفُ مِنْهُ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا طَلَقْتُمْ

النساء وانقضت عدتهن فلا يحل لمخلوق منكم أن يمنعهن من أن يتزوجن الرجال الذين يرغبن

هــى أن يكونوا أزواجاً لهن، فالخطاب لأرباء المرأة وكل من يمكنه منها، أى لا يجوز لأحد أن

يُصِفُ فِي طَرِيقِ رَغْبَةِ الْمُطَلَّقةِ فِيمَنْ تَرِيدُ الزَّوْجَ مِنْهُ إِذَا تَرَاضَى الْخَاطِلُونَ وَالنِّسَاءُ الْمُخْطَرِيَاتُ

بالطريق المعروف شرعا وعادة بأن لا يكون هناك مانع ولا ما يخل بشرف أهلها كعدم تحقيق

الكفارة. وذلك النهي عن المنع يوخط به من كان يؤمن بالله ويعلم أنه مراقبه، ويؤمن باليوم

(۱) اَبْكَارُ:

(۲) آزواجہن.

$$\therefore \text{در } (r)$$

(٤) والوالدات.

(٥) أولاد هزن:

(7) والدّة-

$$25.29 \text{ i} (\text{V})$$

المروءة وهو ما لا تبرح فيه. والله بما تعملون خبير. فلا تفعلوا إلا ما يبيعه سبحانه خوفاً من غضبه. ولا جناح عليكم يا من تريدون الزواج من المعتدات عدة وفاة أو طلاق بائن. أما الممدات من طلاق رجعي فلا يجوز حتى التعريض لأنهن في عصمة أزواجهن إلى نهاية العدة فيما لو حتم به دون تصريح من خطبة النساء أي طلبهن للزواج. كان يقول الرجل إنك امرأة صالحة. أو مثلك يرغبها الرجال. ولا يصرح كأن يقول أريد زواجك فإنه حرام ما دامت في العدة. ولا جناح عليكم أيضاً فيما أضممتم في أنفسكم من الرغبة في زواج المعتدة لتعذر الاحتراز عنه. ولذا قال «علم الله أنكم ستذكرونهن» قطعا بدافع الرغبة البشرية. ولا تصبروا على السكوت عن إظهار الرغبة فيهن. فاذكروهن. ولكن لا تواعدوهن بالزواج سرا كان يقول لها في خلوة. عاهدني على ألا تقبلي خطبة أحد حتى تخبريني. لما في هذه الماعدة من خطر الفتنة ومظنة التهمة والجر إلى التصريح المنهي عنه. ولكم أن تقولوا أمام الناس القول المعروف المتقدم وهو التعريض. وإنما كرره ليحذر الناس من التساهل فيه لشدة الدوافع اليه. ولذا صرح بما فهم مما سبق فقال: ولا تمزموا عقدة الزواج عزمًا جازماً لأنه يجر إلى الحرام واكتفوا بإكثان الرغبة في النفس المنفوخ عنها حتى تبلغ العدة نهايتها. عند ذلك يصح أن تمزموا العزم الذي من شأنه أن يستتبع الفعل. وبما أن الله يعلم ما في أنفسكم من عزم ونية امتثال وغيرها فاحذروا عقابه إذا خالفتكم أمره. واعلموا أن من خالف وتجاوز أسرار الرغبة إلى العزم الذي يجر إلى الفعل مخرجاً بالتوبة. لأنه سبحانه غفور لمن يتوب. حليم لا يعجل بالعقوبة ليفسح المجال للتوبة. وأنزل فيمن يطلق امرأته ولم يكن فرض لها مهراً ولا لامسها: لا جناح عليكم إذا طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو لم تقرضوهن حين مهر. أي لا تبعة عليكم من مهر ولا نفقة إذا طلقتم لعذر وكان ذلك قبل الملامسة وقبل تقدير المهر. ولها في هذه الحالة متعة تقدر على الموسع ذي اليسار بقدر غناه وعلى المقتر أي الفقير بقدر الحاجة.

﴿فرضتم﴾: تقدم المراد بها في الصفحة السابقة.

﴿قدره﴾: مقدار طاقته.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلِمْتُمْ مَاءَ تَيْمٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَقْرَأُوا
اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
مِثْرًا وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا بِأَيْمِينَ يَأْتِيهِمْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ
وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا فَعَلَّ
فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ
اِكْتِنَمٍ فِي النَّفْسِ كَرِهَ اللَّهُ انْكِارَ سَدِّ كُرْهِيٍّ وَلَكِنْ
لَا تُؤْخَذُونَ بِإِيمَانٍ أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرَضُوا
عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَسْلُبَ الْكِتَابُ أَهْلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهِ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا تَرِ
تَحْرُمْنَ أَوْ تَقْرَضْنَ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَيَتَعَمَّنَ عَلَى الْمُرْسِعِ

﴿فريضته﴾: صداقا.

﴿الموسع﴾: ذو السعة والرخاء.

المعنى: وإن أردتم أيها الآباء أن تجعلوا لأولادكم مراضع غير الوالدات برضا منهن وتشاور فلا إثم عليكم في هذا الاسترضاع إذا سلمتم المراضع ما آتيتكم أي ما أردتم إعطائه لهن من الأجر بالقدر المتعارف عليه بين الناس حتى لا يستثنى إلى الطفل أو بهملته. واتقوا الله فلا تتسببوا في إيذاء الطفل والدته وأعلموا أن الله بصير بعملكم فيجازيكم عليه خيرا أو شرا والذين يتوفون منكم ويذرون أي يتركون زوجات. يجب عليهن أن ينتظرن بدون زواج بعد موت الزوج أربعة أشهر وعشر ليال إذا كن غير حوامل. أما الحوامل فقال ابن عباس رضى الله عنهما: (أن الحامل المتوفى عنها زوجها تمكث أطول الأجلين: أجل الوضع أو أجل الأربعة أشهر وعشر). فإذا انتقضت عدتهن فلا جناح عليكم أيها الأولياء والحكام. ولا عليهن أيضا فيما فعلن في أنفسهن من الزينة والتهيب للخطاب. بشرط أن يكون ذلك بالشئ المعروف عند ذي

(١) أزواج.

(٢) الكتاب.

(الرابعة) أن يكون بعد المسيس وقبل تسمية المهر فلها مهر المثل. وسيأتي حكم النعمة في أول شرح صفحة ٥٠ الآتية.

ف قوله وإن طلقتموهن إلخ هي الصورة الثانية، فلها النصف في كل حال إلا في حال واحدة هي أن يعفو النساء فيترك هذا النصف، أو يعفو الزوج ويترك لها الصداق كله تفضلاً، وعفوكم أيها الأزواج والزوجات أقرب لتقوى الله عز وجل. فهذا حث لكل منهما على السبق إلى التفضل «ولا تسوا الفضل بينكم» بالودة وحسن العشرة بين المطلق وأهل زوجته ثم ذكر سبحانه ما يمين على مراقبة الله في تنفيذ أحكامه فقال سبحانه «حافظوا على الصلوات» الخمس، بإدائها في أوقاتها على أحسن وجه، خصوصاً الصلاة الوسطى التي بين صلاتي النهار وصلاتين الليل، لأنها في وقت يظن اشتغالكم فيه بتجاركم ومعايشكم وقوموا لله في صلاتكم خاشعين، ثم أكد وجوب الصلاة بأنها لا تسقط عن المكلف بأي حال ما دام فيه شعور فقال «فإن خفتهم» عدواً أو سبباً مثلاً فصلوا ماشين أو راكبين إذا دخل وقت الصلاة في حال المقاومة وظننتم أن المقاومة تستغرق وقتها، فصلوا لا يمتنعكم من صلاتكم كزلازل، وقولوا في صلاتكم ما تقولون عادة، ويومئ المصلي بقدر ما يستطيع، ولا يلزمه التوجه للقبلة، فإذا ذهب سبب الخوف فصلوا كما تباد.

والذين يتوفون منكم وقد تركوا زوجات يوصى الله أهل البيت وصية لأزواج المتوفين منهم بمناج من نفقة وسكنى إلى نهاية الحول غير مخرجات من بيوت أزواجهن كرها فإن خرجن من تلقاء أنفسهن قبل العام فلا جناح عليكم يا أولياء البيت فيما تفعل تلك الزوجات من معروف شرعاً كالزينة وترك الحداد إذا كان الخروج بعد الأربعة أشهر وعشر فلا جناح عليكم في تسبهن في قطع النفقة، ولا جناح عليهن في الزينة وترك الحداد. قال مجاهد: نزل في عدة المتوفى عنها أيتان: آية الأربعة أشهر وعشر، وهذه الآية، والأيتان في حالتين، فإن اختارت المرأة الإقامة في دار الزوج والنفقة من تركته فعدتها سنة، وإلا فعدتها أربعة أشهر وعشر. فالعدة أجل محتم وهو الأقل، وأجل هي مخيرة فيه هو بقية العام، وللمطلقات مناع بالمعروف بين الناس حق حقاً، أي وجب وجوباً على التمتين.

قَدْ رَوَى عَلَى الْفَقِيرِ قَدْ رَوَى سَمْعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُعْتَمِدِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُكْمِلُوا
وَقَدْ قَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فُضِّفْ مَا قَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْمُرُوا
أَوْ يَعْمُرُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ وَأَنْ تَعْمُرُوا أَقْرَبَ
لِلْفَقِيرِ وَلَا تَسْأَلُوا الضَّلَّالَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ يَكْفُلُ
يَعْمُرُ ﴿٥١﴾ حَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالْزَكَاةِ الرَّسُولِ
وَقَوْمًا لَهُ قُتُبَاتٌ فَإِنْ جِئْتُمْ بِزَعَالٍ أَوْ زُرَّكَا فَمَا
أَسْمِعْ قَدْ رَوَى اللَّهُ كَمَا عَلَيْكُمْ مَا لَكُمْ تَكُونُوا تَعْمُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُفْرٍ أَوْ كُفْرًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ
مَتَّعًا إِنْ لَمْ تُغْلِبْ عَلَيْهِمْ فَخْرًا فَإِنْ خَرَجْتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِي مَا تَفْعَلْنَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَلَمَّا تَلَقَّيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَدٍ مَعْرُوفٍ حَقَّ عَلَى

بالقدر المتعارف عند أهل المروءة، حقاً أي واجبا لها على من يحسن التعامل بين الناس جبرا لنقصانها الطلاق على نفسها وشهادته ببراءتها. ووصف المتاع بالإحسان لا ينافي الوجوب لأن الله سبحانه وصف القيام بالواجب بالإحسان في آيات كثيرة منها ما جاء في الآية (٩١) من سورة التوبة صفحة ٢٥٧ إذ المنصوح لله والرسول فيها واجب، وما جاء في الآية (١٢٠) من نفس السورة صفحة ٣١٣، ووصف سبحانه الثابت في القتال بالإحسان مع أنه واجب والفرار حرام انظر الآيتين (١٤٧)، (١٤٨) من سورة آل عمران صفحتي ٨٦، ٨٧. وصور المطلقة أربع: (أولها) أن يطلقها قبل أن يمسه ولم يفرض لها مهراً. وهذه لها منعة لا نفقة. (الثانية) أن يكون الطلاق قبل المسيس وبعد فرض المهر فلها نصف الصداق.

(الثالثة) أن يكون الطلاق بعد المسيس وبعد فرض المهر فلها كل المهر.

(٥) فائتين.	(٤) والمسلو.	(٣) الصلوات.	(٥) فائتين.
(٩) والمتاع.	(٨) متاعاً.	(٩) والمتاع.	(٩) والمتاع.
(١) متاعاً.	(٢) حافطاً.	(٢) حافطاً.	(١) متاعاً.
(٢) الأزواج.	(٢) الأزواج.	(٢) الأزواج.	(٢) الأزواج.

﴿الفتن﴾: الفقير.

﴿الذي بيده عقدة النكاح﴾: هو الزوج.

﴿الصلاة الوسطى﴾: صلاة العصر.

﴿فائتين﴾: خاشعين.

﴿زجالاً﴾: جمع راجل وهو غير الراكب.

﴿متاعاً إلى الحول﴾: ما تمتع به من سكن

ونفقة إلى نهاية الحول.

﴿غير إخراج﴾: أي غير مخرجات من

بيوت أزواجهن كرها.

المعنى: إن النعمة تقدر على الفنى بقدر

غناه، وعلى الفقير بقدر الحاجة، وتكون

بالقدر المتعارف عند أهل المروءة، حقاً أي واجبا لها على من يحسن التعامل بين الناس جبرا

لنقصانها الطلاق على نفسها وشهادته ببراءتها. ووصف المتاع بالإحسان لا ينافي الوجوب لأن

الله سبحانه وصف القيام بالواجب بالإحسان في آيات كثيرة منها ما جاء في الآية (٩١) من

سورة التوبة صفحة ٢٥٧ إذ المنصوح لله والرسول فيها واجب، وما جاء في الآية (١٢٠) من

نفس السورة صفحة ٣١٣، ووصف سبحانه الثابت في القتال بالإحسان مع أنه واجب والفرار

حرام انظر الآيتين (١٤٧)، (١٤٨) من سورة آل عمران صفحتي ٨٦، ٨٧. وصور المطلقة أربع:

(أولها) أن يطلقها قبل أن يمسه ولم يفرض لها مهراً. وهذه لها منعة لا نفقة.

(الثانية) أن يكون الطلاق قبل المسيس وبعد فرض المهر فلها نصف الصداق.

(٥) فائتين.	(٤) والمسلو.	(٣) الصلوات.	(٥) فائتين.
(٩) والمتاع.	(٨) متاعاً.	(٩) والمتاع.	(٩) والمتاع.
(١) متاعاً.	(٢) حافطاً.	(٢) حافطاً.	(١) متاعاً.
(٢) الأزواج.	(٢) الأزواج.	(٢) الأزواج.	(٢) الأزواج.

وأطلاق الموت على مقابلها، كل ذلك مهود في القرآن، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مِيتًا فَاحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ﴾ الآية (١٧٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢. وقال سبحانه: ﴿استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ الآية (٢٤) من سورة الأنفال صفحة ٣٠. ويوضح ذلك دقة التعبير حيث عطف الموت على الخروج جيناً بحرف (الفاء) الدالة على اتصال الدال بالفرار مباشرة. وعطف إحياءهم على الموت بحرف (ثم) الدالة على التراخي في الزمن.

﴿يقرض الله قرضاً حسناً﴾: تركيب يفيد الحدث على إنفاق الحلال في وجوه الخير ابتغاء رضوان الله ليعطيه سبحانه أكثر منه (انظر أصل معنى مفردات هذا التركيب في شرح الآية (١١) من سورة الحديد صفحة ٧٢٠ وجاء به بعدما تقدم إشعاراً بأن دفع العدو يحتاج المال.

﴿فيضاعفه له﴾: أي يعوضه بدله أكثر منه مرات عديدة انظر الآيتين (٢١) من سورة البقرة صفحة ٥٥، (٢٦٥) من نفس السورة صفحة ٥٦.

﴿يقبض﴾: أي يضيق الرزق.

﴿وييسط﴾: أي ويوسع الرزق انظر الآيات (٣٦، ٣٧) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨.

﴿الملا﴾: هم الجماعة من الوجهاء التي تحيط بالرئيس فتعلاً عيون الأتباع مهابة.

﴿لنبي لهم﴾: هو صمويل.

﴿ابعث﴾: المراد عين.

﴿ملكاً﴾: المراد أميراً نرجع إليه في شئون الحرب وغيرها.

المعنى: فرض هذا المتاع على الذين يخافون عقاب الله فيبتعدون عما يقضيه، كهذا البيان الواضح بين الله كل آيات الأحكام ليسهل عليكم أن تعقلوا حكمته في هذا التشريع. وختم الله بهذه الآية أحكام المطلقات لتشمل ما لم يدخل فيما سبق من صور المطلقات الأربع المتقدم ذكرها، وهما صورتا المسوسة المفروض لها مهر، وغير المفروض. قال بعض العلماء: إن التمتع

﴿الم تر﴾: أي هل لم تعلم يا من يصح منك العلم، وتنتظر نظر المعتمر.

﴿الذين خرجوا من ديارهم﴾: قال المرحوم الشيخ محمد عبده: مادام القرآن لم يبين هؤلاء القوم ولا مكانهم، ولا زمانهم، فلا يهمننا البحث عنهم، لأن العبرة التي أرادها الله سبحانه يكفى فيها أن هؤلاء قوم ساقهم الجبن والخوف من عدوهم إلى الفرار، وترك الديار، مع أنهم لم يكونوا قلة، وإنما خووف الموت هو السبب في كل بلاء.

﴿فقال لهم الله موتوا﴾: المراد أماتهم

الله سبحانه بأن أذلهم ومكن عدوهم منهم، ثم أحيا منهم جيلاً جديداً لم يكن جباناً، والموت والحياة يعتبران الجماعة الواحدة باعتبار حالات مختلفة، فمعنى موتهم أن العدو نكل بهم وأذلهم حتى صاروا لا وجود لهم كأمة، ومعنى إحيائهم رجوع استقلالهم وعزتهم ووجودهم في الحياة كأمة محترمة، وإطلاق الحياة على الحالة الممتوية الشريفة في الأشخاص أو الأمم،

- (١) آياته.
- (٢) ديارهم.
- (٣) ولكن.
- (٤) وقاطلوا.
- (٥) فيضاعفه.
- (٦) وييسط.
- (٧) الملا.
- (٨) إسرائيل.
- (٩) قاتلوا.
- (١٠) قاتل.
- (١١) ديارنا.
- (١٢) وإبناؤنا.

الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٦﴾ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ لَكُمْ أَجْرَهُ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ يُخْرِجُ مِنْ دُونِهَا مَن يَشَاءُ وَمَا يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ شَاءٍ لَّا يَسْجُرُونَ ﴿١٠٧﴾ وَلَقَدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعِلْمُهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُسْجُرُ عَلَيْهِ ﴿١٠٨﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءُوا إِسْرَافًا مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ ذُكِّرُوا بِهَاجَةٍ أَنَا لَمُكَا نَقُتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ مَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ شَكٍّ مِّنَ الْآيَاتِ لَآتَيْنَا قَوْلًا وَمَا نَكُنَّا لَأَلْفِتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَتَدَّخِرْنَا مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ مِمَّا نَبْتِغِيهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَتَدَّخِرْنَا مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ مِمَّا نَبْتِغِيهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿١١١﴾ وَتَدَّخِرْنَا مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ مِمَّا نَبْتِغِيهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿١١٢﴾

﴿أَنَّى يَكُونُ؟﴾: كيف يكون.

﴿وَسَمِعَ مِنَ الْمَالِ؟﴾: رزقا واسعا.

﴿وَسَمِعَ؟﴾: سمعة.

﴿أَنَّى مَلَكَه؟﴾: أى علامة كونه ملكا.

﴿التَّابُوتُ؟﴾: هو الصندوق الذى كانت فيه

ألواح التوراة، ووصايا الله سبحانه لبنى

إسرائيل. قال المرحوم الشيخ محمد عبده: إن

التابوت كان بعد موسى عند فتاه (يوشع)

انظر الآية (٦٠) من سورة الكهف صفحة

٣٨٩، وصار يتقل بعد ذلك عند رؤسائهم فى

الشريعة، وأنهم كانوا يستعصرون به،

ويقدمونه أمام الجيش، فتقوى عزائهم، فينصرفهم الله عز وجل بطلب الشجاعة، ولذلك لما

ضعف يقينهم، وفسدت أخلاقهم، غلبهم عدوهم وأخذ منهم التابوت، فلم يقن عنهم وجود

التابوت عند فسادهم شيئا، وكان ذلك بسبب الحروب التى وقعت بينهم وبين من جاورهم من

الفاطانيين الذين أذلوا اليهود وأخذوا التابوت منهم، وكان (صمويل) الذى ينطق به العرب

(شمويل) قاضيا لبنى إسرائيل من بعد هذه الحروب، وهو نبينهم الذى طلبوا منه أن يعين لهم

ملكاً كما تقدم، وكان بعد موسى بنحو ألف سنة كما قال ابن كثير والشيخ محمد عبده.

(١) باطالين.

(٢) أمضاة.

(٣) واسع.

(٤) هارون.

(٥) الملائكة.

ذكرها، وهما صورتا الممسوسة المفروسة لها مهر، وغير المفروسة. قال بعض العلماء: إن

المنفعة غير الصادق، وأنها واجبة لمن لا تستحق صداقا مندوبة لمن تستحقه كله أو نصفه. بل

قال الحسن: إن لكل مطاعة متاعا، دخل بها أو لم يدخل، فرض لها أم لا، وظاهره الوجوب فى

الكل. وقال قوم إنه مندوب فى المدخول بها. ثم شرع سبحانه فى ذكر قصص بعض السابقين

للغيرة بما فيها من أن العين سبب الدال، والشجاعة سبب العزة، فقال سبحانه: «الأم تر» بقلبك

وتعلم يا من يصح منك العلم إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم كثيرون فقد جافوا الموت،

بجبنهم، فجزأهم الله ببعوتهم الأديس وإذلال عدوهم لهم، وبعد انقراض هذا الجيل الجبان

أحياءهم الله بإخراج جيل جديد أرجع ملكهم. إن الله ذو فضل على الناس حيث جعل من

المصائب حافزا للزائم، وجعل اعتداء الطالام منبها لشعور المظلوم بقسوة الظالم فيستमित

فى دفعه ويصلح أمر الناس، انظر الآية (٢٥١) الآية من هذه السورة صفحة ٥٢. ولكن أكثر

الناس لا يقومون بحقوق هذه النعمة من الشكر فلم يستفيدوا منها. ولما هيا سبحانه النفوس

للسعور بذم الخمنوع للذل أمر المؤمنين بقتال أعدائهم فقال: «وقالوا فى سبيل الله» أى

لإعلاء دينه. ولما كان الجهاد يطلب الإنفاق حث عليه فقال «من ذا الذى يقرض» إلخ، أى

أقرضوا وارفعوا فى سبيل الله بطيب نفس ومال حلال فيضاعف الله ثوابه، والله يضيق الرزق

على من يشاء امتحانا أيسر، ويوسع على من يشاء امتحانا هل يشكر. وإلى الله المرجع

والمجازاة. ولما كان الذى حصل لبنى إسرائيل بعد انقضاء زمن النبي وهو أربعون سنة كما فى

الآية (٢٦) من سورة المائدة صفحة ١٤١. أنهم (أى بنى إسرائيل) رجعوا إلى الله تعالى وندموا

على ما حصل منهم وعزموا على دخول فلسطين، فنصرهم الله تعالى على من فيها من

الوثنيين، وبعد زمن كثير انصرفوا ثانيا كما هى عادتهم فسلط الله سبحانه عليهم جبارة

الوثنيين فشردهم واستولوا على التابوت الذى كانوا يجهلونهم معهم فى الحروب لتقوى قلوبهم،

لما كان كل هذا قال سبحانه فى ذلك ألم ترفضه الجماعة من بعد موت موسى حين قالوا

لبنبيهم أقم لنا أميرا نقاتل معه فى سبيل الله الوثنيين فى فلسطين، قال: أتوقع جبلكم إن

فرض عليكم القتال. قالوا: ولم العين والخال أنا أخرجنا من ديارنا وأبعدنا عن آبائنا بسبب

سبى الأبناء؟ فلما فرض عليهم القتال تولوا وجنوا.

(آل موسى وآل هارون): المراد موسى وهارون ومن تبعهما من أنبياء بني إسرائيل، انظر المراد من (آل) في شرح قوله تعالى ﴿ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ الآية (٤٦) من سورة غافر صفحة ٦٢٤. ﴿تعمله الملائكة﴾: الذي يؤخذ مما في كتب العهد القديم أن أهل فلسطين الذي غلبوا اليهود أصيبوا بأمراض ونقص في الزرع، فتشاءموا من وجود التابوت بينهم، وظنوا أن إله إسرائيل انتقم منهم، فوضعوا التابوت على عجلة تجرها بقرتان ووجههما إلى موضع بني إسرائيل تخلصا منه.

ولعل السبب في قول نبيهم (تعمله الملائكة) هو أن البقرتين اللتين كانتا تجران العجلة من فلسطين إلى موضع بني إسرائيل كانتا تسيران بدون قائد ولا سائق والعادة أن ما يجري من الخير بالهام لا دخل للبشر فيه يقول عنه الناس إنه إلهام ملائكي لذا قال تعمله الملائكة.

(فصل طالوت): أي انفصل بالجيش عن محل إقامته متوجها إلى القتال.

﴿مبتليكم﴾: أي مختبركم. ﴿لم يطعمه﴾: أي لم يذق ماءه. ﴿غرفة﴾: من الغرف، وهو أخذ مقدار قليل من شيء كثير، وهي هنا بمعنى مفعول، أي مغروفة كالقمة بمعنى مقومة، ونهبة بمعنى منهوب.

المعنى: جبنوا جميعا إلا قليلا منهم، والله عليم بمن ظلموا أنفسهم وأمتهم بالجبن وسيجازيهم ثم شرع سبحانه يفصل هذه الحادثة فقال: وقال لهم نبيهم صمويل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا كما طلبتم، قالوا كيف يكون هذا والحال أننا أحق بالملك منه لأنه ليس من كبرائنا ولا من أغنيائنا؟ فرد نبيهم قولهم بما يفيد أن ما ذكرتموه لا دخل له في استحقاق القيادة بل الموعول عليه صفات ذاتية في الشخص تؤهله لاختيار الله له، منها إنه منح سعة علم وقوة جسم، فقد كان أعلم بني إسرائيل بفنون الحرب وبالكاتب المقدس، وكان أطولهمقامة ذا مهابة، والله يؤتي ملكه من يشاء ممن يستحقه لا بالوراثة، واسع الفضل عليم بمن هو أهله. ولما طلبوا من نبيهم دليلا على أن الله اختاره ملكا قال لهم إن دليل ذلك هو أن يأتيكم التابوت

فيه ما يطمئن قلوبكم وفيه قطع من ألواح التوراة مما تركه أتباع موسى وهارون من أنبياء بني إسرائيل حال كونه تحملته الملائكة. ولما حصل هذا وخضعوا وخرج بهم طالوت من مكان إقامتهم متوجها لقتال أعدائهم الوثنيين بفلسطين أراد امتحانهم ليعلم المخلص مأمون الطاعة وغيره ليعيده عن الجيش لخطر وجود من يخالف أمر القائد عند الشدة، فسار بهم مسافة اشتد عطشهم فيها، ثم قال إن الله مختبركم بنهر سيلانيكم، فمن شرب منه كثيرا فليتعذر عنا، ومن لم يطعمه أي لم يذق منه كثيرا فليبقى معي. ولما وصلوا النهر شرب أغلبهم كثيرا، واكتفى قليل منهم بغرفة بيده يخفف بها قسوة العطش، ثم تخطى النهر طالوت والمخلصون معه بسرعة وتآخر الأكثرون حتى شبعوا ماء وحملوا منه ما استطاعوا، فلما جاوزوه هو والمخلصون معه أولا ثم لحقهم الباقي بدليل المناقشة الآية وإنما اقتصر في الذكر على مجاوزة المخلصين لأنهم هم الذين صاحبوا قائدهم في المجاوزة بسرعة.

﴿جالوت﴾: هو أكبر طاغية في وثني فلسطين أعداء بني إسرائيل.

﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾: قال الراغب الأصفهاني في كتابه (غريب القرآن).

﴿الظن﴾ اسم للإدراك الذي يحصل عن أمانة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز الوهم. ومتى قوى الظن استعمل معه حرف (أن) المشددة التي تقيد التوكيد كما هنا.

ومثل ما هنا ما في قوله تعالى في الآية (٤٦) من سورة البقرة صفحة ١٠ الآية (٢٠) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢.

﴿برزوا﴾: ظهوروا.

﴿أفرغ علينا صبرا﴾: أي أصيب على قلوبنا صبرا يقوينا فالمراد صبرنا.

﴿داود﴾: كان جنديا في عسكر طالوت.

﴿وأتاه الله الملك﴾: جعله ملكا على بني إسرائيل.

وهزمهم، وقتل داود جالوت، فاشتهر داود وعد في الإبطال، وكان جزاؤه أن آتاه الله الملك على بني إسرائيل والنبوة والزيور، وعلمه مما ينفعه كصفحة الدروع، انظر الآية (٨٠) من سورة الأنبياء صفحتي ٤٢٨، ٤٢٩.

فكان عليه السلام نبيا ملكا، ثم بين سبحانه حكمة الإذن في قتال الجابرة فقال «ولولا دفع الله الناس» إلخ أي لولا أن الله تعالى يسخر أهل العدل والحق لدفع شر أهل الظلم والباطل لتغلب الظالمون وفسدت الأرض ومن عليها، ولكن الله من فضله ورحمته بالضعفاء سخر للظالم من يتقم منه.

تلك القصص المتقدمة أدلة من عند الله على صدقك أيها النبي، لأنك أمتي لا تدري من أخبار السابقين هذه الحقائق التي تنلوها عليك مقرونة بالحق، فكل ما يقال عنها خلاف ذلك باطل. وإنك أيها النبي لن المرسلين حقا، إذ لولا الوحي لما عرفت من هذه الحوادث شيئا على الوجه الصحيح، انظر الآيتين (٤٤) و(٤٥) من سورة القصص صفحة ٥١٢... تلك الرسل المتقدم أنك منهم فضنا بعضهم على بعض، ونص على من بقى لهم اتباع فقال: «منهم من كلف الله» وهو موسى، انظر الآية (١٦٤) من سورة النساء صفحة ١٣١. والآيات (١٤٣-١٤٥) من سورة الأعراف صفحتي ٢١٤، ٢١٥. «ورفع بعضهم درجات» يريد سبحانه بهذا البعض نبينا محمدا ﷺ. ووسطه في الذكر بين موسى وعيسى إشارة إلى وجه فضله وهو أن شريعته وأمنته وسط كما تقدم في الآية (١٤٣) من هذه السورة صفحتي ٢٨، ٢٧. وفضله أنه صاحب رسالة عامة للناس كلهم خالدة إلى يوم القيامة. فكان رحمة للعالمين، انظر الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢، والآية (٢٨) من سورة سبأ صفحة ٥١٦.

﴿وَأَنبِئَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ المعجزات الواضحة. وإنما ذكر عيسى باسمه لحكم، منها إبطال ما يرضعه عنه أهل الكتابين اليهود والنصارى من التكريط والإفراط فاليهود افترضوا عليه بأنه ابن زنا والنصارى قدسوه حتى الحقوه بالله تعالى، وقومنا أدلة نبوته بروح القدس جبريل.

﴿خُتِلَا﴾: صدقة.

عَامِرًا مِّنْهُمْ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ مُّجَازَاتُ جَدُّوهُمْ
قَالَ الَّذِينَ يَبْغُونُ لَهُمْ عَذَابَ اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَبْلِهِ
عَبَّتْ يَدُ كَيْدِهِ يَاقُوتَ اللَّهِ كَذَلِكَ مَعَ الْعَاصِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُدُوهُمْ قَالُوا رَبَّنَا اقْرُبْنَا مِمَّا
وَدَّعَيْنَا وَأَهْرَاقْ عَلَيْنَا الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾
وَبَيْنَ أَفْئِدَتِنَا وَهَرَقْنَاهُ وَقَالَ جَالُوتُ وَابْنَةُ اللَّهِ لَأَكُونَنَّ
فَوْزُهُمْ يَاقُوتَ اللَّهِ وَقَالَ دَاوُدُ جَالُوتُ وَابْنَةُ اللَّهِ لَأَكُونَنَّ
رَاحِلُكَ وَكَلِمَةً بَيْنَ يَدَيْهِ كَذَلِكَ دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بَعْضًا لِّيَفْعَلَ لِقَاءَ الْأَرْضِ وَكَذَلِكَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَقُولُهَا عَلَيْكَ يَا مُوسَى
وَإِنَّكَ لَبِينَ الرَّسُولِينَ ﴿٥٨﴾ * تِلْكَ أَرْضُ قَوْمِكَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ يَتَّبِعُونَ كَلِمَ اللَّهِ وَرَفَعَهُ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ
وَأَنبِئَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَشِيرَ وَإِذْ يَقُولُ الْقَاسِ

﴿الحكمة﴾: المراد بها هنا النبوة والزيور.

انظر الآية (١٦٣) من سورة النساء صفحة

١٣١.

﴿النبينات﴾: المعجزات الواضحة المذكورة

في الآية (٤٩) من سورة آل عمران صفحتي

٧١، ٧٠.

﴿الروح القدس﴾: الروح المقدس الطاهر

وهو جبريل.

المنعني: قال الذين شربوا كثيرا لا قدرة لنا

على قتال جالوت وجنوده. وقال الذين يوقنون

أنهم ملاقو ربهم ليجازيهم على ثباتهم: كم من

قوة قليلة، أي كثيرا ما حدث أن غلبت جماعة قليلة مؤمنة كثيرة غير مؤمنة بتسهيل الله إذا

صبروا، فإنه سبحانه مع الصابرين بالنصر والتأييد. وعند ذلك أبعد طالوت الجنود الذين

خائفوا وشربوا كثيرا، أبعدهم عن الجيش لمخالفتهم أمر قائدهم، وعدم طاعة الجندي من أقوى

أسباب الهزائم انظر الآية (١٥٢) من سورة آل عمران صفحة ٨٧. ولما برز طالوت والموثنون

معه لجالوت قالوا ربنا أعنا عليهم بالصبر وثبت أقدامنا في مواطن القتال. فاستجاب سبحانه

(١) ملاقوا.

(٢) الصابرين.

(٣) الكافرين.

(٤) وآتاه.

(٥) العالمين.

(٦) آيات.

(٧) درجات.

(٨) النبيات.

(٩) وأيدناه.

من يخافه، ويقتصر كل منهما في نصرته رأيه على الحجة وحدها، ولكنه سبحانه جعل في غرائزهم أن القوى يمثل لمقاومة مخالفته في الرأي، وشرع لهم تحريم البغي ليحصل في الآخرة ثواب وعقاب، ولا لكانوا جميعا ملائكة، وتغير نظام هذا العالم، والله يفعل ما يريد، وقد أرادهم أن يكونوا غير الملائكة.

ثم بين سبحانه ما يهذب النفوس مع التحذير من عقابه بقوله سبحانه ﴿انفقوا مما﴾ (رقاكم) في سبيل الله من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا يبع فيه، حتى يشتري البخیل نفسه وينقذها من العذاب بمال يبذله، ولا صداقة يعمل بها صديق عن صديقه شيئا من دنوئه، انظر الآية (٩١) من سورة آل عمران صفحتي ٧٧، ٧٨. والآية (٥٤) من سورة يونس صفحتي ٢٧٤، ٢٧٥. والآية (١٨) من سورة الرعد صفحتي ٣٢٤، والآية (٤٧) من سورة الزمر صفحتي ٦١٣، والآيات (١١-١٤) من سورة المعارج صفحتي ٧٦٥، والآيات (٢٤-٣٧) من سورة عبس صفحتي ٧٩٣، ولا شفاعة إلا بإذنه تعالى، ولا يأذن فيها لمن دنس نفسه بالبخل، والكاكفرون بنعمه تعالى العاقلون عن هذا اليوم هم الظالمون لأنفسهم.

الله الواحد الحي القائم بتدبير ملكه على أحسن وجه لا تغلبه سنة ولا نوم، له كل ما في السموات إلخ، فهم ملكه وعبيده، لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضى عنه، انظر الآية (٢٨) من سورة الأنبياء صفحتي ٤٧٣، يعلم ما بين أيدي خلقه أي ما قدموه في الدنيا، وما خلفهم أي ما أعد لهم في الآخرة، فلا يأذن في الشفاعة إلا مستحق، انظر الآيات (١٠٩-١١٢) من سورة طه صفحتي ٤١٦، ولا يعلمون شيئا من علومه إلا ما شاء أن يطالعهم عليه، وسع كرسية السموات والأرض، ولا يشق عليه حفظها، لأنه العلي في سلطانه، العظيم في عزه وجلاله، لا إكراه على الدخول في الدين بعد ظهور الأدلة التي تبين الرشد والغنى، لأن أساس الدين العقيدة ولا يمكن الإكراه على العقائد كما في الآية (٩٩) من سورة يونس صفحتي ٢٨١، فمن يكفر بالطاغوت فيعصى كل طاغية يحارب الله ورسوله، ويؤمن بالله فلا يطيع غيره.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخَذَلُوا قُلُوبَهُمْ مِنْ آمَنَ بِهِمْ مِنْ كُفَرٍ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِينَ وَلَكِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفَرُوا مَعَنَا وَدَعُوا بَيْنَ يَدَيْ
يَوْمَ لَا يَصِحُّ لَكُمْ أَنْ تَقُولَ وَلَا حُجَّةَ وَلَا سَعْيَةً وَالْكَافِرُونَ
هُمْ الظَّالِمُونَ ٥٤ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٥٥ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ

﴿القيوم﴾: البالغ النهاية في القيام بتدبير ملكه وفي الأساس قام على الأمر أي دام وثبت.

﴿سنة﴾: هي ما يتقدم النوم من القنور.

﴿كرسيه﴾: سلطانه وعظمة قدرته.

﴿لا يؤوده﴾: لا يتقله ولا يشق عليه.

﴿الرشد﴾: ضد الغي.

﴿الغنى﴾: الجهل الناشئ عن اعتقاد فاسد.

والمراد طريق الرشد وطريق الغي.

﴿الطاغوت﴾: كل ما تكون طامعته سببا

للتفاني والبعد عن الحق سواء أكان مخلوقا بعيدا، أو رئيسا جبارا يطاع في الشر خوفا من بطشه، أو شيطانا يضل عن طريق الصواب، ويطلق الطاغوت على الواحد والتعدد، فيقال رجل طاغوت أي طاغية، ورجال طاغوت أي طاغون.

المعنى: لو شاء الله عدم اختلاف أتباع الرسل من بعد ما جاءتهم أدلة الحق ما اختلفوا ولكانوا متفقين قهرا عنهم كالملائكة، وما وقع بينهم خلاف أو قتال، ولكن طبعهم يقتضي أن يختلفوا كما تقدم في الآية (٢١٣) من هذه السورة صفحتي ٤١، ٤٢. والاختلاف يؤدي إلى القتال غالبا، ثم بين سبحانه أهم ما اختلفوا فيه فقال: ﴿منهم من آمن ومنهم من كفر﴾ ولو شاء الله حتى بعد اختلافهم هذا عدم اقتتالهم ما اقتتلوا، بأن يخلفهم على أن يعذر المخالف

- | | |
|---------------|-----------------|
| (١) البينات. | (٢) شفاعة. |
| (٣) رزقكم. | (٤) والكاكفرون. |
| (٥) الظالمون. | (٦) السموات. |
| (٧) السموات. | (٨) يؤوده. |
| | (٩) بالطاغوت. |

ثم انتقل سبحانه من دليل خاص بهذا الرجل في نفسه ولمن شاهده إلى دليل عام لجميع الناس مستمر يستدل به على البعث في كل زمان وهو قدرته تعالى على تكوين عظام الحيوان ولحمه من مادة الأرض، وهذا الدليل أكثر سبحانه من الاحتجاج به على المنكرين للبعث من كل أمة، انظر الآية (٧٩) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦، والآيات (٤٩، ٥١، ٩٨، ٩٩) من سورة الإسراء صفحات ٣٧١، ٣٧٨، والآية (١٠٤) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣١، والآية (١٦) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦، والآية (٧٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤، والآية (٧٨) من سورة يس صفحة ٥٨٦، والآية (٣) من سورة القيامة صفحة ٧٩٧.

فلما ظهر الحق لهذا الرجل اعترف بقوة يقينه بقدره الله. ثم ذكر سبحانه مثالا ثالثا لعنايته بالمؤمنين ونظلمهم من رتبة العلم إلى رتبة عين اليقين فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ إني أرى بيني وبينكم كفاية إثبات الموتى رؤية عيان، قال: ألم تعلم ولم تؤمن بأنى قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألنى هذا السؤال.. أنت تعلم قدرتى وتؤمن بها.. قال إبراهيم نعم أعلم، ولكنى أريد علم المشاهدة ليطمئن قلبى بضم علم العيان والمشاهدة إلى علم البرهان، قال خذ أربعة من الطير فى ليكون فى كل جهة من الجهات الأربع بعض من الطير فصرهن إليك. قال أبو مسلم: المعنى فخذ أربعة من الطير فأتسمهن بك حتى تصير بحيث تجيب دعوتك ثم أجعل كل واحد منها على جبل ثم نادها بما عودتها به فإنها تسرع إليك كذلك أمر ربك إذا أراد إحياء الموتى يدعومهم بكلمة (كن) فيكونون كما يريد. انظر الآية (٢٥) من سورة الروم صفحة ٥٢٣.. فالمقصود ذكر مثال محس فى دعوة الأرواح إلى الأجساد بسهولة.. والمراد بالإنسان السريع طيرانا أو مشيا.. والله تعالى عزيز لا يعجزه شئ، حكيم فى كل ما يفعل..

ولما فرغ سبحانه من أمثلة عنايته بالمؤمنين شرع في بيان بعض ما يقرهم إليه وهو الإنفاق في سبيله فقال: مثل ما ينفقه الذين ينفقون في سبيل الله وهو كل ما يوصل إلى رضاه، كمثل حبة بر مثلا والمعنى أن المنفق لوجه الله يضاعف الله الجزاء أضعافا كثيرة سيمائة فأكثر كما قال (والله يضاعف لمن يشاء) فيزيده على السيمائة بما لا يحصر. والله تعالى واسع لا يحصى فضله، عليهم بمن يستحق المضاعفة..

ثم بين سبحانه بعض ما يكون عليه هذا الانفاق المضاعف الأجر بأنه هو الصادر من مؤمن لا يمين على المتفق عليه ولا يؤذيه، فهؤلاء لهم أجرهم الذي وعدهم به ربهم في الآية السابقة، ولا يخافون يوم يخاف الناس من الفرع الأكبر.

حاصل المضاطب على الإقرار بها بعد النفي
وقال أولم تؤمن: الهمزة للتقريب، وهو

قوله: المراد أقصر باني مؤمن ولكن... الخ
انظر (باني) في الآية (١٧٢) من المفسرة
الأعراف صفحة ٢٢١.

اجملهم يمان اليك بالانثاس.
والضم ايضا كما نقله الطبري عن العرب، أي
صاره يصيره كبايعه يبيعه وصفناه الإمالة
ألمته لأجنى ثمره.. وقدرى بكسر الصاد من
عاقه يعوقه.. تقول العرب صرت الفصن
(صرون): من صاره يصوره ألماله بوزن

﴿وَاللَّهُ يضاعف لمن يشاء﴾: ومثلها ﴿ويرزقهم﴾ الآية (٣٨) من سورة النور صفحـة ٤٦٤. أي واللـه يضاعف الأجر أي يزيده إلى سبعمائة أو أكثر كما في قوله سبحانه (فتغير حساب) الآية (١٠) من سورة الزمر صفحـة ٦٠٧.

وهذا التفاوت يكون بحسب أحوال المفقين من قوة الإيمان وشدّة الإخلاص، والبذل في سبيل الله مع الحاجة، والبذل مع الفنى، فرب دينار واحد يبذله في طريق الخير محتاج إليه أكثر مما يبا من عشرة دنانير يبذلها من ليس في حاجة إليها.

هو تومار الإسماعيلي المحسن إليه كان يقول المحسن للمحسن عليه أنا أعطيتك
كلنا وفعلت ذلك، كلنا.

﴿اذني﴾: هو اعم من ان يشمله ويشمل ما هو اقسى منه كأن يعبره بأنه ناكِر الجميل مثلاً.

المغنى، وإذا أردت دليلاً على قدرتنا فانظر إلى طعامك وشربك لم يتغير هذه المدة الطويلة وإلى دمارك كيف مات، تفقت عظامه، فمنا ذلك لنريك قدرتنا ولتجعلك دليلاً عليها للناس.

(٥) أموالهم.

(٦) واسع.

(٧) ينفذ.

(٨) لهم.

(٩) لهم.

فَأَنظَرُ إِلَى مَعْلَمِكَ وَتَرَى أَنَّكَ لَمْ تَسْتَسِرْ وَأَنظَرُ إِلَى حُرَاكِ
وَلَيْسَ بِكَ دَاءُ الْإِنْسَانِ وَأَنظَرُ إِلَى الطَّعَامِ كَيْفَ يُبَدِّلُهُا
تَحْمٌ تَكْسُوهُمَا كَلِمَةً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَتُفْهِمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٠﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً فَقَالَ
الْمَوْفَىٰ قَالَ أَوْزِرْ نَافِلِينَ قَالَ كَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْعِمَهُنَّ فُلْقِي
قَالَ فَهَلْ زِدْنَاهُ مِنْ أَطْعَمٍ فَنُصْرَعُ إِنَّكَ لَمُجْهَلٌ عَالِي
كُلِّ جَنَىٰ مِنْهُمْ إِجْرَاءُ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا إِبْرَاهِيمُ سَمْعًا وَاعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ ﴿١٠١﴾ مِثْلَ الَّذِينَ يَنفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَقُلِّبِ حَبَّةٍ أَسْبَغَ تَسْبِغَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
مُسَدِّدَةٍ فَاثْمَةٍ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يَصْطَفِي لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ الَّذِينَ يَنفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ يَأْكُلُوا
مِمَّا نَفَعُوا سَاءَ مَا كَذَّبَ بِهِنَّ أَهْلُهُمْ وَعُتُّوا قَدْ ضَلُّوا سُبُلَهُمْ وَلَا خُوفٌ

عليهم ولا هم يحزنون ﴿٥٠﴾ * قول معروف ومغيرة: **بين صدقة يتبعها أدنى والله عني حليم** ﴿٥١﴾ **يتبعها أدنى** أي أدنى لا يتخلل صدقتك وأدنى والأدنى كالأدنى يعني **أدنى** رياء الناس ولا يؤمن بالله والتزم الأمر **فقلنا** **كفى صغورا عليه رب فأصابه ريل فركب صغرا** لا يتحدرون على شيء **فما كبرا** والله لا يبدى التزم الكافرين ﴿٥٢﴾ **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ويتبعنا** أي يتبعنا **كل جنة ربوة أصابها ريل فانت أكبرا** صفتين فإن **أصبها** ريل **فقل** **والله ما تعلمون يصير** أي بعد أن **تكررا** **جنة من جيل وأصاب تجرى من تحت الأندرا** أي من **كل أنكرت** وأصابه الكبر **والله ربوة صفوة فأمسها**

﴿رياء الناس﴾: مرأيا لهم ليعمدوه.

﴿صغورا﴾: حجر كبير أملس.

﴿ثراب﴾: المراد غبار.

﴿وابل﴾: مطر شديد. ﴿صلدا﴾: أملس.

لا غبار عليه.

﴿وتبعنا من أنفسهم﴾: أي تحقيقا للثراب

عليه واعتقادا منهم بأنه حاصل لهم اعتقادا

ناشعا من صميم أنفسهم بخلاف المنافقين

فإنهم لا يرجونه لإبكارهم له.

﴿ربوة﴾: مكان مرتفع. ﴿أكراها﴾: شرها

التي يوكل. ﴿ضعفين﴾: أي أربعة أمثال ما

ينتج من غيرها وهذا تصوير آخر غير ما تقدم في الآية (٢٦١) من هذه السورة صفحة ٥٥

بين لنا حال فريق من المنافقين أموالهم طلبا لرضاء الله، وأن الله سبحانه يمنحهم من الثواب

مثل ما يمنح غيرهم ممن لم يصلوا إلى حالهم في قوة الإيمان وشدة الإخلاص.

﴿فقل﴾: الطال هو المطر الخفيف صغير القطر، والأصل فالذي يصيبها ويكفيها طل.

﴿أيود﴾: هل يحب، والاستهزاء للإنكار المفيد للنسي أي لا يجب... إلخ. ﴿جنة﴾: بستان.

المعنى: ولا هم يحزنون على قورات التعميم يوم يحزن البخلاء. ثم أكد سبحانه النهي عن

المن والأذى بقوله (قول معروف ومغيرة) إلخ. أي كلام جميل، يقال للسائل كبرحك الله، أو

ربنا يعطيك ويعطينا، ومغيرة أي ستر عليه ما يقع منه من إلحاح وغيره، خير للسائل من

صدقة يتبعها أدنى. والأذى يشمل المن. والمراد أن العمل الصالح يجب أن يكون خاليا من كل

غيب يذهب من فائدته.

(١) صدقاتكم. (٢) الكافرين. (٣) أموالهم. (٤) الأنهار. (٥) الثمرات.

والله تعالى غنى. وإنما أمر بالإففاق لمصلحة المنفق وليظهر عيب البخل، حليم لا يعجل العقوبة للمخالف لعله يرجع. ثم أكد سبحانه قبح المن والأذى بعمله كالرياء المذموم عند جميع الناس في العاقبة الرخيصة فقال (لا تبطلوا صدقاتكم) إلخ، ولا تضيعوا ثواب صدقاتكم تضييعا كتضييع الذي ينفق ماله مرأيا للناس ليعمدوه، ولا يبين رضا الله لانشغال قلبه بمظاهر الدنيا، ولا يؤمن بالله حتى يخافه، ولا باليوم الآخر حتى يعد له ما ينجيهِ من هولاء، فمثل هذا المرائي ونفقته كمثل حجر ناعم عليه غبار رقيق نزل عليه مطر شديد أذهبه ولم يبق منه شيء، فهؤلاء المراءون لا يستطيعون الحصول على شيء من ثمرة إنفاقهم إذا أصابهم غضبه تعالى أو أحبط أعمالهم، كما لا يستطيع الحجر إمساك ما عليه من الغبار إذا أصابه مطر شديد. والله تعالى لا يهدى الكافرين عقابا لهم وفي الكلام إشارة إلى أن المن والأذى من صفات الكافرين فيجب على المؤمن الابتعاد عنهما.

ثم ضرب المثل للمخلصين فقال: ومثل الذين ينفقون أموالهم طلبا لرضاء وتيقنا من ثوابه تيقنا صادرا من صميم أنفسهم لا نقاقا، قال الحسن رضى الله تعالى عنه: كان الرجل منا إذا هم بحسنة يتحيت، فإن كانت لله فعل، وإن أحسن براء أمسك، مثل إنفاق هؤلاء كمثل بستان في مكان عال معرض لشجرة للشمس والهواء نزل عليه مطر كثير فأنمر قدر غيره أربع مرات، فإن لم يصبه وابل كفاه طل لجودة أرضه وحسن موقعه. والمراد أن هذه الجنة تثمر كثيرا قل المطر أو كثر، فكذا نفقات المخلصين تنمو عند الله قلت أو كثرت، ولكثرة وقوع الناس في الرياء والمن والأذى ضرب الله سبحانه لها مثلا آخر يبرزها في صورة مخيفة فقال: ﴿أيود أحدكم﴾ إلخ، أي لا يجب أحدكم أن يصير إلى حال رجل له بستان من نخيل وأصاب وغيرها كما يستفاد مما يأتي، وإنما اقتصر على ذكرهما لأهميتهما، وقد أصابته الشيخوخة فصار محتاجا لما في البستان، ومع ذلك له ذرية ضمضاء لا يقدر أن يكتسب ولا على دفع ضرر. وذكر الذرية لإظهار قسوة العسرة عليه لأنه إذا رأى المصيبة فعمه وتعم عياله الضمضاء كان ألمه أشد وحسرتة مضاعفة.

الآية (٩٢) من سورة آل عمران صفحة ٧٨. أي أنفقوا في سبيل الله من أجود أموالكم من النقد وعروض التجارة، وما أخرجنا لكم من الأرض من حب وثمر، ولا تقصدوا المال الرديء تتفقون منه وحده والحال أنكم لا تأخذون هذا الرديء لو أعطى لكم سدادا لحقوقكم إلا مغمضين أبصاركم عن النظر فيه لكرهتكم له. فالمراد لا تعطوا ما لا ترضون لأنفسكم. إن الله غني عنكم، وإنما أمركم بما فيه مصلحتكم، حميد يستحق الحمد دائما، ومن جملة حمده وشكره على نعمه تحرى الإنفاق من الطيب، ثم بين سبحانه البخل لئيبه المؤمن ويتقطع عذر البخل فقال: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ إلخ، أي يخيل إليكم بوسوسته أن الإنفاق يذهب المال فأحرصوا عليه، ويأمر بوسوسته أيضا بالفحشاء كالبخل ومنع الزكاة، والله تعالى يمدكم في كسبه جزاء ما أنفقتم مغفرة لدنوبكم، وفضلا أي رزقا حسنا، أي يجمع لكم بين خيرى الدنيا والآخرة.

والله عز وجل واسع الفضل عالم بنيات المنفقين، وهو سبحانه يؤتى الحكمة من يشاء من عباده الصالحين، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرى الدنيا والآخرة. وما يتعطف ويتنفذ إلا أصحاب العقول الخالصة من ظلمة الشهوات.

ثم أراد سبحانه أن يبين حكما عاما لجميع أنواع النفقات وما في حكمها من النذر بعد بيان ما كان منها في سبيل الله فقط فقال سبحانه: ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ قليلة أو كثيرة، سرا أو علنا، في حق أو باطل، أو نذرت من نذر، في طاعة أو معصية، فإن الله سبحانه يعلمه ويجازى عليه، وما من نصير يدفع عذاب الله عن ظلم.

ثم فصل سبحانه بعض ما أجمل أولا فقال: إن تبدوا. أي تظهروا إعطاء الصدقات «فتنم» هذا الإبداء، وإن تعطوها خفية ويكون الأخذ فقيرا محتاجا فالإخفاء خير لكم لبعده عن الرياء وعن جرح كرامة الفقير. ويكثر هذا الإعطاء مطلقا سرا وعلنا شيئا من سيئاتكم، ومن السيئات ما لا يكفرها إلا السعى على الأولاد أو الحج المبرور مثلا. والله بما تعملون من خير وشر، خبير، وسيجازى عليه.. وأكثر العلماء يرون أن إظهار صدقة الفرض كالزكاة أفضل، وإخفاء صدقة التطوع أفضل إلا لمن وثق من نفسه عدم الرياء وكان قدوة للناس فيحسن له إظهارها ليقتدى به غيره.

إِعْصَاهُ فَإِنَّ نَارَ فَاتَحَرَّتْ كَذَلِكَ يَنْبَغِي اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٩٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْصَرُوا
مِنْ مِلَّةِ مَا كُنْتُمْ وَمِمَّا أُرْسِلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَلَا تَيْمُوا إِلَيْهَا إِنَّكُمْ تُغْفَرُونَ وَلَكُمْ بِإِعْصَائِهِ إِذَا
تَعَفَّوْا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
يَعِدُّ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ نَفْسَهُ
وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا
أُولَ الْأَنْبِيَاءِ ﴿٩٤﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ
فَلَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ مِنْ أَشْيَاءٍ ﴿٩٥﴾ إِنْ تَبَدُّوا
أَصْلَحَتْ فِيمَا هُمْ وَإِنْ تَخَلَّوْا وَتَوَلَّوْا الْفَقْرَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَكَفَّرَ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿إعصار﴾: ربح عاصفة تستدير في الأرض ثم ترتفع حاملة غبار كهينة عمود.

﴿ولا تيمموا﴾: تقصدوا.

﴿الخبيث﴾: المراد به هنا الرديء الذي لا

تعرض عليه النفوس لا الحرام فإنه منهى عن اقتنائه فضلا عن إنفاقه.

﴿إلا أن تنمضوا فيه﴾: قال الراغب:

الإغماض إطباق الجفن عند الشعور بالنوم،

وقد استعير بها هنا للتناقل والتساهل، ويصح

أن يكون (تنمضوا) مضمن معنى التساهل،

وبما أن (تنمضوا) متعد فمفعوله مقدر

مفهوم من سياق الكلام، والأصل ولستم

بأخذيه في أي حال من الأحوال إلا في حال

أن تنمضوا أبصاركم عنه متساهلين في أخذه لرداءته. ﴿حميد﴾: دائم استحقاق الحمد على

نعمه التي لا تنقطع. ﴿الحكمة﴾: المراد بها هنا معرفة أسرار أحكام القرآن والإصابة في القول

والعمل ووضع كل شيء محله. ﴿الأنبياء﴾: العقول. ﴿فتنموا هي﴾: فتنم إبداءوها.

المعنى: فأصاب الجنة ربح فيه ناز أي شديد الحرارة يحرق الشجر ويذهب النبات، وكذلك

المرائي والماء أو المغان والمؤذى يكونون يوم القيامة في شدة الحاجة إلى نفقاتهم التي قترت

بالرياء أو المن أو الأذى، فإذا بهم يجدونها قد حبست وذهب ثوابها وسيقروا إلى جهنم،

فيجوعون مع الحسرة بضياع أموالهم عبثا حسرة العذاب الأليم، كهذا البيان الواضح بين الله

تعالى آياته لتعذبوا بما فيها.

وبعد ما بين سبحانه ما ينبغى أن يكون عليه حال المنفق شرع في بيان ما ينبغى مراعاته

في المبدول فقال: ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ وهي أجودها وأحبها إلى النفس كما في

(١) الآيات. (٢) طيبات. (٣) الشيطان.

(٤) واسع. (٥) الأنبياء. (٦) للظالمين. (٧) الصدقات.

ثم بين سبحانه من هم أحق الناس بالصدقة وهم من اجتمعت فيهم خمس صفات فقال: (المقراء) إلخ، أي أن المبدقات المطاوعة تعطى للمقراء أصحاب الصفات الآتية، وهم أهل الصفة، والصفة بضم الصاد سقيمة كانت في المسجد النبوي، وكانوا أربعمائة من فقراء المهاجرين ليس لهم مأوى غير هذه السقيمة تقيم الشمس، الصفة الأولى: أنهم أحصروا في سبيل الله. والثانية: أنهم لا يستطيعون سفرا لكسب رزق لتفرغهم للجهاد. الثالثة: أن الجاهل بحالهم يظنهم أغنياء لما هم عليه من التعفف. الرابعة: أن لهم علامات خاصة بهم وهي التواضع وأثر التعب. والخامسة: أنهم لا يسيئون الناس شيئا حتى يلحقوا. والمراد لا يسيئون أصلا فلا يقع منهم إحراج كما هو الشأن في محترفي التسول. والدليل على عدم وقوع سؤال منهم أصلا عدم معرفتهم إلا بعلامتهم، ولو سألو لعرفوا بالسؤال. وأيضا شدة تعففهم حتى يظن أنهم أغنياء، ولو سألو لما كانوا كذلك. قال عليه السلام ليس المسكين الذي تردده للصدقة والمعتان لكن المسكين الذي لا يجد ما يكفيه ولا يفتن به فيصدق عليه ولا يسأل الناس، إقروا إن شئتم: (لا يسيئون الناس إحافا). ثم شرع سبحانه في بيان أحوال المنفق وزمان الإنفاق فقال: (والذين ينفقون أموالهم) إلخ المراد أنهم يشغلون أوقاتهم وأحوالهم بالصدقات لعرضهم على الخير، فكلما رأوا فرصة سارعوا ولم يغلوا بوقت ولا حال.

وقال: الفقراء، ولم يقل فقير احم أو فقراء المسلمين، ليفيد أن صدقة التطوع مطلوبة لكل فقير ولو كان كافراً، إلا الكافر المعارب، فإنه لا يجوز إعطاؤه.

خَيْرٌ ^(١٦) * لَيْسَ عَلَيْكَ عَلَيْهِمْ وَكِفٌ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
مِّنْ شَيْءٍ ۖ وَمَا يَشْفَعُونَ فِي خَيْرٍ وَلَا فِي شَرٍّ ۚ وَمَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ وَرَجَعَ اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْفَعُونَ فِي خَيْرٍ يَوْفَ الْبَيْتِ
وَأَمَّا لَا تَقْتُلُوا ۚ الشُّعْرَاءَ ۚ إِنَّهُمْ مُّخْبِرُونَ ۚ وَمَا يَحْضُرُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَأَنْبَسِي لَيْلِيَوْمَ تَمُرُّ بِنَافِ الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
أَغْيَاءً مِنَّا ۚ أَلَمْ نَقْتُلْكَ إِذْ كُنْتَ تَقُولُ لَا مَحَافَظَ لَّيْلِيَوْمَ
إِن كُنَّا ۚ وَمَا يَشْفَعُونَ فِي خَيْرٍ قُلْنَا اللَّهُ يَعْلَمُ ^(١٧)
الَّذِينَ يَشْفَعُونَ ۚ إِنَّهُمْ قُلُوبٌ كَاذِبَةٌ ۚ وَلَا تَقُولُوا لِمَن
أَحْرَمَ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ^(١٨)
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَرْبَابًا لَا يُحْيَوْنَ ۚ أَلَا كَيْفَ يَعْلَمُ الَّذِي
يَجْعَلُ الْبَطْنُ مِنَ الْمَمْنِ ۚ إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۚ قُلْنَا إِنَّكَ
الْبَيْعُ بِغُلٍّ أَرَبْنَا ۚ وَأَمَّا اللَّهُ الْبَيْعُ حَرَمٌ أَرَبْنَا ۚ قُلْنَا

ألا يعاقب قبل بلوغ الحكم، لكن العبارة تشعّر بأن رد الربا إلى أصحابه أفضل، ومن عاد إلى أكل الربا مستحلاً له بعد هذا النهي فهو خالد في النار؛ لأن استئصال الحرام كثر. يحقق الله الربا ويجعله سبب شقاء آكله، ويزيد فائدة الصدقات بالبركة في مال صاحبها في الدنيا ويزيادة أجرها في الآخرة. والله لا يرضى عن شديد الكفر باستئصال الحرام، دائم ارتكاب الإثم، وقوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» إلخ، تمرّض بمن يأكل الربا؛ كأنه يقول: لو كان من هؤلاء لامتنع عنه. وتمهيد لقوله بأنها الذين آمنوا بالله وارتكوا ما بقي لكم من الربا عند الناس، فإن لم تتركوه فاعلموا: أنكم في حرب مع الله تعالى، ومن كان في حرب معه فقد هلك، لأنه سبحانه قادر على الانتقام منه في الدنيا بضياع المال والحسرة عليه عند فراقه، وبمذاب أليم في الآخرة. وإن تبسم عن الربا امتثالاً لأمر الله عز وجل فلنكم أصل أموالكم فقط. ولا تأخذوا الزائد من الربا.

لا تظلمون المدينين بأخذ الزائد، ولا يظلمكم المدينين بنقص شيء من رأس المال.

وإن وجد مدين ذو عسرة وعجز عن سداد أصل الدين فانتظروه حتى يصير قادراً، ولا ترابوا المال عليه. وتصدقكم على المعسر بإيرائه من أصل الدين كله أو بعضه خير لكم من انتظار ميسرة لما في التعاطف والتراحم من كبير الأجر عند الله، إن كنتم تعلمون الخير العظيم في التصديق. روى مسلم أنه ﷺ قال: (من انظر معسراً أو ترك له شيئاً مما عليه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله).

ثم ختم سبحانه آيات الربا بالموعظة التي تذكر المؤمن بيوم القيامة وتسهل عليه التسامح والتفضل فقال: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» فيوفي كل نفس جزاء ما عملت خيراً أو شراً، ولا يظلم الطائع بضياع شيء من أجره، ولا العاصي بزيادة شيء من العقاب عما يستحق. وقد ورد أن من آخر الآيات نزولاً آيات الربا.. وكان بين نزولها وبين وفاته ﷺ تسع ليالٍ.

﴿مَوْعِظَةٌ﴾: وعظ وجرع عن الحرام.
﴿مَا سَلَفَ﴾: ما مضى.
﴿يُمِثِّقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: يذهب ويذهب بركة ما خالطه.
﴿وَيُزِيدُ الصَّدَقَاتِ﴾: يزيد في فائدتها في الدنيا والآخرة.
﴿وَذَرَوْا﴾: اتركوا.
﴿فَإِذَا نَدُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي فاعلموا أنكم على حرب مع الله ورسوله أي فأنتم أعداؤهما.

﴿فَلَكُمْ رَعُوسٌ أَمْوَالُكُمْ﴾: أي أصل أموالكم الخالي من الربا.
﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾: أي صاحب عسر لا يستطيع سداد أصل الدين.
﴿فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾: أي فانتظار عليه إلى يسر وغنى يمكنه معه الأداء.

المعنى: ضمن بلفه نهى من الله تعالى عن الربا فسمع وامتلأ قلبه ما مضى من الربا قبل التحريم لأنه لا عقاب إلا بعد تحريم، وأمره بعد ذلك إلى الله تعالى يعامله بعدله، ومن العدل

- (١) أصحاب.
- (٢) خالدون.
- (٣) الربا.
- (٤) الصدقات.
- (٥) الصالحات.
- (٦) الصلاة.
- (٧) الزكاة.
- (٨) الربا.
- (٩) أموالكم.

﴿وأقوم للشهادة﴾: أى أعون على إقامتها على وجهها.

﴿وأدنى الأترافيو﴾: أى واقرب إلى عدم الشك.

﴿وحاضرة تدبرونها بينكم﴾: حضور التجارة بحضور البديلين من الثمن والمبيع تدار بين المتعاملين بدايد.

المعنى: أنه سبحانه بعد أن بين الحلال والحرام فى التعامل أمر هنا بحفظ المال بكتابة الدين والإشهاد عليه وأخذ الرهن إذا لم تيسر الكتابة، فالمراد إذا دأبن بعضكم بعضا بمال إلى أجل معين كشهركذا فاكثروا مقداره وأجله، لأن ذلك أبعاد عن النسيان عند التقاضى وسد باب الفتنة بالإنكار. وقال بعض العلماء إن الأمر بكتابة الدين للوجوب خصوصا إذا فسدت النعم، يؤيد ذلك قوله تعالى الآتى فى الكلام على التجارة الحاضرة ﴿فليس عليكم جناح ألا تكتبوها﴾.

ثم بين سبحانه كيفية الكتابة فقال: ﴿وليكتب بينكم كاتب﴾ عادل يحافظ على حق كل من الطرفين، وإذا طلب كاتب للكتابة وهو عدل عالم بشروط المعاملات لا يجوز أن يمتنع، وأكد حرمة الامتناع بأمره صراحة بقوله: ﴿فليكتب﴾ وليبق على الكاتب من عليه الدين ليكون إملاؤه حجة عليه ﴿وليثبت الله﴾ فى إملائه فلا يتقص منه شيئا. فإن كان المدين سفيها إبخ فليعمل وليه بالصدق والعق، واستشهدوا على الدين شاهدين يوقعان على الوثيقة من رجالكم المدول، فإن لم يكن الشاهدان رجلين فليشهد رجل وامرأتان ممن تعرفون عدالتهم خوفا أن تخمض إحدى المرأتين لعدم قوة ضبطها المعاملات المالية، لأنها ليست من الأمور التى تهتم بها غالبا، فتذكرها الأخرى، أى تذكر كل منهما صاحبها ما قد تساه. ولا يمتنع الشهود إذا دعوا لتعمل الشهادة وقت الكتابة لما فى الكتابة من الفوائد الآتية المشاز إليها بقوله: ذلكم، أى هذه الأحكام أعدل فى شرع الله وأعون على إقامة الشهادة على وجهها. وهذا يفيد أن للشاهد العق فى أن يطلع على الوثيقة ليتأكد مما شهد عليه، واقرب إلى انتفاء الشك، (إلا أن تكون تجارة) إبخ أى يجب الدين، أما التجارة فى الأشياء الحاضرة عند التعامل والمبادلة يد بيد بدون تأجيل شىء منها.

وَمَنْ لَا يَلْمِزْكُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ مِمَّا قَدْ تَصَدَّقَ بِهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٠١﴾
وَيَنْبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَذَكَّرُوا أَنْ يَسْتَعِينُوا بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقِضُوا عَنْهُمْ حَقَّ رِبَاهُمْ أَوْ يَلْبَسُوا لِبَاسًا يَكْتُمُونَ عَنْ رِبَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٢٠٢﴾
وَيَنْبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَذَكَّرُوا أَنْ يَسْتَعِينُوا بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقِضُوا عَنْهُمْ حَقَّ رِبَاهُمْ أَوْ يَلْبَسُوا لِبَاسًا يَكْتُمُونَ عَنْ رِبَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٢٠٣﴾
وَيَنْبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَذَكَّرُوا أَنْ يَسْتَعِينُوا بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقِضُوا عَنْهُمْ حَقَّ رِبَاهُمْ أَوْ يَلْبَسُوا لِبَاسًا يَكْتُمُونَ عَنْ رِبَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٢٠٤﴾
وَيَنْبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَذَكَّرُوا أَنْ يَسْتَعِينُوا بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقِضُوا عَنْهُمْ حَقَّ رِبَاهُمْ أَوْ يَلْبَسُوا لِبَاسًا يَكْتُمُونَ عَنْ رِبَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٢٠٥﴾
وَيَنْبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَذَكَّرُوا أَنْ يَسْتَعِينُوا بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقِضُوا عَنْهُمْ حَقَّ رِبَاهُمْ أَوْ يَلْبَسُوا لِبَاسًا يَكْتُمُونَ عَنْ رِبَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٢٠٦﴾
وَيَنْبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَذَكَّرُوا أَنْ يَسْتَعِينُوا بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقِضُوا عَنْهُمْ حَقَّ رِبَاهُمْ أَوْ يَلْبَسُوا لِبَاسًا يَكْتُمُونَ عَنْ رِبَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٢٠٧﴾
وَيَنْبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَذَكَّرُوا أَنْ يَسْتَعِينُوا بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقِضُوا عَنْهُمْ حَقَّ رِبَاهُمْ أَوْ يَلْبَسُوا لِبَاسًا يَكْتُمُونَ عَنْ رِبَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٢٠٨﴾
وَيَنْبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَذَكَّرُوا أَنْ يَسْتَعِينُوا بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقِضُوا عَنْهُمْ حَقَّ رِبَاهُمْ أَوْ يَلْبَسُوا لِبَاسًا يَكْتُمُونَ عَنْ رِبَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٢٠٩﴾
وَيَنْبَغِي لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَذَكَّرُوا أَنْ يَسْتَعِينُوا بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقِضُوا عَنْهُمْ حَقَّ رِبَاهُمْ أَوْ يَلْبَسُوا لِبَاسًا يَكْتُمُونَ عَنْ رِبَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٢١٠﴾

﴿ولا ياب﴾: لا يمتنع. ﴿وليسلم﴾: أى يلق على الكاتب ما يكتبه.

﴿ولا يبخس منه شيئا﴾: أى ولا ينقص من الذين شيئا ولو قليلا.

﴿وسفيها﴾: مجنونا أو محجورا عليه لتبذير. ﴿أو ضعيفا﴾: مصيبا أو كبيرا خرطا لا يعى ما يقول.

﴿ولا يستطيع أن يمل﴾: لنحو خرس أو جهل باللغة التى يكتب بها.

﴿وليسه﴾: من والد أو وصى أو قسيم أو مترجم. ﴿بالعدل﴾: بالصدق والعق.

﴿وتعمل إحداهما﴾: المراد بالضلال هنا النسيان الذى يوقع فى الخطأ. ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾: كان الظاهر أن يقول فتذكرها الأخرى، بالضمير بدل الاسم الظاهر، لكنه سبحانه عدل عنه لأنه لا يفيد المعنى المراد، لأن المراد أن كل واحدة من المرأتين عرضة لأن تنسى شيئا من عناصر الشهادة، وتذكر شيئا، وقد تكون إحداهما تذكرت شيئا نسيت الأخرى، وهذه الأخرى تذكرت شيئا نسيت زميلتها، فتصير كل واحدة منهما متذكرة وناسية فى آن واحد، ومجموع شهادتهما يكون شهادة واحدة سليمة من الخطأ. فلو قال: أن تقل إحداهما فتذكرها الأخرى، لكان الكلام خاصا بحاله وإحالة وهى أن تكون إحداهما متذكرة لكل شىء، والثانية ناسية لبعض الأشياء، فيكون التذكر خاصا بواحدة والنسيان خاصا بالأخرى، وليس هذا هو المراد. والله أعلم.

﴿ولا تساموا﴾: أى لا تملوا ولا تكسلوا. ﴿واقسط عند الله﴾: أى أعدل فى شرع الله.

- (١) (٢٦) إحداهما. (٢) تساموا. (٣) الشهادة. (٤) تجارة.

يعلمكم ما فيه صلاح حالكم في الدنيا والآخرة بما يشرعه لكم. ولولا ذلك لتخبطتم في السير وانحرفت بكم السبل. وهو سبحانه واسع العلم بكل شيء فلا يشرع لكم إلا عن علم محيط بأسباب المصالح التي أمركم بها وأسباب المفاسد التي نهاكم عنها. ومن هذا يعلم أن التقوى لا تكون إلا بعد علم بما شرعه الله من حلال وحرام، وعلم بما يصح العبادة وما يفسدها.

نعم هناك علم آخر يكون ناتجا عن تقوى الله، وهو علم خاص يفيضه الله على عبده التقى، فيعطيه نورا يفرق به بين دقائق الشبهات التي لا يعلمها كثير من الناس، ويزيده طمأنينة قلب إلى ما يمتدح فيعيش مستريح الضمير آمنا في سيره إلى الله انظر الآية (٢٩) من سورة الأنفال صفحتي ٢٢٠، ٢٢١. وفي ذلك قال ﷺ (من تعلم فعمل بعلمه علمه الله ما لم يعلم) وفي رواية (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم).

بعد ذلك يقول الحق: وإن كنتم مسافرين وقدايتهم وليس معكم كاتب ولا شهيد فالدني تحفظون به أموالكم أشياء مروهنة يقبضها الدائن ضمانا لدينه. ويجوز الرهن في الحضرة لرهنة درعه عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير. فإن آمن بعضهم بعضا بحسن ظنه سفرا أو حضرا فلم يكتب ولم يشهد ولم يرتهن فيجب على المدين الذي اتفقه الدائن أن يؤدي الدين الذي هو أمانة عنده، وليتق الله ولا ينكر الحق. ولا تكتموا أيها الشهود الشهاداة بالاستماع عن أداها إذا طلبتم لها، لأن كتمانها ذنب كبير متمكن من أشرف مكان وهو القلب. والله بما تعملون من أداء أو كتمان عليهم وسيجازيكم.

لله ما في السموات وما في الأرض خلقا يشرع لمن فيها ما فيه مصلحتهم. وإن تظهروا للناس ما في أنفسكم من السوء بإظهار أثره، أو تخفوه احتراسا من الناس لا خوفا من الله، فسيجازيكم عليه يوم القيامة، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، فإذا أراد للعبد غفرانا وفقه للعمل الصالح الذي يذهب السيئات، والله على كل شيء قدير. فلا راد لما أراد.

ثم ختم سبحانه السورة بمافيته إرشاد الناس إلى الآخرة لا يفرقهم جنس ولا تبعية نبي دون نبي ولا كتاب دون كتاب فقال في صورة شهادة مئة تعالى لنبية الأكرم وأصحابه الأخيار «آمن الرسول» إلخ وقد تقدم بيان ذلك في الآية (٤) والآية (١٧٧) من هذه السورة صفحات ٣٢، ٣٣، ٣٤.

آمن النبي وصحبه قائلين لا نفرق بين أحد من رسله حتى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى. بل نؤمن بالرسول جميعا، فهي بيان مزية هذه الأمة وتعرض بغيرها.

«جناح»: مؤاخذه. «لا يضار كاتب ولا شهيد»: أي لا يضار المتعاملان أو أحدهما الكاتب أو الشاهد بتحميلهما مشقة تكلفهما مالا في سفر أو بتكليفهما ما لا يليق بكسفر طويل مشيا على الأرجل أو إرغامهما على كتابة أو شهادة زور أو ما فيه غبن. «فسوق بكم»: أي خروج بكم عن طاعته تعالى. «وانتصوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم»: كسر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لإيخال المهابة في النفوس فتسارع للعمل، وللتبنيه على أن كل جملة منها مستقلة عما قبلها تفيد معنى خاصا بها، فالأولى فيها الحث على التقوى. والثانية وعد منه سبحانه بإتمامه على عيادته بتعليمهم ما به تقونه. والثالثة فيها تعظيم لشأنه تعالى وأنه لا يشرع سبحانه وتعالى إلا عن علم تام. فالواو فيها للاستئناف، ولا للعطف، ولا للحال. «فرهان مقبوضة»: أي فشيء يرهن يقبضه صاحب الدين. «ثم قلبه»: أي فأنتم شديد لأنه ناشئ من صميم قلبه لا نسيانا، والعرب إذا أرادت المبالغة في شيء أسندت الفعل إلى العضو المختص فيقول أحدهم هذا الشيء رأته عيني وسمعته أذني.

المعنى: فلا حرج عليكم في عدم كتابة التجارة الحاضرة لعدم التنازع، ولما في ذلك من المشقة. وأشهدوا إذا تبايعتم في المعاملة الحاضرة لأن الإسهاد يدفع ما قد يحصل من الاختلاف خصوصا إذا كان التعاقد في أشياء كبيرة القيمة. ولما كان شأن ما يحصل في التجارة الحاضرة أن يكون قريبا من زمن العقد اكتفى فيها بالشهادة بخلاف الديون المؤجلة، فقد يموت أحد الشهود، فلهاذا وجب الكتابة، وإذا أوجب الله تعالى على الشاهد والكاتب عدم الامتناع فلا يصح أن تضروه. وأن تفعلوا ما نهيت عنه فقد خرجتم عن طاعة ربكم. واتقوا عقاب الله بأن تفعلوا ما أمركم به، وتبتعدوا عما نهاكم عنه على لسان رسوله، وهو سبحانه

فقال: ﴿هَٰذَا لَا تَأْخُذُنَا﴾ أي قولوا في دعائكم ربنا لا تأخذنا بالمعقاب إن نسينا أن نذكر ما ينبغي فعله من غفلة، أو اخذنا أي فعلنا ما لا ينبغي عن خطأ غير مقصود، ولا كفنا أمرًا يشق علينا عمله كما كفنا به من قبلنا من بني إسرائيل، حيث كانت لتقبل توبة مدين منهم إلا بقتل نفسه كما تقدم في الآية (٥٤) من هذه السورة صفحة ١١.

وكان الشيء المتجسس لا يظهر بالغسل بل لابد من قطع مكان التجاسة من الثوب مثلاً، وكان المطلوب في الزكاة ربع المال لاربع عشره كما هو في الإسلام إلى غير ذلك، ولا تحمنا مالا قدرة لنا على الصبر عليه من البلايا والنفس. واعف عنا بمعو أثر ما قد يقع منا، واعف لنا ذنوبنا، أي استرها فلا تفضحنا بإظهارها ولا بالآخذة عليها، وارحمنا في كل الأحوال بتوفيقنا لسنة رسولك، أنت مولانا، أي ناصرنا ومتولى أمورنا، فانصرنا على الكافرين؛ لأن من شأن المولى أن ينصر موله على من كفر به باتخاذ أولياء من دونه سبحانه يلجأ لهم ويتقرب إليهم بالذبايح والندور لينفعوه عند الله، فانصرنا بامولانا على الجاهلين منهم والجاهدين بالحجة والبرهان، وعلى المعتدين منهم بالسيف، واعلم أنه يجب على المؤمن أن يتقيه إلى أن الله سبحانه ما علمنا هذا الدعاء ليجرد أن نحرك به شفاهاً، بل لنوجه به إليه بقلوبنا عاملين ما يرضيه. فإن من يستغفر من الذنب وهو مُصر عليه كالستهزئ بربه. نسأل الله سبحانه السلامة والتوفيق ﴿وَالْم﴾ تقدم الكلام عليها أول البقرة.

﴿وَالْم﴾: تقدم شرحها أول سورة البقرة. ﴿القيوم﴾: دائم القيام يشئون خلقه على أتم وجه.

﴿وَالله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ تقدم تفسيرها في آية الكرسي وهي آية ٢٥٥ من سورة البقرة صفحة ٥٢.

﴿وَالله بين يديه﴾: ما تقدمه. ﴿الفرقان﴾: قوى الفرق بين الحق والباطل، فيشمل الكتب السابقة وغيرها كصحف إبراهيم وزيور داود، ويشمل العقل السليم أيضاً فهو من عطف العام على الخاص، ﴿أنزل﴾: كل ما يخبره من قبل الحضرة العلية الإلهية يسمى إعلاؤه تنزيلًا كما قال ﴿وأنزلنا الحديد﴾ الآية (٢٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢.

مِّن رَّبِّهِۦٓ وَقَالُوا۟ نَحْنُ وَأَبْنَاؤُكُمْ فَغَنَازِكُمْ رَبَّنَا وَابْنِكَ الْغَيْبِ ﴿١٢﴾ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا رُسُلًا مِّنْ مَّا كُنْتُمْ وَظِيهًا مَا اكْتَسَبْتَ رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْنَا إِنْ شِئْنَا وَارْحَمْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَاحِلًا عَلَيَّ الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا عَالَمُنَا ثِقَلًا وَلَا نَفْثًا مِّنْ عَنَّا وَتَغْيِيرِكَ أَرْجَاهُ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾

(١٢) يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرًا وَأَلْطَأُ الْكَافِرِينَ

يَسِّرُ الْكَافِرِينَ

الَّذِينَ لَا يَأْمُرُونَ بِالْغَيْرِ الْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ۚ

ولما كان شأن المؤمن الذي يقول هذا أن يكون يقظاً لأقل تقريط، يلوم نفسه على ما دون الكمال، كان من شأنه أيضاً أن يقول مع السمع والطاعة: غفرناك ربنا، أي نسألك أن تغفر ما قد يقع منا، وإليك وحدك مرجعنا، فوفقنا لما يرضيك عنا يوم لقائك، وتلقين الله للمؤمنين هذا الدعاء توجيهه منه سبحانه لهم إلى اليقظة والمسارة للتوبة عند كل هفوة.

ثم بشر سبحانه عباده الذين يلجأون إليه بتيسير الطاعة لهم فقال: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا رُسُلًا﴾ الخ، أي ما في طاعتها كما في الآية (٧٨) من سورة الحج صفحات ٤٤٤، ٤٤٥.

لها ثواب ما كتبت من الخير وعليها عقاب ما اكتسبت من الشر.

وغير التعبير في جانب الشر بما يفيد التكليف لأن فطرة الإنسان التي فطره الله تعالى عليها لا شر فيها، والشر لا يأتيها إلا بتكليف من الخارج. ولهذا نرى فاعل الشر يشعر بفتح عمله في صميم قلبه ويكره أن يعرفه عنه الناس، فالشر ممقوت حتى في نظر صاحبه. انظر شرح الآية (٢٠) من سورة الروم صفحة ٥٢٤. ثم أراد سبحانه أن يعلم عباده ما يدعون به

﴿لها ما كتبت﴾: من خير. ﴿وعليها ما اكتسبت﴾: من شر.

﴿واصر﴾: أصله الحمل الثقيل والمراد به هنا التكليف الشاق.

المتى: وقالوا سمعنا كلام الله سماع فهم وقبول، واطعنا ما أمرنا به عز وجل عن إخلاص ويقين، لانفاقاً ولا تقليداً لا يؤثر في القلب.

ولما كان شأن المؤمن الذي يقول هذا أن يكون يقظاً لأقل تقريط، يلوم نفسه على ما دون الكمال، كان من شأنه أيضاً أن يقول مع السمع والطاعة: غفرناك ربنا، أي نسألك أن تغفر ما قد يقع منا، وإليك وحدك مرجعنا، فوفقنا لما يرضيك عنا يوم لقائك، وتلقين الله للمؤمنين هذا الدعاء توجيهه منه سبحانه لهم إلى اليقظة والمسارة للتوبة عند كل هفوة.

ثم بشر سبحانه عباده الذين يلجأون إليه بتيسير الطاعة لهم فقال: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا رُسُلًا﴾ الخ، أي ما في طاعتها كما في الآية (٧٨) من سورة الحج صفحات ٤٤٤، ٤٤٥.

لها ثواب ما كتبت من الخير وعليها عقاب ما اكتسبت من الشر.

وغير التعبير في جانب الشر بما يفيد التكليف لأن فطرة الإنسان التي فطره الله تعالى عليها لا شر فيها، والشر لا يأتيها إلا بتكليف من الخارج. ولهذا نرى فاعل الشر يشعر بفتح عمله في صميم قلبه ويكره أن يعرفه عنه الناس، فالشر ممقوت حتى في نظر صاحبه. انظر شرح الآية (٢٠) من سورة الروم صفحة ٥٢٤. ثم أراد سبحانه أن يعلم عباده ما يدعون به

وكيف لا يعلم أحوالكم وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء من ذكورة وأنوثة، وتنام وتقص، ولون مخصوص، وغير ذلك لا إله غيره يفعل ذلك، وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم في أفعاله. وهو الذي أنزل عليك النبي القرآن منه آيات واضحات يهيمها كل مكلف هي أساس الكتاب والمرجع لما فيه، ومنه آيات محتملات لأوجه متعددة، فالذين في قلوبهم زيغ يتبعون التشابه ليفتوا به ضعاف العقول بتأويله على ما يوافق أهواءهم، فإذا سمعوا متشابهها كتوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ أو ﴿رَبِّ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أشاعوا في الناس أن إله محمد يشبه الخلق له وجه وله يد..... إلخ والحق أن تأويل التشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل والإسلام الراسخون في العلم؛ فيرجعونه إلى الحكم ويقولون كل من الحكم والمتشابه من عند ربنا، فلا يمكن أن يختلف بعضه عن بعض. وبما أنه سبحانه قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فيجب أن يحمل الوجه واليد وغيرهما على صفة تليق به سبحانه وتعالى لاشبه بينها وبين ما في الخلق فكما أن سمعته وبصره وكلامه لا يشبه شيء منيا ما في الخلق فكذلك وجهه وبده سبحانه. ولم يكلفنا الله عز وجل بمعرفة حقيقة سمعه وبصره.

في الحكم الآيات الدالة على عدله تعالى وأن ثوابه على قدر عمل العبد... والمتشابه ما يرد إليه مثل ﴿يُضِلْ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ مَنْ يَشَاءُ﴾ و﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ و﴿وَرِثَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ والآيات (٣٩) من سورة الأنعام صفحة: ١٦٨، ٣١ من سورة المائدة صفحتي ٧٧٦، ٧٧٧ (٣٠) من سورة الإنسان صفحة: ٧٨٢ (٢٩) من سورة التكاثر صفحة: ٧٩٥.

وما يذكره يفهم الحق إلا أصحاب العقول الخالصة من الزيغ وهؤلاء هم الذين يلجئون إلى الله دائما قائلين: ربنا لا نترغ قلوبنا بتحويلها عن الحق بعد أن تفضلت وهديتنا. وهب لنا من عندك الرحمة.

﴿كُدَّابُ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: الدَّابُ العادة والحال الثابتة. ﴿بَنَسُ الْمَهَادِ﴾: قبح الفراش الذي يتوون إليه. ﴿أَرِيَّةُ﴾ دليل. ﴿فَتَتَيْنِ التَّقَاتِ﴾: فرقتين التقات للقتال. ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ﴾: قال عمر بن الخطاب المزين هو الله. والمراد خلق جيبها في القلوب ليضم الكون، وتكون وسائل للأخرة بتكثير النسل للجهاد والإنفاق في سبيل الخير العام. فالمراد أنشأ الله الناس على هذا وفطرهم عليه، أنظر

عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ مِن قَبْلُ هَٰذَا لِيُثَبِّرَ وَلِيُؤْتِي السُّرُورَ ۚ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فِي لَيْلٍ مِّنَ اللَّيْلِ لَعَلَّكَ تَعْلَمُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ۚ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْكَافِي ۚ

﴿محكمات﴾: هي الآيات الواضحة الدلالة التي يمكن الجميع فهمها كتوله ﴿لا تقربوا الزنا﴾، ﴿لا تقتلوا أولادكم﴾، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وما أشبه ذلك.

﴿هن أم الكتاب﴾: أي أصل القرآن وعمدته وأساس أحكامه التي يرد كل ما عداها مما يحتمل أوجه كثيرة إليها.

﴿متشابهات﴾: محتملات لأوجه كثيرة. والمحكم والمتشابه في القرآن له معنيان: ما هنا، وما في أول سورة هود صفحة ٢٨٢ مع مافى الآية (٢٢) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩.

﴿زيغ﴾: بُعِدَ عن الحق والصواب. ﴿ابتغاء الفتنة﴾: طلباً لفتنة الناس عن الإسلام بالتشكيك فيه.

﴿وابتغاء تأويله﴾: رجاء أن يتأوله ويصرفه عن معناه الذي يوافق الحكم إلى ما يوافق أغراضهم وشهواتهم. ﴿بعد إذ هديتكم﴾: المراد بعد هدايتكم.

المنى: الله هو الذي نزل عليك القرآن ممثلاً بالحق والصدق مصدقاً لما تقدمه من كتب الأنبياء فيما لم يحرفوه منها، وأنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى من قبل هاديين للناس من الضلال، وكذلك أنزل كل ما يفرق بين الحق والباطل، إن الذين كفروا بآيات الله التي أنزلها لهداية عباده لهم عذاب شديد. والله عزيز أي غلب لا يهزمه عذابهم، ذو انتقام أي عقوبة شديدة بمن خالف أمره. وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء مطلقاً، فيعلم السر وأخفى، فيثيب الطائع ويعذب العاصي.

(١) الكتاب.	(٢) التوراة.	(٣) بآيات.	(٤) الكتاب.
(٥) آيات.	(٦) محكمات.	(٧) الكتاب.	(٨) متشابهات.
(٩) تشابه.	(١٠) والراسخون.	(١١) الأبواب.	

﴿القسط﴾: العدل.

المعنى: ذلك المذكور من الأشياء الستة هو ما يستمع به الناس في حياتهم الفانية، والله عنده المرجع الحسن في الآخرة من التعميم الدائم. ثم فصل هذا التعميم بقوله: قل أيها النبي لهؤلاء الذين جعلوا كل همهم في المتاع الزائل هل أخبركم بأحسن مما ذكر من هذا المتاع الفاني؟ فاسمعوا أقل لكم أن عندي للمتقين جنات تجري من تحتها الأنهار، وأشجارها لهم فوق ذلك رضا من الله عز وجل كثير دائم لا غضب بعده، والله بصير بعباده، فيعلم من يستحق هذا التعميم ومن لا يستحقه.

ثم وصف أهل التقوى بأنهم هم الذين يقولون ربنا إنا بكَ وبرسلك فاعفَ عننا ذنوبنا وقنا عذاب النار، الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، والصادقين قولاً بقرير الحق، وعملًا بإتقان العمل، ونية بعدم التردد في عمل الخير، والقائنين أي المداومين على الخشوع، والمتقين للمال في طريق الخير، والمستغفرين في الأسحار أي المصلين في الليل والناس نيام. قال مجاهد وابن كثير: المستغفرون هنا المصلون؛ لأن أهل التهجد آخر الليل يطلبون بتهجدهم مغفرة الله عز وجل.

﴿شهد الله﴾: أي أخبر الله ملائكته بأنه سبحانه واحد لا يعبد سواه، والملائكة أخبرت الرسل بذلك، والرسل أخبرت أهل العلم، والعلماء أخبروا الناس كافة بأنه إله واحد، مقيمًا للعدل بين خلقه. ثم أكد توحيده المشهود به فقال: لا إله إلا هو العزيز الغالب الذي لا يغلب، الحكيم فيما يفعل.

إن الدين المرضي عند الله هو الإسلام الذي يعث الله به جميع الرسل، والمراد بالإسلام هذا الأصول التي اتفق الجميع عليها المشار إليها في الآية (١٢) من سورة الشورى صفحتها ٦٤٠، ٦٣٩.

وهي التوحيد والرسالة والبعث ومكارم الأخلاق، أما الفروع فلكل أمة ما يناسبها في عصرها أنظر الآية (٤٨) من سورة المائدة صفحة ١٤٦ والآية (١٧) من سورة الحج صفحة ٤٤٢.

أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىَّ الْكِتَابَ
وَأَلَّيْتُ بِهِ نَفْسِي فَإِنِ اسْتَوْفَىٰ قَدِّعْتُ وَأَن تَوَلَّىٰ
فَوَيْلٌ لِّلَّكَ الْبَلَّغُ وَآلَهُ بِصِيرُ الْبَلَّغِ ۚ إِنَّ الْدِّينَ
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْبُرْجَانِ وَيَقْتُلُونَ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَارُونَ بِالْفِسْطِ مِنَ الْبَاسِ قَتَلْتُمُ
مَدَائِجَ الْبِيسِ ۖ أَوَلَيْكُمُ الدِّينُ حَتَّىٰ تَغْلِبَ أَهْلَهُمْ
فِي الدِّينِ وَالْآخِرَةِ وَتَأْتُمُوهُنَّ مِنَ الْبُغْيِ ۖ أَوَلَيْكُمُ
الدِّينُ أَوْفَىٰ نَفْسِي مِنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ
لِيُخْشَىٰ بِهِ نَفْسِي ثُمَّ يَنُوكَ قَوْلِي ثُمَّ يَمْزُقُونَ
كَأَنَّ بَاسَهُمْ قَوْلًا أَن تَمْسَكَ الْفَلَاحَ الْبَاسَ مَدْعُونَ
وَعَرِّمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۖ فَكَيْفَ إِذَا
جَمَعْتُهُم بِتَوْرٍ رَبِّي وَوَعَيْتُهُمْ عَلَىٰ نَفْسٍ مَا كُنْتُ
نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ ۖ الْمَرَادُ بِهِمُ الْيَهُودُ.

﴿أسلمت وجهي لله﴾: انقذت مخلصًا وخضعت بظاهري وباطني لله لا أشرك به غيره.
﴿الأميين﴾: المراد بهم هنا مشركو العرب. ﴿القسط﴾: العدل ﴿حبطت﴾: بطلت. ﴿الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب﴾: المراد بهم اليهود.

المعنى: وحيث أنه لا فائدة في محاجتهم فأعلمهم أنك ومن اتبعك من المؤمنين خضعت لله وحده، وقل لأهل الكتاب عامة.. يهودًا أو نصارى والمشركين من العرب الأميين أي الذين لا يقرءون كتابًا: هل أسلمتم بعد تلك الحجج أم مازلتُم على عنادكم؟ فإن أسلموا فقد اعتدوا إلى الحق وأنجوا أنفسهم من العذاب، وإن أعرضوا عن الإسلام فلا يضرك إعراضهم؛ لأن الذي عليك إنما هو إبلاغهم حكم الله، وقد بلغت، وليس عليك هدايتهم، والله بصير بعباده فيجازي كلا بما يستحق. إن اليهود الذين يكفرون بآيات الله التي قرءوها في التوراة الدالة

وما اختلف اليهود والنصارى في الدين بأن وحد بعضهم وكفر بعضهم إلا من بعد ما جاءهم العلم على لسان أنبيائهم وفقى كتابهم، بغيًا وحسدًا وفق بينهم، لا لشبهة عرضت، وإلا لأزالها أقل برهان مما بين أيديهم وماجاء به خاتم الرسل صلوات الله تعالى عليه. ومن يكفر بعد تلك الآيات والبراهين فسيلاقى جزاء كفره حتمًا في أقرب وقت. فإن حاك وجادل في الدين الكافرون بعد إقامة هذه الحجج فلا تجادل وقل: انقذت مخلصًا وخضعت بظاهري وباطني لله لا أشرك به غيره.

- | | | | |
|-------------|--------------|--------------|------------|
| (١) الكتاب | (٢) والأميين | (٣) البلاغ | (٤) بآيات |
| (٥) النبيين | (٦) أعمالهم | (٧) ناصرين | (٨) الكتاب |
| (٩) كتاب | (١٠) معدودات | (١١) جمعناها | |

ما ينقصل عنه في حياته. فليس من الله في شيء؛ فليس من دين الله في شيء، أي فهو بعيد عما شرعه سبحانه.

إلا أن تتقوا منهم تقاة؛ أي إلى في حال خوفكم منهم أن يؤذوكم، بشيء يتقونه منهم، أي فلكم حينئذ أن توالوهم ظاهراً بقدر ما يدفع عنكم الضرر، فهي في الواقع موالاة ظاهرة لا الحقيقية المنتهى عنها ويحذركم الله نفسه؛ أي عقاب نفسه، وعقاب الله شديد.

المعنى: ولا يظلم أحد بزيادة في سيئاته ولا ينقص من حسناته.

وإذا استمر إعراض هؤلاء الكافرين عن

دينك أيها النبي واستولوا عليهم الغرور فدعهم وارجع إلى الله بالدعاء والثناء، وقل يا الله بامالك الملك الحق، تعطى بعض الملك المصوري من تشاء، وتزعه من تشاء، وتعر من تشاء بشيء من أسباب العز، وتذل من تشاء بسحب الأسباب عنهم، بيدك الخير أي والشر، بدليل فتذل وتترع؛ لا يعجزك شيء، ومن مظاهر قدرتك أنك بحكمتك في تكوين الأرض وجعل سير الشمس بحساب صار يزيد كل من الليل والنهار بمقدار ما ينقص من الآخر. ومن قدرتك العجيبة أنك تخرج من البيت حياً ومن الحي ميتاً، وتزق من تشاء ولأرقب عليك يحاسبك؛ لأن الأمر كله بيدك، وإذا كان الكافرون على هذا الحال من العناد فاحذروهم، ولا يتخذ مؤمن كافراً وليا يصطفيه فيطاعه على أسرار المؤمنين الخاصة لما في هذا من ضرر مصلحة المؤمنين، خصوصاً وهم يرونهم يهزؤون بهم ويعبدونهم كما في الآية (٥٧) من سورة المائدة صفحة ١٤٨: فلا يجوز أن يصطفى المؤمن من غير المؤمنين أحداً؛ وهذا لا يمنع أن تعاملوا

(١) مالك. (٢) الليل. (٣) الكافرين.
(٤) تقاة. (٥) السموات.

على صدقك أيها النبي وقتلون أنبياء الله بغير حق. وبما أن الخطاب لليهود المعاصرين له عليه السلام بدليل ماسياتي من إنذارهم بالمذاب ولا إنذار لغير الموجود، يكون المعنى: قتل آبائهم ورضوانهم عن فعل آبائهم، فكانهم اشتروا معهم في القتل فاستحقوا مثل عقابهم، ومن جرائهم أيضاً أنهم يقتلون المصلحين من أمتهم الذين كانوا يأمرونهم بالعدل - فيشرهم بمذاب شديد الألم، أي ليس لهم خير يسره إلا الإندار بالمذاب، فالكلام سيق على سبيل التحكم بهم وقطع أملهم في النجاة. هؤلاء هم الذين بطلت كل أعمالهم فلم تقدهم من القتل والأسر والطرده من الديار، وفي الآخرة فلم تقدهم من العذاب، وليس لهم من ينصرهم بمنع العذاب عنهم. وذكر ما يدل على أنهم اختلفوا في كتبهم بعد العلم فقال «ألم تر» أي ألم تتطروا تعجب أيها السامع لحال هؤلاء اليهود الذين آتاهم الله حقاً من علم التوراة، وإذا دعوا إليها لتحكم بينهم وبين خصومهم فيما اختلفوا فيه تولى فريق منهم وهم علماءهم وأصحاب الرئاسة ففهم وتبعهم العوام، وهم مصممون على الإعراض. وهذا أشنع احتقار لكتاب أكرمهم الله تعالى به، وذلك أنهم لما قيل لهم كيف تكفرون بمحمد وصفته عندكم في التوراة فالتواها إن كنتم صادقين في دعواكم، امتنعوا، وإنما استحلوا كل هذه الجرائم لزعمهم أن النار لن تمسهم إلا أياماً قليلة هي أربعون يوماً عدد أيام عبادتهم العجل، وغرهم حتى ارتكبوا ذلك ما افتروه في دينهم من الباطل الذي يوافق أهواءهم، فعلى أي حال يكون هؤلاء الإشرار إذا جمعناهم للحساب يوم القيامة ووفى الله كل نفس ما كتبت من خير أو شر.

فولج الليل في النهار؛ إلخ: أي تدخل بعض الليل في النهار فيقتصر الليل وطول النهار، وتدخل بعض النهار في الليل فيطول الليل ويقصر النهار والكلام كناية عن تطويل أحدهما وتقصير الآخر للحكمة التي أرادها الله سبحانه من ذلك، فوخرج الحى من الميت؛ كالحويان من التراب، والفرخة من البيضة والبيضة في نظر العرب الذين نزل القرآن بلغتهم تعتبر ميتاً، لأنهم لا يطلقون «الحى» إلا على ما فيه حياة فعلاً تجعله يتنفس ويتحرك، والبيضة عندهم كالنبات فيها استعداد للنمو لكنها عقب خروجها من الفرخة مباشرة تعتبر ميتاً في نظرهم = وبالعكس كالبيضة من الفرخة، والتراب من الحيوان بعد مرقته، وبعض

قل أيها النبي لكل من يدعى محبة الله: إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوني فيما أفعل؛ لأنه بأمر الله الذي تدعون محبته، يحبك الله أي يرضى عنكم ويفخر لكم دنوبكم. وقل لهم أطيعوا الله بالاتباع كتابه، والرسول باتباع سنته؛ فإن أعرضوا فاعلم أنهم كاذبون في دعوى محبتهم لله؛ لأنهم لو صدقوا لأحبهم وهو سبحانه لا يحب الكافرين، وهم كافرون، فلا يحبهم، وإنما يحب سبحانه ويصطفى المخلصين مثل آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران، وهم مريم وعيسى عليهما السلام، يجعل النبوة والرسالة فيهم. ذرية من آل إبراهيم وآل عمران يشبه بعضها بعضاً في الخير والفضل والله سميع عليم قالت امرأة عمران (حنة بنت فاقوزا) أم مريم، أي سمع مناجياتها، عليم بإخلاصها لما قالت يارب إنني نذرت لخدمتك بيتك مافى بطنى متفرغاً لذلك، فقبلت مني ذلك إنك السميع لدعائي، العليم بنيتي.

فلما وضعت وتبين أنها أنثى، وهي لاتصلح عادة لخدمة البيت المقدس مثل الذكور، قالت متحسرة حزينة: يارب إنني وضعتها أنثى؛ قالت ذلك والحال أن الله يعلم أنها أنثى، وأنها خير من ألف رجل، وأتت كلامها فقالت: يارب ليس الذكر الذي طلبته منك كالأنثى التي وهبتها لي لأنه يصلح لخدمتك وهي لاتصلح، وإنني سميتها مريم، وإنني أطلب منك أن تحفظها هي وذريتها من الشيطان الرجيم. فقبل سبحانه مريم من أمها وزريها ونماها تحت رعايته تربية حسنة جامعة لحسن الجسد والروح في وسط طاهر.

﴿كفلها زكريا﴾: جعل زكريا كافلاً لها. وكيفية ضم زكريا لها بينتها الآية (٤٤) الآتية في هذه السورة صفحة ٧٠.

﴿المحراب﴾ هو أشرف مكان في المنزل، وكان لا يسمى محراباً إلا إذا كان يصعد إليه بسلم.

﴿أتى لك هذا﴾: أتى من أين جاء لك هذا. ﴿هنالك دعاء﴾: أي في ذلك المكان عند مريم في المحراب.

﴿مصدقا بكلمة من الله﴾: أي مؤمناً بعيسى وقد كان أول من آمن به لما بعثه الله.

وسمى عيسى كلمة لأنه جاء بكلمة ﴿كن﴾ بدون أب على خلاف المعتاد أنظر الآية (٤٥) الآتية في هذه السورة صفحة ٧٠.

أَمَّا عِمْرَانُ إِذْ أَخَذَ مِنْ رَبِّهِ لَهَا نَذْرًا لِيُكُونَ ذَكَرًا وَكُنْزًا وَزَوْجًا يُبَارَكُ مِنْهُ لِمَنْ يَشَاءُ رُبُّهُ إِذْ ذَكَرَتْ بِهَا رَبَّهُمْ فِي الْغَيْظِ وَالْخَمِّ إِذْ قَالَ رَبِّ اسْمُ الْغُلَامِ الَّذِي تَعْتَذِرُ بِهِ إِذْ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا طَيِّبًا

بالحسنى على الوجه المبين فى الآيتين (٨)، من سورة الممتحنة صفحة ٧٢٦. ومن يضع ذلك بأن يوالى غير المؤمنين فقد ضل عن شرع الله وأصبح لا يربطه به شيء.

إلا أن تخافوا من الكافرين ضرراً يلحقكم إذا أظهرتم التخوف منهم وعدم الثقة بهم وكنتم ضماً لانتطيعهم دفع ضررهم أى فلكم فى هذه الحالة أن تظهروا لهم التودد صورة حتى تتقوا آذاهم، واحذروا عذاب الله نفسه إذا تخطيتم ما حده لكم، وإليه سبحانه مصيركم يوم القيامة فيجازيكم بما عملتم.

قل أيها النبي لهم إن تخفوا مافى قلوبكم مما نهاكم الله عنه أو تظهروه يعلمه الله، لأنه العليم بكل شيء فى السموات والأرض، وسيجازيكم على ما تخفون وما تعلنون، لأنه قدير على كل ما يريد.

واحذروا يوم القيامة الذى تجد فيه كل نفس جزءاً ما عملته من خير حاضراً، وأما ما عملته من سوء فإنها تكرهه وتحب أن يكون بينها وبينه مسافات.

﴿أمدا﴾: مسافة بعيدة. ﴿اصطفى﴾: اختار وفضل.

﴿محبراً﴾: معقاً من شواغل الدنيا متفرغاً لخدمة بيتك المقدس. وكان هذا النوع من النذر مشروطاً عندهم. ﴿الرجيم﴾: المرجوم باللعن الكثير.

المعنى: تود النفس الدنية وتحب أن يكون جزءاً عملهم بعيداً عنها، وتكره ويحذركم الله نفسه لخطورة مخالفتها تعالى وتساؤل الناس فيها.

والله رءوف بعباده؛ ولذا بالغ فى تحذيرهم مما يضرهم ووهب لهم عقلاً يدلهم على النافع والضار.

- (١) الكافرين. (٢) إبراهيم. (٣) آل عمران. (٤) المائلين. (٥) عمران. (٦) الشيطان.

مباركة وفيهم مما في سورة مريم أن الذي طلبه زكريا ولد ذكر. فقاتله الملائكة في الحال وهو قائم يدعو في معراب مريم. وقد يكون النداء ملكاً واحداً معه غيره كما سيأتي في الآية (٤٥) من هذه السورة صفحة ١٧٠: إن الله يمشرك بولد اسمه يحيى يسود على قومه مصدق بنى الله عيسى، ويسود على قومه بالعلم والفضل، ويحبس نفسه عن شهوات الدنيا وقفاتصها. قال زكريا ليطمئن قلبه على كيفية وجود هذا العلام؛ يارب على أى حال يولد لى مع كبرى وعقم امرأتى؟ قال: الأمر كذلك أى كما سمعت؛ لأن الله يفعل ما يشاء لاتعجزه الأسباب. قال يارب اجعل لى علامة أعرف بها الحمل حتى ألقاه بالشكر. قال:

رَاضِيَيْنَ عَلَىٰ شِئَاءِ النَّاسِ ۖ يَسْمِعُ الْغُيُوبَ ۚ رَبِّكَ رَاضِيٌ وَأَرْضَىٰ مَعَ الرَّاكِبِينَ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِهِ النَّبِيُّ نُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَسْمِةَ ۖ يَلْزَمُونَ أَفْتَاهُمْ ۖ إِذْ قَالَ الْمَلَكُ يَسْمِعُ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَشْرُكَ بِكَ مِمَّا تَشَاءُ ۚ إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ إِنَّ مِمَّ وَجْهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الرَّاكِبِينَ ۖ وَبِكَلِمَاتٍ فِي الْبَيْتِ وَكَوَلَا وَرَبِّ الصَّالِحِينَ ۖ قَالَتْ رَبِّ أَتَىٰ بَكْرَتِي وَلَيْسَ بِي بِغَائِبٍ ۖ يَسِّرْ قَالَ كَذَٰلِكَ عَلَّمْنَاكَ مَا يَسْتَأْذِنُ ۖ أَتَا قَعْنَىٰ أَمْرًا قَائِمًا ۖ يُولَدُ لَكَ بَنٌ يَكُونُ ۖ وَبَعْلَةً لَكُنْتَ وَكَانَ كَذَٰلِكَ ۖ وَالتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَوَدَّوْنَاكَ لَنُبَيِّنَ لَكَ مِنْ أَمْرٍ قَدِ جَشَعْنَا بِكَ يَاقُوتَ رَبِّكَ ۖ أَتَىٰ لَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْبَيْنِ

علامتك أنك تعجز عن الكلام مع الناس مدة ثلاثة أيام فلا تستطيع التضايق معهم إلا بالإشارة، فإذا رأيت هذه العلامة فداوم على ذكر ربك وسبحه في المشى والإبكار. وهذا يدل على أن منعه من كلام الناس كان معجزة لأنه لم يمتنع عن الذكر. وذكر إن قالت الملائكة يامريم إن الله سبحانه اسمعك أولاً حين تقبلك من أمك، وهيا الصالحين لتريتك، وطورك مما يستقيح من فاسد الأخلاق وذمهم الصفات.

واقفت لربك: الرضى طاعته مع تمام الخضوع.

واركعى مع الرَّاكِبِينَ: اخضعى لأوامر الله عز وجل مع الخاصصين لها. **واقلامهم:** للقرعة على من يكلم مريم. قال ابن عباس: إن أم مريم لما وضعت أنثى خشيت ألا تقبل لخدمة بيت المقدس فافتتها في ثوب ووضعتها عند الأحبار، فأراد كل منهم أن يقوم بكلماتها لأنه كانت بنت إمامهم عمران، وأخيرا اتفقوا على أن يقتروا قميص خرجت له القرعة أخذها،

(١) اصطفاك.	(٢) المالكين.	(٣) يامريم.	(٤) الرَّاكِبِينَ.	(٥) اقلامهم.	(٦) الملائكة.
(٧) يامريم.	(٨) الصالحين.	(٩) الكتاب.	(١٠) التوراة.	(١١) إسرائيل.	

حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا ۖ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْحَرْبُ ۖ وَبَعْدَ عَمْدًا وَرَدًّا قَالَ يَسْمِعُ ۖ أَتَىٰ لَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْبَيْنِ ۖ مِنْ عَمْدٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِشَيْءٍ بِشَرِّ حَلِّ ۖ هَٰذَاكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبِّهِ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۖ فَكَانَ الْمَلَكُ مَوْجُودًا ۖ يَسْمِعُ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَشْرُكَ بِكَ مِمَّا تَشَاءُ ۚ إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ إِنَّ مِمَّ وَجْهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الرَّاكِبِينَ ۖ وَبِكَلِمَاتٍ فِي الْبَيْتِ وَكَوَلَا وَرَبِّ الصَّالِحِينَ ۖ قَالَتْ رَبِّ أَتَىٰ بَكْرَتِي وَلَيْسَ بِي بِغَائِبٍ ۖ يَسِّرْ قَالَ كَذَٰلِكَ عَلَّمْنَاكَ مَا يَسْتَأْذِنُ ۖ أَتَا قَعْنَىٰ أَمْرًا قَائِمًا ۖ يُولَدُ لَكَ بَنٌ يَكُونُ ۖ وَبَعْلَةً لَكُنْتَ وَكَانَ كَذَٰلِكَ ۖ وَالتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَوَدَّوْنَاكَ لَنُبَيِّنَ لَكَ مِنْ أَمْرٍ قَدِ جَشَعْنَا بِكَ يَاقُوتَ رَبِّكَ ۖ أَتَىٰ لَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْبَيْنِ

٣٩٧. من سورة مريم صفحة ١٧٠.

المعنى: وجعل الله زكريا كافلاً لمريم، وصار كلما دخل عليها المالك الخاص بها وجد عندها رزقا. قال ابن عباس: كان زكريا قد استأجر لها مرضعاً وقطعت بعد الحولين. وكان أكثر مكثها في المحراب وحدها.

وقال ابن جرير: إن بنى إسرائيل أصابهم قحط شديد حتى ضعف زكريا عن كفالتها. وكان نجار من بنى إسرائيل ياتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها، فيدخل عليها زكريا فيجد عندها فضلاً من الرزق، فيسأئها من أين لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله الذي يرزق بلا حساب وتقدم تفسيرها في الآية (٢٧) من هذه السورة صفحة ١٧٠. وفي هذا المكان وفي هذا الموضع من الترجمة وفي حضرة هذه الموزونة النجبية تذكر زكريا الذرية الصالحة، وكان قد بلغ من الكبر عتياً كما في سورة مريم، فاتجه إلى الله عز وجل قائلاً: هب لى من عندك ذرية

(١) يامريم.	(٢) الملائكة.	(٣) الصالحين.	(٤) غلام.	(٥) ثلاثة.
(٦) الإبكار.	(٧) الملائكة.	(٨) يامريم.	(٩) اصطفاك.	

فأحضروا أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركاً بها ووضعوها في جراب وأمروا بعض الغلمان ممن في بيت المقدس أن يدخل يده ويخرج قلماً، فالذي يخرج قلماً يكفل مريم، فخرج قلم زكريا. ﴿بِكَلِمَةٍ﴾: أي مولود حامل بكلمة ﴿كُنْ﴾ التي يكون بها كل شيء، فإطلاقها على عيسى على سبيل المبالغة لأنه نتج عنها بدون الوسائط المعتادة. ﴿وَجِئِهَا﴾: ذا وجاهة وكرامة في الدارين.

﴿كَهَلَا﴾: هو الرجل التام الرجولية. ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾: لم يعلمنا سبحانه حقيقة هذا القول، وإنما الذي يجب أن نعتقده أنه سبحانه إذا قضى أمراً نفذ بقدرته سريعاً من غير توقف على شيء آخر.

﴿الْكِتَابِ﴾: المراد به هنا الكتابية والخط، أي يكون قارئاً لا أمياً.

﴿الحِكْمَةِ﴾: العلم الصحيح ومعرفة أسرار الأشياء.

﴿أَخْلَقَ لَكُمْ﴾: أي أقدر وأصور أنظر الآية (١٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦.

المعنى: واصطفاك ثانياً على نساء العالمين بولادة نبي من غير أن يمسك رجل. بامرهم داوَمى على طاعة ربك خاشعة له، وخصوصاً السجود لأنه أعلى مراتب العبادة، واخضعى بإخلاص مع الخاضعين من الصالحين.

ذلك الذي قصصناه عليك أنها النبي من أخبار مريم وأمرها وزكريا كله من أخبار الغيب التي لا تعلمها أنت ولا قومك. نوحيه إليه، ولولا ذلك لما علمت شيئاً، فكيف بعد هذا يجادل المكابرون في صدق رسالتك، وماكنت حاضراً مع المقترعين على كفالة مريم، وماكنت معهم وقت تخاصمهم وتنازعهم أولاً قبل القرعة على من يكفلها.

واذكر إذ قالت الملائكة، والقاتل هو جبريل وكان معه آخرون. أنظر الآية (١٧) من سورة مريم صفحة ٣٩٧: إن الله يبشرك بمولود يحصل بمجرد كلمة كن اسمه المسيح، أي المسوح الذي يكون له مركز الملوك، وكان لا يمسح بالزيت المقدس غير الملوك. عيسى ابن مريم، نسبة إليها ليُشعرها بأنه سيكون بدون أب ينسب إليه، وسيكون ذا وجاهة وكرامة في الدنيا والآخرة. ومن المقربين في دار النعيم، ويكلم الناس وهو طفل كما يكلمهم وهو تام الرجولية، وسيكون من الصالحين.

قالت مريم متعجبة: كيف يكون لى ولد ولم أتزوج؟ قال الملك: أمر الله كما أخبرتك، والله يخلق ما يشاء كما يشاء، إذا قدر وجود شيء، وجاء زمنه فبانه يوجد بسرعة بلا تأخير، لأنه لا يحتاج في وجوده لغير كلمة ﴿كُنْ﴾ فيكون.

ويعلمه الخط والكتابة فلا يكون أمياً. ويعلمه العلم النافع وأسرار خلقه، ويعلمه التوراة التي نزلت عليه، ويجعله رسولاً إلى بني إسرائيل قائلاً لهم: احتج على رسالتي إليكم بأنى قد جئتمكم ببرهان صدق، وهو أنى أخلق أى أصنع وأقدر لكم شيئاً من الطين.

﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: أى على صورته. ﴿الْأَكْمَةِ﴾: الذى ولد أعمى.

﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْ﴾ أى تقدمه. ﴿بَعْضُ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكَ﴾: أى فى التوراة لكحوم الإبل، وكل ذى ظفر. أنظر الآية (١٦٠) من سورة النساء صفحة ١٣٠. ﴿وَجِئْتُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾:

كررها للتأكيد وليرتب عليها ما بعدها. ﴿أَحْسَ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكَفَرُ﴾:

أى شعر من قومه بالكفر برسالته حتى هموا بقتله. ﴿مَنْ أَنْصَارَى إِلَى اللَّهِ﴾: أى من يكون من جندي متوجهها معنى إلى نصرة دين الله.

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾: هم صفوة أتباعه، مأخوذ من الحور فتحتين وهو صفاء بياض العين، ليباض قلوبهم وصفاء طبائعهم. ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: رأى كثير من العلماء أن معناه قابض روحك ورافعها مع أرواح الشهداء، واستدلوا على ذلك بالآيتين (٣٤، ٨) من سورة الأنبياء، صفحات ٤٢١، ٤٢٣. ﴿مُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أى مبعذك من سوء تصرفهم.

(١) التوراة. (٢) صراط. (٣) تشافعين. (٤) الماكزين. (٥) باعيسى.

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَارْأَيْ
الْأَكْمَةَ وَالْأَرْضَ وَأَمَّا الْقَوْلُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَارْأَيْ
يَمَّا تَكُونُ وَمَا تَدْعُونَ فِي يَوْمٍ كَرٍ إِذْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ وَصِدْقًا لِمَا يَدْعُونَ مِنَ التَّوْرَةِ
وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالطَّيْمُونَ ﴿١٦٠﴾ إِنْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
وَاتَّخِذُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٦١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسَ عَيْسَى
مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
يَحْيَى ابْنُ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى ابْنُ زَكَرِيَّا وَنَحْنُ بِآيَاتِهِ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ رَبَّنَا
عَسَاءَ مَا نَحْكُمُكَ وَآتَيْنَاكَ الْوَسْطَى كَمَا كُنَّا مَعِ الشَّاهِدِينَ ﴿١٦٣﴾ وَكَرَّوْا زَكَرِيَّا إِلَى اللَّهِ عِزُّهُ الْكَرِيمِ ﴿١٦٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ
يُصْبِحُ بِآيِ مَوْلَاكَ وَإِنَّمَا إِلَى اللَّهِ مَرْجُعُ كُلِّ شَيْءٍ

فوق الذين كفروا^(١): فوقية فضائل ورحمة وقوة حجة، فيكونون خيرا من الكافرين أخلاقا وأجمل أديا وأرق قلوبا. وأحب للتراحم وأقوى حجة فوفمن حاجك فيه^(٢): أي فممن جادلك في أمر عيسى وقال غير الحق.

فنبهنا^(٣): أي نضرب إلى الله بالدعاء خاشعين. المعنى: وجاعل الذين اتبعوك في دينك وأمنوا برسالتك في منزلة أعلى من منزلة الكافرين. فتكون فوقيتهم روحية معنوية في كل الممانى السامية خالدة إلى يوم القيامة. ثم إلى مرجعكم جميعا، المؤمن منكم والكافر، فاحكم بينكم فيما اختلفتم فيه. فأما الذين كفروا كاليهود ومن مثلهم فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالاضطهاد في كل العصور، وإعراء العداوة والبغضاء بينهم، كما في الآية (٦٤) من سورة المائدة صفعتي^(٤) ١٥٠، وفي الآخرة بعذاب أشد وأبقى، ومالهم من ناصرين ينعنون العذاب عنهم. وأما الذين آمنوا بك وبرزل الله كلهم، وعملوا الأعمال الصالحات المطلوبة منهم، فسأوفيتهم جزاءهم كاملا، والله لا يحب الظالمين لأنفسهم بالخروج عن الحق واتباع الشهوات.

ذلك الذي تقدم من خبر عيسى من أقوى الأدلة على صدق دعواك أيها النبي، ومن أقوى ماينكر يوجوه العبر، ويرشد إلى معرفة أسرار الدين. وبعد مايلين سبحانه كيفية خلق عيسى ومجيئه بالبيئات، وماكان من إيمان بعض وكفر بعض، أراد أن يمثل شبهة من بالغوا في تقديسه من أتباعه حتى فقتوا به وجعلوه إله أو ابن إله، قال ردا عليهم: إن عيسى كآدم في أنهما وجدا من غير أب، بل آدم أعجب لأنه خلق من تراب بلا أب ولا أم، وعيسى كآدم في أنهما وجدا من غير أم، بل آدم أعجب لأنه خلق من تراب بلا أم ولا أب، وعيسى وجد من أم، ولم يدع أحد أن آدم إله ولا ابن إله.

(١) القيامة. (٢) ناصرين. (٣) الصالحات.
(٤) الظالمين. (٥) الآيات. (٦) الكافرين.

المعنى: أجل لكم من البطين جسما على صورة الطير فأنفخ فيه فمسير طيرا حيا يلين الله، وهذا احتراس منه عليه السلام خوف أن يؤلهوه، ولذا كره هنا وفي سورة المائدة، لأن القام خطير، وأبرئ من فيه عيب من عيبه، وأحس بعض الموتى ليشهدوا بصدق ثم يموتون، وأخبركم بما يكون غائبا عنى مما في بيوتكم مما تاكلونه وما تدرخونه، إن في ذلك مما سبق من المعجزات لإيلا على صدق رسالتي إليكم إن كنتم مؤمنين بالله، لأنه لا يعمل المعجزات إلا مع الرسل. وجفتكم مصدقا لما تقدم من التوراة التي هي كتابكم لا مكذبا لها، ولأخفف عنكم مافيهما من التشديد بإحلال بعض ما حرمته عليكم عقابا لكم، فائقوا الله ولا تكذبوني، وأطيعوني فيما أمركم به لأن فيه مصلعتكم.

إن الله ربى وربكم فاعبدوه وحده، وهذا الذي أمركم به طريق مستقيم موصل للجنة. ولما أرسل عيسى وبلغهم كل ماسبق وشعر منهم بالكفر ونية السوء والغدر به، اتجه إلى خواصه وقال لهم من يساعديني في نصرة دين الله قالوا نحن أنصار الله وأعوان دينه، آمنا بالله، واشهد يا عيسى بنانا مقادون لأمره تعالى. فالإسلام وهو الخضوع لما شرعه الله هو دين كل نبي وإن اختلفت بعض تفاصيله باختلاف العصور. ثم أكدوا إقرارهم فقالوا: ربنا آمنا بما أنزلت من الإنجيل واتبعتنا رسولاك عيسى فاكبتنا مع الشاهدين للرسول يوم القيامة بأنهم بلغوا دعوتك لبني إسرائيل وبما كان منهم من الكفر. ومكر الكفار بتدبير قتل عيسى، ومكر الله عز وجل أي أبطل مكرهم، والله خير الماكرين، أي المبرزين في خفاء، لأن تدبيره للمصلحة لا للفساد كمكر غيره، ومكره سبحانه في هذا القام هو إلقاء شبه عيسى على غيره حين أرادوا قتله كما في الآية (١٥٧) من سورة النساء صفعته^(١) ١٢٠، وكان مكرهم هذا حين قال الله يا عيسى إني مستوفى أجلك في الدنيا، والمراد عاصمك من أن يقتلك كافر حتى أقبض روحك عند انتهاء أجلك وأنت مكرم على فراشك، ورافعتك إلى في المنازل الرفيعة مع أدريس والشهداء، انظر الآية (٥٧) من سورة مريم صفعه^(٢) ٤٠١، والآية (١٦٩) من سورة آل عمران صفعه^(٣) ٩١، ومطهر لك أي مبعذك من نجيت الذين كفروا.

﴿وما كان من المشركين﴾: التصريح بهذا وما قبله لتوبيخ مشركي العرب الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم، وجنء مثله، كما تقدم بيان ذلك في صفحة ٢٦.

المعنى: وليس في الوجود إله إلا الله، وأنه هو العزيز الغالب الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في تدبيره، فإن أعرضوا بعد ذلك عن الإيمان الصحيح فسيجازيهم على ذلك أشد الجزاء، لأنه علم بإفسادهم عقائد الناس، وبعد ما بطلت جميع مزاعمهم وعجزوا عن الحاجة أمر سبحانه بنبيه الكريم أن يدعوهم إلى أصل كل دين سماوي فقال عز وجل: قل لهم أيها النبي يأهل الكتاب من يهود ونصارى تعالوا نتفق على كلمة مستو فيها كل الكتب السماوية التي بيننا وبينكم وهي التوراة والإنجيل والقرآن، ثم فسر تلك الكلمة بقوله أن لا نعبد نحن وأنتم إلا الله، فلا نتقرب بعبادة غيره، ولا نجعل غيره شريكا له في الخلق والرزق واستحقاق العبادة، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، أي لا نطيع أربابنا وعلماءنا فيما يحلون ويحرمون من غير رجوع إلى كتب الله عز وجل، وقد ورد أن عدى بن حاتم وكان نصرانيا وأسلم لما سمع قوله تعالى ﴿اتخذوا أربابهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ الآية (٣١) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥، قال: يا رسول الله لم يكونو يعبدونهم، فقال ﷺ: أليسوا كانوا يحلون ويحرمون فتناخذون بما يقولون؟ قال: نعم، قال: هو ذلك.

أي هذا هو معنى اتخاذهم أربابا، فإن أعرضوا عن هذا التوحيد فقولوا لهم أشهدوا بأننا نحن المسلمون دونكم، وهذا كلام الواثق الذي يعتقد أن الأدلة والعقول السليمة كلها يجانبه.

ثم ذكر سبحانه في سياق دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ما يدل على أنه دين جميع الأنبياء الذين يجلوهم، وكانت قريش تجل إبراهيم عليه السلام، وتدعى أنها على دينه، فبين سبحانه لهم جميعاً من يهود ونصارى ومشركين أن إبراهيم الذي يجلوهم لم يكن على شيء مما هم عليه الآن، وإنما كان على الإسلام الذي يدعوهم إليه سبحانه على لسان نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، فقال ﴿يأهل الكتاب... إلخ﴾ أي لم تجادلون في دين إبراهيم ويدعى كل منكم أن دين إبراهيم هو الدين الذي أنتم عليه ثم أقام سبحانه الحجة على الكتابيين بقوله: ﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾، أي أن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصارية بعد الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى نحو ألف سنة، وبين موسى وعيسى نحو ألفين، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا من بعد عهده بقرون طويلة، أفلا تعقلون أن المتقدم على الشيء لا يمكن أن يكون تابعاً له؟ ياهؤلاء جادلتم فيما لكم به نوع علم لتقرب عهدهم به ووجود كتابه بأيديكم وهو موسى وعيسى، ومع ذلك انحرف علمكم فطمعت اليهود في عيسى

الْحَقُّ وَبِمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْ اللَّهُ مُرْتَضٍ
الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢١﴾
قُلْ يَتَّخِذُ الْكُفِيُّ تَعَالَى إِنْ كَذَّبَ سَوَاءٌ يَبْصُرُ
الْأَعْيُنُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَخَافُ بَعْضُ
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَّخِذُ الْكُفِيُّ لِلْعِمَالِ رُجُومًا وَمَا
أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾
هَئِنَّمْ خَلَّوْا كَهَنَهُمْ فَخَالَفُوا بَيْنَهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ
فِيمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾
مَا كَانَ لِأَرْبَعٍ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَلَكِنْ كَانَ حَبِيبًا
مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَشْرِكِينَ ﴿٢٥﴾ إِنْ أَوَّلَى النَّاسُ
بِأَرْبَعٍ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَمَعَاذَ اللَّهِ الَّذِي وَالَّذِينَ عَامَرُوا وَاللَّهُ

هذا الذي قلناه لك أيها السامع الحق
الآتى من ربك العليم بكل شيء، فلا تشك فيه
بعد هذه البراهين، فمن جادلك أيها النبي
أنت ومن معك من المؤمنين في أمر عيسى من
النصارى بعد ذلك وأصر على أنه ابن الله
مثلاً فقل تعالوا نجتمع رجالاً ونساء وأطفالاً
منا ومنكم، ثم ننصرع إلى الله ونطلب منه أن
يلعن الكاذب منا في أمر عيسى، وقد ورد أن
النصارى لما سمعوا ذلك أحجموا عن المباحلة
وقال علماءهم:

﴿لأبأهلوا الرجل في الله ما يباهل قوم نبياً
إلا هلكوا جميعاً﴾.

والحق أنه لا يقدم على هذا الموقف شخص
إلا إذا كان واثقاً من أنه على حق وإلا هلك
وحل به غضب الله عز وجل.

إن هذا الذي قصصناه عليك في أمر عيسى لهو القصص الحق، وماعداه من قول اليهود
إنه ابن زنا، ومن قول المفتونين به من النصارى إنه إله أو ابن إله، فباطل.

﴿كلمة سواء﴾: تطلق الكلمة على الكلام المفيد كما تطلق على المفسر، والمراد هنا الكلام.
كما في الآية (٥) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠، والآية (١٠٠) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٤.

﴿أرباباً﴾: جمع عرب وهو يطلق على معان، منها رئيس الأسرة، ومنها من يبري غيره
تربية جسمية، أو عقلية وثقافية، وما هنا من المعنى الأخير كما سيأتى في سبب نزول الآية
﴿حينئذ﴾: مائلاً عن الباطل إلى الحق والمراد بعيداً عن الضلال، خصوصاً الشرك أنظر
ما تقدم في الآية (١٣٥) من سورة البقرة صفحة ٢٦، (مسلماً): الإسلام أصل معناه الخضوع
والاستسلام لكل ما أمر الله به على لسان كل الرسل، قال تعالى ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾
أنظر الآية (١٩) من سورة آل عمران صفحة ٦٥، والآية (٨٥) من سورة آل عمران صفحة ٦٤٠،
والآية (١٢) من سورة الشورى صفحتي ٦٣٩، ٦٤٠.

- (١) الكتاب، إبراهيم، (٢) التوراة،
(٣) إبراهيم، (٤) يابراهيم،
(٥) حاجتهم، (٦) يابراهيم، (٧) يابراهيم،

﴿دينار﴾: هو عند العرب يساوى بالعملة المصرية فى عصرنا ثلاثة أخماس الجنيه الذهب. ﴿الأميين﴾: جمع أمى وهو لفظ يطلق على من لا يعرف القراءة والكتابة، نسبته إلى أمه أى فهو كيم ولدته أمه، ومن هذا قوله تعالى ﴿الرسول النبى الأمى﴾ وقوله سبحانه ﴿بعث فى الأميين رسولا﴾ ويطلق أيضا على المنسوب للأمة ﴿واحدة الأمم﴾. وهذا المعنى الثانى هو المناسب فى هذه الآية لأنه الموافق لما جاء فى كتبهم، فقد جاء فى التوراة التى بأيديهم اليوم فى الإصحاح ٢٢ من سفر التثنية (لا تقترض أخاك «أى اليهود» بربا، وللأجنبى تقترض بربا) فهم يريدون بالأجنبى كل الأمم غيرهم، وجاء نظير ذلك فى سفر الخروج إصحاح ٢٢، وكذا فى سفر اللاويين أى الأخبار فى الإصحاح ٢٥، وكل ذلك مما حرفوه من التوراة ونسبوه إلى الله تعالى سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً انظر الآية (٧٩) من سورة البقرة صفحة ١٥، ويريدون بالأميين العرب لأنهم أمة أمية أكثرها لا يقرأ كما تقدم فى الآية (٢٠) من هذه السورة صفحتى ٦٥، ٦٦؛ والآية (٧) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١. ﴿هلى﴾: حرف يدل على إبطال النفى الذى قبله وإثبات نقيضه، انظر تفصيل ذلك فى الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١.

﴿لا تخلاق لهم﴾: أى لانصيب لهم فى نعيم الآخرة.

﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾: أصل الذى قتل الخيل والميل به عن الاتجاه المستقيم، والمراد به هنا تحريف التوراة وصرفها إلى ما يريدون. وقد جاء وصفهم بذلك فى الآية (٤٦) من سورة

- (١) الأميين. (٢) وإيمانهم. (٣) خلاق. (٤) القِيامة.
(٥) بالكتاب. (٦)، (٧)، (٨) الكتاب.

وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا نَأَسَتْ بَيْتَارٌ لَا يُوَدِّعُ إِلَيْكَ إِلَّا نَأَسَتْ عَلَيْهِ قَائِمٌ ذَلِكَ يَأْتِمُ قَائِلًا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِوَعْدِهِ وَآتَى فَإِنَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّا الَّذِىْ بَشَّرْنَا نَبِيَّ اللَّهِ وَآلِهِمْ مِمَّا قَلِيلًا أَرْسَلْنَاكُمْ لَا خَلْقَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرْكِبُهُمْ وَهُمْ عَبَآءٌ لِّمَنْ وَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ لِيَحْسَبُوهُمْ أَنَّهُمْ وَهَّاءٌ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٧٩﴾ وَمَا هُمْ بِمُعْتَدِلِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ وَهَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٨٤﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٨٦﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٨٧﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٨٨﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٨٩﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ وَيَقُولُونَ هَاهُنَا يُفَتَّرُونَ ﴿٩٠﴾

النساء صفحة ١٠٨ وسياىى بىانه. (أن يؤتبه الله الكتاب): المراد بالكتاب هنا الإنجيل. والحكم أى العلم الصحيح ومعرفة أسرار الأشياء.

المعنى: ومن اليهود من يخون ويستحل أموال غير اليهودى بحيث لو أمنته على دينار واحد لاجرمعه إليك إلا إذا أثقلت عليه ولازمته بالقىام على رأسه لئلا ونهاراً. وسبب محاولة الخيانة هذه أنهم يزعمون أن التوراة تحل لهم أكل أموال كل الأمم غير اليهود فليس عليهم سبيل أى ذنب فى ذلك، ويقول هؤلاء اليهود هذا الكذب المفضوح وهم يعلمون أنهم كاذبون، ثم رد سبحانه عليهم فقال: بلى، أى بل عليكم إثم كبير فى استحلل أموال الناس؛ والحقيقة المقررة على لسان جميع رسله هى أن من أوفى بعهده الذى عاهد عليه الناس كالوفاء بالذين والأمانات، واتقى فلم يعص ربه فى شىء، فإن الله يحبّه، لأنه سبحانه يحب المتقين، ومن أحبه الله فاز بالسعادتين. إن الذين يستبدلون بالوفاء بعهده الله الذى أخذه عليهم فى كتبهم من الإيمان بالنبى المبشر به المبينة صفته عندهم فى التوراة والإنجيل كما سياىى قريبا فى الآية (٨١) من هذه السورة صفحة ٧٦، ويستبدلون بإيمانهم التى يحلفونها كاذبين ليأكلوا أموال الناس بالباطل؛ الذين يستبدلون بكل ذلك فمنا قليلاً هو متاع الدنيا الزائل، لانصيب لهم فى نعيم الآخرة، ولا يكلمهم الله تعالى بما يسرهم ويفرج عنهم كرباً، ولا ينظر إليهم نظر عطف ورحمة، ولا يركبهم أى يظهرهم من خبث الذنوب بالمغفرة، فتكون آخرتهم المسجلة عليهم أنهم فى عذاب أليم. وإن من اليهود فريقاً هم علماءهم يحرفون التوراة بوضع لفظ مكان لفظ. أو بتفسيرها بغير المراد، أو بقراءة شىء من كلامهم بنغم قراءة التوراة، ليظنه السامع من التوراة وماهو منها، ويقولون هذا المحرف بلفظه أو معناه من عند الله وماهو من عند الله، ويفترون على الله الكذب الكثير من هذا وغيره، وهم يعلمون أنهم كاذبون، وهذا أقبح أنواع الذنوب، ثم رد سبحانه على الذين عبدوا المسيح من النصارى بقوله ﴿ماكان لبشر أى مكان لبشر مخلوق لله أن يؤتبه الله من فضله الكتاب والحكمة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون توحيدهم الله بالعبادة والمراد ماكان جائزاً منه أن يجمع بين أجل نعمة وأكبر جريمة: ولكن الذى يصح أن يصبر عنه هو أن يقول للناس كونوا عباداً لله عز وجل.

آثار الذنوب، لأن الله تعالى يغفر لمن تاب، رحيم يفتح باب التوبة للمذنب، إن الذين كفروا بمحمد بعد إيمانهم بصفاته التي في كتبهم وشهادتهم وإقرارهم بأن صاحبها هو الرسول المنتظر، ثم ازدادوا كفراً بمحاربتهم محمداً وإيذائه والصد عن دينه بالكيد، لن تقبل توبتهم من الذنوب الزائدة على ذنب الكفر لأن آله تعالى لا يقبل توبة من كافر عن ذنب مادام على كفره. أما إذا تاب من أصل الكفر ثم أذنب بعد ذلك فإن الله تعالى يقبل توبته، أما ذنوبه التي ارتكبتها وهو كافر كالقتل أو غيره فإنه الله تعالى يحوها بمجرد إيمانه كما في الآية (٣٨) من سورة الأنفال صفحة ٢٣٢. وهؤلاء الكافرون الذين ازدادوا كفراً وماتوا على كفرهم لن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً إذا أمكن أن يملكه، سواء تصدق به لينقذ نفسه، أو اقتدى به لمن يمكن أن يأخذه منه ليفديه. تنظر الآية (١٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢١.

فهؤلاء ليس لهم إلا العذاب الشديد الأليم، فأقسام الكافر هنا ثلاثة: من يتوب من الكفر توبة مقبولة ويعمل صالحاً فهذا يستحق المغفرة والرحمة، والثاني من يتوب توبة غير مقبولة لأنه يتوب عن ذنب مع البقاء على الكفر فلو تاب عن الكفر أولاً ثم أذنب بعد ذلك وتاب منه فإن الله تعالى يتوب عليه، والثالث من مات وهو كافر فهذا خالد في النار نسأل الله تعالى السلامة.

﴿البر﴾: الخير الواسع، ﴿حلاً﴾: أي حلالاً، انظر ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ الآية (٥) من سورة المائدة صفحة ١٣٦.

﴿إسرائيل﴾: لقب نبي الله يعقوب ثم أطلق على ذريته.

﴿حرم إسرائيل﴾: المراد بإسرائيل هنا هم اليهود من أولاد يعقوب.

ومعنى تحريرهم على أنفسهم أنهم تسببوا بظلمهم في أن الله حرم عليهم طيبات كانت حلالاً لهم تاديباً لهم.

﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾: متعلق بـ ﴿حرم﴾ بمعنى تسبب في التحريم.

مِنْ دِينِهِمْ لَا تَقْرُبُ بَيْنَهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ كَيْفَ يَهْدَى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْمَلَكُ وَالنَّبِيُّ مِنَ الْأَمْرِ
أَنَّ عَلَيْهِمْ نَعْتَهُ اللَّهُ وَالْمَلَكُ وَالنَّبِيُّ مِنَ الْأَمْرِ
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٣٧﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا
كُفْرًا لَنْ يُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
تَوْبَةٌ أُولَئِكَ فِي الْأَرْضِ لَيُؤْتَقَذُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْعَذَابُ

﴿يبتغ﴾: يطلب، ﴿البيِّنات﴾: الأدلة

الظاهرة.

المعنى: وأما بما أوتى النبيون كداود

وسليمان وأيوب وغيرهم، لانفرد في الإيمان

بين أحد منهم كما فرق أهل الكتاب قبلنا

فأمّنوا ببعض وكفروا ببعض، كما تقدم في

الآية ﴿٢٨٥﴾ من سورة البقرة صفحات ٦١،

٦٢. ونحن لله وحده مستسلمون أي متقادون

بإخلاص، ومن يطلب ديناً غير الإسلام الذي

هو دين جميع الأنبياء كما تقدم في الآية

(١٩) فلن يقبل منه، ولذا يكون في الآخرة من

الخاصرين لكل خير، كيف يهدي الله قوماً هم

أهل الكتاب الذين كفروا بمحمد ﷺ بعد

إيمانهم بأن الذي تنطبق عليه الصفات الموجودة عندهم في التوراة والإنجيل هو الرسول من

عند الله، ولما جاء محمد أقروا في أنفسهم بأنه صاحب تلك الصفات، وأنه النبي المبشر به في

التوراة والإنجيل، خصوصاً وقد أيد ما في كتبهم بالمعجزات والأدلة القاطعة على صدقه، انظر

الآيتين (٨٩، ١٤٦) من سورة البقرة صفحات ١٧، ٢٨، والله لا يهدي القوم الظالمين: لأن

استمرارهم على الظلم والجور يمنعهم من سلوك أسباب الهداية، هؤلاء الذين كفروا بعد

علم حسداً، عليهم لعنة الله أي سخطه انوجب لطردهم عن رحمته، وعليهم لعنة الملائكة

والناس أجمعين، انظر الآية (٢٥) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤.

خالدنين في آثار تلك اللعنة وهي جهنم، لا يخفف عنهم العذاب ولا يؤخرون عن دخولها، إلا

الذين تابوا من بعد ظلمهم المانع من الهداية، وأصلحوا نفوسهم بالأعمال الصالحة التي تمحو

(١) الإسلام، (٢) الخاصرين، (٣) إيمانهم،

(٤) البيئات، (٥) الظالمين، (٦) والملائكة،

(٧) خالدنين، (٨) إيمانهم.

﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة. ﴿يُذْعَنُونَ﴾: المراء يطالبون الناس إلى عمل الخير، سواء كان الطالب بالآمر أو النهي و﴿الخير﴾ هو كل عمل فيه صلاح الدين أو الدنيا. ﴿يُذْأَمَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: من عطف المفصل على المجرى، وهو له وقع على النفوس أقوى من الاقتصار على المفصل وحده، و﴿المعروف﴾ هو العمل المعروف تنفعه شرعاً وعقلاً من كل ما فيه صلاح الدين والدنيا. و﴿المنكر﴾ هو كل ما تنكره الشريعة والعقول السليمة من كل ما فيه مفسدة واضرار بالنفس أو الغير.

﴿رفى رحمة الله﴾: أي في الجنة التي هي أثر رحمة الله.

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾: أوجدكم الله خير أمة... إلخ.

المعنى: لعالمكم تهتدون إلى الخير وتجتنبون الشر. ولكن منكم إِنْخ: المراد يجب أن تكونوا كلكم أمّة من خصائص أفرادها أنهم يدعون.. إِنْخ: فالكلّلام من قبيل قولهم: ليكن لى ملك صديق حميم. وهذا تتفق الآية مع الآية (١١٠) الآتية قريبا وكذا مع غيرها انظر الآيات (٧٨، ٧٩) من سورة المائدة صفحات ١٥٢، ١٥٣ و(٤١) من سورة الحج ٤٣٩. لكن بشرط أن تكون الدعوة بالحكمة والوعظة الحسنة. وكل هذا فى الأمور العلومة لكل الناس. أما ما قد يخفى على غير الفقهاء فى الدين فلا يتصدى للأمر به والنهى عنه إلا الخبير به الذى يستطيع استباط الصواب أنظر الآية (٨٣) من سورة النساء صفحة ١١٥. والخير كل ما فيه سعادة الدارين.

(٦) الاسعافات.

(٥) للمعلمين.

۴) آیات:

(٢) خالدون.

(۲) ایمانکم.

(١) القبيات.

[illegible]

تتصعدون بها جعل سبيل الله معوجة في نظر من يعتبر بكميكم، وأنتم تعلمون من كتبكم أنها سبيل الله المستقيم وما الله بغافل عما تعملون من هذا الصبر وغيره من جرائمكم وسعاسكم عليها. ولم يكف خيلاء اليهود بالنشيك في تحليل بعض الطعام وفي جعل الكعبة قبلة كما تقدم، بل عمدوا إلى نوع آخر ليعبطوا الدعوة المحمدية وهي في مهدها: ذلك أنهم يعلمون أنه كان بين قبائل المسلمين في الجاهلية فتن وحروب تنابذ فيها الطرفان بالشعر والنثر، فأرادوا إثارة ذكراها لتتقد نار الفتنة من جديد فيتم لهم ما أرادوا، فأرسلوا غلاماً في مجتمع المسلمين يشهد الشعر الذي قيل أيام تلك الحروب، فأثار هذا الشعر بعض ما كان بين الأوس والخزرج أكبر قبائل الأنصار من كره وعداوة، وكادوا يقتلون، فأدركهم النبي ﷺ وحال بينهم وقال: أترحون إلى غلظة الجاهلية وأنا مازلت بينكم بعد أن أكرمكم الله تعالى بالإسلام وأنف بين قلوبكم؟ وعند ذلك أدرك الجميع أنها نزعة شيطانية فكبروا وعانق بعضهم بعضاً، فأنزل الله تعالى: فرباهم الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يقدس خيلاء اليهود، يردوكم بعد إيمانكم إلى الكفر. وكيف تكفرون أي لا يصبح ذلك وأنتم تلتى عليكم آيات الله من القرآن الذي لو أنزل على جبل لتصدع من خشية الله.

وأيضاً حاضر بينكم رسول الله يزيل شبهاتكم ويرسم لكم طريق خلاصكم، ومن يتمسك بدين الله فقد هدى إلى طريق مستقيم موصل لدار النعيم. بأنها الدين آمنوا اتقوا الله حق تقاتوا، وحافظوا على إسلامكم في كل لحظة حتى لا ينجحكم الموت إلا وأنتم مسلمون. وتمسكوا بالقرآن الذي هو جبل الله المتين، ولا تعملوا ما فيه تفرقكم شيما وأحزانياً، انظر الآية (١٥٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩. وتذكروا نعمة الله عليكم، إذ كنت في الجاهلية أعداء فالف بين قلوبكم بالإسلام فأصبحتم بركة نعمته تعالى إخوانا متحابين. واذكروا أنكم كنتم بسبب كفركم على طرف حفره من نار جهنم، أي ليس بينكم وبين الوقوع في جهنم إلا الموت على فأنقذكم الله منها بالإيمان. كهذا البيان البسيط بين الله لكم دائماً دلائل طرق الخير.

ثم بين سبحانه كيف تكون الدعوة إليه فقال: يأمرون بالمعروف وهو كل ما فيه طاعة، ويَنْهون عن المنكر وهو كل ما فيه معصية. ومن يفعل ذلك ضمن الفلاح أى الفوز بالسعادة. ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين تفرقوا شيعا يعادى بعضهم بعضا، واختلفوا فى الدين يكفر بعضهم بعضا، من بعد ما جاءهم البينات والبراهين الموجبة للاتفاق على الحق، انظر الآية (٢١٢) من سورة البقرة صفحتى ٤١، ٤٢ والآية (٤) من سورة البينة صفحة ٨١٦. وأولئك المختلفون لهم عذاب عظيم.

وأذكر لهم يوم القيامة وأهواله حين تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين. فأما الذين أسودت وجوههم فيقال لهم توبيخا: أكفرتم بعد أن خلقكم الله مؤمنين به بالفطرة فأفسدها إهمالكم والتأمل فى الأدلة واقتنائكم بالدنيا فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين أبيضت وجوههم فيدخلون فى آثار رحمة الله وهى الجنة خالدين فيها.

تلك آيات الله التى جاءت فى وعد المؤمنين ووعيد الكافرين تلوها عليك أيها النبى مصحوبة بالحق، فلن يتخلف شئ مما فيها، وما الله يريد ظلما لأحد. بأن يعذب من لا يستحق أو ينقص أجر المستحق. ولله كل مافى السموات والأرض خلقا وملاكا، الكل فى قيسمة قدرته تعالى، وإليه سبحانه ترجع كل الأمور فى النهاية، فيجازى كل مكلف بما يستحقه. كنتم خير أمة أخرج أى وجدتكم الآن على أنكم خير أمة. لأن جميع الأمم فى ذلك الحين غلب عليها الفساد. ثم بين وجه الخيرىة بقوله: تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله على الوجه الصواب. وإذا كان كل الأمم أمرها الله على لسان أنبيائها أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فما وجه خيرىة هذه الأمة على غيرها؟ الجواب أن هذه الأمة أمرت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بكل الطرق الممكنة باليد واللسان والقلب بلا هوادة حتى ولو أدى ذلك إلى القتال انظر الآيتين (٧٩) من سورة المائدة صفحة ١٥٢ و (٩) من سورة الحجرات صفحتى ٦٨٦، ٦٨٥. وهذا ما لم يكن فى الأمم الماضية. وعلى ذلك تكون الأمة التى تفرط فى القيام بهذا الواجب الذى ميزها على غيرها قد فقدت خاصيتها وعرضت نفسها لغضب الله سبحانه وتعالى، انظر ما حل بمن قبطوا فى ذلك فى الآيات (١٦٣ - ١٦٦) من سورة الأعراف صفحتى ٢١٩، ٢٢٠.

فإن يضروكم إلا أذى: أى لن يلحقوا بكم ضررا إلا أذى بلسان من سب أو تهديد كاذب. فضررت عليهم الذلة: أصله من ضرب الخيمة على الشئ، فتحيط به، أى أحاطت بهم الذلة من كل جانب. أينما تقفوا: فى أى مكان وجدوا فيه. إلا يجبل من الله: إلا إذا عصمهم عهد من الله لهم بعدم إيدائهم إذا دفعوا الجزية. فحبل من الناس: إذا عقدوا معهم عهدا على أن لا يضرب بعضهم بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بالمدينة، ولكنهم على عادتهم نقضوه فحاربهم.

فجاءوا: رجما. المسكنة: الاستكانة والخضوع والهانة. جماعة: جماعة.

فأقامه: مستقيمة من قولهم قام العود إذا استقام.

أناء الليل: جمع إناء يكسر فسكون بمعنى جزء. فلن يكفروه: أى فلن يجحدوا جزاءه بأن يحرموا منه.

المعنى: لو آمن اليهود والنصارى مثل إيمانكم لكان خيرا لهم لما فيه من السعادة الخالدة. من أهل الكتاب مؤمنون بحق كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود، والنجاشى وأصحابه من النصارى، وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن الدين الخالص.

- | | | |
|-----------------|---------------|--------------|
| (١) الكتاب. | (٢) الفاسقون. | (٣) يقتلوه. |
| (٤) نبيات. | (٥) الكتاب. | (٦) آيات. |
| (٧) الليل. | (٨) ويسارهم. | (٩) الخيرات. |
| (١٠) المصالحين. | | |

يقصرون قال القاموس: الخيال في الأصل الذي يلحق الإنسان فيورثه اصطلاحاً كالمرض والجنون ويستعمل في كل شيء يصيب الإنسان والمراد لا يقصرون بل يجهتدون في إفساد الأمر عليكم، هودو: أحسبوا، فما عنتم: الفنت: شدة الضرر والمشقة، وبالكتاب كله: المراد بالكتاب الجنس فيشمل كل كتب الله كالسورة والإنجيل، فعوضوا عليكم الأنامل: أي أطراف الأصابع، والكلام كناية عن شدة العيظ، وتمسسكم حسنة: أي تأتكم نعمة من الله كنصر في حرب أو غيبة.

كُتِبَ وَإِنْ تَقِي أَمْوَالَهُمْ وَلَا أُولَدَهُمْ مِنْ اللَّهِ
شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦٩﴾
مَا يُغْنِيونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا مِرْ
أَصْحَابُ حَرْقٍ قَوْمٌ ظَالِمُونَ أَلْفُسُهُمْ فَانكَبَهُ وَطَأَظُهُمْ
اللَّهُ وَلَكِنْ أَلْفُسُهُمْ يَقُولُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَجِدُوا فِيهَا شَيْئًا مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ جِبَالٌ مَدُونًا فَعَنِمْ
فَدَبَّتْ الْجَنَّةُ مِنَ الْغَيْمِ وَمَا تَكُونُ مِنْ دُونِهِمْ أَجْدَرُ
فَدَبَّتْ زَكَاةُ الْأَلْبَانِ إِنَّ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿كُلَّامٌ آتَاكُمْ
مِنْ رَبِّكُمْ لَا يَجْعَلُكُمْ دُونَكُمُ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمْ وَأُولَئِكَ
فَالْأَنبَاءُ وَإِنَّا مُلَاقُواكُمْ عَلَى الْأَنْبِيلِ مِنَ النَّارِ
كُلُّ مَرْبُوفٍ يُحْكَمُ يَا أَيُّهَا اللَّهُ عِلْمُ يَا أَيُّهَا الْمُشْبُورُ ﴿١٧٠﴾
إِنْ تَتَذَكَّرْ حَسَنَةً تَتَذَكَّرْ وَإِنْ تَتَذَكَّرْ سَيِّئَةً يَبْزُجْهَا يَا

المعنى: إن الذين كفروا لن تدفع عنهم أموالهم بالفناء ولا أولادهم بالاستعانة بهم من عذاب الله شيئاً ولو قليلاً، فعاقبتهم مصاحبة النار خالدين فيها، ومثل المال الذي ينفقونه في شهواتهم ومحاربتهم له كمثل ريح شديدة البرودة أصابت زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته، فالل الذي انفقوه فيما ذكر هو الذي أفسد فطرتهم واتلف عقولهم فلم تفكر في العواقب، فالل كالرياح والظلم كالزرع، وباطلهم الله بإتلاف مآلهم ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب أسبابه.

- (١) أموالهم.
- (٢) أولادهم.
- (٣) اصحاب.
- (٤) خالدين.
- (٥) الحياة.
- (٦) أفراسهم.
- (٧) الآيات.
- (٨) بالكتاب.

ولما كانت الكثرة الفاسقة ربما ترجع المؤمنين قال سبحانه مطمئنا أصحابه ﴿يَسْتَعِذُّونَ﴾: لن يضرركم بشيء يخيفكم، لأنه لا يكون إلا أنى بلسان من سب كما يفعل السفهاء الجبناء، لأنهم إن تعدوا ذلك وقتلواكم يطولكم ظهورهم منهزمين مغلوبين فلا تحشوا بأسهم، ولا يجزون من ينصرهم عليكم، ولنصرهم الذل وأحاط بهم في أي مكان وجدوا فيه، إلا في حال اعتصامهم به، من الله للمؤمنين بعدم إيدائهم إذا دفعوا الجزية، وعهد من الناس الذين يعيشون معهم بأن لا ينصر بعضهم بعضاً، ولكن لسوء طباقتهم لا يحافظون على عهد، وما تقدم في أوائل البقرة خير شاهد على ذلك: ولهذا قال: ورجعوا بغضب من الله، أي استحقوه لنقضهم العهود، وضربت عليهم المسكنة، أي الاستكانة والمهانة. ذلك المذكور من ضرب الذل والغضب بسبب استمرارهم على الكفر بالآلة التي أقامها الله تعالى، على الحق وقتلهم أنبياءهم، ذلك الكفر والقتل بسبب تقودهم مداومة المعصية والعدوان كما تقدم في الآية (١١) من سورة البقرة صفحة ١٢.

ثم أنصف الصالحين منهم بقوله ﴿وَلَيْسُوا سَوَاءً﴾: أي أن أهل الكتاب ليسوا متساوين في منازلهم وأعمالهم، بل منهم طائفة مستقيمة لا تعرف عن الحق، يتلون القرآن في ساعات الليل وهم يصلون، كعبد الله بن سلام وأصحابه، ومن أسلم من نصارى خجرا والحبيشة، يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويبادرون في عمل الخير، خشية الفوات، وهؤلاء عند الله من الصالحين وما يفعلوه من خير قلن يجحدوا جزاءه ويحرموه، بل يتأبون عليه، والله عليم بالمتقين فيجازيهم على قدر تقواهم.

﴿فِيهَا صِرَ﴾: هو البرد الشديد الذي يقصف النبات كأنه حرقه بالنار.

﴿وَحُرَّتْ قُوتُ﴾: الحرت الزرع، وبطانة الرجل خاصته الذين يملكون

على باطنه.

﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكُمْ خِيَالًا﴾: يأتون:

أو يعطيهم وينالهم أو المراد يهلك بعضا ويدل بعضا. واختار إمام المفسرين ابن جرير أن المسلمين لم يمدوا بالملائكة في غزوة أحد لأنهم لو أمدوا لما انهزموا، ولأن الوعد بالإمداد كان مشروطا بأمريين: الصبر والتقوى، هما لم يحصلوا من المسلمين في أحد، فلذا تكبوا بأشد نكبة كما سيأتي.

﴿أضعافا مضاعفة﴾: كان المدين في الجاهلية يقول للدائن إذا حل أجل الدين: أجل الطلب وازيدك، ويطول الزمن يتضاعف رأس المال عدة مرات، فهنا هو الربا المضاعف. وجاءت بعد ذلك الآية (٧٥) من

سورة البقرة صفحتي ٥٨، ٥٩ تهتم عن الربا مطلقا.

﴿السراء والضراء﴾: اليسر والعسر.

المعنى: فبجمعوا خائبين. ولما وقع ﴿فِي الْحَفرة﴾ التي أعدها له الكفار، وكسرت سنه وجرحت وجنته، غضب وقال: اللهم العن أبا سفيان بن حرب، اللهم العن فلانا وفلانا، لأناس سملهم من زعماء المشركين، فنزل قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي ليس لك أيها النبي من أمر خلقى شيء من التصرف فيهم إلا أن تنفهم شرعى، أما مجازاتهم على أعمالهم فلي وحدي أحكم فيها كيف أشاء ﴿وَإِذَا يَتَوَّبُ عَلَيْهِمْ قِيلَ لَا يُؤْتِيهِمْ قِيلَ لَا يُؤْتِيهِمْ﴾ والاصل ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكتبتهم أو يتوب عليه أو يعذبهم بسبب ظلمهم، فليس لك من الأمر شيء في ذلك.

- (١) طائون. (٢) السموات. (٣) الربا. (٤) (٥) إضعافا مضاعفة. (٦) للكافرين.
(٧) السموات. (٨) والكافين. (٩) فاحشة.

مقاتل. ولما علم ﴿بذلك﴾ خرج في ألف من أصحابه لملاقاة الكفار عند أحد في شمال المدينة، وفي منتصف الطريق رجع عبد الله بن أبي كبير المنافقين بثلاث الجيش بدعوى أنه ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ لم يأخذ رأيه في القتال، وكادت تحدث بذلك فتنة في جيش المسلمين لولا فضل الله تعالى، كما سيأتي بيانه، وماسيأتى في الآية (١٥٤) صفحتي ٨٧ يدل على أن بعض المنافقين بقى في الجيش ولم يرجع مع عبد الله بن أبي ابن سلول ولما كانت هذه الغزوة من الغزوات المهمة المليئة بالعبر، ولا يتسع المقام هنا لإيضاحها حقها، نحيل من أراد المزيد على شرح حديث ٤٧٩ من كتابنا صفوة البخارى، ليجد هناك كل ما حصل. واذكر لهم أيها النبي حين غدوت من أهلك ترتب المؤمنين في مواطن القتال، والله سميع لكل ماقلته لهم، عليم بما سيكون من أسباب فشلهم.

واذكر أيضا حين همت طائفتان منكم أن تشكلا بالجن والضعف والرجوع مع عبد الله بن أبي عندما رجع بثلاث الجيش من وسط الطريق، ولما كانوا صادقي الإيمان ولم يكونوا منافقين كعبد الله تولى الله سبحانه صرف الفشل عنهم وثبتهم، وعلى الله يتوكل المؤمن بعد أخذ العدة ولا يخاف شيئا. وذكرهم أيضا بنصره سبحانه لهم بيد لصديق إيمانهم وحسن طاعتهم، وكانوا أذلة... وأذلة جمع ذليل وأصله الخاضع لتعز من هو أقوى منه، وهذا ليس مراد هنا بل المراد هنا قليلو العدد ضعفاء في العدة، لقاتلهم وكثرة عدوهم، كما سيأتي في الأنفال، فائقوا الله ولا تخافوا رسوله لملككم تشكرونة على نصركم. تبوء المؤمنون مواطن القتال حين تقول لهم بعد أن هم بعضهم بالفشل:

أليس يكفيكم أن يساعدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين لتطمئن قلوبكم، بلى أى بل يكفيكم الإمداد بثلاثة آلاف ثم وعدهم بزيادته فقال إن تصبروا وتتقوا مخالفة الرسول وباتكم الكفار بسرعة يزد ربكم الملائكة إلى خمسة آلاف مرسلين منه لتقويتكم.

وماجعل الله إمداد الملائكة إلا بشرى لكم بأنكم ستصبرون وتطمئن قلوبكم فلا تهابوا كثرة العدو. وما انصر إلا من عند الله يؤتيه الغالب الحكيم في منعه لن يستحقه بالصبر والتقوى. يمدكم ربكم بالملائكة إذا صبرتم واتبعت مخالفة الرسول، ليهلك بعضا من أعدائكم

ولكنه سبحانه عجل بنهيه ﷺ عن لمن أناس معينين للتنبيه على خطورة تعجل الإنسان على مالييس له به علم خصوصا في الأمور الخطيرة كعن شخص معين ربما يكون أراد الله له الهداية، وقد حصل فعلا أن كل من دعا عليهم ﷺ في هذا اليوم تأبوا وصاروا من كبار أصحابه، فسبحان من استأثر بعلم الغيب وحده ثم أكد سبحانه عموم سلطانه بقوله ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ إلخ، أي كل ما فيهما خلقه وعبيده، يغفر لمن يشاء منهم إذا علم سلامة فطرته، ويعذب من يشاء إذا علم إصراره على المعصية، ولما كانت العبر في الحوادث الجسم تفتح القلوب لتلقى الأوامر بقبول وإذعان، جرت سنة الله تعالى في القرآن أن يمزج القصص بالأحكام، فقال محذرا من شر أمراض المجتمع، وهو الريا الذي يقسى القلوب على المحتاج ويعودها عدم الصدقة، ولذا لا تجده مذكورا في القرآن بالذم إلا بجانبه الحث على الصدقة، كما هنا وكما في الآية (٢٧٦) من سورة البقرة ٥٩: والآية (٣٩) من سورة الروم صحتي ٥٣٦، فقال تعالى: لا تأكلوا الريا المخرب للبيوت، واتقوا النار التي أعدّها الله تعالى للكافرين، قال أبو حنيفة رضى الله عنه: هذه أخوف آية في القرآن، هدد الله بها المؤمنين بالنار المدة للكافرين إذا لم يتقوه ويجتنبوا ما حرمه عليهم.

ثم بين سبحانه طريق تقواه بقوله: واطيعوا الله إلخ، وسارعوا إلى أسباب مغفرة ربكم، بأن تسارعوا إلى التوبة من كل ذنب كالربا، وبأن تقبلوا على عمل الخيرات كالصدقات، وهذه هي أسباب دخوله الجنة الواسعة جدا التي لا يعلم مداها إلا الله سبحانه، لأن عرضها إذا كان كعرض السموات السبع والأراضين السبع متجاوزة ممتدة فكم يكون طولها؟ هذه الجنة أعدّها الله تعالى للمتقين الموصوفين بالصفات الخمس الآتية:

الأولى: ينفقون في حال اليسر والعسر في كل حالة بما يناسبها، كما قال ﷺ (اتق النار ولو بشق تمرة)، وذلك ليبقى قلب المؤمن مملوا بالرحمة ولا يعمد البخل.

الثانية: كظم الغيظ بأن يخفوه بالصبر ولا يظهر أثره.

الثالثة: العفو أى التجاوز عن إساءة المسء وترك مؤاخذته مع القدره عليها، فمن مرتبة فوق مرتبة كظم الغيظ.

الَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٨٩
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٠
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩١
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٢
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٣
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٤
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٥
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٦
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٧
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٨
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٩
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يَسْرِغُوا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ١٠٠

الرابعة: وهى أعلى مما قبلها هي الإحسان إلى المسيء، ولهذا جاءت هذه الصفة بأسلوب مخالف لما قبلها وما بعدها. وإذا لاحظت ما تقدم من دعائه ﷺ على بعض المشركين لما أذوه تفهم حكمة ذكر هذه الصفات في هذا المقام.

الخامسة: أنهم إذا فعلوا خطيئة كبيرة كالزنا أو ظلموا أنفسهم بذنب صغير تذكروا بقلوبهم فطلبوا مغفرته تعالى لذنوبهم، كما في الآية (٢٠١) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥. موقنين أنه لا يغفر الذنوب غيره تعالى.

فقد خلت من قبلكم سنن، أى مضت من قبل وجودكم طرق فى تصرفه سبحانه فى ملكه اقتضاها نظامه تعالى فى خلقه من نصر أصحاب الحق وإهلاك الظالمين، «ولا تنهوا» ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من هزيمة.

«وأنتم الأعلون» أى المتأززون بأن قتالكم لله عز وجل، وقاتل أعدائكم للشيطان، وقاتلكم فى الجنة، وقتلهم فى النار. «إن يمسسكم قرح» أى إن يصيبكم جراح وقتل.

«ويؤخذ منكم شهداء» أى يكرم بعضكم بالاستشهاد فى سبيله، ويكون منكم من يصلح للشهادة على الأهم يوم القيامة، كما تقدم فى الآية (١٤٣) من سورة البقرة صفحتى ٢٧، ٢٨.

«وليمحص الله الذين آمنوا» أى يخلصهم من كل عيب ويظهرهم، «ويحقق» أى يهلك، «ثم حسبت» أى هل ظننت أن تدخلوا الجنة ولم يتبين من جاهدوا حق الجهاد، ويتبين الصابرون

- | | | |
|---------------|-------------|---------------|
| (١) وجنات. | (٢) الأهم. | (٣) خالدين. |
| (٤) التاملين. | (٥) عاقبة. | (٦) الطائرين. |
| (٧) الكافرين. | (٨) جاهدوا. | (٩) الصابرين. |

لا ينبغي أن يكون، مع أنه ممكن في ذاته عقلا كما في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ الْخَبْرَ﴾ الآية (١٦١) من سورة آل عمران صنفحتي ٨٩، ٩٠.

والثاني: إفادة أن هذا الفعل مستحيل عقلا كما في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ الْخَبْرَ﴾ الآية (٢٥) من سورة مريم صنفحة ٣٩٩، وقوله ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُتَّبِعُوا شَجَرَهَا﴾ الآية (٦٠) من سورة النمل صنفحة ٥٠١.

والثالث: إفادة النهي عن هذا الفعل كما في ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى الْخَبْرَ﴾ الآية (٦٧) من سورة الأنفال صنفحة ٢٣٧ وقوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ الْخَبْرَ﴾ الآية (١١٣) من سورة التوبة صنفحة ٢٦١، وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ الْخَبْرَ﴾ الآية (٥٢) من سورة الأحزاب صنفحتي ٥٥٨، ٥٥٩، وما معنا هنا في هذه الآية من القسم الثاني.

﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾: أي كتب الله الموت على كل نفس كتابا ذا أجل محدود لا تتعداه. ﴿وَكُلَّ نَبِيٍّ مِنْ نَبِيٍّ﴾: كلمة تقيد الكثير أي كثير من الأنبياء. ﴿رَبِّيُونَ﴾: هم الربانيون المتقدمون في الآية (٧٩) من هذه السورة صنفحتي ٧٦، ٧٧. ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: أي فما ضعفوا ولا فتروا عن القتال مع نبيهم. ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: وما خضعوا لعدوهم. ﴿إِسْرَافًا فِي أَمْرِنَا﴾: أي تجاوزنا حدود ما شرعته لنا.

المعنى: أن النبي ﷺ استشار أصحابه عندما علم بخروج فريش من مكة أخرجهم للاقتحام خارج المدينة عند أحد أم يبقى بالمدينة، فرأى عبيد الله بن أبي ومن معه عدم الخروج من المدينة، وكان ﷺ أميل إلى هذا الرأي، ورأى كثير من شباب المسلمين الخروج، وتبعهم الكثرة من الصحابة، ولما خرجوا وهزم المسلمون كما سيأتي خاطب سبحانه هذه الكثرة التي رأت الخروج للقتال بقوله: ولقد كنتم تمنون الموت لقتالوا الشهادة أو الغنيمة كما حصل لأهل بدر. ففقد رأيتم أسبابه وهو شدة الحرب وأنتم تنظرون إليها نظرة فاحصة لاجابة غير مقصودة. وذلك أن الإنسان قد يرى شيئا لكنه لا يشغل قلبه بشيء آخر لا يتنبه له، فهذه الجملة مؤكدة لما

قبلها، فلم انهزمت وقد رأيتم ما طلبتم؟ ولما هجم المشركون عليه ﷺ بعد فرار أصحابه وركزوا سهامهم نحوه ولم يكن حوله سوى عشرة قتل أكثرهم، ظن الكفار أنه ﷺ قد قتل، فتنادوا فرحين: قتل محمد. فاشتدت هزيمة المسلمين وفروا، قال سبحانه في يوم هؤلاء: وما محمد إلا رسول قد مضت من قبله الرسل، واستمر أنصارهم محافظين على دين أنبيائهم، فهل يصح إذا مات محمد أو قتل أن ترجعوا أنتم كفارا، ومن يرجع منكم إلى الكفر ويجبن عن قتال الكفار فلن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه، لأن الله تعالى غني عنكم وقادر على أن يخلق خيرا منكم، وسيجزى الله بالمر الشاكرين لنعمه بالثبات والصبر عند الشدائد.

مستحيل أن تموت نفس إلا بمشيئة الله في أجل محدد، فلم فررتم والفرار لا يدفع الموت والثبات لا يقطع العمر، ثم أراد سبحانه أن يلوم الذين شغلتهم المغالمة فتركوا مواقعهم كما تقدم فتسببوا في هزيمة المسلمين فقال (من كان يريد ثواب الدنيا... إلخ) أي أن من يريد بعمله من قتال وغيره حظ الدنيا أعطاه الله تعالى شيئا منه، ومن قصد بعمله ثواب الآخرة أعطاه الله سبحانه ثوابها، لأن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ﴿أَيُّ فِتْوَاهِهِ عَلَى اللَّهِ﴾ ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه. وقد تقدم في الآيتين (٢٠٢، ٢٠١) من سورة البقرة صنفحة ٤٠، إن المؤمن الذي يطلب بعمله ثواب الدنيا والآخرة يعطيه الله تعالى ثوابها.

وسيجزى الله الشاكرين لنعمه بالثبات مع نبيه والدفاع عن دينه، ثم ضرب سبحانه لهم المثل بالصابرين من الأمم قبلهم فقال: وكثير من الأنبياء قاتل معه ربيون كثير، أي جمع كثير من المؤمنين، المخلصين، فما ضعفوا عن القتال، وما خضعوا لعدوهم، والله يحب الصابرين على البلاء فيجازيهم بالنصر والثواب العظيم.

وما كان قول هؤلاء الربيبين عند ملاقات عدوهم إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا، فهما منهم بأنه لا مصيبة إلا بذنبي، كما في الآية (٢٠) من سورة الشورى صنفحة ٤٦٢، وتجاوزنا حدودنا. وثبت أقدامنا عند القتال، وانصرتنا على الكافرين بك المحاربين لرسلك فاتألم الله ثواب الدنيا بالنصر والغنيمة.

الله تعالى محذراً المؤمنين ومطمئناً لهم قوله: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين الذين كفروا يقتلكم من المنافقين يردوكم إلى الشرك فتخسروا الدنيا والآخرة: بل الله مولاكم أي ناصركم، فاستغثوا به واتبعوا أو امره فهو خير الناصرين، وطعناهم بقوله: سنلقى في قلوب الذين كفروا الخوف منكم بسبب جعلهم مع الله شركاء ليس عندهم عليها دليل، وكل الذي عندهم مجرد وهم ناشئ عن تقليد: فإذا ما رأوا المسلمين يقاتلون بقوة إيمان لتفتهم بنصر الله انهزموا أمام هذه القوة، وسكنوا آخر ما يأوون إليه النار وبش النار مثنى للمطالين للحق وأهله، «ولقد صدقكم الله وعدة» الخ: بيان ذلك أن النبي ﷺ لما نظم الجيش أول المعركة كما تقدم جعل خمسين من الرماة فوق ربوة في سفح أحد خلف الجيش ليحوموا ظهوره من هجوم يأتيهم من الخلف، وجعل أميرا عليهم عبد الله بن جبير، وأمرهم ألا يتركوا مكانهم سواء أكانت الهزيمة أو كان النصر، ولما انهزم المشركون أول المعركة وتركوا وراءهم مخانم كثيرة اختلف الرماة مع أميرهم، فالكثرة منهم نزلوا لجمع الغنائم فلما منهم ألا رجعة للمشركين وبقي عبد الله بن جبير وعشرة معه امتثالا لأمر الرسول، عند ذلك رأى خالد بن الوليد وكان رئيس فرسان المشركين أن ظهر المسلمين قد انكشف، فهجم على من بقي من الرماة وقتلهم؛ عند ذلك رجع المشركون وحاطوا بالمسلمين من كل جانب وهرمهم شر هزيمة، وحصل له ﷺ ما تقدم عينا نصر وفي هذا قال سبحانه: ولقد صدقكم الله ما وعدكم به في قوله «وكان حقا علينا نصر المؤمنين» حين كنتم تقتلونهم قتلاً شديداً أول الأمر بعونه وتيسيره سبحانه، حتى إذا قُتلتم في الرأي والتقدير وتنازعتم أيها الرماة واختلفتم مع أميركم وعصيتهم أمر نبيكم، حصل منكم كل هذا بعد ما أراكم سبحانه ماثحين من النصر، فكان منكم فريق يريد الدنيا وهم الذين نزلوا من الرماة لجمع الغنائم، ومنكم من يريد الآخرة وهم العشرة الذين ثبتوا مع أميرهم، عند ذلك منع سبحانه عنكم تأييده ومصرّفكم عن قتالهم بما شغلهم به من الهزيمة ليميز صادق الإيمان والعزم من الضعيف، ولقد عفا عنكم لما ندمتم والله ذو فضل بالعفو وقبول التوبة.

وكان صرف الله لكم عن قتال المشركين في وقت ما كنتم تسمعون أي تذهبون بعيدا عن موطن القتال ولا تقولون على أحد ممن ثبت مع نبيكم بمساعده، والحال أنه ﷺ كان ينادي عليهم لترجعوا فلم ترجعوا، فجازاكم الله عما بالهزيمة بسبب غمكم له ﷺ بمخالفة أمره ليربيكم ويؤدبكم حتى لا تحزنوا بعد ذلك على ما ينوونكم من خير.

وَحِينَ تَوَلَّيْنَا الْآخِرَةَ وَكَانَ الْحَبَشِيُّ أَوْسَى الْأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن يُطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَيَرِدَنَّكُمْ إِلَهُكُمْ فَتَقُولُوا نَحْنُ خَائِرٌ مِّنْ ذَلِكَ الْكُفْرِ وَلَئِنَّ اللَّهَ بَلَّغَ أَمْرَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ اللَّهَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ

فوحسن ثوابه: من إضافة الصفة لوصفها أي الثواب الحسن في الآخرة كقولهم «جميل الصبر» أي الصبر الجميل. «رسطانا»: برهانا. «وماؤهم»: أي المكان الذي يأوون إليه في الآخرة. «رئيس مثنى»: أي قبحت النار محل إقامة. «وتحسبونهم ياذنه»: أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً بتيسيره سبحانه وتعالى، قال الراغب: أصله من قولهم «حسنت فلاناً» أي أصبت حاسه من حواسه إصابه قاتله، ومن قولهم كبدت فلاناً أي أصبت كبده. «وصبركم عنهم»: أي شغلهم عن قتالهم بمنع معونته لكم، «فليبتليكم»: أي يعاملكم بمأاملة المختبر ليعتبر الناس الصادق والمنافق. «فتمسعون»: أي تذهبون بعيداً في صعيد الأرض فراراً من القتال. «ولا تلتون»: ولا تملون على أحد ممن ثبت معه ﷺ بنجدة أو مساعده.

«فيدعوكم»: يناديكم لترجعوا. «ففر»: فراركم، وهو خلف ظهوركم.

«فقاتلواكم غماً بغيركم»: فجازاكم غماً بالهزيمة بسبب غمكم له ﷺ بمخالفة أمره، أو غماً على غم بالهزيمة والجراحة وانتصار العدو. «ولا تكلوا تحزنوا»: لأجل ألا تحزنوا بعد هذا التأديب.

المنى: وأعطيتهم ثواب الآخرة الحسن وهو المغفرة والجنة، والله يحب المحسنين لأعمالهم

فيعجب دعاءهم، وكان عبد الله بن أبي ومن رجع معه من المنافقين كما تقدم أشاعوا في المدينة بعد انكسار المسلمين أن النصر سيكون دائماً لقريش فيجب أن نصلح معهم، فأنزل

- | | | | |
|-------------|-------------|---------------|---------------|
| (١) أعطاكم. | (٢) خاسرون. | (٣) مولاكم. | (٤) الناصرين. |
| (٥) سلطانا. | (٦) وماؤهم. | (٧) المطالين. | (٨) وتنازعتم. |
| (٩) أراكم. | (١٠) تلتون. | (١١) أفراركم. | (١٢) فقاتلكم. |

المنى: ولا تحزنوا على ما أصابكم من جروح وقتل فلا تيأسوا بعد ذلك بمخاطر، والله خير بما تعملون، فليحاسب كل منكم نفسه. ثم أنزل الله عليكم من بعد النعم نعاساً يؤمنكم به، وذلك أنهم لما أدركوا بسرعة أن ما أصابهم كان بتقصير بعضهم فاستغفروا الله وعزموا على عدم العودة، عند ذلك أنزل الله عليهم النعاس ليستردوا ما فقدوه من قوة، والنوم للمصائب نعمة لأنه يضع حداً بينه وبين الماضي المحزن، ولذا لما أفاقوا رجعوا إليه ﷺ تلمع سيوفهم كأنها شهب، فظن المشركون أن هذا مدد جديد فانصرفوا مكتفين بما حصل. وكان هذا النعاس إنما غشى طائفة المؤمنين الصادقين، أما طائفة المنافقين الذين بقوا مع الجيش ولم يرجعوا مع عبد الله ابن أبي فاهم لم يهمهم إلا أنفسهم أى لا أمر الدين ولا أمر الرسول فلم ينأموا بل كانوا مسرورين بما حصل، يظنون بالله ظننا غير الظن الحق، حيث ظنوا أن الله سبحانه لن ينصر محمداً، وهذا هو ظن أهل الجاهلية المشركين الذين لا يقدرعون وعد الله حق قدره، يقول بعضهم لبعض ولضعاف المؤمنين الذين دخلوا في الإسلام حديثاً: ليس لنا من أمر النصر نصيب فلو كان محمد على حق لنصره الله.

قل لهم أيها النبي إن القضاء في كل شيء من نصر وغيره لله وحده، وقد ضمنه لمن اتقاه ولم يخالف أمر رسوله.

ويخفى هؤلاء المنافقون من التشكيك في الدين ما لا يظهرون لك خوفاً من بطش الكثرة المؤمنة بهم، ومن تشكيكهم أنهم يقولون همسا: لو كان لنا من أمر النصر نصيب كما يقول محمد وأصحابه من أنهم جند الله وأنهم هم الغالبون ما قتل من رجالنا من قتل هنا. قل لهم أيها النبي أن موت كل شخص مقدر، وله عند الله تعالى زمان ومكان لا يتعداهما فلو كنتم في بيوتكم ولم تخرجوا مع المجاهدين وكان مقدراً في علم الله أنكم ستقتلون في مكان وزمان المعركة لخرج الذين كتب عليهم القتل في الأزل إلى مصارعهم التي يستقون فيها قتلهم، أى قتل من قتل ضروري الوقوع، لأن ما قدره الله عز وجل لا يتخلف، وإنما قدر الله ما حصل ليميز الخبيث من الطيب، وليظهر لكم ما انطوت عليه نفوسكم أيها المؤمنون من ضعف أو قوة، لأن بعض الناس يفتتر فيظن في نفسه ما ليس فيها، فيبتهون أنه شجاع وهو جبان، وكريم وهو

وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نَّعَاسًا مُّغْفِرًا لِّمَا تَكُونُونَ ﴿٢٣﴾ وَطَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ خَفِيفٌ ﴿٢٤﴾ فَلْيَلْهِنُوا بَلِيَّةً يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَوِّذُ الْفُتَيَاءَ الَّذِينَ لَا يُدْرِكُونَ الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ يَقُولُونَ لَا تُنَزِّلُهَا عَلَيْنَا أَلَمْ أَنْزَلْهَا عَلَى الْكَافِرِينَ لَئِنْ أَكَّأْنَا كَافَّةً لَّكَرُوا وَكَرُوا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِذَا

﴿أمنة﴾: أمانة، وفسرته بأنه نعاس، والنعاس فتور يتقدم النوم كالسنة. ﴿مضاجعهم﴾: المراد المكان الذي يصرون فيه. ﴿وليبتلى الله مافى صدوركم﴾: أصل الابتلاء الاختبار كما في (٣١) من سورة محمد صفحة ٦٧٦ والمراد ليمتحن الله إسلامكم هل هو صحيح أم زائف فتظهر حقيقة ما أنتم عليه ﴿مافى صدوركم﴾ من مبادئ الإسلام وذلك أن القرآن أكثر ما يستعمل الصدر في الإسلام، والقلب في الإيمان، وقلمنا يطلق أحدهما على معنى الآخر، انظر الآية (١٢٥) من سورة الأنعام صفحة ١٨٣ و (٢٢) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩، وانظر قوله تعالى ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ الآية (٢٢) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٨، ٧٢٩ ولم يقل كتب في صدورهم الإيمان، ولذا يقال اعتقد فلان بقلبه ولا يقال اعتقد بصدوره. ﴿وليمحص مافى قلوبكم﴾: يقال محصت الشيء إذا خلصته مما فيه من العيوب فالمراد ليخلص عقائد قلوبهم من وساوس الشيطان.

﴿ذات الصدور﴾: المراد الوجدانات والسرائر الملازمة للصدور.

﴿الجمعان﴾: جمع المؤمنين وجمع المشركين.

﴿استنزلهم الشيطان﴾: أى أوقعهم في زلة وغلطة.

- (١) أصابكم. (٢) الجاهلية. (٣) هانأ. (٤) الشيطان. (٥) لإخوانكم.

والجميع مؤمنون وكافرون على درجات عند الله فليسوا سواء في الثواب والعقاب، فالؤمنون لهم منازل في الجنة تختلف باختلاف درجات أعمالهم، والمغضوب عليهم لهم درجات في جهنم تختلف باختلاف جرائمهم والله بصير بما يعملون فيعطى كلا على قدر ما يستحقه. ثم أراد سبحانه أن يوضح العرب على كفرهم بمن كان سببا في بقاء ذكرهم إلى يوم القيامة، فقال: ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾ أي من العرب الذين نشأت بينهم الدعوة وحملوها إلى سائر العالم إذ بعث من بينهم رسولا إلى الناس كافة، ولهذا لم يقل ﴿بعث إليهم﴾ ولا لكان مبعوثا للعرب خاصة، من أنفسهم أي عربى، وهذا تشريف لهم لأنهم صاروا من الأمم التي اختار الله منها أنبياء إجابة لدعوة إبراهيم كما في الآية (١٢٩) من سورة البقرة صفحة ٢٥. والآية (٧) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١. وكل نبي كان بلسان قومه كما في الآية (٤) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٩، والآية (٥٨) من سورة الدخان صفحة ٦٦٠ وهذا يقتضى أن يكون العرب أول من يؤمن به لأنه فخر لهم وكتابه بلغتهم، أنظر الآية (١٠) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١، والآية (٤٤) من سورة الزخرف صفحة ٦٥١.

هذا الرسول يتلو عليهم كلام الله ويذكهم وينقلهم من الأمية ويعلمهم الكتابة والقراءة فيحصلون كل علم نافع، ويعلمهم معرفة أسرار الأشياء وخاصة الشريعة بعد ما كانوا قبل مجيئه في ضلال ظاهر. ثم ويح سبحانه المؤمنين الذين جزعوا يوم أحد بقوله أو لما أصابكم إلخ، المعنى أجزعتم وتخاذلتُم ولما أصابكم مصيبة كنتم قد أصبتم من عدوكم قدرها مرتين قلت مستغربين مع أنكم السبب: من أين جاءت هذه المصيبة؟ قل لهم أيها النبي: الذي أصابكم حاصل من أنفسكم لأنها السبب حيث خالف رماكم أمره ﷺ. والله قدير ومن سنته في خلقه أنه ينصر المطيع ويخذل العاصي. ثم بين ما تقدم فقال وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإرادة الله تعالى وقضائه بأن من يخالف قائده يخذل. ثم بين الحكمة فيهما حصل فقال: ﴿وليعلم المؤمنين﴾ أي علم ظهور، والمراد ليظهر للناس المؤمنين والمنافقين الذين قال لهم المؤمنون استمروا مع الجيش وقاتلوا معنا في سبيل إعلاء كلمة الله، أو على الأقل ادفعوا العدو عن أهلكم ووطنكم قالوا مروا غين: لو نعلم أنكم ستلقون قتلا لبقينا معكم ولكننا نعلم أنه لن

لَا تَقْلُوبُوا ۚ أَفَتَى اتَّبَعَ رَسُولُ اللَّهِ كُنْ يَاءَ يَسْخَطُ
مِنْ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْقَصِيرُ ۚ ثُمَّ دَرَجَاتُ
عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِصِيرِكُمْ بَصِيرٌ ۚ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كُنَّا
مِنْ قَبْلِ لِي سَلْبَةً ۚ أُولَئِكَ أَصَابَكُمْ مِصْرَةٌ
قَدْ أَصْبَحَ مِنْهَا قَلْمٌ إِلَى هَذَا قُلْ مَوْنٌ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ وَمَا أَصْبَحَ يَوْمَ التَّنَقُّ
الْمُحْسِنِينَ إِذْ بَدَأَ اللَّهُ لِعَلِّمَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَلَعَلَّ الَّذِينَ
تَأْتَرُوا وَيَقُولُ لَمْ نَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةً ۚ سَبِيلَ اللَّهِ أَوْ أَهْمًا
قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ قَدْ لَاقَيْنَكُمْ ۚ لَمَّا كُنَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَهْمًا
نَسِمْ الْإِنْسَانُ يَقُولُ بِإِنْهُمْ مَالِيسَ فِي تِلْكَ

عند ربه أن يتصرف في القنينة قبل قسمتها على مستحقيها؛ لأن من يغفل بآيات بما خاف فيه يوم القيامة ليفضح على رؤوس الأشهاد. انظر تفصيل ما يحصل في ذلك يوم القيامة في حديث رقم ٤١٣ من كتابنا صفوة صحيح البخاري. ثم تعطى كل نفس يوم القيامة جزاء ما عملت وأفيا بدون نقص.

﴿بما يستخط من الله﴾: أي رجع مغضوبا عليه من الله.

﴿مساواة﴾: أي مكانه الذي يأوى إليه.

﴿يزكهم﴾: يطهرهم من العقائد الفاسدة.

﴿الكتاب والحكمة﴾: الكتاب المراد هنا صفة

الكتابة فينقلهم من الأمية إلى العلم، انظر الآية (٧) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١، وقد تقدم في الآية (٤٨) من هذه السورة صفحة ٧٠، والحكمة هي معرفة أسرار الشريعة.

﴿أصابتكم مصيبة﴾: في أحد بقتل سبعين منكم. ﴿قد أصبتم مثلها﴾: يوم بدر حيث قتلتم من عدوكم سبعين وأسرتهم سبعين. ﴿أنتى هذا﴾: أي من أين هذا الفشل.

﴿أو ادفعوا﴾: أي العدو عن أهلكم ووطنكم على الأقل.

المعنى: ولا تظلم نفس شيئا من جزاء عملها. ثم طمان سبحانه المؤمنين وحذر الكافرين فقال: أفمن اتبع رضوان الله بسيره في الطريق الذي يرضيه كصالحى المؤمنين كمن رجع من سعيه في الدنيا بسخط الله لأنه عصاه كالكافرين والمنافقين الذين عاقبتهم أن مثواهم جهنم وبئس النهاية نهايتهم.

- | | | | |
|-------------|------------------|---------------|----------------|
| (١) رضوان. | (٢) وماواه. | (٣) درجات. | (٤) آياته. |
| (٥) الكتاب. | (٦) ضلال. | (٧) أصابتكم. | (٨) أصابكم. |
| (٩) قاتلوا. | (١٠) لا تيمانكم. | (١١) للإيمان. | (١٢) بأفواههم. |

أديس في الآية (٥٧) من سورة مريم صفحة ٤٠١، يبرزون رزقا حسنا لا نعلم حقيقته لكننا نعلم أنهم سعداء به، مسرورين لما آتاهم الله تعالى من فضله زيادة على ذلك الرزق الذي استحقوه بجهادهم انظر الآية (٣٠) من سورة فاطر صفحة ٥٧٦، ويفرحون بإخوانهم المجاهدين الذين تركوهم خلفهم ولم يقتلوا ولم يلحقوا بهم إلى الآن. يستبشرون بأنه لا خوف على إخوانهم من مكروه، ولا يحزنون لفوات محبوب، ويستبشرون هؤلاء الشهداء بنعمة من الله عز وجل هي جزيل ثوابه، وفضل زيادة في الثواب، ويسرون أيضا بصديق وعده تعالى في أنه لا يضيع أجر المؤمنين. وروى أن أبا سفيان وأمعا به لما انصرفوا من أحد وعلموا أنه ﷺ مارا حيا ندموا وطمعوا بالرجوع للقضاء على كبار المسلمين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فثار أن يرهيبهم ويرهبهم قوة أصحابه خصوصا بعدما ندموا وشعروا بأن الله تعالى لا يد ناصرهم، فنادى مناد في المدينة بالخروج للاقتاة المشتركين ثانيًا على أن لا يخرج إلا من شهد المعركة في أحد، فخرجوا جميعا حتى من كان جريحا بعد تضميد جراحه، فاشاع المنافقون في المدينة أن أبا سفيان جمع جموعًا كثيرة من قريش لا يمكن التغلب عليها يريدون بذلك تشبيط المؤمنين عن القتال فلم يبال بهم أحد، بل قابلوا هذه النعاية الخبيثة بقولهم: «وحسبنا الله ونعم الوكيل» وساروا حتى بلغوا مكانا يقال له حمراء الأسد يبعد عن المدينة نحو ثلاثة أميال، عند ذلك علموا أن رجالا من قريش نصبوا أبا سفيان بالرجوع فأتوا أن الغلب دائما يقاتل قتال المستعيت، فخاف الشركون، فأنزل الله في ذلك قوله: الذين استجابوا لله والرسول ما طلبهم للقتال ثانيًا من بعد ما أصابهم الترح، للذين أحسنوا أعمالهم منهم وهم كلهم طيبا، وأتوا مصابيه، لهم أجر عظيم في الآخرة. هؤلاء الذين قال لهم المنافقون إن الكفار قد جموا لكم جموعهم فاضفروهم ولا تخرجوا، فزادهم هذا القول إيمانًا بنصر الله لأنهم تابوا وقالوا كافينا الله شرهم، ونعم الوكيل الذي نكل إليه أمرنا.

فرجعوا مصحوبين بنعمة من الله هي قوة الإيمان، وفضل هو الأجر العظيم، لم يمسسهم سوء من أحد، وابتغوا بأقدامهم ما يرضى الله تعالى عنهم.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأَقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ إِلَهُهُمُ ۚ وَأُولَٰئِكَ يُجِيبُهُمْ رَبُّهُمُ رَجْعًا سَرِيعًا ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ۖ لَهُمْ جُزَاءٌ كَثِيرٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُتَّبِعُونَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ۖ لَهُمْ جُزَاءٌ كَثِيرٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُتَّبِعُونَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ۖ لَهُمْ جُزَاءٌ كَثِيرٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُتَّبِعُونَ ۚ

يحصل قتال. هؤلاء المنافقون بقولهم هذا تباعدوا عن الإيمان المظنون فيهم وصاروا إلى أهل الكفر أقرب. ولم يحكم بكفرهم نهائيا تأديبا لمن يتعجم على التكفير بدون دليل قاطع، وأيضا لتفتح باب الإيمان لمن لم يتمكن النفاق من قلبه... يقولون بأفواههم ليس هناك حرب مع أنهم يعتقدون في صميم قلوبهم أن الحرب واقعة لا محالة.

فادعوا: ادفعوا. واستجابوا لله: أطاعوه. والفرج: الراد به هذا الجرح. فاقبلوا: أي رجعوا.

المعنى: والله أعلم بالنفاق الذي يكتمونه وسبجائهم عليه، وهم الذين قالوا بعد المعركة لأجل إخوانهم الذين قتلوا في أحد، قالوا والحال أنهم قد قعدوا وتخلفوا عن القتال: لو أطاعونا وتخلفوا مثنا ما قتلوا كما أننا لم نقتل. قل أيها النبي ردا عليهم: فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في أن الحذر ينفع من القدر، وقدر الله تعالى وقضاؤه في القتال كقضاؤه في الموت العادي لا بد من نفاذه ولا يتوقف على حرب، فليس كل محارب يموت، ولا قاعد يسلم. ثم بين سبحانه فساد ما يضل به المنافقون من أن الذي سلم من القتل أسعد حظا من الذي قتل، فقال: ولأحسنين أيها السامع الذين قتلوا في سبيل الله من الشهداء أمواتا كأموالكم بل هم أحياء حياة برزخية لانعلم حقيقتها وأما الذي نعلمه فهو أنهم منعومون كما تقدم في الآية (١٥٤) من سورة البقرة صفحة ٣٠ عند ربهم، عندية شرف وكرامة، كما قيل في

(١) لإخوانهم. (٢) صادقين. (٣) أمواتا. (٤) أتعلمهم. (٥) إيماناً.

ويعين النافق من المؤمن، بواسطة التعرض للمحن والشدائد.

والذي يخلو به طوقا من نار في أعناقهم يوم الحساب النار.

منه، فلا تحزن لأنه قد كذب رسل من قبلك جاءوا لأمرهم بالمعجزات الواضحات والواضحات المؤثرات والكتب النبيرة لطريق النجاة.

﴿النسور﴾: الخديعة أى أنها تضدع المشغول بها فلا ينتبه لما يستقبله من خطر. ﴿فتلبثون﴾: تمتعون وتختبرون.

﴿من عزم الأمور﴾: أى الأمور العزوم عليها أى التى يجب العزم والثبات عليها.

﴿ميشاق الذين أوتوا الكتاب﴾: الميثاق العهد الذى أخذ على أهل الكتاب. ﴿فتبينوه وراء ظهورهم﴾: أى طرحوا تعالييمه وأعملوها.

﴿فمغارة من العذاب﴾: أى مكان يفوزون فيه بالنجاة من العذاب.

الغنى: بعدما رد سبحانه عليهم أراد أن يسلى رسوله من جهة أخرى، فقال: كل نفس لابد أن تموت، فلا تضجر من عذابهم فإنه منتهى يموتهم، ولا تعجل بمقابهم فى هذه الدار فإن المدخر لهم بعد الموت لا يدانيه عذاب الدنيا كله. ولذا قال وإنما توفون أجوركم كاملة يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز بالمساعدة الدائمة، ومما تاح هذه الحياة الغانية ألا متاع الخديعة الذى يعصى صاحبه عن الخطر الذى يستقبله فى الآخرة.

- (١) القيامة. (٢) الحياة. (٣) متاع. (٤) أموالكم. (٥) الكتاب. (٦) ميثاق. (٧) الكتاب. (٨) السموات.

كُلِّ نَفْسٍ ذَا قُوَّةٍ لِّلْمَوْتِ وَأَنتُمْ تُؤْفِكُونَ ﴿١﴾
يَوْمَ الْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَنْ يُزَجِّحْ عَنِ السَّارِ وَأَدْخِلْ أَلْبَتَةً
فَقَدْ تَارَ وَتَارَ الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ ۚ لَا مَنَعَ الْمُرُورُ ﴿٢﴾
* تَلْبَثُونَ فِي أُمُورِكُمْ وَتَفَكَّرُونَ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ
أَوْفُوا الْكَيْفَ ۖ بَيْنَ يَدَيْكُمْ مِنَ الَّذِينَ انْفَرَكُوا أَلَا يَكْبُرُ
وَلَا يَصْبِرُونَ ۚ وَتَقُولُوا إِنَّا لَا أَصْلَاحَ لِّلَّذِينَ
وَأَن آخِذَ اللَّهُ بِمِيثَاقِ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْفَ لِنَبِيِّنِهِمْ
لِيَأْتِيَ وَلَا تَكْتُمُوهُ وَبَدَّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَكَثُرُوا
بِئْسَ مَا يَكْتُمُونَ ۚ مَا يَكْتُمُونَ ۚ لَا تَحْشَرُ الَّذِينَ
يُخْفُونَ بَيْنَ أَثْنَانِ ۚ وَكَثِيرٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۚ وَلَا
تَحْشَرُ عِزَّاتُ بَيْنِ الْعَذَابِ ۚ وَكُفَّ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٣﴾
وَلَهُ تِلْكَ الْمَنَافِكُ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَّاعْلَمُوهَا.

﴿البيِّنات﴾: المعجزات الواضحات. ﴿الزبر﴾: جمع زبور وهى المواعظ التى تهز القلوب والى جاء بها داود عليه السلام. ﴿الكتاب﴾: المراد جنس الكتاب فيشمل التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم ﴿النير﴾: الموضع لطريق الحق.

الغنى: ولا يحسن اليهود الذين يعلنون ببذل بعض ما اتاهم الله بخلهم خيراً لهم بل هو شر لهم، لأنهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة. انظر كيف فسر ﴿الآية﴾ هذه الآية وبين كيفية التطويق فى حديثى رقم ٢٠٠٤، ٢٠٠٥ من كتابنا صفوة البخارى، ولله ميراث السموات والأرض ومافيهما، أى قلن يبقى فى يد الإنسان شيء، فمن الجهل أن يبخل على نفسه بما ينجيها من العذاب، والله بما تعملون أبلها بخلاء خبير؛ وسيجازيكم شر الجزاء.

ولما نزل قوله تعالى «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً» الآية (٢٤٥) من سورة البقرة صفحة ٥٠، قالت اليهود تهكما على القرآن والرسول إن الله فقير ونحن أغنياء ولا لما طلب ما قرضنا. فهددهم سبحانه بقوله: لقد سمع الله قول الذين... إلى قوله سنكتب ما قالوا، أى تأمر الملائكة بأن تسجل عليهم فى صحائفهم هذا الجرد، وتسجل أيضاً قتلهم الأبناء بغير حق، ونقول لهم يوم القيامة على لسان خزنة جهنم: ذوقوا عذاب النار المحرقة، قائلين لهم أيضاً: ذلك الذى أنتم فيه من العذاب بسبب أن الله ليس بصاحب ظلم لعباده، أى العذاب أصابكم بذنوبكم وبكونه تعالى عادلاً فى حكمه لا يظلم فيعاقب غير المستحق بالعقاب، ولا يجعل الناسق كالمؤمن ولا الأشرار كالأخيار، فيكون أضاع على المتقين تبعهم. وهؤلاء اليهود الذين قالوا إن الله أوصانا فى التوراة بأن لا نصدق رسلاً إلا إذا جاءنا بقرآن تأكده النار وهم كاذبون فى أن الله أمرهم بهذا أو جعله شرطاً لتصديق الأنبياء، لأن النبوة ثبتت بكل معجزة لا بخصوص ما طلبوا، ولذا رد عليهم بقوله: قل لهم أيها النبى قد جاكم رسل كثير من قبلى بالمعجزات الواضحات التى هى أقوى مما طلبتم كإحياء الموتى، وجاء بعضهم بما طلبتم من القرآن، فلم قتلتم البعض وحوارتم قتل الآخر كعيسى ولم تكفوا بتكذيبهم إذا كنتم صادقين فى دموالكم أنكم تصدقون عند المعجزة.

ثم أراد سبحانه أن يسلى نبیه حتى لا يجزع لتكذيبهم فقال عز وجل: فإن كذبوك بعد أن جئتكم بالمعجزة الخالدة وهى القرآن الذى لو اجتمع الإنس والجن لما استطاعوا أن يأتوا بسورة جئتكم بالمعجزة الخالدة وهى القرآن الذى لو اجتمع الإنس والجن لما استطاعوا أن يأتوا بسورة

﴿آيات﴾: أدلة وبراهين على قدرة الله

وصدق رسوله.

﴿الأسباب﴾: العسقول. ﴿مناديا﴾: هو

الرسول والقرآن الذي جاء به.

﴿فاغفر لنا ذنوبنا﴾: الناشئة من تقصير

في عبادتنا لك.

﴿سيئاتنا﴾: التي ارتكبتها في حقوق

العباد. ﴿الابرار﴾: جمع بار وهم المحسنون

في أعمالهم. انظر الآيتين (١٧٧، ١٨٩) من

سورة البقرة صفحات ٣٣، ٣٤، ٣٧.

(سورة آل عمران)

قَبِيرٌ ﴿٣٧﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ
الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ لَأُولَى الْأَنْبِيَاءِ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ
اللَّهَ وَنَسُوا نُبُوَّهُمْ وَكَانَ جُحُودُهُمْ يُنْفِكُهُمْ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ
هَيَّا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٩﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْعِي النَّارَ فَقَدْ
أَخْرَجْنَا مِنَ النَّارِ لِقَائِهِمْ رَبَّنَا إِنَّهَا مِثْقَلُ
مُتَابٍ يَأْتِيهِمْ أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَقَدْ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ
لَنَا دُورَنَا وَكَفَرْنَا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَّعْنَا بِالْآزَابِ ﴿٤٠﴾
رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسْلِكَ وَلَا تُخَيِّبْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْعَهْدَ ﴿٤١﴾ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ رِسْمًا إِلَى
لَا يَصِغُ عَمَلٌ عَلَيْكُمْ مِنْ دُونِ آيَاتِنَا بِمَعْصِمٍ
مِنْ بَعْضِ قَائِلِينَ فَاهْرُؤُوا وَآخِرُ حُجُجٍ مِنْ دِينِهِمْ وَأَوْفُوا

﴿على رسلك﴾ أي على لسان رسلك. «بعضكم من بعض» أي أن الذكر والأنثى من جنس

واحد فلا تتفاضل بينهما إلا بالعمل الصالح.

المعنى: قال الفخر الرازي: إن الفصوص من هذا الكتاب الكريم هو جذب القلوب والأرواح من الاشتغال بالخلق إلى الاستغراق في معرفة الحق سبحانه، فتراه هنا عز وجل لما أطال الكلام من رد شبه المبطلين، رجع هنا إلى إثارة القلوب بذكر ما يدل على توحيد وكبريائه وجلاله فذكر هذه الآيات وأراد بذلك سبحانه أن يبين سبب غفلتهم عن الأدلة وهو أنهم

- | | | |
|----------------|---------------|---------------|
| (١) السموات. | (٢) واختلاف. | (٣) الذين. |
| (٤) آيات. | (٥) الأنبياء. | (٦) فيما. |
| (٧) السموات. | (٨) بطلا. | (٩) سبحانه. |
| (١٠) للظالمين. | (١١) يلايمان. | (١٢) القيامة. |
| (١٣) عامل. | (١٤) ديارهم. | |

سورة آل عمران

ثم أراد سبحانه أن ينبه نبيه وأصحابه إلى التسليح بالصبر على ما سيلقيه من المتاعب فقال ﴿اتَّبِعُونِ...﴾ الخ أي سيلاقبكم ابتلاء وامتحان في أموالكم بالتكليف بإنفاقها في الخير، وبما يصيبها من تلف، وفي أنفسكم بالقتل والأسر والأمراض والتكاليف الأخرى، ولتسمعن من اليهود والنصارى ومن المشركين أدنى كثيرًا كالطغى في دينكم واتهام الرسول بأنه ساحر كذاب وتحقير من يؤمن معكم، وإن تصبروا على ذلك ولا تضق به نفوسكم وتمروا به كراما وتتقوا الله فلا تعصوه فهو خير لكم، لأن ما ذكر من الصبر والتقوى من الأمور التي يجب الثبات عليها، ثم بين سبحانه بعض إيداء أهل الكتاب له ﷺ حيث كتبوا صفاته التي عندهم في التوراة، وأنكروا أنه هو النبي المبشر به، فقال سبحانه: ﴿وَرَادَّ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ﴾ الخ. وذكر أنها النبي وقت أخذ الله العهد على أهل الكتاب لتبين مافى الكتاب من صفاته ﷺ وعلامات نبوته للناس ولا تكتمونه، ذكر ذلك للمبالغة في إيجاب البيان، فتبدوا تعاليم الكتاب وأهلوه. ثم بين سبب ذلك فقال ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ الخ أي استبدلوا ببيان الحق الواجب عليهم بالعهد فبنا قليلا تافها هو حب الرياسة على الجهال من أتباعهم وابتزاز أموالهم، لأنهم لو أسلموا لضاع منهم كل ذلك، فبش ما أخذوا لأنه زائل أضاعوا به نعيمًا خالدًا. انظر الآية (١٧٤) من سورة البقرة صفحة ٣٣.

لا تحسبن أيها النبي الذين يفرحون بما أتوا الناس من الضلال الذي يظنون أنه ينفعهم، ويحبسون أن يمدحهم الناس بأنهم حفاظ التوراة العاملون بما فيها وهم في الحقيقة لم يحافظوا ولم يفعلوا بل فعلوا نقيضه وهو تضليل الناس وصرفهم عن الحق الواضح كما في الآية (٧٩) من سورة البقرة صفحة ١٥، فلا تحسبنهم ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ أي بمنجاة من العذاب في الدنيا بل سيلاحقهم الخذلان والكمد بنصرة أهل الحق عليهم ولهم في الآخرة عذاب شديد الألم. ثم زاد في طمأنينة النبي ﷺ وأصحابه فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الخ أي لا يتصرف فيها أحد إلا بمشيئته فلا تبالوا بغيره لأنه هو وحده القدير على كل شيء، ومنه خذلان الكافر وتغذيته، ونصر المؤمن وتغنيته.

﴿تقلب الذين كفروا﴾: تتقلبهم وتغير قههم.
﴿ومتاع قليل﴾: أى تمتع قليل إذا قيس بينهم
الآخرة.

﴿وساوأهم جهنم﴾: أى المكان الذى يأتون
إليه. ﴿هَيْئَسَ الجهاد﴾: قبيح الفراش.

﴿نزلا من عند الله﴾: النزل مساعداً
للصيف عند نزوله.

﴿صابروا﴾: خالبوا أعداءكم فى الصبر
على شدائد الحرب فلا يكونن أصبر منكم.

﴿رابطوا﴾: أقيموهم فى ثغور بلادكم التى

فَسَبِيلِي وَنَزَّلْنَا وَفُتِلْنَا أَكْثَرُونَ عَنْهُمْ سَبِيلًا
وَلَا يَدْرِي سَبِيلِي خَيْرٌ مِنْ خَيْرِ الْأَشْيَاءِ تَوَارًا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ مِثْقَالُ الذَّرَّةِ ۖ لَا يُبْزَنُ
عَنْهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي النَّارِ ۖ لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ
حَقًّا وَهَيْئَسَ الْبِهَادِ ۖ لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ
حَقًّا خَيْرٌ مِنْ خَيْرِ الْأَشْيَاءِ خَلِيدِينَ فِيهَا وَلَا يَمُوتُ
عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبَرَارِ ۖ وَأَنَّ مِنْ
أَمْرِ الْكَذِبِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا أَرَى الْبَشَرَ وَمَا
أَرَى الْإِنْسَانَ خَائِفِينَ ۖ لَا يَشْعُرُونَ بِأَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ
ذُو انْزِلٍ ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ إِبْرَاهِيمُ عَبْدًا ۖ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ۖ يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَنُورًا صَافِرًا وَمَا بَرَأ
وَرَبُّهُمَا يَقُولُ أَلَمْ يَكُنْ خَلْقُهُمْ ۖ

يخشى منها على بلادكم.

المعنى: وَقَاتِلُوا مَنْ يَحَارِبُ الدَّعْوَةَ وَقَاتِلُوا اسْتِشْهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الَّذِينَ فَعَلُوا كُلَّ هَذَا
وعرض وجلالى لا كفرون عنهم سيئاتهم ولأدخلتهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، أثيبهم

- (١) وقَاتِلُوا.
- (٢) جنات.
- (٣) الأنهار.
- (٤) البلاد.
- (٥) منافع.
- (٦) ماوأهم.
- (٧) جنات.
- (٨) الأنهار.
- (٩) خالدين.
- (١٠) الكتاب.
- (١١) خالسين.
- (١٢) يأتي.

أفسدوا عقولهم بالتقليد، فقال إن فى خلق السموات والأرض وما فيها من عجائب، واختلاف
الليل والنهار بالطول والتقصير والظلمة والنور بنظام لا يتخلف، الأدلة وبراهين على قدرة الله
وحكمته، لأولى الأبواب أى العقول الخالصة من الغفلة والشهوات والتقليد الأعمى، وانظر
لذلك حكماً كثيرة فى الآيات:

(١٦٤) من سورة البقرة صفحة ٣١، (١٧) من سورة يونس صفحة ٢٧٦، (٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧) من سورة القصص صفحة ٥١٧، (١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠) من سورة النبا صفحة ٧٨٧.

وأول الأبواب هم الذين يتكبرون الله فى الصلاة قياماً عند القدرة عليه، وقعوا أى قاعدين
عند العجز عن القيام، وعلى جنوبهم أى مضطجعين عند العجز عن القعود، والمراد يحافظون
على الصلاة فى كل حال، ويتفكرون فى مخلوقات السموات والأرض وما فيها من عجائب
ونظام لا يقدر عليه سوى الخلاق العليم، قائمين فى أثناء تفكيرهم: ياربنا ما خلقت هذا النظام
بإملا بغير حكمة، سبحانه أى ننزهك عن هذا، فقنا عذاب النار لأنك يارب حكمت بخيرى
وأمانة من تدخلك النار، وما للظالمين الذين حكمت بدخولهم النار أنصار وأعوان يدعون عنهم
العذاب، ياربنا إننا سمعنا رسولك وكلامك ينادينا أن آمنوا بربكم فأسرعنا إلى الإجابة، فاستر
عنا يوم الحشر الأكبر دنونا، وكفر أى اسقط عنا بعفوك أو يقبول حسناتنا، كما قلت: وإن
الحسنات يذهبن السيئات﴾ سيئاتنا، وتوقنا مع الأبرار، وأتينا ما وعدتنا به على لسان رسلك
من الرحمة والفضل، فأجاب ربهم ودعاهم ووعدهم بأنه لا يضيع عمل عامل منهم، بل يحفظه
لهم ويجازيهم عليه خير الجزاء، سواء أكان العامل ذكر أم أنثى، فكلهم فى العبودية له سواء،
وإنما التفاضل بالعمل الصالح. ولذا قال: فالذين هاجروا فرارا بدينهم إلى مكان يحافظون
فيه عليه، وأخرجوا من ديارهم قهرا عنهم خشية القتل، كما فعل ﷺ عند الهجرة إلى المدينة،
انظر الآية (٣٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١، وأودوا أى آذاهم الكفار بالشتيم والضرب
وسلب المال كما حصل لآل ياسر فى مكة.

بهذا ثواباً من عند الله أى ثواباً عظيماً يليق بالتمتع، والأصل ثواباً من عندى لكنه أظهر لفظ الجلالة لتفخيم الثواب، والله عنده الثواب الحسن.

ثم أراد سبحانه أن يبين للمؤمنين أن ما وعدهم به من الثواب هو السعادة الدائمة وما عدها زائل فقال: لا يُغْنِيكَ عنها السامع أو القارئ تنقل الذين كفروا فى البلاد للتجارة والكسب مع التمتع بالحرية وشهوات النفس، فإن كل هذا متاع قليل إذا قيس بنعيم الآخرة الخالد الممد للمؤمنين، ثم يمد هذا التمتع الزائل يكون مأواهم الذى يأوون إليه هو جهنم ويثبتت فراشا أعدوه لآخرتهم، هذا ما أعد للكافرين.

لكن الذين اتقوا ربهم فلم يعصوه لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حال كون ذلك النعيم نزلاً أعد لهم من عند الله، وما عند الله بعد ذلك من الرضوان الأكبر خير للأبرار من الجنات لأنه نعيم للروح، ثم استثنى من عموم الكافرين من أهل الكتاب المذمومين فيما تقدم فقال: وإن من أهل الكتاب من يؤمن بالله، كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشى وأصحابه من النصارى، وما أنزل إليكم من القرآن، وما أنزل إليهم هو التوراة والإنجيل الصحيحان، حال كونهم خائفين خاضعين بقلوبهم، لا يشترطون بآيات الله ثمناً قليلاً كما يفعل من لم يؤمن من أحبارهم ورؤسائهم أولئك المؤمنون من أهل الكتاب لهم أجرهم مرتين كما فى الآية (٥٤) من سورة القصص صفحة ٥١٤.

إن الله سريع الحساب، أى يحاسب جميع الخلائق فى أقصر وقت ويوفى كلا جزاءه، بأيتها الذين آمنوا أصيروا على مشاق التكاليف وصابروا أعداءكم أى أغلبوهم فى الصبر على الجهاد والشدائد حتى يعجزوا هم دونكم، وربطوا بعدتكم فى منافذ بلادكم حتى لا يضايكم عدوكم على غرة منكم، واتقوا الله فلا تمصوه، لأن التقوى أساس النجاح، يرجى لكم الفلاح وهو الفوز بالمطلوب فى الدنيا بالعمرة وفى الآخرة بالنعيم، نسأل الله تعالى حسن الختام.

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَبَشِّرْهُمَا﴾ أى نشر وفارق فى الأرض من النفس وذوها.

﴿الأرحام﴾ المراد بها روابط القرابة.

﴿الخبيث بالطيب﴾: المراد بالخبيث الرديء

من الأشياء وبالطيب الجيد.

﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾: أى

لا تأخذوها لتضموها إلى أموالكم. ﴿حوبا﴾:

دنيا.

﴿وما طاب﴾: ما حل. ﴿مشتى وثلاث ورباع﴾: أى اثنين اثنين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً.

المعنى: بأيتها الناس المؤمن منكم والكافر ربكم بالبعد عن معاصيه، الذى أنشاكم من نفس واحدة هى آدم عليه السلام ثم خلق الله حواء من آدم، يقول رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فكنتم نوعاً واحداً يسهل بينكم التتائف». ثم بين سبحانه كيفية خلقهم المذكور فقال عاطفاً على مقدر مفهوم من السياق وخلق منها أى من نوعها زوجها الأصل خلق تلك النفس أولاً ثم خلق من نوعها زوجها ثانياً ليسيجما وتكون بينهما المودة والرحمة المشار إليهما فى الآية (٢١) من سورة الروم صفحة ٥٣٢، ثم فرغ منهما رجالاً كثيراً ونساء كثيراً ونشرهما فى أنحاء الأرض ليعمروها، أنظر المراد من النفس الواحد فى الآيات

(١) واحدة (٢) البتاسى.

(٣) (٧). وثلاث ورباع.

(٤) أموالهم.

(٥) أموالكم.

(٦) واحدة (٧) البتاسى.

(٨) وثلاث ورباع.

(٩) فواحداً.

هَؤُلَاءِ يَسْتَعِزُّونَ بِالْعُلُوِّ
الْجَوْرِ، أَيِ اقْرَبُوا إِلَى الْأَجْوَرِ، أَيِ إِلَى عَدَمِ
الْجَوْرِ. لِصَدَقَاتِهِمْ: جَمْعُ صَدَقَةٍ يَفْتَحُ
فَضْلُهَا فِي الْمَصَدَّقِ، وَالرَّادُ مَهْرُوهً.
فَوَيْلٌ لِمَنْ: أَيِ عَطِيَّةٍ حَلِيبَةٍ بَنَاهَا نَفْسُكُمْ غَيْرِ
طَائِعِينَ فِي اسْتِرَادِ شَيْءٍ مِنْهَا. وَهَئِذَا: مُسْتَلِذَاً لَا تَغْيِصُ بَعْدَهُ.

﴿مريضاً﴾: حسن التغذية.

والسفنهاء جمع سفينه وهو السبي

التصرف لصغر أو تبذير ذكره كان أو أنثى.

﴿قیاما﴾: اے بہا قیام حیاتکم و معاشکم.

[illegible]

﴿وَابْلُوا الْيَتَامَى﴾: اختبروهم في حسن التصرف قبل البلوغ بأن تعطوهم بعضاً من المال

ليتصرفوا فيه تحت مراقبتكم. ﴿بلغوا النكاح﴾: أي بلغوا السن المؤهل للزواج. ﴿وانتقم منهم

رسدا: ﴿أَيُّ تَبَيَّنْتُمْ مِنْهُمْ صُلَاحًا فِي الْعَامِلَةِ الْمَالِيَةِ﴾. ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾: أَيُّ لَاتَعْمَلُوا

في أكلها لأجل أن تسرفوا فيه وتبادروا بالأكل قبل أن يكبر صاحب المال فينزعها من أيديكم.

المعنى: ذلك الاقتصار على الواحدة أقرب إلى عدم الجور أي العدل، وأعطوا النساء

مهورهن حال كونها نحلة أى عن جلب نفس، فإن رضيت نفوسهن عن إعطائكم شيئاً من الصدوق، أى من غير إضرار منكم ولا خديعة فبعض لكم أن تأخذوه حال كونها شيئاً مريئاً

(۱) ایماںکم .

(۲) صدقاتهن.

(٣) أموالكم.

(٤) قیاما.

(٥) النظام.

$$\cdot \rho_{\alpha}^{\beta}(\gamma) \cdot (7)$$

(٨)، (٩) الوالدان.

(١٨٩) من سورة الأعراف صفحتة ٢٢٤ و (٧٢) من سورة النحل صفحتة ٢٥٥ و (٢١) من سورة الروم صفحتة ٥٢٣ و (١١) من سورة الشورى صفحتة ١٢٩ ونظير هذا الاستعمال ما تقدم في الآية (١٦٤) من سورة آل عمران صفحتة ٩٠. ثم أكد الأمر بالتقوى بقوله واتقوا الله الذي تساءلون به، الذي يسأل بعضكم بعضا قضاء حاجته بسبب تعظيم المسئول له تعالى. كان الرجل يقول لصاحبه اسألك بالله أن تفعل هذا أي أطلب منك أن تفعل كذا بسبب إيمانك به تعالى وتعظيمك له. واتقوا الأرحام أي واتقوا قطعها بأن تصلوها، وقرئ والأرحام يكسر الميم. ومعنى هذه القراءة وتساءلون بالأرحام وكان الرجل منهم يقول لصاحبه أسألك بالرحم التي بيني وبينك أن تفعل كذا. فكانه سبحانه وتعالى يقول: لا تقربوا في هاتين الرابطتين بينكم رابطة الإيمان بالله ورابطة القرابة. إن الله كان عليكم رقيبا يعلم كل أعمالكم ويحاسبكم عليها. وأتوأنها الأوصياء الأيتامى الذين تحت وصايتكم أموالهم أي لا تفتروا عليهم بل أنفقوا عليهم شيئا فشيئا مع الاعتدال، ولا تحتزنوها باسم حفظها وأنتم تطعمون في إخفائها أو تشتتونها موتهم لتأخذوها ميراثا. ولا تبدلوا الخبيث بالطيب أي لا تأخذوا الطيب من أموال البيت وتضعوا مكانه الخبيث من أموالكم؛ كانوا في الجاهلية يأخذ الوصى الشاة السمينة من مال القاصر ويعطى بدلها هزيلة، ولأخذوا أموالهم وتضمونها إلى أموالكم بدون عوض مطلقا، لأن كل ما تقدم التوى عنه كان إثمًا كبيرا. وروى عن عائشة أن الرجل في الجاهلية تكون في وصايته البتيمة الغنية بنت عمه مثلا ويعجبه جمالها ويرغب في مالها الذي ملكته من غير طريق الميراث لأن العرب ما كانت تورث الصغير كما سيأتى فيتزوجها باقاة من صدق مثها فتوى الله عن ذلك وأمرهم بالعدل وقال وإن خفتهم ألا تعدلوا في الصدق ولم تطمئن نفوسكم إلى العدل في صدقهن فتزوجوا ما حل لكم غيرهن مثير، وثلاث الخ. أي كل واحد يأخذ ما يستطيع من هذا العدد بشرط العدل والقدرة على النفقة. فإن خفتهم ألا تعدلوا بين الزوجات فتزوجوا واحدة فقط أو عاشروا ما ملكت أبنائكم من الإماء لأنه ليس لهن من الحقوق مثل ما للزوجات. من أراد معرفة رأى عائشة في تفسير الآية فليرجع لحديث رقم ٥٠٣ من كتابنا صفوة صحیح البخاری.

والمراد بالأكل مطلق التصرف. ولاتؤتوا السفهاء يأولى الأمر أموالكم. المراد أموالهم وإنما نسبها لأولى الأمر لحملهم على المحافظة عليها كأنها أموالهم، الأموال التى جعلها الله لكم أيها المسلمون قيام حياتكم وعليها نظام معاشكم، وارتزقوهم فيها أى اجعلوا أموالكم مكان رزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتتموها فتكون نفقاتهم من الرزق لا من أصل المال والا نفد، ولهذا لم يقل وارتزقوهم منها وقولوا لهؤلاء السفهاء فى حلال اعتدالكم فى الصرف عليهم قولاً طيباً ترضاه نفوسهم، فإن كان السففيه صيباً فقولوا له مثلاً هذا مالك نخفظه لك ونسسلمه لك قريباً، وإن كان السففيه كبيراً وعظمتوه وعرفتموه عاقبة الإلتلاف من الفقر والحاجة إلى الغير لعله يتنبه. واختبروا اليتامى قبل البلوغ حتى إذا بلغوا الحلم وعلمتم رشدهم فسلموهم أموالهم فوراً، ثم أكد الأمر بالدفع بقوله: ولا تاكلوها إلخ، ليرتب عليه بعض دواعى الأكل ليحذرهم إسرافاً أى لأجل الإسراف فى أخذها مبادرين به قبل أن يكبروا فينتزعوها من أيديكم، ومن كان من أولياء اليتامى غنياً بماله الخاص فالواجب أن يحمل نفسه على العفة عن مال القاصر ويرجو بولايته ثواب الله، ومن كان منهم فقيراً فليأكل من مال التقير بالقدر المعروف عند العقلاء الصالحين وهو مايسد الجوع ويستر العورة، فإذا سلمتوهم أموالهم عند الرشد فأشهدوا عليهم أنهم تسلموها على حالة كذا سدا لباب التنازع وقطعاً لوسوسة الشياطين. وكفى بالله محاسباً مجازياً للمحسن والمسيئ فأحذروه. وكان أهل الجاهلية لا يورثون إلا من يدافع عن العشيرة، فلا يورثون النساء ولا الصغار، وكان هذا ظلماً للضعفاء، فأنزل الله تعالى إبطالا لذلك: للرجال نصيب مما ترك الآيات، والمراد بالرجال الذكور كباراً وصغاراً، مما ترك أحد والديه أو أقربيائهم الميتين، وللنساء نصيب كذلك كبيرات أو صغيرات من المترك قليلاً أو كثيراً، جعله الله تعالى لهن ولهن نصيباً مفروضاً، أى محتماً ليس لأحد أن ينقص منه شيئاً، وإذا حضر قسمة التركة أحد من قرابة الميت الذين لا يورثون، فإنهم يعطون من نصيب الورثة الأغنياء لا حاجة القريب ولكن ليشعر بمحبة قريبه الوارث له بإهدائه ما أعطى فلا يتسرب إلى نفسه حسد على المال الذى نزل على الوارث من السماء من غير نصب ولا مشقة.

المعنى، كذلك إذا حضر القسمة اليتامى
والساكنين الأجانب، فأعطوهم مما ترك الميت
قبل القسمة إن كان الورثة كلهم كباراً، أما
الصغار فلا يؤخذ من نصيبهم شيء، وقولوا
لليتامى والساكنين قولاً معروفاً فيه اعتداز
لهم بحجزة التصرف في مال القاصر، وحكمة
إعطاء ذوى القربى غير الوارثين أن المال
الذى يأتي الشخص من غير مشقة قد يثير
فى النفوس الحسد، فيطلب التودد إليهم
بحسب مايلق بهآلهم كالهديّة مثلاً، وذلك
فضلاً عما فيه من صلة الرحم وشكر النعم،
فإنه بصرف النفوس عن الحسد إلى المحبة.

ورأى بعض العلماء أن القول المعروف مطلوب حتى إذا كان الورقة كبارا، وذلك بملائمة الآخذ حتى لايتأذى عزيز النفس. وليخش الله الأوصياء الذين لو تركوا من خلفهم أى بعد موتهم ذرية ضعافاً مثل الذين تجت أديهم الآن خافوا عليهم أن يسيئ الناس معاملتهم. والمراد أنه يجب على الأوصياء أن يقدروا فى أنفسهم أنهم هم الذين ماتوا، وأن هؤلاء اليتامى أبناؤهم، فيعاملونهم بالشفقة والرحمة التى يحبوها لهم، فليقلوا الله فى أمر من تحت أديهم من اليتامى، وليقولوا لهم فى مخاطبتهم وترثيتهم قولا سديدا فيه جبر خاطرهم على فقد آباءهم.

وَالْيَسْمَى وَالسَّكِينِ فَأَرَادَهُمْ بِتِ وَقَوْلَاهُمَا قَوْلًا
مَعْرُوفًا ﴿١٠﴾ وَيَلْبِسُ الذِّكْرَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْقِهِمْ ذَكَرَةً
صَدَقُوا فَأَلَقُوا عَلَيْهِمْ يَصِيفًا ﴿١١﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ
إِنِ ادَّخِرَ بِأَكْمَالٍ آمَوَىٰ الْيَسْمَىٰ عَلَيَّهَا يَا كَلْبُكَ
فِي بَطْنِهِمْ نَارًا وَصَبَّحُوا سَعِيرًا ﴿١٢﴾ يُوسِفُكَ اللَّهُ
فِي الْوَلَدِ كَمَا لَمْ تَكُنْ مِثْلَ حَقِّ الْأُمَمِينَ قَبْلَ أَنْ يَنْسَأَ
تُوقِ الْأَمَنِينَ فُلُوحًا لِّأَخِيكَ مَا تَرَكَ وَإِنْ كُنْتَ رَكْبَةً فَلَهَا
الْيَسْفُ وَلَا يَنْصَرُ لَكَ وَحْدَهُمَا السُّدُورُ مِمَّا تَرَكَ
إِن كَانَ لَهُ اللَّهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَدَّهَ أَبَوَاهُ فَلَا مَلَامَ
أَلَيْكُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَا مَلَامَ السُّدُورِ مِنْ
بَعْدِ وَصِيٍّ يَبْرِيحِي يَسَاءَ أَوْدِي عَائِشَةَ وَآبَتَاهَا وَتَرَكَ
تَدْرُونَ أَيْهَمَ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْسًا قَوِيضَةً مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

- (١) واليتامى.
(٢) والمساكين
(٣) ضعفا.
(٤) أموال.
(٥) اليتامى.
(٦) أولادكم.
(٧) واحدة.

ولللزوجات واحدة أو متعددة الربع مما

ترك الزوج إن لم يكن له ولد منهن أو من

غيرهن، يقسم بينهن بالسوية، فإن كان للزوج

ولد ذكر أو أنثى فالزوجة أو الزوجات الثمن

من بعد إخراج الوصية وتسديد الدين ويقدم

الدين في كل الأحوال على الوصية إذا ضاق

المال عن سدادها. وإن وجد رجل يورث حال

كونه لا والد له ولا ولد أى لا فرع ولا أصل أو

امرأة كذلك ولا حدهما أخ أو أخت لأم فلكل

واحد منهما السدس. فإن كان الأخوة أو

الأخوان من أم أكثر من واحد بأن كانوا اثنين

فما فوق فهم شركاء في الثلث للذكر مثل

الأنثى. أما إذا كان الأخ من الأب فإنه يرث بالتعصيب أى يأخذ كل الباقي إذا انفرد، أو إذا

كانت الأخت من الأب وانفردت ترث النصف كما سيأتى آخر السورة. وتحترم وصية الميت إذا

كان غير مضارها للورثة، كان يوصى بأكثر من ثلث تركته أو يوصى لوارث، ومن وجوه الضرر

أن يقر بدين لا حقيقة له لزوجته أو لغيرها، إلى غير ذلك مما يعود على الورثة بالضرر، فإن

كل ذلك يهمل ولا يلتفت إليه. بوصيتكم الله بالحفاظة على هذا التقسيم وصية صادرة منه،

وهو العليم بمن يجوز ومن يعدل في وصيته، حلیم من شأنه أن لا يجعل بالعقوبة فلا يفتن

المضار بالإهمال، تلك الأحكام المذكورة في اليتامى والوصايا والوارث حدود الله وضعتها

فاصلة بين الحق والباطل، فلا يجوز تعديلها، فمن يطعمه سبحانه بالحفاظة عليها يدخله جنات

الج، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده التى بيننا هنا وغيرها يدخله ناراً...

كَانَ عَلِيًّا كَيْفَا * وَلَكَ نِصْفُ مَا تَرَ وَأَنْ تُبَكِّرَ
إِنْ أَرَادْتَ أَنْ تَبْكَرَ وَأَنْ تَبْكَرَ وَأَنْ تَبْكَرَ
تَرْكُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا ذِينَ وَكُلُّ أَرْبَعٍ
عَمَّا تَرَكَ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ
فَلِلَّذِينَ الَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا
أَوْ ذِينَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلِيَّةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ
أَخْتٌ فَلِكُلٍّ وَثِيْقَةٌ مِمَّا تَرَ الْفُتُورُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ
ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الْوَلَدِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا
أَوْ ذِينَ غَيْرِهَا مِمَّا تَرَ وَصِيَّةٌ مِنْ آلِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَ

كأن يقولوا في مخاطبتهم: افعل هذا يا بنى أو يا ولدى، ويستقبلوهم بحسن الترحيب،

ويرشدوهم إلى محاسن الآداب بالحكمة والموعظة الحسنة. فسبحان الرحمن الرحيم الذى

أدب الكبير، وجبر خاطر الصغير، فله الحمد على كل حال.

إن الذين ياكلون أموال اليتامى ظلماً إنما ياكلون في بطونهم ما يجير إلى النار، وسيصلون

أى سيدخلون سعيراً أى ناراً شديدة.

بوصيتكم الله أى يأمركم فى شأن ميراث أولادكم بأن تجعلوا للذكر مثل نصيب الأنثيين إذا

اجتمع فى الورثة ذكور وإناث، أما إن كان الورثة كلهم نساء أى بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين

أى زائدات على بنتين فلهن ثلثا ماترك الميت، وإن كانت واحدة فلها النصف، أما لو ترك بنتين

فقط فهما الثلثان لأن الثلثين ثبت للآختين كما فى آخر آية من هذه السورة فاليتتان أولى،

ولأن البنت تستحق الثلث مع الولد الذكر فضع البنت أولى؛ ولأبويه أى والد الميت ووالدته لكل

واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ذكر أو أنثى، إلا أنه إن كان الولد أنثى فالأب

يأخذ السدس فرضاً وباقي التركة بعد الفروض تعصيباً، فإن لم يكن له أى للميت ولد وورثة

أبواه فقط فلأمه الثلث وللأب الباقي، أما إذا وجد معهما أحد الزوجين كان ثلث مابقى بعد

نصيب الزوج أو الزوجة للأب والباقي للأب. فإن كان للميت أخوة اثنان فصاعداً ذكراً أو إناثاً

فلأمه السدس والباقي للأب ولا شيء للأخوة، لأن الأب حبيبهم. وهذا التورث من بعد تنفيذ

وصية الميت وقضاء دينه. آباءكم وأبناؤكم لاتعلمون أنتم أنهم أقرب لكم نفعا. والوارد أن الله

تعالى فرض تلك الفرائض حسب علمه وحكمته، ولو وكلها إليكم لا علمتم أنهم أنفع لكم

فتقموا فى الخطأ وتطموا من يضركم وتحرموا من ينفعكم، لذلك فرض الله تعالى عليكم هذا

التقسيم فرضاً محتماً صادراً من الله العليم الحكيم.

﴿الكافرة﴾: الكافرة هو الذى لا والد له ولا ولد.

المعنى: ولكم نصف ماترك زواجكم إن لم يكن لهن ولد ذكر أو أنثى. فإن كان لهن ولد

منكم أو من غيركم فلكم الربع مما تركن، تأخذونه من بعد إخراج قيمة الوصية التى أوصيتم

بها وتسديد الدين الذى عليهن.

- (١) أرواحكم. (٢) كلاله. (٣) واحد.
(٤) جنات. (٥) الظهار. (٦) خالدين.

بجهالة أى بحمق وسفاهة ثم يتوبون من قريب أى عقب الذنب مباشرة كما فى الآية (١٣٥) من سورة آل عمران صفحتى ٨٤، ٨٥.

هذا هو الوقت الذى تقبل فيه التوبة قطعاً بأذن الله. والآية الآتية بينت الوقت الذى لا تقبل فيه قطعاً، والتوبة فى غير هذين الوقتين مسكوت عنها فهى محل رجاء وخوف، فكلما قرب وقت التوبة من وقت الذنب كان رجاء العقو أقوى، وكلما بعد بالإصرار وعدم المبالاة كان عدم القبول أقوى. أنظر ما تقدم فى سورة البقرة الآية (٨١) صفحة ١٦، وكان الله عليهما بإخلاص التائب وعدمه، حكيمًا فى جعل الندم توبة حتى يرغم أنف الشيطان؛ وليست التوبة المقبولة للذين يعملون السيئات ويستمررون مصرين عليها إلى أن يحضرهم الموت أو يأخذوا فى التزح ويصحبوا عاجزين عن الذنب فيتوبوا، ولا للذين يموتون وهم كفار أى إذا تابوا فى الآخرة لا تقبل توبتهم. أنظر الآية (١٠٦) من سورة المؤمنون وما بعدها صفحة ٤٥٥ والآية (٥٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٤. أولئك المذكورون من الفريقين اعتدنا وهينًا لهم عذابا شديد الأليم.

وكان عادة أهل الجاهلية أن يرث الرجل نساء أقربائه، فإن شاء تزوج المرأة منهم بلا صداق وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء منعها من الزواج حتى تقتدى بهما، والا تركها حتى يرثها، فجاء الإسلام بالنهى عن هذه الوحشية، فقال سبحانه: لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاهن. والتقييد بالكراهية لتشتيع عليهم، ولا فلا يجوز أن يرثها برضاها، أى لا يجوز أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما يورث المتاع والحيوان، ولا يحل لكم أيضاً منعهن عن الزواج بغيركم بأن تمسكنهم فى عصمتكم مع الإعراض عنهن وإظهار الكراهة لهن ولا تظفرن لتضايقوهن حتى تذهبن أى تأخذوا بعض ما آتيتوهن...

﴿فاحشة مبنية﴾: معصية واضحة كالزنا والنشوز. ﴿قطاراً﴾: المراد به هنا صداقاً كثيراً. ﴿بهيناً﴾: ظملاً. ﴿أففى بعضكم إلى بعض﴾: أطلع كل منكما صاحبه على عورته. ﴿ميثاقاً غليظاً﴾: عهداً مشدداً على الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان. الآية (٢٣٩) من سورة البقرة صفحة ٤٦.

﴿اعتدنا﴾: أصله أعددنا أى هيأنا. ولا تملأوهن﴾: أصل العضل الحبس والتضييق، والمراد هنا لامتصوهن عن الزواج. المعنى: من يعص الله يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب شديد الأهانة، والنساء اللاتى يفعلن الفاحشة وهى السحاق وهو ما تعله المرأة مع مثلها، فاستشهدوا عليهن أربعة من رجالكم، فإن شهدوا فاحبسوهن فى البيوت بأن توضع المرأة وحدها بعيدة عن كائنات تسأحقها حتى يتوفاهن ملك الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً إلى الخروج من الحبس بالتوبة أو بالزواج المعنى عن المساحقة.

والرجلان اللذان يأتیان الفاحشة وهى اللواط فأذوهما بعد ثبوت ذلك بالشهادة أيضاً، فإن تابا قبل إيدائهما بإقامة الحد عليهما بأن ندما وأصلحا كل أعمالهما وطهرا نفسيهما فأعرضوا عنهما، أى كفوا عن إقامة الحد عليهما، إن الله كان كثير قبول التوبة من المخلص، شديد الرحمة فيقبلها على الغضب.

ولما ذكر سبحانه أن التوبة مع الإصلاح تقتضى ترك العقوبة فى الدنيا اتبع ذلك بشرط قبول التوبة: إنما التوبة التى أوجب الله تعالى على نفسه قبولها تكون للذين يعملون السوء

- (١) خالداً.
- (٢) واللاتى:
- (٣) الفاحشة.
- (٤) يتوفاهن.
- (٥) واللذان.
- (٦) يأتينها.
- (٧) بجهالة.
- (٨) الآن.

يبردها، فتهاهم الله عز وجل عن ذلك فقال: وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج، تطلقوا، فلا تأخذوا من وراءكم ثانيةكم، والحال أنكم آتيتم المرأة المراء طلاقها صداقاً بائناً، فلا تأخذوا من هذا البساق الكثير شيئاً ولو قليلاً وهل يصح أن تأخذوه ظلماً وأثماً مبيناً. ثم كرر التوبيخ بقوله: وكيف تأخذونه وقد خلا كل منكما بصاحبه بدون ستر، وأيضاً أخذ الله لأجلهن عليكم عهداً مشدداً بأن تعاشرهن بمعروف، ولا تتزوجوا أو يبتوا في عصمتكم من النساء من كانت زوجاً لأبائكم، والراء بالأباء ما يعم الأجداد أيضاً، لكن ماضى يفتو الله عنه بشرط مضارقتة لها عند علمه بالتحريم. إن زواج الابن زوجة أبيه كان فاحشة بالغة في القبح، ومقتا من الله ومن المؤمنين ذوى الروء، وقبح طريقاً يسلكه عاقل عنده حياء. وهذه المناسبة ذكر بقية المحرمات من النساء فقال: حرمت عليكم أمهاتكم ويشمل الجدات، وبناتكم ويشمل بنات الأولاد، وأخواتكم ولو لأم، والعصمات والخالات، وبنات الأخ وبنات الأخت كذلك ولو لأم، وأمهاتكم اللاتي جاءت أمومتهم من الرضاة فقط، وأخواتكم من الرضاة كذلك.

وقد انزل سبحانه الرضاعة منزلة النسب فجعل المرضعة أما للرضيع، وبحكم ذلك يكون زوجها أباً له وجمه جداً، وكل ولد ولدته المرضعة قبل رضاعه أو بعده فهو أخوه، وحرمت عليكم أمهات زوجاتكم بمجرد العقد على بنتها ولو طلقها قبل الدخول، وبأنبئكم أي بنات زوجاتكم من رجل آخر اللاتي يعلب أن يرين تحت رعايتكم مع أمهن، فالقييد للغالب، وإلا فبنت الزوجة محرمة ولو لم تدر في حضنة زوج أمها.

﴿حلائل﴾: جمع حليلة وهي الزوجة. ﴿سلف﴾: ماضي. ﴿الحصنات﴾: الإحصان يطلق في القرآن على أربعة معان: الإسلام والحرة كما في الآية (٢٥) الآتية، والعفة كما في الآية (٢٥) أيضاً والآية (٥) من سورة المائدة صفحة ١٣٦ والآية (٤)، (٢٢) من سورة النور صفحتي ٤٥٧، ٤٦٠ والزواج كما هنا. وسيت بذلك لأن زوجها يحصنها ويحفظها من الخطيئة.

وإذا كسرت الصاد فإلزامها أحسنت فرجها كما في الآية (١٢) من سورة التحرير

.Vor āraus

تفسير القرآن الكريم

[illegible]

المضى: لا يحل لكم أن تمنعوهن عن الزواج
لأنهن أخذوا بعض ما أعطىهموهن من الصدق
إلا أن يرتكن بمصيبة واضحة ثابتة كالزنا أو
الخروج على طاعة الزوج، فعند ذلك يجوز
لكم أن تضايقتهن حتى يقتدين منكم بالخلع
وهو أن تدفع المرأة مالا نظير إطلاق
سراحها.

أما إذا لم تأت الزوجات بما يشين فيطلب
منكم أن تعارضوهن بالمعروف المستحسن من
الإنصاف في البيت والنفقة وجميل القول.
فإن كرهنوهن لعب فيهن غير ما تقدم

فأصابوا. ففسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً. من ثواب جزيّل. أورلد صالح، أو حفط مال وعرض، إلى غير ذلك. وكان من أسباب مضارة الزوجات أن الرجل تعجبه المرأة غير زوجته ولا يستطيع الجمع بينهما فيصار زوجته حتى يلجئها إلى دفع ما أخذته ليتزوج من

- (١) بياض حشفة.
(٢) إحداهن.
(٣) بهتاناً.
(٤) ميثاقاً.
(٥) فاحشة.
(٦) أمهاكم.
(٧) وأخوكم.
(٨) وعمائكم.
(٩) وخلائكم.
(١٠) وأمهاتكم.
(١١) اللاتي.
(١٢) وأخواتكم.
(١٣) الرضاعة.
(١٤) وأمهات.
(١٥) وراثيتكم.
(١٦) اللاتي

وابن البنت، فزوجاتهم تحرم على الجد، الذين من أصلابكم. أما الابن الذي ليس من الصلب كالابن المتبنى الذي كان معروفا في الجاهلية فكان الرجل يختار ولدا أجنبيا ويلحقه بأولاده في كل شيء حتى الميراث، وكانوا يحرمون زوجاتهم على من تبناهم، فجاء الإسلام وأبطل هذا التحريم، وأجاز أن يتزوج المتبنى زوجة من تبناه كما سيأتي في أول سورة الأحزاب.

أما الابن من الرضاعة فالعلماء فيه رأيان، فالجمهور على أنه كإبن النسب تحرم زوجته. واختار بعضهم حل زوجته لأنه ليس ابن صلب والله تعالى حرم زوجة ابن الصلب فقط. ومما يحرم عليكم الجمع بين الأختين في عصمة رجل واحد، وأدخل ﷺ في حكمهما الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، لكن ماسلف ومضى من ذلك لايمابقبكم الله عليه، بشرط أن يفارق أحدهما عند سماع الحكم. وحرم عليكم المحصنات أي ذوات الأزواج من النساء إلا ماملكتم إيمانكم من الإماء في حرب الدفاع عن الدين وأزواجهن في دار الحرب لم يقعوا في الأسر فإنه يصح افتراشهن بعد ثبوت أنهن غير حوامل. كتب الله تعالى عليكم كل تلك الأحكام كتابا أي أوجبها إيجابا. وأحل الله لكم ماسوى ما حرم عليكم. فيما تقدم أن تطلبوه بأموالكم التي تدفعونها مهرا حال كونكم محصنين أي قاصدين إحصان أنفسكم وزوجاتكم، فالإحصان هنا معناه العفة. وأكد ذلك بقوله غير مسافحين أي زانين، فما طلبتم التمتع به من الزوجات فاتوهن مهورهن التي فرضتموها لهن فريضة أي قدرتموها لهن. أنظر ما تقدم في الآية (٢٣٦) من سورة البقرة صفحتي ٤٨، ٤٩. ولا إثم عليكم فيما تراضيت به أنتم وهن من بعد الفريضة، أي لا حرج بعد تقدير المهر إن تراضيت على الزيادة فيه أو النقص منه متى كان ذلك عن طيب نفس. ومن لم يستطع منكم غنى وصلا أو اسعا يمكنه من زواج الحرائر المؤمنات، وهذا قيد للإفضل والا فالحررة الكتابية مقدمة على الأمة فيحل له أن يتزوج الأمة المؤمنة والله أعلم بمقدار إيمانكم فلا تحتسروا الأمة فقد يكون إيمانها أجسن، بعضكم من بعض، أي متساوون في الدين، أنظر الآية (١٩٥) من سورة آل عمران صفحتي ٩٥، ٩٦؛ فتزوجوهن بإذن موالينهن، واتوهن مهورهن.

يَسْأَلُكَ الَّذِي دَعَلَمُ بَيْنَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَعَلَمُ بَيْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ وَعَلَى الْإِنْسَانِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
وَأَنْ جَمْعًا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَالْمَحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَبِيبٌ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَحَلَّ لَكُمْ
مَأْوَاهُ ذَلِكَ أَنْ تَتَوَارَوْا بِأَمْوَالِكُمْ حِصَصِينَ مِنْ حِصَصِينَ
فَمَا اسْتَعْتَقْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ فَرِيضَةً
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فَا زَوْجَهُنَّ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ
طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمَحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ بَنَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِيهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ

﴿مسافحين﴾: السفاح الزنا.
﴿أجورهن﴾: مهورهن.
﴿طولاً﴾: غنى.
﴿من فتياتكم المؤمنات﴾: هنا كلام كثير في شرط الإيمان وذكر الألوسى رأيين. أنظرهما في أول الجزء الخامس للألوسى.
المعنى: ومحل تحريم بنت الزوجة إذا دخل الزوج بالأُم. أما إذا طلق الأم قبل الدخول بها فإنه يحل له الزواج ببنتها، وهذا هو قوله سبحانه ﴿من نسايتكم اللاتي دخلتم بهن﴾ وصرح بالفهوم لشدة العناية بالأعراض فقال: فإن لم تكونوا دخلتم بالأمهات فلا جناح عليكم في زواج بناتهن بعد طلاق أمهاتهن. وحرم عليكم حلالاً أبنائكم ويشمل ابن الابن وإن نزل

- (١) اللاتي.
- (٢) وحلالن.
- (٣) أصلايتكم.
- (٤) والمحصنات.
- (٥) إيمانكم.
- (٦) كتاب.
- (٧) باموالكم.
- (٨) مسافحين.
- (٩) تراضيتكم.
- (١٠) المحصنات.
- (١١) المؤمنات.
- (١٢) فمما.
- (١٣) إيمانكم.
- (١٤) فتياتكم.
- (١٥) المؤمنات.
- (١٦) بإيمانكم.

عن زواج الإماء مع العفة خير لكم من جهات كثيرة، منها أن أولادكم سيكونون عبيداً لأمك الأمة، ومنها أنه لو طلبها سيدها للخدمة في سفر أو حضر لما جاز لزوجها منعها. ولهذا قال العلماء زواج الأمة كاكل البينة لا يصل إلا للمضطر، والله سبحانه غفور لمن أقدم، رجم حيث رخص لدفع الحرج.. يريد الله بذكر كل ما تقدم من الأحكام أن يبين لكم ما خفى عليكم من مصالحكم وأفضل الأعمال، ويرشدكم إلى طرق الدين سيقوكم من الأنبياء من اختيار الأحكام الصالحة في كل زمان بما يناسبه، ويريد أيضاً أن يرشدكم لأسباب قبول توبتكم، علم بما ينبغيكم، حكيم لا يشرع إلا ما فيه مصلحتكم، والله يريد أن يتوب عليكم، أعاده ليربط به مقابله وهو قوله: ويريد الذين يتبعون الشهوات وهم خصومكم من المشركين واليهود الذين لا يهتمون إلا بما يحقق شهواتهم ولا يقدررون للعاقبة حساباً أن تعبوا أي تعرفوا عن الحق حتى تكونوا مثلهم. يريد الله أن يخفف عنكم فيما شرعه، فلا يجعل فيه حرجاً كما تقدم في آخر سورة البقرة، لأنه يعلم أن الإنسان ضعيف لا يقدر على مقاومة الشاق والميل الشديد إلى النساء.. قال ابن عباس ثمان آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وهي آيات (٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٤٠، ١١٠، ١١٦، ١٥٢).

وبعدما تكلم سبحانه من أول السورة إلى هنا في المحافظة على أموال اليتامى والنساء والميراث ناسب أن يذكر قاعدة عامة للتعامل في الأموال وهي أن لا يأخذ أحد مال أحد بطريق غير مشروع كالسرقة والغصب ومنع الإرث إلى غير ذلك، فقال تعالى ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ لكن إذا كانت الأموال أموال تجارة صادرة عن تراض منكم فلكم أخذها. والمراد كل معاملة مشروعة. ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضاً.

وجاء به هنا لأن أكل المال ظلماً يسبب القتل غالباً. إن الله رجم بكم حيث حرم عليكم سبب هلاككم. ومن يفعل ذلك القتل عدواناً أي قصداً لاختفاء، وظلماً لا قصاصاً ولا دفاعاً، فسوف ندخله ناراً.

أَجْرَهُنَّ بِالْعُرْفِ عُرْفُهُنَّ غَيْرَ مُبَيَّنٍّ وَلَا
مُعَيَّنٍّ أَعْدَانُ أَوْ أَوْلَاءُ أَحْسَنَ فَإِنَّ أَيْنَ يُلْحَقُهُ
فَعَلَيْهِ نَصْفٌ عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْغُلَامِ ذَلِكَ
لَنْ يَخِيَّ أَلَمَتْ سَكْرٌ وَلَا تَهَيَّرُوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّيَاطِينَ
أَنْ يُعْبُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَذَاباً يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
وَمَنْ خَلَّى الْأَنْفُسَ مِنْهَا يَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَمْشُوا الْأَنْفُسَ
أَمْوَالَهُمْ بَيْنَكُمْ وَيَتَّبِعُوا بِالْإِطْلَاقِ أَنْ تَكُونَ عِزَّةً مِنْ رَأْيِ
مَنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يُكَرِّهُكُمْ رَحِمًا
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا فَلْيُكْفَرْ فَسَوْفَ يُصْلَى نَارًا

﴿محصنات﴾: المراد هنا عفيفات، وغير مسافحات. أي غير زانيات. ﴿أخذان﴾: جمع خدن بكسر فسكون وهو خليل المرأة التي يزنى بها سرا. ﴿وقبلاً أحسن﴾: المراد هنا تزوج. ﴿فاحشة﴾: أي زنا. ﴿مأعلى المحصنات﴾: المراد بها هنا الحرائر الأكار، ﴿والعذاب﴾: المراد به الحد وهو الجلد. ﴿والعنت﴾: المشقة والمضرب من مقاومة دواعي الفطرة لأنها قد تحدث أضراراً عصبية أو خلقية.

المعنى: ادفعوا لهن مهرهن بالمعارف من غير نقص ولا مماثلة حال كونهن عفيفات، وأكد العفة بقوله غير مسافحات، أي غير مجاهرات بالزنا، فإذا تزوجن فإن آتين بفعله فاحشة، وهي الزنا فعليه من الحد نصف ما على الحرائر الأكار، وهذا النصف خمسون جلدة، ولا رجم عليها لأنه لا يتميم، وليس معنى هذا أنها لاتحد إذا كانت بكر، فالحد ثابت عليها مطلقاً بهذه الآية وبالسنة الصحيحة. ويقاس على الإماء في هذا العيب المذكور. وقد يقال إذا كان نصف الحد ثابتاً عليها وهي بكر فلم قيده بالأحصان؟ أجيب بأنه لدفع توهم أنه يزيد بالزواج، وذلك أي تكاح الإماء جائز عند عدم القدرة على زواج الحرة مع خوف المشقة. والمصير

- (١) محصنات. (٢) مسافحات. (٣) مخنقات. (٤) باحشة. (٥) المحصنات. (٦) الشهوات. (٧) الإنسان. (٨) أموالكم. (٩) بالباطل. (١٠) تجارة. (١١) عتواناً.

فعلى الرجال الجهاد ومتاعب الرزق، وعلى النساء الحمل والرضاع والحضانة وشئون المنزل، وكل له أجره على قدر عمله، فيجب أن يرضى كل بما قسمه الله ولا يحسد غيره، وإذا أراد المزيد من الفضل فليتجه إلى الله تعالى ويطلب المزيد بالعمل الصالح لا بالحسد والتمنى؛ ولذا قال «واسألو الله من فضله» قال ابن عباس: لا يقل أحدكم ليت ما أعطى لفلان كان لى، ولكن ليقل اللهم أعطنى. إن الله كان كل شىء عليهما، فالفضل منه عن علم بأسباب استحقاقه.

ولكل من الرجال والنساء الموروثين جعلنا لهم أى ورثة لهم حتى الولاية على ماترك الموروث، وهؤلاء الموالى هم الوالدان والأقربون، والمراد جميع الأصول والفروع والحواشى التى تقدم أول السورة أنها ترث، ويدخل فيهم أيضاً الزوج والزوجة لأن لكل منهما حق الارث بعقد الزوجية.

فاتوهم بأولى الأمر نصيبهم، ولا تمنعوا أحدا حقه، لأن الله تعالى شهيد ورقيب على أعمالكم، والرجال من شأنهم أنهم يقومون على نظام الأسرة التى منها النساء بسبب تفضيل الله تعالى لهم عليهم بأشياء كثيرة منها نقصان استعداد المرأة فى مهام الأمور كما تقدم فى الآية (٢٨٢) من سورة البقرة صفحتى ٦٠، ٦١؛ ونقصان من ثوابهن فى العبادة لقوات مدة الحيض والنفاس، ومنها أن الرجال خصوا بالرسالة والنبوة والإمامة الكبرى وإقامة الشعائر كالأذان والخطبة وصلاة الجمعة، وبما أنفقوا من أموالهم من صدقات ونفقة على الزوجة والأولاد والخدم، ثم شرع فى بيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف أحوالهن، فالصالحات منهن مطيعات للأزواج حافظات لأعراضهن ومال أزواجهن بسبب حفظ الله وتوفيقه لهن لإصلاحهن، وهذا القسم من النساء ليس للرجال عليهن سلطان بخلاف القسم الثانى المبين فى قوله واللاتى تخافون نشوزهن بأمراته كأهمن شئون المنزل أو إظهار الدلال بجمالها فعاوجهن بما يأتى على الترتيب: الأول الوعظ بما يلين قلوبهن ويذكرهن بغضب الله فإذا لم ينفع فاهجرهن فى المضاجع بأن تكونوا معهن فى مرقد واحد مع إعراضكم عنهن وليس أقسى على المرأة التى تظن أن أنوثتها أقوى سلاح فى إخضاع الرجل من أن ترى الرجل كسر هذا السلاح بحزمه، فإذا لم ينفع هذا أيضاً فى بعض النساء فاضربوهن ضرباً غير مبرح قال ابن عباس تضرب بالنسواك ونحوه كاليد والعصا الصغيرة، لأن المقصود هو إيلامها

«كفائر»: الكبيرة كل معصية اقترن بها وعيد، شديد، وقدر لها حد كالزنا والقتل والسرقة. «سيفانكم»: هى الصفائر التى لم تقتدرن بشىء مما تقدم. «موالى»: أى ورثة لهم حق الولاية. «مما ترك»: أى على ماترك فمن بمعنى على، انظر الآية (٧٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٨.

«والذين عصىت إيمانكم»: المراد بهم الزوج والزوجة لأن من عادة عقد الزواج أن يضع كل من طرفيه يمينه فى يمين الآخر. «قوامون على النساء»: أى من شأنهم القيام على شئونهن لأن الأسرة لابد لها من رئيس يوجه سياساتها ولا يصح أن تكون المرأة كما سيأتى، فتعين أن يكون الرجل. «فانثات»: مطيعات لأزواجهن.

«حافظات للغيب»: أى يجب عليهن حفظه من عرض ومال فى غيبة أزواجهن.

«نشوزهن»: عصيانهن.

المعنى: وكان إدخالكم النار سهلاً عليه سبحانه فخافوه بأن تبتعدوا عن الكيائر التى نهاكم عنها يسقط عنكم الذنوب الصغائر ويدخلكم الجنة دخولا كريما حسنا. ولما فرغ من التعريض لأموال الغير بالجوارح شرع ببيان حرمة التعريض لها بالقلوب كالحسد، فلما قالت النساء: نرت النصف من الرجال فلم لا يكون علينا النصف من العقاب فى الذنوب؟.. وقال الرجال: نرجو أن نفضل على النساء فى ثواب الأعمال كما فضلنا عليهم فى الميراث، نزل: «ولا تمنوا ما فضل الله الخ، والمراد أن لكل من الرجال والنساء أعمالاً تخصه لا يقوم بها غيره غالباً،

- | | | | | |
|--------------|----------------|---------------|--------------|---------------|
| (١) واسألو: | (٢) موالى: | (٣) الوالدان: | (٤) إيمانكم: | (٥) قوامون: |
| (٦) أموالهم: | (٧) فالصالحات: | (٨) فانثات: | (٩) حافظات: | (١٠) واللاتى: |

أهل الزوج ورجلا مثله من أهلها ليكونا حكمين أعرف بيوطن أمورهما وأرغب في الإصلاح ونفوس الزوجين عنهما راضية، فإن يرد الحكمان إصلاحا يوفق الله بين الزوجين.

والمنى إن تكن نية الحكمين خالصة ببارك الله عز وجل وسامتهما واعبدوا الله أي اخضعوا لسلطانه في السر والجهر، ولا تشركوا معه شيئاً من مخلوقاته في الدعاء والتضرع له. وأحسنوا بالوالدين إحساناً بالبر ولين الجانب وأحسنوا بنى القربى وهم أقرب الناس إليكم بعد الوالدين، أنظر الآية (٨٣) من سورة البقرة صفحة ١٦. وأحسنوا لليتامى بالعطف عليهم لتعوضوهم فقد آباؤهم، والجار والأبعد داراً من الأول كما تقدم، وصاحبك الذي تغلب مصاحبه لك، وابن السبيل المنقطع عن أهله في السفر وفي حاجة إلى مساعدة، وإلى الأرقاء الذين ملكتهم أيماكم بالرفق بهم وعدم تكليفهم مايشق عليهم والمساعدة على عتقهم، أنظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحة ٢٣، والآية (٦٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥١. ثم بين سبحانه حكمة تلك الرصايا المتقدمة فقال إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً، لأنهم يأتون من قرابتهم وجيرانهم الفقراء، أنظر الآيتين (٣٧، ٣٨) من سورة الإسراء صفحة ٣١٩. هؤلاء المختالون الفخرون هم الذين من شأنهم أن يبخلوا بما آتاهم الله من فضله ولا يكتفوا بهذا الجرم بل يأمرزون غيرهم بالبخل بغضا للبخل وتسهيلاً على أنفسهم بأن يوجد لهم شركاء في صفتهم وهي البخل، ويخفون ما أنعم الله تعالى به عليهم من السعة والخير. ثم بين سبحانه نتيجة بغضه لهم فقتلوا وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً شديد الإهانة. وهم الذين يتفقون أمورهم لأجل مراعاة الناس ليقتنموا من وراء ذلك متاعاً زائلاً. ولا يؤمنون بالله إلخ حتى يكون ذلك داعياً لهم إلى الإخلاص في الإنفاق ولم يجدوا مخلصاً ينصحبهم، بل لم يصاحبوا إلا شياطين الإنس والجن الذين لا يدلون على خير. ومن يكن الشيطان قرينه فبئس القرين قرينه. وأى ضرر يلحقهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر؟ لا ضرر، بل المحقق هو النفع.

﴿وردة﴾: هي الواحدة من الهباء المنتشر في الجو. عن ابن عباس أنه أدخل يده في التراب ثم أخرجها وتفتح فيها وقال كل واحدة من هذه هومن الغبار المتطاير ذرة. هي أيضاً عقوبة أي

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا ﴿١﴾ وَإِنْ جِئْتُمْ بِغَائِقٍ تَبَيَّنَا
تَأْمُرًا حَكَمًا مِنْ أَمْرِ، وَحَكَمًا مِنْ أَمْرٍ أَنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا
يُوقِ اللَّهَ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيرًا ﴿٢﴾ * وَاعْبُدُوا
اللَّهَ وَكُشِّرُوا لِيَهُ بِهٖ شَيْئًا وَيَاكُوفُ لَدَيْنِ إِحْسَانًا وَيُنِصِرِ
الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارَ ذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
بِالْعِلَى وَالصَّاحِبِ بِالْعِلَى وَابْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
إِمْرُؤُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَنَاجِبٌ مَنْ كَانَ مِنْ خَلْقٍ لَا عَمْرُؤًا ﴿٣﴾
اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَلَا يُجِزُّ أَوَّلَ بَدَأَ فَهَبْكُمْ
اللَّهُ مِنْ تَحْتِهِ، وَاعْبُدُوا لِلْكَثِيرِ مِنْ عَدَائِكُمْ
وَالَّذِينَ يُبَيِّتُونَ أَمْوَالَكُمْ رِبَاً أَلَيْسَ لَكُمْ بِزُورٍ يَدَّيْ
وَلَا يَتِيمًا أَلَيْسَ لَكُمْ بِزُورٍ يَدَّيْ وَمَنْ يَكُنِ الشَّقِيُّ لَهُ رَبًّا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٤﴾ وَمَا أَمْرًا لِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

نفسياً بأنها استعصمت أن تعامل معاملة العبيد، فإن أطمعنكم بترك النشور فلا تبغوا أي تطلبوا لكم عليهم طريقاً لإبدائهم. والبراد فكفوا عنهم وسامعوهن.

﴿والجار ذى القربى﴾: هو الذى قرب جواره ولو كان غير مسلم.

﴿والجار الجنب﴾: هو الأبعد من الأول. وحدد بعضهم الجوار بأربعين داراً. والأصح أن الجار المطلوب الإحسان إليه هو الذى تراه فى غدورك ورواحك وتشعر بغيبابه.

﴿الصاحب بالجنب﴾: الملازم لك، ويشمل خليلك فى الحضر ورفيقك فى السفر، وأمرائك التى تضاعفك. ﴿ومختالاً﴾: هو التكبر الذى يظهر اختياله فى مشيته وحركاته مستعلياً على غيره. ﴿فخوراً﴾: هو التكبر الذى يظهر أثر كبره فى أقواله ويكثر من تعداد مناقبه التى يزعم أنه امتياز بها عن الناس.

﴿وراء الناس﴾: أى رياء ليمدحهم الناس.

المنى: إن علت أيدىكم عليهن بدون حق فاعلموا أن يد الله تعالى عليكم أعلى وأعظم فاجتنبوا ظلمهن. وإن توقعت آثار شقاق بين الزوجين أو نزاع فابعثوا إليهما رجلاً عدلاً من

- (١) إصلاحاً. (٢) والوالدين. (٣) إحساناً. (٤) واليتامى. (٥) وللمساكين. (٦) ليعانكم. (٧) آتاهم. (٨) للكافرن. (٩) اللقيطان. (١٠) أمواتهم.

عند ذلك يلقون في النار وهم مقرون بعدله عز وجل.

ويعد أن نهاهم عن الشرك أراد أن يحذرهم مما قد يجر إليه من حيث لا يشعرون فقال لا تقربوا الصلاة؛ الخ: نزلت بعد أن صلى أحد المسلمين وهو سكران وقرأ قل يا أيها الكافرون أعيد ماتعبدون إلى آخر السورة بدون ولا. والمراد لا تقربوا الصلاة أو مكانها حال كونكم سكارى إلى أن تنقيقوا وتعلموا ماتقربون وماتدعون به، وكان مقدمة لتحريم الخمر، ولا تقربوا مكان الصلاة حال كونكم جنب في جميع الأحوال إلا في حال كونكم عابري سبيل الماء = كأن يكون ماء الغسل في مكان لا يصل إليه الجنب إلا بالمرور في المسجد، ولا يليق أن يحمل عابر السبيل على المسافر لأن حكمه سيأتي في الآية نفسها فلا معنى لتكراره بلا سبب. وقد كانت أبواب بيوت الصحابة من جيران المسجد مفتحة في المسجد، وإن كنتم مرضى يضركم استعمال الماء أو مسافرين أو مقيمين وأحدثتم الحدث الأصغر أو الأكبر فلم تجدوا ماء. هذا القيد غير راجع للمرضى قطعاً لأن المرض يبيح التيمم مع وجود الماء وراجع قطعاً للمقيم المحدث حدثاً أصغراً أو أكبر، واختلفت الأنظار في رجوعه للمسافر فقال الجمهور يرجع إليه فلا يتيمم المسافر إلا عند فقد الماء بعد البحث عنه، وقال آخرون لا يرجع إليه فتكون الأعداء المبيحة للتيمم ثلاثة: السفر. المرض. عدم وجود الماء في الحضر. ورجع هذا بأن قيد السفر مع عدم وجود الماء يكون لغوا لأن عدم وجود الماء كان في إباحة التيمم حتى في الحضر. وأيضاً إن الشارع اعتبر مشقة السفر، فأباح الفطر للصائم، وقصر الصلاة من أربع إلى ركعتين كما سيأتي قريباً. ومشقة حمل الماء في السفر والبحث عنه للطهارة أشد من صلاة الركعتين الثلاثين خففهما سبحانه عن المسافر. فتييموا أقصدوا بعد دخول وقت الصلاة شيئاً مما صعد على وجه الأرض طيباً أي طاهراً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إلى المرفقين. وأجاز مالك إلى الكوعين إن الله كان عفواً - كثير العفو - والتسامح حيث يسر لكم الصلاة بالتيمم ولم يلزمكم بإعادتها، غفراً لما يصدر من العبد من هفوات ومنها صلاته وهو سكران، وكان ذلك قبل البت في التحريم وبعد ما بين سبحانه تلك الأحكام العظيمة من أول السورة إلى هنا أراد أن يحذر المؤمنين من إهمالها كما أهمل أهل الكتاب قبلهم فعاقبهم فقال: ألم تر وتعلم أيها السامع إلى الذين أعظام الله نصيباً من التوراة لكنهم حرموا أنفسهم من هدايته، فلهم بذلك يشترطون الضلالة.

[illegible]

المعنى: وماذا يضرهم لو أنفقوا بعض مازرئهم لله، وكان الله بهم عليماً، فلا يظلم فاعل خير مقدار ذرة، وإن تك الذرة حسنة يضاعفها إلى عشر ويعطى من عنده تفضلاً أجزاً عظيماً زائداً على الأمثال العشرة. انظر الآية (٣٦١) من سورة البقرة صفحة ٥٥. فكيف يصنع هؤلاء المجرمون إذا جئنا يوم القيامة من كل أمة يشهد يشهد عليهم بما حصل منهم وهذا الشهيد هو نبهم، وجئنا بك أيها النبي على هؤلاء الذين بعثت إليهم شهيدياً على من آمن وعمل صالحاً، ومن كفر وعمل سيئاً، ومن نافق ومن أخلص، انظر الآية (١٤٣) من سورة البقرة صفحتي ٢٧، ٢٨.

يوم هذا المشهد يتمنى الذين كفروا أن تسوى بهم الأرض فيكونوا هم وهى سواء تراءيا
 لا يعيئون حتى يشاهدوا هول هذا الموقف، أنظر آخر سورة **هم** ولا يستعطون كتمان شئ
 مما عملوا بعد أن يعجزهم الله إلى الإعتراف بعد الإنكار كما فى الآية (٢٣) من سورة الأنعام
 صفحة ١٦٥، فأخرس الله سبحانه ألسنتهم وأنبق جوارحهم، أنظر الآية (٦٥) من سورة يس،
 والآية (٢٠) من سورة فصلت صفحتى ٥٨٥، ٦٢٢ على الترتيب.

- (١) يضاً عنها. (٢) الصلاة. (٣) سكارى. (٤) لامستم. (٥) الكتاب.

المعنى: - يبدلون في سبيل الضلال وهو الكيد للإسلام ويريدون منكم أن تضلوا سبيل الحق تكونوا مثلهم فلا يخافوكم أنظر الآيات (١٠٩، ١٢٠) من سورة البقرة صفحتى ٢١، ٢٢؛ (٧٢، ١٠٠) من سورة آل عمران صفحتى ٧٢، ٧٩؛

والله أعلم منكم بأعدائكم، وقد أخبركم بعبادة هؤلاء فاحذروهم وحسبكم الله حافظاً لكم منهم، وناصراً لكم عليهم.

ومن هؤلاء اليهود قوم وهم أحبارهم يحرفون كلام التوراة مزيلين له عن مواضعه ليضعوا مكانه ما يحقق أغراضهم؛ وذلك أنه كان في التوراة من صفات النبي المنتظر أنه ربعة أى متوسط الطول، ولما جاء ﷺ ووجدوا الوصف منطبقاً عليه غيروا الوصف وجعلوه ﴿طويلاً﴾ أنظر الآية (٧١) من سورة آل عمران صفحة ٧٤، ويقولون للنبي ﷺ إذا أمرهم بشئ: سمعنا قولك، يظهرهم له أنهم صدقوه، ويقولون في سرهم همساً من بعضهم لبعض وعصينا كما يفعل المستهزئ الجبان، ويقولون أيضاً في خطابهم له ﷺ «اسمع» ماتقوله «غير مسمع» هذه الكلمة ذات وجهين إذا قالها مُهَذَّب فإنه يريد بها الدعاء للمخاطب أى لاسمعت مكروها.

وإن قالها خبيث كهؤلاء اليهود فإنه يريد الشر أى لا سمعت خيراً، ويقولون أيضاً: راعنا، يؤهمون أنهم يقصدون انتظرننا وهم أن فيك رعونة - حماء الله تعالى منها - يقولون ذلك ليا للكلام وتحويلاً له إلى المعنى الخبيث، وطعننا في الدين بالاستهزاء به، أنظر الآيتين (٥٨، ٥٧) من سورة المائدة صفحة ١٤٨.

ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا بدل سمعنا وعصينا، واسمع وانظرننا بدل راعنا، لكان خيراً لهم عند الله وأقوم أى أليق بذوى العقول، ولكن أبعدهم الله عن رحمته بسبب كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً كعبد الله بن سلام وأصحابه تنقلب سلامة فطرتهم على إفساد اليهود أنظر سبب ذلك في شرح الآية (١٠٠) من سورة البقرة صفحة ١٩.

بأنها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا من القرآن مصدقاً لما معكم من التوراة في إقرار التوحيد الخالص وإثبات نبوة محمد ﷺ وترك الفواحش إلى غير ذلك، أى سارعوا إلى الدخول في الإسلام من قبل أن نطمس مقاصدكم من الكيد للإسلام والقضاء عليه، ونرد ذوى المقاصد السيئة منكم على أديارهم أى خاسرين بسبب انتشار الإسلام وانتصار المسلمين، أو نسجل اللعنة وهى الطرد من الرحمة مع الإذلال والخضوع لتحكم الطغاة فيهم. أنظر الآية (٦٥) من سورة البقرة صفحة ١٢.

كما لعنا أصحاب السبت لما اعتدوا فيه كما في الآية (١٦٦) من سورة الأعراف صفحتى ٢١٩، ٢٢٠. وكان الله مفعولاً أى لا يستطيع أحد منع ما أراد، فهو تهديد لهم لطمس برجعون ولما كان عملهم هذا من ضمن الإشراف بالله لأنه تكذيب لكتابه ورسوله حذرهم سبحانه من خطر الشرك بقوله: ﴿إن الله لا يفتقر أن يشرك به﴾ فصاحب الشرك مخذل في النار، ويفتر كل ذنب أقل منه لمن يشاء من عباده، بأن يوقفهم لكثرة الأعمال الصالحة التى تمحو السيئات كما في الآية (١٤) من سورة هود صفحة ٣٠١.

وسبب عدم غفران الشرك أن من يشرك بالله فقد افترى واجترأ في الكذب على الله عز وجل، وارتكب إثماً عظيماً في فحشه تصغر بالنسبة إليه جميع الذنوب، لا ينبغى شيئاً بل يجلب له سخرية الناس وغضب الله سبحانه، ولما كان من افترائهم على الله ماسجله عليهم في الآيات (٨٠، ١١١) من سورة البقرة صفحات ١٥، ١٦، ٢٢، (١٨) من سورة المائدة صفحتى ١٣٩، ١٤٠، (٦) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١، رد عليهم بقوله: ألم تر إلى الذين يزكون أى يمدحون أنفسهم بالباطل بتأثير الغرور، وتركية الشخص نفسه بالباطل لقيمة لها، بل الله هو صاحب التزكية الحققة النافعة.

﴿فتيلاً﴾: هو ما يكون في شق نواة التمرة مثل الخيط، وتضرب العرب به المثل للشيء الحقيقير. ﴿الذين أوتوا نصيباً﴾: أى هم أحبار اليهود. ﴿الجبث﴾: كل ما خضع له الناس من

المكروب، أو دين محمد وقد ترك دين آيائه فقالت اليهود: دينكم خير من دينه وأنتم أهدى سبيلاً ممن آمنوا به... فنزل في هؤلاء قوله تعالى: ألم تر وتجب من ضلال هؤلاء وتضليلهم مع أنهم أعطوا بعضاً من التوراة وفيها الحق، يخضعون للشيطان وكل طائفة، ويقولون في شأن الذين كفروا هؤلاء المشركون أرسد وأقوم من المسلمين طريقاً. ولا جرم أشنع من جرم من يقول إن دين من يشرك بالله أصوب من دين من يؤمن بالله ولذا قال: أولئك اليهود المضللون وهم الذين لفهم الله عز وجل فلن تجد لهم من ينصرهم بمنع العذاب عنهم، ولا كان منشأ تناقض اليهود هم البخل والحق على غير اليهودي، قال فرام لهم نصيب من الملك المراد ليس لهم حظ من الملك والسلطان، فلو فرضنا أن لهم نصيباً منه فإنهم لا يؤتون الناس كافة غير اليهود شيئاً ولو حقيراً، وهذا من شدة حسدهم وكرهتهم للخير لغيرهم، وإذا كان هذا حالهم في محقرات الأموال فكيف لا يقتلهم الغيظ إذا ظهر من العرب من يخضع لسلطان اليهود. ولهذا وبخهم بقوله فرام يحسدون الناس أي النبي ﷺ وأصحابه على ما اتاهم الله من فضله من كتاب وحكمه وسلطان؛ انظر الحسد في الآية (١٠٩) من سورة البقرة صفحة ٧١.

فوقد أتينا آل إبراهيم الخ. المراد أنه إذا كان فضل الله فيما مضى قد شمل أجدادهم وأجداد محمد وهم إبراهيم وذريته وإسماعيل واسحق ويعقوب فكيف يريدون الآن قصرة عليهم، ولا سبب إلا الحسد، والكتاب والحكمة تقدمتا في الآية (١٢٩) من سورة البقرة صفحة ٢٥.

وأتيناهم ملكاً عظيمًا كملك يوسف وداود وسليمان، فلا عجب إذا أوتي محمد وأصحابه ملكاً أيضاً، فمن اليهود من آمن بالتوراة وما فيها من البشارة بمحمد كعبد الله بن سلام وأصحابه، ومنهم من أعرض عن كتابهم التوراة فلم يخضع له.

وكفى بجهنم سعيراً لهم، ثم فصل كيف يكون هذا العذاب فقال: كلما نضجت جلودهم بالحريق خلقتنا لهم جلوداً غيرها جديدة ليندوفوا العذاب لأن الإحساس يصل للنفس بواسطة الجلد الذي فيه الحياة فسيحان العلم باستمرار خلقه.

يُرَكَّبِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا تَعْلَمُونَ فِيْهَا شَيْئًا ۖ أَنْظِرْكُمْ يُنْفِرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا ۚ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْسَعُوا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْتُونَ إِلَيْنَا وَالطَّيْبُ وَيُقِيمُونَ لِلَّهِ كُرْهًُا وَقَوْلًا فَتُؤْتَى مِنْ إِلَيْنَا سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَحْمِلُ الْآثِمَ ۚ وَمَنْ يَلْعَنَ اللَّهُ فَمَا لَا يَحْدُ لَهُ نَصِيرًا ۚ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَبِيًّا ۚ أَمْ يُحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيَّ مَا لَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلٍ ۚ قَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۚ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَثِيرًا بَهِجَتْ جُلُودُهُمْ بِالنَّارِ ۚ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

المنفى: بل العبرة بتزكية الله لن يشاء لصلاحتهم وتقواهم كما في الآية (٣٢) من سورة النجم صفحتي ٧٠٢، ٧٠٣. لا أجناسهم ولا ينقص أحد من جزاء عمله شيئاً صغيراً، فالكل لازم مثل ما تقدم في الآية (٤٠) من هذه السورة صفحة ١٠٧.

أنظر أيها النبي وتجب كيف يفترون على الله الكذب بما تقدم بيانه، وكفى باقتراهم هذا إنما ظاهراً لأنه ثبت من قوله سبحانه أنه لا يعابى أحدا بدون عمل لأنه من الجنس الغفلاتي بل أكرم الناس عندنا أتقاهم، ولما ذهب كعب بن الأشرف على رأس وفد من علماء اليهود إلى مكة لتعرض المشركين على محاربة المسلمين قال أبو سفيان هؤلاء هم أهل العلم بالكذب الأولي فاسألوهم هل ديننا خير ونحن نخدم بيت الله ونسقى الحجاج وكرم الضيف ونفك

دون الله من شيطان وساحر وكاهن. والطاغوت:

صيغة مبالغة من الطغيان، ويطلق على كل من يكون طاعته سبب لزيادة طغيانه من مخلوق يعبد أو رئيس يطاع في الباطل انظر الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحتي ٥٣، ٥٤.

والذين كفروا: الألام بمعنى (في) أي في شأن الذين كفروا. وتفسيراً: هو الموضع المنخفض في ظهر نواة التمرة ومنه تبيت النخلة، وأصل التفسير موضع منقل الطائر.

- | | |
|-------------|---------------|
| (١) الكتاب. | (٢) والطاغوت. |
| (٣) آتاهم. | (٤) إبراهيم. |
| (٥) الكتاب. | (٦) وأتيناهم. |
| (٧) يأتينا. | (٨) بدناهم. |

صرط مستقيم وهو المبين في سورة الفاتحة... ثم أشار إلى أصحاب الصراط المستقيم فقال: ومن يطع الله والرسول في كل ما أمرا به، فأولئك يكونون مع الذين أنعم الله عليهم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وهم أربع درجات: النبيون... وهم أعلاهم.. والصديقون وهم الذين بالغوا في التصديق حتى وصلوا أعلى درجاته وأشرفت بصائرهم حتى صاروا يعرفون الحق من الباطل من أول نظرة، والشهداء جمع شهيد بمعنى شاهد وهم القائمون بالعدل.. الأمور بالمعروف الناهون عن المنكر المشار إليهم في الآية (١٤٢) من سورة البقرة صفحتي ٢٧، ٢٨.

والآية (١٨) من سورة آل عمران صفحة ٦٥.

والرابعة الصالحون وهم الذين صلحت نفوسهم وأعمالهم ولم يبلغوا أن يكونوا حججا ظاهرين حتى يشهدوا على غيرهم كالذين قبلهم وما أحسن هؤلاء رفقاء، فهذا مدح من الله عز وجل بدوره كل مدح من الخلق، ذلك الجزء لمن أطاعه هو الفضل الكامل لأنه من الله ذي الفضل العظيم، وكفى بالله علما بعباده، فلا يفتي عنه شيء من أعمالهم ونياتهم. وبعد ما بين

سبعانه ماله صلاح المؤمنين في الداخل من العدل وعدم الشرك شرع في بيان ماله أمنهم في الخارج فقال: يأها الذين آمنوا خذوا حذركم، أي احذروا عدوكم، واستعدوا لدفع كيدهم دائما، انظر الآية (٦٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٣٦، فتسارعوا لصد العدو جماعة بعد جماعة حسما يقتضي نظام الحرب، وانظروا جميعا إذا هجم العدو على دياركم، وعند ذلك يجب على كل مسلم أن يحارب. وهذا يقتضي أن تكون الأمة كلها على استعداد للحرب كل فيما يصلح له. وإن منكم يا جميع المسلمين فيشمل المنافقين وضعاف الإيمان والجناء لفرقا وعزتي ليبيطن أي ليبيط عن الجهاد لنفاقه ولا يحضر فإذا أصابكم مصيبة بقتل أو هزيمة قال قد أنعم الله على ليبيط عن الجهاد لنفاقه ومن يحضر فإذا أصابكم مصيبة بقتل أو هزيمة قال قد أنعم الله على لأنى لم أكن حاضرا معهم، ومن فطاعة جرمه أنه يعد ما يعصب الله نعمة. ولئن أصابكم فضل من الله كغنيمة مثلا ليقول ندما على تأخره وتهالكا على الدنيا: باليتي كنت معهم في المعركة فأفوز بالغنيمة كما فازوا، يقول ذلك كأنه لم يكن بينهم وبينه مودة ولا تعارف، أي يقول قول العدو. ومن جهلهم أنهم عدوا الفوز يحطام الدنيا الفاني فوزا عظيما، فتأثروا هؤلاء جانباً، وليقاتل في سبيل الله.....

مَا قَوْلَهُ إِلَّا قِيلَ مِنْهُمْ قُلُوا مَا يَوْعظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ وَأَنْتُمْ تَبْتَغُونَ وَإِنَّا لَآتِيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا آتْرًا عَظِيمًا وَلَقَدْ تَبَتَّلْهُمْ مِنْ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْقِسْطِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رِيفًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاتَّخِذُوا نَبَاتٍ أَوْ أَنْبِئُوا بَنِيكُمْ وَأَنْبِئُوا كَلِمَاتٍ لَكُمْ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ أَمْبَابَكُمْ وَمُصِيبَةً قَالَتْ إِنَّكُمْ عَلَىٰ إِذْرٍ أَكُفِّنَ مِنْهُمْ شَيْئًا وَلَئِنْ أَمْبَاكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَلَّا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ وَنُبْهَرُ مَوْءَاظِيكَ كُنَّا مِنْهُمْ قَاوِمًا فَوَرَأَ عَظِيمًا * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

يكون حالهم لو اشتراط في توبتهم ما كان شرطه على الأهم السابقة فقال: ولو أنا فرضنا وأوجبنا عليهم أي على أمتك أيها النبي إذا أذنبوا وأرادوا التوبة أن اقتلوا أنفسكم كما فعلنا مع بني اسرائيل قبلهم، انظر الآية (٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١، أو كتبنا عليهم أخف من القتل وهو الخروج من الديار بالهجرة فرارا بالدين.

﴿أَشَدَّ تَبَتُّلًا﴾: أقرب إلى نبات إيمانهم -

﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: خذوا سلاحكم أي تيقظوا لعدوكم.

﴿فَانْفَرُوا﴾: أي سارعوا لقتال العدو إذا تعدى عليكم.

﴿قَاتِلُوا﴾: جمع تبة بضم فتحة وهي الجماعة المتغيرة عن غيرها ﴿وَأَنْبِئُوا مِنْكُمْ لَنْ لِيُبَيِّنَ﴾: من بطن المشدد بمعنى أبدا، أي يتناقل ويتأخرون.. ويلاحظ أن في هذه الجملة ثلاث تأكيدات لجريمة المنافقين هذه. ﴿شُهَيْدًا﴾: حاضرا المعنى: لو أوجبنا عليهم قتل أنفسهم أو خروجهم من ديارهم مافعلوه إلا قليل منهم وهم من صدقوا في إيمانهم وهم قليل في كل أمة، انظر الآية (١٠٢) من سورة يوسف صفحة (٣١٨)، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من طاعة الرسول والمشاركة إلى الاستغفار لكان خيرا لهم في الدنيا والآخرة وأشد تبتتا لإيمانهم: لأن كثرة الطاعات تقوى الإيمان، وإن لو فعلوا ماطلب منهم وقوى إيمانهم لأعطيناهم من عندنا أجرا عظيما. السعادة في الدنيا والجنة في الآخرة. بسبب ما زدنا في هدايتهم وتوفيقهم إلى

- | | | | | |
|--------------|----------------|-------------|--------------|----------------|
| (١) لأنبأهم. | (٢) ولهديناهم. | (٣) صراطا. | (٤) التبيين. | (٥) والصالحين. |
| (٦) أصابتكم. | (٧) أصابكم. | (٨) باليتي. | (٩) فليقاتل. | |

- السادس - الآية (١٧٤) من سورة البقرة صفحة ٣٢ ..
 السابع - الآية (١٧٥) من سورة البقرة صفحة ٣٢ ..
 الثامن - الآية (٧٧) من سورة آل عمران صفحة ٧٥ ..
 التاسع - الآية (١٧٧) من سورة آل عمران صفحة ٩٢ ..
 العاشر - الآية (١٨٧) من سورة آل عمران صفحة ٩٤ ..
 الحادي عشر - الآية (١٨٧) من سورة آل عمران صفحة ٩٤ ..
 الثاني عشر - الآية (١٩٩) من سورة آل عمران صفحة ٩٦ ..
 الثالث عشر - الآية (٤٤) من سورة آل عمران صفحتي ١٠٧ - ١٠٨ ..
 الرابع عشر - الآية (٤٤) من سورة المائدة صفحة ١٤٥ ..
 الخامس عشر - الآية (١٠٦) من سورة المائدة صفحة ١٥٨ ..
 السادس عشر - الآية (٩) من سورة التوبة صفحة ٢٤١ ..
 السابع عشر - الآية (٣١) من سورة يوسف صفحة ٣٠٥ ..
 الثامن عشر - الآية (٩٥) من سورة النحل صفحة ٣٥٩ ..
 التاسع عشر - الآية (٦) من سورة النحل صفحة ٥٣٩ ..
- أما المرة التي جاء فيها بمعنى باع فهي الآية (٩٠) من سورة البقرة صفحة ١٨ .. فاحفظ هذا واستمحيه معك في كل المواطن.
- ﴿انقرية الطالام أهلها﴾: هي مكة لما كانت تحت سيطرة المشركين.
- ﴿الطاغوت﴾: تقدم شرحها في الآية (٣٥٦) من سورة البقرة صفحتي ٥٤, ٥٣ والآية (٥١) من سورة النساء صفحة ١٤٣ ..

المتى: .. فليقاتل في سبيل الله الذين يبيعونمتاع الحياة الدنيا ويأخذون بدله نعيم الآخرة. ثم بين سبحانه أن القاتل في سبيله قد استحق الأجر سواء انتصر أو انكسر فقال: من يقاتل في سبيل الله فيقتله العدو أو يقتل هو العدو فسوف نؤتيه أجراً عظيماً، ثم حث المتباطلين

الَّذِينَ يَبِيعُونَ الْكَوْبَةَ وَالْأَنفَ وَالْأَجْرَةَ وَمَنْ يُبِيعْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَبِيعْ سَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥١﴾ وَمَنْ لَمْ يَلْعَنُوا الْمُفْعِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَعْمَالُهَا فَجَعَلْنَا لَكَ مِنْ ذَلِكَ بَرَاءً وَجَبِلْنَا لَكَ مِنَ اللَّهِ نِعْمًا ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الْكُفْرِ فَفَتِنَا أُولَئِكَ أَنَّى يُفْعِلُونَ ﴿٥٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا هُمْ كُفْرًا أَلَيْسَ فِيكُمْ صَافِيَةٌ ﴿٥٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا هُمْ كُفْرًا أَلَيْسَ فِيكُمْ صَافِيَةٌ ﴿٥٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا هُمْ كُفْرًا أَلَيْسَ فِيكُمْ صَافِيَةٌ ﴿٥٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا هُمْ كُفْرًا أَلَيْسَ فِيكُمْ صَافِيَةٌ ﴿٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا هُمْ كُفْرًا أَلَيْسَ فِيكُمْ صَافِيَةٌ ﴿٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا هُمْ كُفْرًا أَلَيْسَ فِيكُمْ صَافِيَةٌ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا هُمْ كُفْرًا أَلَيْسَ فِيكُمْ صَافِيَةٌ ﴿٦٠﴾

والثمن واخذ الشيء ولهذا لم تات شري في القرآن إلا بمعنى باع، وذلك في أربعة مواضع في الآية (١٠٣) من سورة البقرة صفحة ٢٠، والآية (٢٠٧) من سورة البقرة صفحتي ٤١، ٤٠ والآية (١٤) التي هنا في هذه السورة والآية (٢٠) من سورة يوسف صفحة ٣٠٥ .. لكنها جاءت في كلام العرب قليلاً بمعنى ﴿اشتري﴾ كما في قول عنترة العنسي:

فخاض غمارها وشري وباعا
حصاني كان دلال المنايا ..

و﴿اشتري﴾ جاء في القرآن بالمعنيين إلا أنها بمعنى أخذ الشيء ودفع الثمن أكثر، فبمعنى باع لم يأت إلا مرة واحدة بينما جاء بالمعنى الأول في (١٩) موضعاً... الأول - الآية (١٦) من سورة البقرة صفحة ٥ الثاني - الآية (٤١) من سورة البقرة صفحة ٩.... والثالث - الآية (٧٩) من سورة البقرة صفحة ١٥ الرابع - الآية (٨٦) من سورة البقرة صفحة ١٧... الخامس - الآية (١٠٣) من سورة البقرة صفحة ٢٠ ..

- (١) الحياة. (٢) يقاتل. (٣) يقاتلون. (٤) والوالدان. (٥) يقاتلون. (٦) يقاتل. (٧) المطاغوت. (٨) فقتلوا. (٩) الشيطان. (١٠) يقاتلون. (١١) التمسلا. (١٢) يقاتلون. (١٣) متاع.

﴿يشيرون﴾: يبيعون... قيل في كتاب لسان العرب: للعرب في كلمتي (شروه) و(اشتروه) مذهبان، فالأكثر منهما أن تكون لفظ شروه بمعنى باعوه... واشتروه بمعنى ابتاعوه... وربما جعلوها بمعنى واحد.

وقيل في المختار... شري فلان الشيء إذا باعه، وإذا اشتراه أيضاً فهو من الاستعداد وقال الراغب ﴿شريت﴾ بمعنى بعث أكثر استعمالا عند العرب ومن هذا يتبين أن الأكثر في شري وباع تقديم الشيء وأخذ الثمن والقليل العكس.

وأن اشترى وابتاع الأكثر فهما تقديم

﴿فتيلا﴾: هو ما يكون في شق النواة مثل الخيط. ﴿برج﴾: قصور كبيرة. ﴿مشيدة﴾: مرتفعة يصعب الوصول إليها.

المعنى: كل نعيم الدنيا قليل بل لاشئ إذا قيس بما عند الله في دار النعيم الخالد. وثواب الآخرة الحاصل بالطاعات خير من هذا المتاع القليل لمن اتقى الله تعالى ولم يعصه، ولا يظلم ريك أحدا من جزاء عمله مقدار فتيل، وقد تقدم شرحها في الآية (٤٩) من هذه السورة صفحتي ١٠٨، ١٠٩ ثم أخير سبحانه هؤلاء الذين يخافون القتال بأن الحذر لا يمنع القدر فقال: ﴿أينما تكونوا

بدركم الموت﴾ إلخ، أي في أي مكان توجدون فيه في حضر أو سفر يلحقكم الموت إذا جاء أجله ولو كنتم في قصور حصينة. ثم شرع سبحانه في بيان نوع آخر من دسائس المنافقين وخبثاء اليهود، وذلك أنه حبا منهم في صرف الناس عنه ﷺ كانوا إذا أصابتهم مصيبة من هزيمة أو قحط يشيرون بين ضعاف العقول والإيمان أن سبب هذه المصائب هو بشؤم محمد، وإذا أصابهم رخاء ونعمة قالوا إنها من فضل الله ورضاه عنهم، ففضح الله هذا الدس مبينا حقيقة الأمر بقوله: ﴿وإن تصبهم حسنة﴾ إلخ ثم رد عليهم بقوله: ﴿قل لهم﴾ أي النبي - كل من الحسنة والسيئة من عند الله، أي أنه هو تعالى واضع أسباب كل منهما، فيعطى الخير لمستحقه، ويعاقب بالنتقم من تسبب فيها، ولا دخل لحمد فيها، انظر الآيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحتي ٣٦٦، ٣٦٧.

توضح شيئا من هذا، ولما كان هذا شأنه تعالى قبل مجيء محمد وبعده قال تسفيها لهم: ﴿فما هؤلاء القوم﴾ إلخ أي ماذا أصاب عقول هؤلاء حتى صاروا كالبهائم التي لا تفهم ما يلقي إليها، وإلا فماذا يقولون في المصائب التي حلت بهم قبل بعثة محمد؟ وبعد ما أبطل يسهم

(٢٠١) أرسلناك.

فقال: ومالكم إلخ، أي ماذا ثبت لكم من الأعداء حتى تتركوا الجهاد في سبيل الله، وفي سبيل إنقاذ المساكين الضعفاء المحصورين بمكة من الرجال الذين لا يستطيعون الهجرة، والنساء والولدان الذين لا يملكون حيلة للخلاص، وقد كان الكفار يعذبونهم لإرغام أهلهم الذين اسلموا وهاجروا إلى المدينة على العودة إلى مكة؛ هؤلاء الضعفاء الذين يقولون داعين الله: ياربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها بالشرك، وتعذيب من يسلم، وهو أشد من القتل كما في الآية (١٩١) من سورة البقرة صفحة ٣٧. واجعل لنا من عندك وليا يتولى أمورنا حتى تخلصنا من الظلم، واجعل لنا نصيرا ينصرنا عليهم ويسهل لنا الخلاص. وقد استجاب الله لهم فيسر لبعضهم الهجرة، وجعل لمن بقي منهم خير ولي وأعز نصير، وهو نبيه ﷺ حيث مكثه من فتح مكة فأصبح ﷺ ولي هؤلاء الضعفاء، وأصبحوا به أقبيا. ثم أعاد الترغيب في القتال لدفع الشر مع مثاباته بضده وهو القتال في سبيل الشيطان فقال الذين آمنوا يكفروا في سبيل الله وهو سبيل الخير والمصلحة والدين كفروا يقالون في سبيل الطغيان والكفر، فإذا لم يقاتل المؤمنون الطغاة فسدت الأرض، انظر الآية (٢٥١) من سورة البقرة صفحة ٥٢. وإذا كان الأمر كذلك فقاتلوا أولياء الشيطان ولا تخافوا لأن كيد الشيطان لأعدائه ضعيف لأنه باطل، والباطل لا يقف أمام الحق إذا وجد الحق أنصارا، لأن الله في جانب من يدافع عن الحق. وبعد ما حذر سبحانه من الشيطان زحش على القتال في سبيله شرع في ذكر شأن آخر من شئون الحرب قبل الإسلام وبعده؛ وذلك أن العرب كانوا قبل الإسلام في تخاصم وحروب مستمرة، ولا سيما بين الأوس والخزرج، ولما جاء الإسلام وأمرهم بالسلم وتهذيب النفوس بالصلاة والزكاة والكف عن العدوان، ورغب في التسامح حتى رقت طبائعهم، ولما اشتد إيذاء المشركين للضعفاء من المسلمين في مكة كما تقدم ودعت الضرورة للقتال، ودعاهم ﷺ إليه، كرهه بعضهم، فنزل قوله: ألم تر أيها النبي وتعجب من هؤلاء الذين كانوا بالأمس يسارعون إلى سفك الدماء البريئة لأوهي الأسباب، لما دعاهم الله إلى الدفاع المشروع لدفع الظلم إذا فريق منهم وهو فريق ضعفاء الإيمان الجبهة بالصواب يخافون بأس الناس من الكفار كما يششون الله بل أشد، لأنهم رجحوا جانب خشية الكافر وقالوا نتميا لعدمه: ربنا لم أوجب علينا القتال في هذا الوقت المبكر فهلا أخرتنا وردت في مدة الكف عن القتال إلى أجل قريب هو أجل موتنا العادي؟ ووصفوه بالقرب إجابة الرجاء، فقال سبحانه: قل لهم أيها النبي ترهيدا لهم فيما يرجونه من متاع زائل: متاع الدنيا هو كل ما يمتنع به الإنسان فيها...

الَّذِينَ قَلَّ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّكَ لَا تُظَاهِرُ فَيَلَا
أَيُّهَا تَكُونُوا بِرُكُوكِ الْمَوْتِ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رِيحٍ
مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ كُلُّ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ مَا مَثَلُ الْفَرَسِ الْكَاكِرَةِ تُفْقَهُونَ
حِينَئِذٍ تَأْتِيكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ مِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ
مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ وَأَنْتُمْ لِلنَّاسِ رُسُلُ اللَّهِ
وَكُنْ بِاللَّهِ تَوَكُّلاً مَنْ طَعَّ الْأَرْسُلَ قَدْ أَفْلَحَ اللَّهُ
وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا لَا يُلْقُونَكَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا بِنَافِلَةٍ
قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُنَا أَنْصَارُ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ اللَّهُ
وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَنْزِلْ فِي عَمِّهِمْ وَتَوَلَّى عَلَى اللَّهِ
وَكُنْ بِاللَّهِ تَوَكُّلاً أَلَا تَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنُ وَلَوْ كَانَ

يستطيعونه: أي يستطيعون خفائه.

هو لولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً: قال السدي والضحاك والجاني: المعنى: ولولا فضل الله عليكم بإرسال النبي ﷺ ورحمته بإزالة القرآن لاتبعتم الشيطان كلكم وبقيتهم على الكفر والضلال إلا قليلاً منكم، وهم الذين تفضل الله عليهم بالعقل الراجح، فهاهنا به إلى طريق الحق، فسلموا من مهادي الضلال، وعصموا من متابعة الشيطان بدون إرسال رسول وأنزل كتاب كتس بن ساعدة وزيد بن

عمر بن قنيل، وأصراهم. وفي كثير من غير العرب أمثالهم، وبهذا التفسير لا يرد ما يقال من أنك إذا قلت لن تذكره بحقك عليه: لولا مساعدتي لك لضاع مالك إلا قليلاً. فإني لم تجعل لمساعدتك فضلاً في بقاء الثقليل من المال للمخاطب، وإنما ذكرته بفضلك عليه في بقاء أكثر ماله. لا في كله. لا يرد هذا هنا لأن الفضل المقدر نفيه السبب لا اتباع الشيطان إنما هو فضل مخصص وهو فضل إرسال الرسول وأنزل الكتاب، وهذا لا يناقض أن الله فضلاً آخر على هؤلاء الذين لا يحتاجون إلى الرسول والكتاب، وهو فضل هبة العقل الراجح.

والتوفيق للانتفاع به في البعد عن الشرك وما فيه إضرار بالغير أو فساد في الأرض. وهؤلاء قليل جداً في كل عصر. ومجاعات الشرائع بل والقوانين إلا لأغلب الأمة. لأن الناس لا حكم له كما قالوا. وقال أبو مسلم الأصفهاني: المعنى لولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصر على أعدائكم والمعوذة مرة بعد أخرى لاتبعتم الشيطان فيما يوسوس به إليكم من الخواطر الفاسدة المؤدية إلى الجبن، والفشل، والاضلال إلا قليلاً وهم أهل البصائر الأثيرة، والعزائم

(١) القيامة.

(٢) شقاعة.

(٣) قتال.

(٤) الشيطان.

(٥) اختلافاً.

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَجَدُوا فِي آخِطَاءٍ كَثِيرَةٍ ۖ وَإِنَّا جَاءَهُمْ
أَمْرٌ مِنْ آلَائِهِ أَوْ الْخَوْفُ أَتَوْا بِهِ ۚ وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى
الرَّسُولِ دَلَّاهُ أَوَّلَى الْأَمْرِ بِشَيْءٍ لَكِنَّهُ الْإِنْسَانُ سَتِيغِيْرٌ
بِهِمْ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ
إِلَافِيًّا ۚ فَخُذْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ
وَجِرْ مِنَ الْوُثَنِ عَنِّي ۚ اللَّهُ أَن يَقْضِيَ بَيْنَ الَّذِينَ
كَذَبُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَلَدُّ نَجْوًا ۚ مَنْ يَسْتَعْجِلْ
شَيْئًا حَتَّىٰ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّمَّا يَتَّعِجُ شَيْئَةً
بِئْسَ بَكْرٌ لِّمَنْ كُنَّ تَبَاتٌ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدًا ۚ وَإِنَّا جُنُودٌ لِّحُكْمٍ فَحَسْبُ إِجْرًا ۚ وَرَدُّوا
إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ حَسِيبًا ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لِيُعَذِّبَكَ إِنِكَ بِعِزِّهِ لَازِبٌ ۚ فِيهِ رُزُقُ أَصْدَقُ

شريع في بيان الأمر في ذاته فقال: فما أصابك؟ أيها المكلف فمن حنته وخير لو فوض الله لك لانه معطيك أسبابها، وما أصابك من سيئة فمن سيئة الله لانه معطيك أسبابها لو وما أصابك من سيئة فمن نفسك؟ لأنك أنت صرفت ما أعطاك من نعم في طريق الشر فاستجلبت للنعم، فإذا أعطاك الله العقل وصرفته في كيفية سرقة أموال الناس، أو أعطاك المال فصرفته في الخمر والبسر فمآلك الخسران، أما إذا صرفت عقلك في تحصيل أسباب السعادة لك والناس، والمال للفقراء والمصالح العامة فجوازك من الله في الدنيا السعادة وفي الآخرة النعيم الدائم. ولا كان الله سبحانه وتعالى هو المعطى لهذه العقول والأموال وسائر الجوارح التي بها يكتسب الخير والشر، صحح أن تقول أن كل ما نالتنا من خير فهو من الله لانه لولا عطاؤه سبحانه ما نالتنا الخير الكثير بها، ولا كنا نحن الذين حوّلنا هذه النعم من العقل والمال وغيرهما للشر صحح أن يقال إن ما أصابنا من مصيبة هو من أنفسنا لأننا نحن الذين أسأنا استعمال هذه النعم ولا دخل لأحد فيما حل بنا، أنظر ما تقدم في غزوة أحد في الآية (١٥٢) من سورة آل عمران صفحة ٨٧.

وَأرسلناك أيها النبي رسولا نبينا للرحمة لاسبب نعمة حتى يتشاء موا بك انظر الآية (١٠٧) من سورة الانبياء صفحة ٤٢٢.

وكفى بالله شهيدا، أي يكفيك شهادة ربك العدل الحكيم، فلا قيمة لقولهم الباطل، وإذا ثبت أنك رسول الله فمن أطاعك فقد أطاع الله، ومن أعرض عن طاعتك فلا تحاول أن تكرهه، لأننا لم نرسلك مهيمنا ومسيطرًا عليهم تجبرهم على الخير وتحاسبهم، لأن هذا من شأن الله وحده. ثم ذكر بعض التوائهم فقال: ويقولون أي هؤلاء المنافقون للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: أمرك طاعة أي مطاع فإذا خرجوا من عندك دير طائفة منهم وهم أساس الفتنة فيهم غير ما أمرتهم به، فلا تجزع لأن الله تعالى يعلم ما يدبرون، وسيكفيك شرهم، فلا تصمد للانتقام منهم، وفوض أمرك إليه تعالى، وهو حسبك وكيلك عنك. أقل يتأمل هؤلاء القرآن فيعلمون أنك صادق لأنه كلام الله الحق، إذ لو كان من عند غيره تعالى...

القوية من أفاضل المؤمنين الذين يعلمون أنه ليس من شرط كون الدين حقا حصول الدولة والغلبة في الدنيا.

ولا من شرط كونه باطلا حصول الانكسار له، بل مدار الأمر في كونه حقا أو باطلا على الدليل وحده، ونظير هذا ما في الآية (٣٣) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠.

﴿لا تكلف إلا نفسك﴾: أي لا يكلفك الله إلا فعل نفسك ولم يكلفك أن تهدى غيرك إنما عليك البلاغ فقط.

﴿بأسا﴾: الحرب الشديدة. ﴿أشد تكليلا﴾: تعذيبا شديدا.

﴿كفل﴾: نصيب. ﴿مقينا﴾: رقيقا ومهيما، وأصلها من قاته يقوت أي حافظ على حياته بما يقوته، ويلزم من ذلك أن يكون رقيقا عليه.

المعنى: لو كان القرآن من صنع غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا في نظامه وفي أخباره، ومنها ما أخبر به عما يبيتون وما تكفه ضمائرهم، وقد أخبر عن غيب ماض ما كان يعلمه أحد، انظر الآيات (٤٤) من سورة آل عمران صفحة ٧٠، (١٠٢) من سورة يوسف صفحة ٢١٨،

(٤٤) من سورة القصص صفحة ٥١٢؛ وعن مستقبل مثل ما في أول سورة الروم صفحتي (٥٣١، ٥٣٠). ومع طول الزمن لم يوجد ما يخالفه، وأخبر أنه خاتم النبيين وكان أنبياء بني إسرائيل يتلو بعضهم بعضا، ومع مضي هذا الزمن الطويل لم يأت نبى، إلى غير ذلك مما لا يعد.

وحيث إن هذا القرآن صادق في كل ما أخبر به فيجب أن يؤمنوا برسالاته ﷺ ولا يعملوا معه هذا العمل الشنيع، ثم ذكر نوعا آخر من جناباتهم فقال: وإذا جاء هؤلاء المنافقين وأمثالهم من ضعاف العقول من المسلمين خبر أمر حصل لجيوش المسلمين من الأمن والخوف،

وكان هؤلاء أذاعوه وتحذروا به، ولوسكتوا وأرجعوا الخبر إلى الرسول أو أولى الأمر أصحاب الخبرة المتقدم بينهم في شرح الآية (٥٩) من هذه السورة صفحة ١١٠. لعلم حقيقة الخبر، والمراد منه الذين يعرفون خباياه من أولى الأمر الذين يميزون بين ما يصلح أن يقال وما لا يقال، وهذا هو المعروف في عهدنا بالرقابة على أخبار الحرب. ولولا فضل الله عليكم بالقرآن الذي فيه أسباب سعادتكم، ورحمته بإرسال رسول يبين لكم ما فيه مصلحتكم لاتبعتم

الشیطان في طريق الفساد إلا قليلا، وهم الذين تفضل الله عليهم بفضل آخر هو الامانة والفرقة وصفاء العقول، فصرفوا الخير من الشر كقوس بن ساعدة وورقة بن نوفل الذين كانوا يؤمنون بالله وباليوم قبل بعثته ﷺ فقاتل أنت أيها النبي ومن أطاعك لا يكلفك الله إلا فعل نفسك، فإن فعلت فلا يضرك تخلف غيرك، وحرض المؤمنين أي حثهم على القتال ورجعهم فيه لعل الله أن يكف عنك بطش الكافرين وشدتهم، لأنه سبحانه أشد منهم بأسا وأشد منهم تعذيبا.

ولما كانت الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول منفعة للغير، وكان تعريضه ﷺ على القتال فيه وصول خير لمن يحرضهم إذا فعلوا، ولما كان تثبيط المنافقين عن القتال توسطا بالقول في شر قال سبحانه: ﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾. وهي ما كانت في أمر مشروع، وهي تتم الحث على الخير، والدعاء للمسلم، والكلمة الطيبة في الصلح بين الناس يكن له نصيب منها؛ شاع استعمال النصيب في الثواب المضاعف وهو هنا كذلك لأن الحسنه بعشر أمثالها.

﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾، وهي الكلام الموصل لضرر الغير، ومنه تثبيط المؤمنين عن الجهاد وتخوينهم بإذاعة الأخبار السيئة، يكن له كفل منها.

كثر استعمال الكفل في المثل المساوي وهو هنا كذلك لأن السيئة بمثلها، والله سبحانه رقيب على أعمال العباد يعطي الشافع نصيبا من شفاعته على قدر نيته، ثم رغب سبحانه في فرد من أفراد الشفاعة الحسنه فقال: ﴿وإذا حييتم﴾ إلخ لأن التحية في الإسلام هي شفاعة من المسلم لأخيه عند الله بالدعاء له بالأمان من الخوف، وهي بلفظ السلام كما في الآية (٦١) من سورة النور صفحتي ٤٦٨، ٤٦٩؛ والآية (٤٤) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٦؛ بأحسن منها.

فإذا قال البادئ: السلام عليكم.. يقول الراد: وعليكم السلام ورحمة الله، وهكذا يزداد عليه ما أمكن.. أو ردوها أي أجيبوا بمثلها والأفضل الأول، وقد سح عن بعض السلف أنه رد تحية النصراني بقوله: وعليكم السلام ورحمة الله، فقيل له في ذلك، فقال: أليس في رحمة الله يعيش. ﴿إن الله كان على كل شيء حسيبا﴾ أي رقيقا، فاحذروا مخالفة تعاليمه لأنه لا إله إلا هو، لا يرجى خير من غيره، وليجمعكم ويحشركم لحساب يوم القيامة الذي لا شك في وقوعه فيجازيكم، ولا أحد أصدق منه.

أظهرتم إسلامكم فتيبنوا من الآن فصاعداً حتى لا تقعوا فيما وقعتم فيه، إن الله كان بما تعملون خبيراً بما في نفوسكم فلا تخالفوه.

ثم شرع في البحث على الجهاد بقوله: لا يستوى أي في المنزلة عند الله القاعدون عن الجهاد المأذون لهم في القعود بغيرهم، من المؤمنين الذين ليس لهم عذر، والجاهدون في سبيل الله، أي لا يستوى القاعدون المذكورون مع الجاهدين. ثم بين عدم التساوي بقوله: فضل الله الجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين الأصحاء المأذون لهم درجة، أي منزلة يعلمها سبحانه، وكلاً من القاعدين بأنن والجاهدين وعده الله المنزلة الحسنى وهي الجنة، أي أنهم وإن تفاوتوا في درجات الثواب فقد استوا في دخول الجنة؛ وفضل الله الجاهدين على القاعدين بغير عذر ولا إذن أجراً عظيماً، بينه سبحانه بقوله: درجات منه ومقبرة لكل ذنب، ورحمة يعمون بها. وكان الله كبير المنفرة والرحمة، لم تنص الآية على حكم أصحاب الأعذار، وفي الأحاديث ما يفيد أن بعضهم له أجر وإن لم يسأوا أجر من جاهد إذا نصحوه لله ورسوله كما في الآية (٩١) من سورة التوبة صفحة ٢٥٧، وظاهر حال ما في الآية (٩٧) من سورة التوبة صفحة ٢٥٧، ربما يدل على أن بعض من عجز عن الجهاد لعذر لا يقل عن أجر من جاهد فعلاً، والله أعلم، ولا حاجر ﷺ إلى المدينة وبقي بعكة مسلمون واشتد إيذاء الكفار لهم، أوجب الله الهجرة على القادر عليها، فاختار بعضهم الإقامة بعكة مع ما هم فيه من النذل ومنعهم على مساعدته ﷺ فانزل الله تعالى: أن الذين توفاهم الملائكة أي تتوفى أرواحهم ملائكة الموت حال كونهم طائى أنفسهم بترك الهجرة والتعرض لنذل العدو بدون عذر وقال الملائكة توبعوا لهم: في أي شيء من الدين كنتم؟ أي أكنتم محافظين تمام المحافظة عليه؟ قالوا متذربين: كنا مستضعفين في أرض مكة عاجزين عن إقامة الدين، قالت الملائكة توبعوا لهم: ألم تكن أرض الله واسعة تفرون إليها بدينكم؟ فأولئك المقصرون في الهجرة مسكنهم في الآخرة جهنم، وبُست جهنم نهاية ومصيراً.

فَيُبَيِّنُ لَا تَقُولُوا لَنْ يَكُنَ اللَّهُ لَكُمْ مَكِينًا
يَتَّبِعُونَ مَرْءًا مَرْغُوبًا الَّذِي قِيلَ لَهُ إِنَّهُ كَذِبٌ
كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ مَن كُنتُمْ عَلَيْهِ تَتَّبِعُونَ
كَانَ يَمْتَكِنُ خَيْرًا ۚ لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مَن
أَمْرُهُمْ غَيْرُ أُولِي الْقُرَّةِ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَفُتِلَ اللَّهُ الْجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً وَلَا يَدَّ اللَّهُ الْفَتَنَ
وَفُتِلَ اللَّهُ الْجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ إِنَّمَا عَمَلُهُمْ
دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَفِيهِ دَرَجَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَوْرًا رَّحِيمًا ۝
إِنَّ الَّذِينَ دُونَهُم لَكَاذِبٌ كَاذِبِينَ ۚ يُؤْتِيهِمْ مَّا ظَنُّوا أَنَّهُ
قَوْلُ اللَّهِ فَاسْتَعِينُوا فِي الْأَرْضِ فَلَمَّا أَلْزَمُوا الْأَرْضَ
وَسِعَهُ فَهَارَوا بِهَا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ
وَسِعَهُ فَهَارَوا بِهَا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ

هو فتبينوا: أي تخفتموها وتبينوها ولا تتسرعوا. **والسلام:** التحية الدالة على انقياده للإسلام، **هو غير أولى الضرر:** كالعمى والمرض والمرح.

المنفى: - كما رواه ابن جرير أن رجلاً من قبيلة كافرة أسلم وحده دون جميع قومه، ولا غزتهم سرية من سرايا المسلمين هربوا جميعاً وبقي هو لثقتهم بإسلامه، ولجأ بغيره إلى جبل فلما أدركه المسلمون بأدبهم بقوله: السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فطن أسامة بن زيد أنه قال ذلك خوفاً فقتله وأخذ غنمه، فلما بلغ النبي ﷺ حزن حزناً شديداً وقال: أفتقتلوه طمعاً في غنمه؟ فعادوا يقولون يوم القيامة في لا إله إلا الله التي سمعتموها؟ فنزل قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فقتلتموها بما يقع أمامكم ولا تتسرعوا بتصرفات تضرب، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم تحية الإسلام لست مؤمناً حقاً ولكم تخاف القتل، طالبين بغيركم هذا حمام الدنيا الثاني وهو النتم، فلا تفعلوا ذلك لأن عند الله مغانم أكثر وأحسن من هذه، وقد كنتم من قبل وأنتم بعكة مثله تخفون دينكم خوفاً من بطش قرش كما أخفى هو دينه عن قومه، فمن الله عليكم بتيسير الهجرة والقسوة حتى

- | | | |
|---------------|---------------|----------------|
| (١) القاعدون. | (٢) الجاهدة. | (٣) المسلم. |
| (٤) الجاهدين. | (٥) بأموالهم. | (٦) والجاهدون. |
| (٧) القاعدون. | (٨) الجاهدين. | (٩) بأموالهم. |
| (١٠) درجات. | (١١) توفاهم. | (١٢) الملائكة. |
| (١٣) واسعة. | (١٤) ماوئهم. | |

«يختانون أنفسهم»: يبالغون في خيانة أنفسهم. وتقدم أصل معناها في الآية (١٨٧) من سورة البقرة صفحتي ٢٦، ٢٧ «بهتاناً»: كذبا عظيماً.

المنى: بعد ما نهى ﷺ عن الدفاع عن طعمة أراد أن يأتي بحكم عام يشمله ويشمل أقاربه وجيرانه المدافعين عنه ومن مثالهم فقال: ولا تجادل مدافعا عن الدين يخونون أنفسهم خيانة شديدة بالمعصية، لأن ضررها راجع إليهم، لأن الله لا يحب كثير الخيانة والإثم، أما الذي يفعلها هفوة ثم يسارع إلى التوبة فهو إلى عفو الله أقرب.

ومن صفات هؤلاء أنهم يستترون في معاصيهم حياء من الناس ولا يستحيون من الله وهو حاضر معهم بعلمه كما في الآية (٧) من سورة المجادلة صفحتي ٧٢٥، ٧٢٦؛ والله معهم حين يديرون بلبيل أي خفية ما لا يرضى به سبحانه من القول كتدبير طعمة وجيرانه، والله محيط بأعمالهم ظاهرة أو خفية كما هو محيط بأقوالهم الخفية.

ثم وجه سبحانه الخطاب للذين كانوا يدافعون عن طعمة ما أنتم هؤلاء دافعت عنهم في الدنيا فمن يجز أن يجادل الله عنهم يوم القيامة؟ أي لا أحد يستطيع ذلك. ومن يكون عليهم وكيل؟ أي حافظا لهم من عذابه تعالى. ثم فتح باب التوبة بقوله:

ومن يعمل مايسره غيره كعمل طعمة مع اليهودي، أو يظلم نفسه بكل ذنب قاصر عليه كشراب خمر أو كذب، ثم يستغفر الله نادما مخلصا، يجد الله عفورا لذنبه رحيمًا به، والمراد يقبل توبته. ومن يكذب إنما قوباله على نفسه، أي لا يعاقب بالذنب غير فاعله، ومن يكسب خطيئة صغيرة أو إنما أي معصية كبيرة ثم يتهم به شخصا برئنا كرمى طعمة لليهودي بالسرقه فقد احتمل أي حمل بصعوبة وثدة بهتاننا وظننا ظاهرا لا شبهة فيه. ولولا فضل الله عليك أنبأ النبي باطلاعة لك على سرهم، ورحمته بالعصمة من الخطأ الذي يضر الغير، لهمت

(١) تجادل. (٢) جادلتم. (٣) الحياة. (٤) يجادل. (٥) القيامة. (٦) بهتاناً.

(سورة العا)

٢٧١

وَلَا تَجِدُ عَنِ اللَّهِ مَن يَخْتَلِفُ أُنْفُسَهُ إِذَا اللَّهُ الرَّابِّ
مَنْ كَانَ عَرَاثًا أُنْفُسًا ۖ يَسْتَفْتُونَ مِنْ الْإِنْسِ وَلَا
يَسْتَفْتُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ سَعِيدٌ مَّا يَدْعُونَ مَا لَ رِضَى
مِنْ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِكَيْسَلِكُمْ عَلِيمًا ۖ مَا تَمَنَّوْا
هَذَا وَلَا فَخَرْتُمْ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَن يَجِدِ اللَّهَ
عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۖ وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْمِرْ نَفْسَهُ يَسْتَفْتِ اللَّهَ تَجِدِ اللَّهَ
عَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ
عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا نَكِيمًا ۖ وَمَنْ يَكْسِبْ
خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَاهُ رِبًّا فَتَذَكَّرَ أَنَحْتَلَ بِهَا
وَأَتَىكَ شَيْبٌ ۖ فَكَوَلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَةً
لَّمَّا تَبَيَّنَتْ لِمَنَ أَنْ يُفْلِتُوا مِمَّا يَبْتَلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

(البقرة العا)

٢٧٢

وَمَا يَضُرُّكَ مِنْ فِتْنَةٍ يَبْتَلِي اللَّهُ الَّذِينَ يَشَاءُ وَيَسْتَفْتِي
وَالْحَكِيمَ ۖ وَعَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مَقَالُ اللَّهِ ۚ وَقَدْ فُتِنَ اللَّهُ عَزَّ
عَلِيًّا ۖ * لَاحِظِي فِي كَثِيرٍ مِّنْ عَمَلِهِمْ لِأَنَّ مِنْ أَسْرَرِ
يَسْتَفْتِيهِمْ أَوْ يُصَلِّحُهُمْ أَوْ يَهْدِيهِمْ أَوْ يُضِلَّهُمْ ۖ وَمَنْ يَمْلِكْ
ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ۚ اللَّهُ يُفْتِي مَنْ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ
وَمَنْ يَتَّبِعِ الْإِسْلَامَ مِن بَعْدِ مَا كُنَّا نَهْدِيهِ لَهْ أَفْضَلُ ۖ وَتَوَلَّى
عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّيهُ مَا يَوَلَّى وَهُوَ عَلِيمٌ وَسَامِعٌ
مَّعْرُوفًا ۖ إِذَا اللَّهُ يُفْتِي مَنْ يَشَاءُ بِهِ وَيُضِلُّ مَا دُونَهُ
ذَلِكَ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ ۖ وَمَنْ يَفْرَأْ بِهِ يَأْتِهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ ۖ لَّا يَأْتِي
بِهِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۖ
يَسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَلَا يَخْلُفُهُمْ وَلَا يَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ۖ وَهُمْ
مَعْرُوفُونَ ۖ

«وأنصاه»: أي ونادخله «إلا إنشأ»: المراد معصية ذات صبغة كالألفاظ لا تفتح بها ولا تأخذ ثارا، وكانت العرب تصف الضعيف بالأنثى، وقيل المراد بالإنشاء أنصاهم ذات الأسماء المؤنثة المذكورة في الآية (١٩) والآية (٢٠) من سورة النجم صفحتي ٧٠١، ٧٠٢، لأنهم جاءوا من زمرا للملائكة الذين كانوا يمسكونهم ويسمونهم ويملكهم، والله انظر الآية (٨٠) من سورة آل عمران صفحتي ٧٦، والآيتين (٤٠، ٤١) من سورة مريم صفحتي ٥٦٨، ٥٦٩، فمن رتبته، رتبته الضعيف والذويج عاجز الطاعة.

«فهم رؤسنا»: معينا، أو واجب استيفائي جاري.

المنى: وما يضر ذلك أيها الذين شيئا من الضمير ولو صغيرا، لأنك إنما تعمل بالظاهر، وما كان يخطر ببالك، أن المسلم يخلف كذبا كبيرا، طعمة أنه بريء. وأنزل الله القرآن وألهمك

(١) الكلاب. (٢) ذواهم. (٣) إصلاح. (٤) ملاحا. (٥) يفتي. (٦) شيئا ثارا.

ملائكة من الذين يصومون أنفسهم أن يسلوك أي يمسكوك عن القضاء بالحق، وفي الحقيقة ما يضلون إلا أنفسهم لأن ذنبا وتصرفهم لهم وعندهم.

«الكتاب»: أي القرآن. «والعكس»: المراد بها هنا العكس على تسبى، الحق والدمروا،

«وأنصاهم»: المصوى التناهي بالحدوث سررا،

وقد يبراد بها التناهي أنفسهم كما في الآية (٤٧) من سورة الإسراء صفحتي ٣٧٠، ٣٧١.

«فبما فاق الرسول»: يفادله، بأن يكون في شق والرسول في شق آخر.

«فأوله ما تولى»: تتركه وما استأثره لنفسه.

يفنى كلا عن صاحبه من واسع فضله، بأن يرزقها زوجا غيره، ويرزقه غيرها، وكان الله واسع الفضل حكيمًا في تدبيره، ولله مافى السموات ومافى الأرض ملكا وتخصيرا، فلا يعجزه اغناء كل منهما. ولما كان أساس كل خير هو تقوى الله عز وجل فقد وصينا بها كل الذين جاءهم كتاب من الله قبلكم كما وصيناكم وصينا الجميع بقولنا إن تكفروا وصيناكم وصيناكم به فلن نقصوا الله شيئا، ولأن له كل ما فى السموات وما فى الأرض فهو سبحانه غنى عن عبادتكم، مستحق للحمد الكثير لكثرة نعمه وإن لم يعده أحد منكم، ثم كرر ملكه لما فى السموات والأرض

(سورة النبا)

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ النَّبِيِّينَ قُلِ الْبَشَرُ لَشَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسَانَا لَكُنَّا أَهْلًا بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ قُلْ لَا يَكُونُ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا يُفْعَلُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا يُنْزَلُ مِنَ الْبَرِّ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْنَا مِنْ أَنْبَاءٍ يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَلِقَاءَ رَبِّهِ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

ليرتب عليه ما بعده من تهديد كما سيأتى، وكفى بالله وكلا بل أطماعه، فلا تعولوا على غيره، ثم هددكم بما يشعر بكمال قدرته فقال: إن يشأ يذهبكم ويضعفكم بأياها الناس ويأتى آخرين بدلكم يكونون خيرا منكم كما فى الآية (٣٨) من سورة محمد صفحتى ٦٧٧، ١٧٨؛ وهو قدير على ذلك، وقد فعل ذلك فى أهم مضمت كعاد وتعود وقوم نوح، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك لهذه الأمة مع عصيان أكثرها، لأن حكمته اقتضت أن تكون آخر الأمم ليوم القيامة، من كان يريد بسعيه وجهاده ثواب الدنيا فمقت من سعة رزق ولدائذ يعيش فارشده إلى أن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة لاتراحم إحداهما الأخرى، فام يكفى بالأنسى الفانى ويكمل الأعلى الباقي مع أن الجمع بينهما سهل عليه، وقد جمع الصالحون بينهما كما فى الآية (٢٠١) من سورة البقرة صفحة ٤٠، وكان الله سميعا لكل مايتحرك به لسان، يصيرا بكل مايدور فى خاطر، فليخذوه وليفعلوا مايرضيه ولما كان العدل أساس السعادة كرر الأمر به فقال: ياأيها الذين آمنوا إنخ أى كونوا محافطين على القيام بالعدل شهداء بالحق لوجه الله لا لطلب نفع، ولو كانت الشهادة

(٧) الولدين

(٦) قوامين

(٥) السموات

(٤) الكتاب

(٣) السموات

(٢) ولينما

فى كل ذلك الجواب الذى فى الآيات الأربع: قل أنها النسي فى جوابهم: الله يفتنكم فيما حفى عليكم من أحكامهن وستأتى هذه الفتوى الجديدة فى الآيات الثلاث الآتية بعد هذه مباشرة، وبفتنكم أيضا فحين مايتلى عليكم كل يوم فى القرآن فى يتامى النساء الخ وهو ما تقدم أول هذه السورة فى الآية (٣) وما بعدها، اللاتى لاوتوتنهن مايفرض لهن من صدق ومثيلاتهن، والحال أنكم ترغبن فى أن تزوجوهن لجمالهن والتمتع بأموالهن مع عدم العدل فى المهر أو ترغبن عن زواجهن لعدم جمالهن، ولاتزوجهن غيركم حتى يدركن البرت لتأخذوا مالهن من مال جاهن من غير البراث كالهبة مثلا لأنهم ماكانوا يورثون النساء كما تقدم، ومايتلى عليكم فى القرآن: يفتنكم أيضا فى الضمعة من اليتامى المنغار بأن يعطوهم حقوقهم، وأن تقوموا لهم بالعدل فى كل شئ على أتم وجه كما تقدم أول السورة، ومانتمتعوا لهم من خير زائد على أصل العدل فإن الله يعلمه وسيجازيكم عليه أحسن الجزاء، فمعاملة اليتيم على ثلاث درجات: محرومة وهى هضم شئ من حقوقه، وواجبة وهى العدل معه.

ومستحبة وهى الزيادة فى إكرامه بما ليس من ماله، وبهذا ظهر للمستفتين أن الأحكام الأولى كانت نهائية فيما يتعلق بحق النساء واليتامى، ثم شرع سبحانه فى بيان أحكام لم تبين من قبل فقال: وإن امرأة خافت أى خشيت وتوقعت من زوجها استعلاء عليها أو تعسيرا فى النفقة أو إعراضا عنها بعدم معادتها أو مواساتها كالامتداد، فلا جناح عليهما فى أن يصلحا مافسد بينهما صلحا نافعا بأن تترك له بعض الواجب لها رغبة فى بقاء الزوجية، وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقهما أو يطلقها، والصلح خير من النشوز والفرقة. ويجب أن يلاحظ الزوجان أن النفوس جبلت على الشخ، فالنساء حريصات على حقوقهن، والأزواج حريصون على أموالهم، فإذا أمكن التغلب بالنساج يكون خيرا، وأن تحسنوا العشرة فيما بينكم ويعذر بعضكم بعضا، وتتقوا أسباب الفراق، فإن الله يعلم كل ذلك فيجازى من أحسن بالحسن.

هو قوامين بالقسط: أى مداومين على القيام بالعدل.

هو شهداء لله: شهداء بالحق لوجه الله تعالى لا لغرض دنيوى

المنفى: وتتقوا الظلم فذلك خير لكم، لأن الله يغفر لكم به ما مضى من ميل، وقد رحمكم حيث لم يؤاخذكم بالليل القليل، وإذا لم يمكن الصلح وتفرقا بخلع أو طلاق فإله لا يتركهما، بل

النافقين وأهل الكتاب في ذلك، فأنما قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ إلخ فهو يتصل بما قبله من الآيات القريبة خاصة بما فيه من الأمر العام بالقسط بعد الأمر بالقسط في اليتامى والنساء، فهناك خض اليتامى والنساء في سياق الاستقضاء، فيهن، ولأن حقهن أكد، وظلمهن معهود... وههنا عمم الأمر بالقسط لأن العدل حضاً للنظام وقوام أمر الاجتماع وبما فيه من الشهادة لله بالحق ولو على النفس أو أوالدين والأقربين وعدم محاباة أحد في ذلك لغناه، أو مراعاته لفقره، لأن العدل والحق مقدمان على الحقوق الشخصية وحقوق القابلية وغيرها. وكانت محاباة الأقربين معهوداً في الجاهلية لأن أمرهم قائم بالعصبية، فالواحد منهم كان ينصر قومه وأهل عصبية لأنه يعتز بهم، كما يظلم النساء واليتامى لضعفهن، وعدم الاعتزاز بهن، فعظم الله سبحانه محاباة المرأة نفسه أو أهله هنا وإعطائهم ما ليس لهم من الحق، يقابل حظر ظلم النساء واليتامى هناك وهضم ما لهن من الحق. روى ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مولى لابن عباس قال «لا قدم النبي ﷺ المدينة كانت بالبصرة» أول سورة نزلت ثم أوردتها سورة النساء... قال فكان الرجل تكون عنده الشهادة قبل ابنه أو ابن عمه أو ذوى رحمه فيلوى بها لسانه أو يكتتمها مما يرى من عسرته حتى يوسر فيقضى فنزلت «كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ» فتأمل كيف بقي تأثير المحاباة فيهم بعد الإسلام حتى نزلت هذه الآية.

القوامون بالقسط هم الذين يقيمون العدل بالإنصاف به على أتم الوجوه وأكملها وأدومها فإن ﴿قَوَّامِينَ﴾ جمع قوام وهو المبالغ في القيام بالشيء، والقيام بالشيء هو الإتيان به مستوياً تماماً لانقص فيه ولا عوج، لذلك أمر تعالى بتأقصة الصلاة وإقامة الشهادة وإقامة الوزن بالقسط لتأكيد الغاية بهذه الأشياء، ومن بني جداراً مائلاً أو ناقصاً لا يقال إنه أقام البناء أو أقام الجدار، قال تعالى «فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه»... وإنما احتاج الجدار إلى إقامة لأنه كان مائلاً متداعياً للسقوط. وهذه العبارة أبلغ ما يمكن أن يقال في تأكيد أمر العدل والنجابة به، فالأمر بالعدل والقسط مطلقاً يكون بمعابر مختلفة بعضها أكد من بعض... تقول

قُلْ تَتَّبِعُوا الْهَدْيَ أَنْ تَقُولُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا أَوْ تَرَضُوا فَلَنْ
 اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ
 وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ مِنْهُ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ فَأَلْزَمَهُمُ اللَّهُ لَهْمُ
 ضَلَالًا عَمِيمًا ﴿١٢٧﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا
 ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا كَفَرُوا يُكْفَرُ عَنْهُ اللَّهُ لِيَنْفَعَهُمْ
 لَمْ يَلِدْهُمْ سَبِيلًا ﴿١٢٨﴾ تَبَرَّأْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دُونِ
 الْيَوْمِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْكَثِيرَ مِنَ الرِّبَا مِنْ دُونِ
 وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْ شَيْءٍ
 يَخْفَى عَلَيْكُمْ فَلَا تُعْطُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى يُخْرَجَ

﴿بشّر المنافقين﴾: أصل البشارة هي الخبر السار وعبر بها عن الخبر المحزن تهكمًا بهم واستهزاءً انظر الآية (٢١) من سورة آل عمران صفحة ٦٦.

﴿يخوضوا﴾: أصل معنى الخوض هو الدخول في الماء الكثير الذي لا تؤمن عاقبة الدخول فيه، ثم استعمل قليلاً في الدخول في الحديث للتسلية، ومنه قوله تعالى في المنافقين الذين استهزؤا بالرسول ﷺ وبالقرآن الكريم: ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية (٦٥) من سورة التوبة صفحتي ٢٥١، ٢٥٢... ويستعمل قليلاً أيضاً في الحديث عن أمر خطير كقول العلماء: لا يجوز الخوض في الكلام عن الروح لأنها سر من أسرار الله عز وجل... ويستعمل كثيراً في الدخول في الباطل كما في هذه الآية التي نحن بصدد شرحها وكثير غيرها في القرآن.

الغنى: . يقول صاحب تفسير المنار في الجزء الخامس... قد علم مما سبق مكان هذه الآيات وما تبعها إلى آخر السورة مما قبلها وهي أحكام عامة في الإيمان والعمل وأحكام (٢٠١) والكتاب. (٢) وملائكة. (٤) ضللاً. (٥) المنافقين. (٦) الكافرين. (٧) الكتاب. (٨) آيات.

على أنفسكم فاشهدوا عليها بأن تقرروا بالحق، أو على الوالدين أو الأقارب، إن يكن المشهود عليه غنياً نفقه أو فقيراً يخشى عليه فلا تمتصوا عن الشهادة على النفس طمعاً في غناه ولا على الفقير شفقة عليه، لأن الله سبحانه أولى بالتوعين، وأرحم بهما منكم، وأعلم بما فيه مصلحتهما.

﴿تولوا﴾: أستمتم في الشهادة بأن تأقروا بها على غير وجهها.

﴿أو تعرضوا﴾: عنها فتكتموها. ﴿والكتاب الذي أنزل من قبل﴾: المراد جنس الكتاب فيشمل كل ما نزل على الأنبياء السابقين.

فتكون الحباية في الشهادة من أسباب فتنو الظالم والمودعان، وذلك من الفساد التي لا يأمن شرها أحد من الناس. فالحباية في الشهادة مفسدة ضررها عام وإن كانت لمصلحة يريد المحابي بها نفع أهله أو الشفقة على فقير أو المعصية لفتى ولذلك قال عز وجل: «إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما» أي إن يكن المشهود عليه من الأقربين أو غيرهم غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما وشرعه أحق أن يتبع فيهما. فلا تحاولوا الفتى طمعا في بوه، ولا خوفا من شره، ولا الفقير علفا عليه ورحمة به، فمروضة الفقير ليست خيرا لكم ولا له من مروضة الله تعالى، ولا أنتم أرحم بالفقير وأعلم بمصلحته من ربه عز وجل، ولولا أنه تعالى يعلم أن العدل وإقامة الشهادة بالحق، هي خير للشاهد والمشهود عليه، سواء كان غنيا أو فقيرا لما شرع الله ذلك وأوجبه، روى ابن جرير عن السدي في الآية قال نزلت في النبي ﷺ لاختصاصه إليه رجلان غنى وفقير فكان حلفه مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الفتى فأنى الله إلا أن يقوم بالقسمة، غنى والفقير. أ. هـ. أي كان ميله القلي موجهًا إلى الفقير لعلمه أنه لا يتصدى لظلم الفتى وهو وإن ظن ذلك لا يحكم إلا بالحق الذي تظهره البيئة والحجة سواء أنزلت الآية في ذلك أم لا وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في هذه الآية أنه قال: «وهم ما قال: هذا في الشهادة فاقم الشهادة بآبى آدم ولو على نفسك أو الوالدين أو الأقربين أو على ذي قرابتك وأشرف قومك فإنما الشهادة لله وأبست للناس، وإن الله رضى بالمدى لنفسه والإقساط... والعدل ميزان الله في الأرض، به يرد الله من الشديد على الضعيف ومن الصالح على الكاذب، ومن المبطل على الحق، وبالعدل يصدق المساكين ويكفي الكفاية» ويرد المعتدى ويوبخه ربنا تبارك وتعالى، وبالعدل يصلح الناس....

بآبى آدم إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما، يقول الله ﷻ: «والمؤمنون هم خير» ولا ينعفك غنى غنى ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما دعاهم إلى ذلك، من الدين. أ. هـ.

... فلا تتبعوا شهوات أنفسكم في شهادتكم كراهة أن تعادوا دين المتضمنين في الشهادة أن العدل لا يمتنع عليكم إلا متعة زائلة، وأن تحرفوا الشهادة أو تشبهوها بأن لا تشهدوا بأشياء يجازيكم الله أشد الجزاء لأنه سبحانه خير بكل ما تعملون بأنها الدين أمرا من اتباع محمد ﷺ أمورا بالله ورسوله أبلغ. المراد ائتمروا على الإيمان بالله ورسوله وأبستموا دينكم بالدين والدين.

اعدلوا أو اقسطوا وتقول كونوا عادلين أو مقسطين وهذه أبلغ لأنها أمر بتحصيل الصفة لا بمجرد الإتيان بالقسط الذي يصدق بغيره.

وتقول: أقيموا بالقسط، أي تكن الإنصاف والمناية بإقامة القسط على وجهه صفة من صفاتكم، بأن تتعروه بالذقة اتامة حتى يكون ملكة راسخة في نفوسكم، والقسط يكون في العمل كالقيام بما يجب من العدل بين الزوجات والأولاد، ويكون في الحكم بين الناس ممن بوليه السلطة... أو يحكمهم الناس فيما بينهم، وكان ينبغي أن يكون المسلمون يمثل هذه الهداية أعدل الأعم وأقومهم بالقسط وكذلك كانوا عندما كانوا مهتدين بالقرآن، وصدق على سلفهم قوله تعالى: «ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»... ثم خلف من بعد أولئك السلف، خلف نبذوا هداية القرآن وراء ظهورهم، حتى صارت جميع الأمم تضرب المثل بظلم حكاهم وسوء حالهم، وتفرع عنهم بالعدل بل صار الذين ليس لهم من الإسلام إلا اسمه يلتزمون من تلك الأمم القسط، وما يهدي إليه من العلم، انظر الآية (٨) من سورة المائدة صفحة ١٢٧.

وقوله تعالى: «وشهداء لله» خير بعد خبر أي كونوا شهداء لله والشهداء جمع شهيد بوزن ففعل... والأصل في صيغة: فعيل: أن تدل على الصفات الراضية كعليم وحكيم فهو على هذا أمر بالمناية بأمر الشهادة والرسوخ فيها، وقد تقدم تفسير الشهادة في تفسير أو آخر سورة البقرة فتراجع في الجزء الثاني من تفسير المنار، ومعنى كون الشهادة لله أن يتعزى فيها الحق الذي يرضاه ويأمر به من غير مراعاة ولا محاباة لأحد فلولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين أي كونوا شهداء بالحق لوجه الله وامثال أمره واتباع شرعه، الذي تال به مرضاته ومشيئته. ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأمر شهداء الحق، أو على والديكم وأقرب الناس كالأولاد فقد شهد عليها لأن الشهادة إظهار الحق... أو على والديكم وأقرب الناس إليكم كالأولاد واخوكم، قبله ليس من بر الوالدين ولا من صلة رحم الأقربين أن يعانوا بما ليس لهم بحق، بالإعراض عن الشهادة عليهم، أو لنهيا والتعريف فيها لأجانبهم، وإنما البر والصلة في الحق والمعروف والحق أحق أن يتبع، والذين يتعاونون على الظلم وضم حقوق الناس يتعاون الناس على ظلمهم وضم حقوقهم.

ويخاتم رسله والقرآن، وبين الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على الأنبياء من قبل كالتوراة والإنجيل الصحيحين وصحف إبراهيم وزيور داود. والإيمان على هذا الوجه هو مزية هذه الأمة انظر الآية (٢٨٥) من سورة البقرة صفحتي ٦١، ٦٢ وانظر نظير ذلك في الآية (٢٨) من سورة الحديد صفحتي ٧٢٢، ٧٢٤...

ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل وبعد عن الحق. ثم شرع سبحانه في بيان بعض أصحاب هذا الضلال فقال: إن الذين آمنوا ثم كفروا إلخ هم بعض المنافقين الذين أظهروا الإيمان ثم أظهروا الكفر ثم ازدادوا كفراً بحاربتهم النبي ﷺ وإيذاء أصحابه حتى تمكن الجحود من قلوبهم فلم يبق فيها استعداد للإيمان الصحيح لا يمكن أن يغفر الله لهم لأنه لا يغفر الكفر كما تقدم في الآية (٤٨) من هذه السورة صفحة ١٠٨، ولا يهديهم إلى الطريق الموصّل للخلاص، لأنه سبحانه لا يهدي الفاسقين كما في الآية (٣٦) من سورة البقرة صفحتي ٦، ٧. وأخير أيها النبي المنافقين بأن لهم عذاباً شديداً الألم؛ هؤلاء المنافقون هم الذين يتخلون الكافرين أولياء يوالونهم بالمودة وينصرونهم في السر متجاوزين ولاية المؤمنين ومعرضين عنها. هل يعملهم هذا يطالبون عند الكافرين العزة والقوة إن كان كذلك فهم مخطئون لأن القوة والعزة كلها لله وللمؤمنين المخلصين كما في الآية (٨) من سورة المنافقون صفحة ٧٤٤.

يتخذونهم أولياء وأصفياء ويجالسونهم والحال أن الله قد نزل عليكم أيها المسلمون جميعاً بما فيكم المنافقون في القرآن بمكة في الآية (٦٨) من سورة الأنعام صفحتي ١٧٢، ١٧٣. أن إذا سمعتم آيات الله من القرآن يكذبها المكشرون ويستهنئون بها باللفظ عند سماعها كما في الآية (٣٦) من سورة فصلت صفحة ٦٣٣ فلا تقعدوا يا من أظهركم الإسلام مع الكافرين المستهزئين حتى ينتقلوا لحديث غير الاستهزاء، وذلك أن المسلمين بمكة كانوا ضعافاً فلا علاج لجفظهم كرامة القرآن إلا الانصراف عن الخوض فيه.

وإذا كنتم ممنوعين من الجلوس معهم عند سماع ما فيه طعن في دينكم فكيف توالونهم وتتخذون منهم أصفياء.

فِي حَدِيثٍ غَرِيبَةٍ إِنَّكَ إِذَا مَلَظَمَهُمْ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ جَمْعُ
الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمْعًا ۖ وَالَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ يَكْفُرُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ فُتِحَ مِنْ أَلْفٍ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ
مَعَكُمْ وَإِنْ كُنَّا لَنَكْفُرِينَ بِمَا كُنَّا نَافِلًا أَلَمْ نَسْتَعِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَقْتَعِمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ قَالَهُ بِكُمْ بِكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَحِلَّ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ۖ إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْذَعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ
وَأَمَّا قَالُوا إِلَىٰ أَرْصَادَةٍ قَالُوا كَسَّانَ يَرَاءُونَ أَلَمْ يَأْمُرِ
اللَّهُ أَنْ لَا تَكُونُوا آلَ أَرْبَابٍ ۖ لَّئِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ
لَهُمْ عَذَابًا ۖ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۖ فَكَيْفَ تَقُولُونَ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۖ وَكَيْفَ تَقُولُونَ لَنَا سَبِيلًا
نَحْنُ نَعْلَمُ سَبِيلًا ۖ يَتْلِبُ الَّذِينَ آمَنُوا لَاحِظًا
الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ
يَكُونَ لَهُمْ سَبِيلٌ

تعليل للنهي غير داخلة فيما أنزل قبل في الأنعام. ثم توعد سبحانه الفريقين فقال: فإن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً. هؤلاء المنافقون هم الذين ينتظرون ما يحل بكم، فإن كان لكم فتح من الله بنعمة النصر والغنيمة قالوا نحن معكم في الدين والجهاد فأعطونا ما غنمتم انظر الآيتين (٧٢، ٧٣) من هذه السورة صفحة ١١٢. أن كان للكافرين نصيب من

- (١) المنافقين.
- (٢) والكافرين.
- (٣) للكافرين.
- (٤) التهمة.
- (٥) للكافرين.
- (٦) المنافقين.
- (٧) يخادعون.
- (٨) خادعهم.
- (٩) الصلاة.
- (١٠) الكافرين.

﴿يرتصون بكم: ينتظرون ما يحل بكم من خير أو شر.

﴿فتح من الله: المراد فتح الله عليكم

باب خير.

﴿للكافرين نصيب: حظ من النصر.

﴿نستحوذ عليكم: يريدون ألم نحافظ

عليكم وكنا قادرين على أسرهم ولكننا لم نفعل

إخلاصاً منا لكم.

المعنى: إنكم إذا قعدتم معهم وهم يهزؤون

تكونون مثلهم في الكفر لإقراركم لهم عليه

وعدم إنكاركم أو انصرافكم. وهذه الجملة

وإن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون
أن يفرقوا بين الله ورسوله... إلخ

قال القرطبي: لما ذكر المشركين والمنافقين
ذكر الكفار من أهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى إذ كفروا به محمد ﷺ أن الكفر
به كفر بالكل لأنه ما من نبي إلا وقد أمر قومه
بالإيمان به محمد ﷺ وبجميع الأنبياء.

ومعنى المريدون أن يقولوا... الخ، أي
بين الإيمان بالله والإيمان برسله. فقص
سبحانه على أن التضيق بين الله ورسله كفر
وإنما كان كفراً لأنه سبحانه فرض على الناس

أن يعبدوه بما شرع لهم على أسننة الرسل. فإذا جحدوا الرسل، ردوا عليهم سترافهم ولم يقبلوا منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمرهم الله بالزمامها، فكانهم جحدوا الصانع سبحانه وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية... وكذا التفرق بين رسله في الإيمان بهم هو أيضًا كفر.

المنفى: لا يصح أن تجعلوا لله عليكم يوم القيامة حجة ظاهرة لتعذيبكم هي أنضاركم الكافرين أولياء تظلمونهم على أسرار دولكم وما يضر سبل امتها. إن عاقبة المنافقين أنهم يكونون يوم القيامة في الطبقة السفلى من جهنم، وهي شر طبقاتها، لأنهم شر أهلها، بما جمعوا بين الكفر وبين عش المؤمنين، ولا تجد لهم نصيراً يقيضهم منها. إلا الذين تابوا من الكفر والنفاق، وأيدوا ثوبتهم بثلاثة أمور: الأول - أصلحوا ما أفسدوا بأن يجتهدوا في الأعمال الصالحة.

(۲) الكافرون.

(۲) الْبَنَاقَيْنِ

Glenn (1)

[illegible]

النصر والعنائين قال هؤلاء المنافقون للكافرين: ألم نحافظ عليكم ونمنعكم من إيذاء المؤمنين
الذين بالقتل والأسر يتخذونهم على أسرارهم حتى انصرفوا فاعطونا مما كتبتم.

فأله يحكم بين صادق الإيمان منكم والنافق يوم القيامة، فيدخل الصادق الجنة والنافق

ثم وجه سبحانه الخطاب للمؤمنين الصادقين فقال: **هَٰذَا يَوْمُهَا أَمِينُ** الاتحدوا الكافرين أو اربابكم الخ... لأن هذا من فعل المنافقين، فاحذروا أن تقعوا فيه. وقد تقدم تفسير الولاية المنهى عنها في الآية (٧٨) من سورة آل عمران مصدقة ٦٧-

﴿سَلَامًا مِّنَّا﴾: أي حجة ظاهرة في استحقاقكم العذاب.

والذين الأسفل: الدرك الطبقة من المكان الذي له طبقات بعضها فوق بعض.

والاعتصموا بالله: أي تمسكوا بكتاب الله وشرعه.

حيث شبهوا الخالق بالخالق. ثم نذكر لهم جريمة أشيع من ذلك هي أنهم جعلوا من الذهب عجلاً وعبدوه من بعد ما جاءتهم المعجزات على يدى موسى قاطعة بنفى شريك الله عز وجل، ومع ذلك عفونا عنهم ولم نهلكهم جميعاً حتى لا يئس لهم نسل. وأتينا موسى قوة وسلطة عليهم جعلتهم يقتلون أنفسهم لتقبل توبتهم كما فى الآية (٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١.

ورفعنا فوقهم الطور بسبب أخذ العهد عليهم بأن يعملوا بما فى التوراة بقوة وقنا لهم ادخلوا باب القرية خاضعين لله منكسرى رؤوسكم إنكساراً لعظمته، وقنا لهم أيضاً لاتعدوا ولا تتجاوزوا أو أمر الله بسبب صيد السمك فى يوم السبت وقد نهاكم عنه، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً بأن تخاضعوا فى العمل بما شرعه الله تعالى لكم ولا تعصوا نه أمراً.

فيما نقضهم إلخ أى فيسبب هذه الجرائم السبع لعناهم، وقد ذكر اللعن صراحة فى الآية (٨٨) من سورة البقرة صفحة ١٧، والآية (١٢) من سورة المائدة صفحة ١٢٨، والجريمة الأولى كثرة نقضهم اليهود، والثانية كفرهم بالبراهين التى أقامها الله دالة على صدق أنبيائه، والثالثة قتلهم الأنبياء، بغير حق قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام، والرابعة قولهم لنبينا كذبت، قلوبنا غف لا نفهم ما نقول.

وسارع سبحانه بالرد عليهم فى هذه بقوله، بل طبع الله عليها بسبب كفرهم وجحدتهم الذى أفسدها، أى فليس الأمر كما يقولون كما تقدم فى الآية (٨٨) من سورة البقرة صفحة ١٧ فلا يؤمن منهم إلا قليل كيد الله بن سلام وأصحابه. والخامسة كفرهم بنبوة عيسى عليه السلام بقرينة السادة وما بعدها، وهى قولهم على مريم إلخ.

﴿بما نأى﴾: كذا يبهت المقول أى يعيرها.

﴿وشبه لهم﴾: أى وقعت الشبهة لهم وظنوا أنهم قتلوه مع أنهم قتلوا غيره طائفتين الله هو.

﴿وما قتلوه يقيناً﴾: يقيناً صفة لمصدر مفهوم من النفس فى ﴿وما﴾.. أى انتفى نقياً متيقناً.

﴿وان من أهل الكتاب﴾: ان حرف نفى بمعنى ﴿وما﴾.

أى سلامة ظاهرة فاختصناهم له مع شدة تعذرهم فأمرهم يقتل أنفسهم ففعلوا النظر الآية (٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١. ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾: الجبل الذى ناجى موسى ربه عليه.

﴿فيمثاقهم﴾: أى بسبب إعطائهم العهد بأن يطيعوا ويعملوا بما فى التوراة. ﴿الكتاب﴾: باب القرية كما فى الآية (٥٨) من سورة البقرة صفحة ١١. ﴿لاتعدوا فى السبت﴾: أى لاتتجاوزوا حدود الله بالضيد يوم السبت كما فى الآية (١٦٢) من سورة الأعراف صفحة ١١٩.

﴿فيمثاقاً غليظاً﴾: عهداً مؤكداً.

﴿فيما نقضهم ميثاقهم﴾: أصلها بنقضهم أى بسبب نقضهم العهد، وزيدت ﴿وما﴾ لتأكيد سببية مآلهم فى لعنهم المفهوم من القام، وجاء صريحاً فى الآية (١٢) من سورة المائدة صفحة ١٣٨.

﴿قلوبنا غف﴾: أى مغلفة لانتهم ما نقول بلامحذ.

﴿بل طبع الله عليها﴾: الطبع أى التغطية والختم.

المعنى: أعدنا لهم بسبب كفرهم عذاباً شديداً الإهانة والذين آمنوا بالله ورسله كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم، فلا يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض كما فعل غيرهم، أولئك سوف تؤتيتهم أجورهم التى وعدناهم بها وهى الجنة. وكان الله غموراً لهفوات من صلح إيمانه، رحيماً به فيضاعف حسنة يسألك أيها النبي أهل الكتاب ﴿اليهود﴾ أن تنزل عليهم كتاباً من السماء جملة واحدة كما نزل على موسى الوصايا العشر، انظر الآية (٢٢) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٤، وجعلوا ذلك شرطاً لإيمانهم بك، ولكنهم فى الحقيقة كاذبون كما مثالهم، انظر الآية (٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٣.

فلا تحزن لتعتنهم هذا لأنه موروث عن آبائهم، فقد سألوا موسى تعنتنا أعظم مما سألك آبائهم حيث قالوا أرنا الله عياناً، أى لن تؤمن لك حتى ترى الله كما يرى بعضنا بعضاً، انظر الآية (٥٥) من سورة البقرة صفحة ١١. فآخذتهم الصاغية وأهلكتهم بسبب ظلمهم أنفسهم

﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ بعد قتله كما يزعمون، ولكن وقعت لهم شبهة فقتلوا غيره، وإن الذين اختلفوا في قتله لفي شك من قتله حيث قال بعضهم لما رأى الجثة: الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس هو، وقال آخرون: بل هو. فما لهم حينئذ يقتلوه من علم يوق به، ولكن الذي عندهم مجرّد ظن يجرّون وراءه، والظن لا يفتى من الحق شيئاً خصوصاً في العقائد. ثم بين سبحانه الحقيقة التي يجب اعتقادها فقال: ﴿وما قتلوه يفتينا﴾ أي انتنى قتلهم له نفيًا متيقناً، بل رفعه الله أي لم ينالوا منه ما يهينه، بل أكرمه الله ورفعه مكاناً علياً كأدريس، انظر ما تقدم في الآية (٥٥) من سورة آل عمران صفحات ٧١، ٧٢. وكان الله عزيراً قاهراً، وغالباً لغيره ولا يقهره أحد حكيمًا في تصرفاته، وما من أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن بعيسى إيماناً صحيحاً بأنه عبد الله ورسوله عندما يذكرك الموت وينكشف عنه الغطاء فينبأ الحق، فيؤمن اليهودي بأنه نبي صادق لا ابن زنا، ويؤمن النصراني بأنه عبد الله ورسوله لا ابن زنا، ولا ابن إله، ولكن إيمانهم هذا لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون عندما أدركه الغرق، ولا يفرعون. أنك لا تدرك هذا وأنت بجوار من يموت أو يموت فجأة، لأن سر خروج الروح وصداقه في الحقيقة لم يستطع العلم الوصول إليها. ألا ترى أنه تعالى أخبر أن ملائكة الموت تضرعون الكافر عند موته على وجهه كما في الآية (٥٠) من سورة الأنفال صفحات ٢٣٤، ٢٣٥ مع أن الجالس بجواره لا يرى شيئاً، وفائدة إخباره سبحانه بذلك هي حثهم على الإيمان في وقت ينفع فيه، ويوم القيامة يكون عيسى شاهداً عليهم بأنه بلغهم، انظر الآية (١١٦) من سورة المائدة صفحات ١٦٠، ١٦١. فبسبب ما وقع من اليهود من ظلم أنفسهم بما ارتكبه مما سبق بيانه ومآسياتى حرمتا عليهم طبقات كانت حلالا لهم تأديباً لهم يرجعون انظر الآية (١٤٦) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨، وبسبب منهم من الدخول في دين الله خلقاً كثيراً، وبسبب أخذهم الربا وقد نهوا عنه في التوراة في الإصحاح ٢٣ من سفر التثنية ونظير ذلك في سفر الخروج الإصحاح ٢٢، ٢٥ وكذلك في الإصحاح ٢٥ من سفر اللاويين، وأكثرهم أموال الناس غير اليهود بباطل افترروه على الله حيث زعموا أن الله أحل لهم مال غير اليهود كما تقدم في الآية (٧٥) من سورة آل عمران، وقد أعددنا للكافرين من هؤلاء اليهود في الآخرة عذاباً شديد الأثام، لكن الراسخين في علم التوراة الصحيحة قبل التحريف من اليهود كعبد الله بن سلام، والمؤمنون من أصحابك أيها النبي، يؤمنون بما أنزل إليك من القرآن، وما أنزل

على مريم هيناً عظيماً ﴿وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهناه﴾ وأن الذين اختلفوا به لم يفتينا قتلهم، بل من علم إلا أن الله قتلوه هيناً عيسى ابن مريم رسول الله عز وجل ﴿وإن من ربه إله إلا هو وكان له عزراً كبيراً﴾ وإن من أهل الكتاب إلا ليهيئوا قتل مريم ويؤلفوا قبيحة يَكُونُ عليهم شبهة ﴿فقط من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ويصلون من سبيل الله كثيراً﴾ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكثهم أموال الناس بباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ﴿لنكر الزعم في العلم بينهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والقيمين العلة والمؤمنون

﴿والمقيمين الصلاة﴾: قال الزمخشري في كتابه الكشف ﴿المقيمين الصلاة﴾ منصوب على الدخ لبيان فضل الصلاة وهذا باب واسع في لغة العرب، ذكر له سيبويه أمثلة وشواهد وقال الألويسي: وما ينقل عن عثمان باطل إذ كيف يظن بالصحابة وهم فصحاء العرب اللحن في الكلام فضلاً عن القرآن. وكيف يتصور منهم الخطأ في أعز كتاب عليهم وكيف يُظن بعثمان عدم المسارعة إلى تفسير خطأ وقع في القرآن، وكيف يتكره لعرب بعده تقيمه هي بالسنتها. وأيضاً إذا كان الذين جمعوا القرآن وهم خيار الصحابة فكيف يقيمه غيرهم. فلمعمرى إن هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة، فالحق إن هذا الخبر المروي عن عثمان باطل... وقال صاحب المنار: هذه جملة مستقلة و﴿المقيمين﴾ منصوب على الدخ على ما قاله سيبويه وغيره من النحاة أي أمدح المقيمين الصلاة منهم الذين يؤدونها على وجه الكمال فإنهم أجدر المؤمن بالرسوخ في الإيمان وهذا الأسلوب لا يأتي في الكلام البليغ إلا لحكمة، والحكمة هنا هي منزلة الصلاة وكون إقامتها آية كمال الإيمان على أن تغيير إعراب كلمة بين أمثالها ينيبه الذهن للتأمل فيها ويهدي الفكر إلى استخراج مزياتها، وهذا من أركان البلاغة.

المعنى: وبسبب افتراءهم على مريم كذباً شديداً في قبحه حيث رموها حملاًها الله بالزنا. السابعة قولهم تبيحوا واستهتاراً إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله. فوصفهم له بالرسول كان استهزاء منهم قبحهم الله كأمثالهم المشركين في قولهم لتبيناً ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ الآية (٦١) من سورة الحجر صفحة ٢٢٨. وكذبهم سبحانه بقوله

- | | | | | | |
|--------------|---------------|---------------|--------------|------------|------------|
| (١) بهتاناً. | (٢) الكتاب. | (٣) القيامة. | (٤) طبقات. | (٥) الربا. | (٦) أموال. |
| (٧) بالباطل. | (٨) للكافرين. | (٩) الراسخون. | (١٠) الصلاة. | | |

أنبياء الله الكثيرين فلم كفرتم به، فما ذاك إلا لحسدكم له لأنه ليس منكم، فقال سبحانه: إنا أوحينا إليك أيها النبي كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده كهود وصالح وشعيب وغيرهم، وأوحينا كذلك إلى إبراهيم وإسماعيل، وذكرهم بخصوصهم مع أنهم داخلون في النبيين الذين بعد نوح لبيان لليهود أن منهم أنبياء كثيرين فلا يجوز أن يبخلوا على العرب بنبي واحد، وكذلك أرسلنا رسلاً قد ذكرناهم لك من قبل هذه السورة كما في الآيات من (٨٣) إلى (٨٦) من سورة الأنعام صمغتي ١٧٥، ١٧٦ مما نزل بهك، ورسلاً لم نذكرهم لك فلا يعلمهم إلا الله تعالى، انظر الآية (٧٨) من سورة غافر صفحة ١٧٨، وكلم الله موسى تكليماً بلا واسطة، فهو رسول أيضاً موحى إليه... أرسلنا هؤلاء جميعاً رسلاً مبشرين للمؤمنين بالجنة والكافرين بالنار، إنما يكون للناس حجة بعد الرسل، أي إنما أرسلناهم منذرين لقطع حجة من يقول لو أرسلنا إنما رسولاً منا، انظر الآية (١٣٤) من سورة طه صفحة ٤١٩، والآية (٤٧) من سورة القصص صفحة ٥١٣، وكان الله عزيزاً ليلعب على ما يريد، حكيماً في تصرفه، ومنه قطع حجة المعاندين. ولما كان كل ما تقدم يوجب على كل منصف أن يشهد بصديق رسالته ﷺ أراد سبحانه أن يطمئن نبيه إذا استمروا على عنادهم ولم يشهدوا له بالصدق، فقال سبحانه: ولكن الله يشهد. أي إذا لم يشهدوا هم فإله يشهد لك، وكفى به شهيداً بصحة ما أنزل إليك، أنزله مع علمه بأنك أهل لإنزاله عليك، والملائكة أيضاً يشهدون لك، فلا يتال بائكار المعاندين، ثم بين سبب إنكارهم وهددهم فقال: إن الذين كفروا بعدم تصديقك ومفؤا الناس عن الدخول في دين الله قد ضلوا وبعثوا عن الحق مسافات بعيدة لا يمكنهم الرجوع إلى الهدى. ثم كرر وصفهم بالكفر توبيخاً لهم فقال: فإن الذين كفروا... الخ...

فلا تغلوا في دينكم: لا تتجاوزوا الحدود في دينكم الذي اخترتموه، وقد جاوزت اليهود فانزلت المسيح عن منزله، وتجاوزت النصارى في تعظيمه حتى قالوا إنه ابن الله. فوكلتم: أي تحقيق كلمة = كن = ففروا منه: أي سر من أسرار في كيفية خلقه وفي معجزاته.

المعنى: وظلموا محمد رسول الله بائكار صفتة التي عندهم في التوراة؛ لم يكن الله ليقتل لهم ماداهوا على الكفر، ولا ليهديهم طريقاً إلى الصواب إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً، وكان تخليدكم في جهنم هينا على الله تعالى.

الزَّكَاةَ وَالْيَتَامَىٰ وَالنَّسَاءَ وَالْحَرَامَ الْأَكْبَرُ إِنَّكَ سَمُوتٌ
إِحْسَانٌ * وَأَنَّا وَجَّعْنَا لَكَ أُوجًا
بِالْأُوجِ وَالْيَتَامَىٰ مِنْ عَدُوٍّ لَّكَ إِبْرَاهِيمَ
وَالْعِصْمِلَ وَالْحَقُّ وَمُتْرِبٌ وَالْأَسَاطِ وَنَسِيَّ وَأَيُّ
وَيْسٍ وَحُرُونَ وَنَسِيَّ وَنَسِيَّ دَاوُدَ زُورًا
وَرَسُولًا قَدْ قَضَيْتُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا
تَقْضِيهِمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا
رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِقَالِ بْنِ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
يَسْأَلُ عَمَّا أَتَىٰ لَئِكَ أَتَىٰكَ أَتَىٰكَ بِمِلَّةٍ وَاللَّيْلُكَ يَسْأَلُكَ
وَكَيْفَ يَأْتِيكَ نَبِيًّا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسُوءُوا
سَبِيلَ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

أمة على قتل أنبيائهم مثل جرأة بني إسرائيل على ذلك انظر بقية الكلام على الأسباط في

شرح الآية (١٣١) من سورة البقرة صفحة ٢٦.

فوزوروا: المراد به كتاباً، وكان فيه حكم ومواعظ وشاء على الله عز وجل.

فوكليما: خاصاً وهو أنه بلا واسطة ملك كالامتداد مع الرسل.

المعنى: والموتون الزكاة والمؤمنون من كل الأمم بالله واليوم الآخر يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ليس أحد من هؤلاء كاليهود والنصارى المتعصبين الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، أولئك الموصفون بما تقدم سنوئهم في الآخرة أجراً عظيماً لا يخطر على قلب بشر. ولما كان اليهود يؤمنون بنبوذة نوح عليه السلام وكل الأنبياء من بعده، وليس نوح وكثير من بعده من اليهود أراد سبحانه أن يثبت قنيتهم بإفهامهم بأن محمداً ﷺ فرد من أفراد

- | | | |
|--------------|--------------|---------------|
| (١) الزكاة. | (٢) إبراهيم. | (٣) واسماعيل. |
| (٤) واسحاق. | (٥) وهارون. | (٦) قسطنطين. |
| (٧) وسليمان. | (٨) قسطنطين. | (٩) واسماعيل. |
| (١٠) صلالة. | (١١) صلالة. | (١٢) صلالة. |

من قبلك على موسى وعيسى وإبراهيم، والمقيم الصلاة، الأصل والمقيمون الصلاة، والموتون بركة يؤمنون بما أنزل إليك كذلك، لكن لأهمية الصلاة التي هي عماد الدين غير الله سبحانه وتعالى إعراب القيمون وجعله منصوباً على تقدير فعل مدح، أي أمدح من بين هؤلاء التقيمين الصلاة ليلفت النظر بتغيير الإعراب إلى أهميتها.

فوالأسباط: جمع سبط وهو ولد الولد. والمراد هنا ذرية أولاد يعقوب ومعنى الإيعاء إليهم هو الإيعاء إلى أنبيائهم الكثيرين لأنه لم يكن في أمة واحدة من الأمم أنبياء، مثل ما كفروا في بني إسرائيل كما أنه لم يخبروا

(١) الملائكة. (٢) الصالحات. (٣) برهان. (٤) صراطاً: (٥) الكلاية.

الكَلَالَةُ فِي آيَةِ (١٢) مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ... يَقُولُ صَاحِبُ الْفَاتَا: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ آيَةَ فِي الْكَلَالَةِ

(١) الملائكة. (٢) الصالحات. (٣) برهان. (٤) صراطاً: (٥) الكلاية.

(١) خالدين. (٢) السموات. (٣) الكتاب. (٤) القها.
(٥) ثلاثة. (٦) واحد. (٧) سبحانه. (٨) السموات.

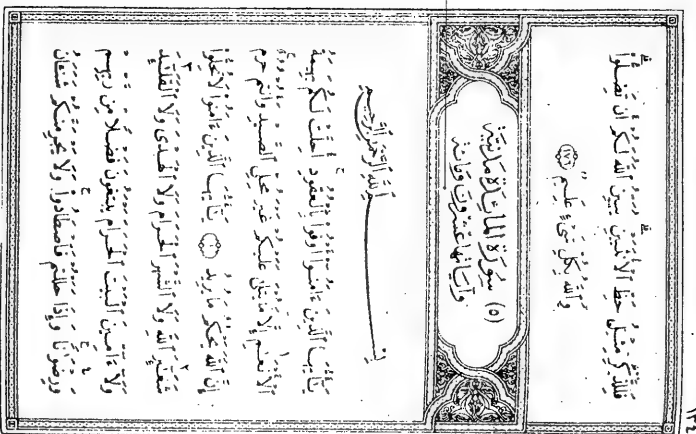
فلذا ذكر من هؤلاء الأخوة مثل حطاي نصيب الأنثيين... يبين الله لكم أمور دينكم وتفصيل فرائضكم، كراهة أن تضلوا ويتبدوا عن الصواب في أعمالكم وفي قسمة التركات، والله بكل شيء عليم، فلا يشرع لكم إلا ما فيه مصلحتكم، فله الحمد والشكر.

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

هو أو فوا: الوفاء الإتيان بالشئ وفيها تأما. هو المعقود: هي اليهود المؤكدة التي أخذها الله على عباده، أو أخذها العباد

بعضهم على بعض فيما هو جائز شرعاً.



هو بيعته: هي كل حيوان من شأنه ألا ينطق. هو الأنعام: هي الإبل والبقر وتشمل الجاموس والغنم الضأن والمعز.

هو الصيد: هو ما يصاد من الحيوان الوحشي، كالطباء، والبقر والخمير الوحشيتين كما سيأتي في الآيتين (٩٥، ٩٦) من هذه السورة صفحة ١٥٦.

هو حرم: جمع حرام وهو المحرم بضم فسكون، وهو من كان في أرض الحرم أو كان ناولاً حجاً أو عمرة ولو لم يكن دخل أرض الحرم.

هو شعار الله: تتقدم بآياتها في الآية (١٥٨) من سورة البقرة صفحة ٣٠، والمراد بها هنا ما جعل شعاراً وعلامة على أعمال ومناسك الحج والعمرة من إحرام وطواف وسعي

(١) الأنعام.
(٢) مثاقير.
(٣) العنقاء.
(٤) وروضات.

بنسخة من جبريل: انظر الآية (١٧) من سورة مريم صفحة ٣٩٧، والآية (١٢) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢. وقد بلغ من قوة الملازمة أن يقطع أحدهم المدينة بأكملها ويجعل عاليها سافلها، فكانوا أولى بأن تجعلهم أهلاً، وهذا ما لم يقل به أحد منكم.

ومن يستكف عن عبادة الله من جميع الخلق، ويستكبر عنها غروراً بنفسه، فيعشرهم أي ومعهم من لم يستكف ولم يتكبر، فيعشرهم جميعاً، ويدل على أن المراد الجميع الخاص منهم والطائع التفصيل الآتي في قوله: فأما الذين آمنوا ولم يستكفوا وعملوا الصالحات فيؤفقه الله أجورهم الحسنة بغير أمثالها ويرزقهم على ذلك من فضله إلى سبعمائة ضعف وإلى أكثر من ذلك، انظر الآية (٣١١) من سورة البقرة صفحة ٥٥. وأما الذين استكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً شديداً ولا يجدون يوم القيامة صديقاً يشفع لهم ولا نصيراً يدفع عنهم بقوته العذاب.

وبعد ما أقام الحجّة على جميع الكافرين والمنافقين خاطب الجميع بقوله: يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، أي حجة قاطعة، وهي المعجزات ودلائل التوحيد، وأنزلنا إليكم بواحدة رسولنا محمد ﷺ نورا هو القرآن فيه بيان لكل ما تحتاجون إليه، فأما الذين آمنوا بالله إيماناً صحيحاً وتمسكوا بما في القرآن من عقائد وأحكام فسيدخلهم يوم القيامة في دار رحمة وهي الجنة، ومن علمهم بفضله وهو النظر إلى وجهه الكريم، أما في الدنيا فيعذبهم أي يوفقههم إلى سلوك طريق النجاة وهو الإسلام الصحيح. وقد ذكر جزاءهم في الآخرة للمسارة إلى تبشيرهم بالقمود الأولى. ولا تقدم في الآية (١٢) صفحة ١٠٠ ذكر الكلاله، وكان الإخوة فيها أم، سأل بعضهم النبي ﷺ عن حكم من أخ أو أخت لأبوين أو لأب، فقال تعالى: يستفتونك أيها النبي في الكلاله، بدليل الجواب، قل لهم: الله يفتكم فيها، ثم بين الفتوى بقوله: إن امرؤ هلك أي مات ليس له ولد ذكر أو أنثى أي ولد أو ولد لا هذا هو الكلاله كما تقدم أول السورة، لأنه لو كان للميت والد لحجب جميع الأخوة، فتورث الإخوة هنا يدل على عدم الوالد، وله أخت من أبوين أو أب فلها نصيب مشترك، وهو أي الأخ من أبوين أو أب يرثها في جميع ماترت إن لم يكن لها ولد، أي ولا والد كما تقدم؛ فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء للأخ، وإن كان أنثى فلا أخ ما بقي بعد نصيب الأنثى أو الإناث، وإن كانت أي الأختان اثنتين فصاعداً فلهما الثلثان مما ترك الأخ وإن كانوا أي الورثة إخوة رجالاً ونساء أي فيهم من النوعين.

ثم يشرع في بيان المحرمات المنتهات إليها في الآية الأولى فقال:

فُحِرْتُمْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ الْغَيْبِ اللَّهُ بِهِ

ثم فصل بعض أنواع الميتة فذكر منها خمسة، وذكر واحدًا منها أهل الغيب الله به وهو ما ذبح على النصب لأنه كان كثيرًا عند العرب، فمحرمات الطعام أربعة إجمالًا وعشرة تفصيلًا.

إلا ما دكيت من كل هذه الأشياء: أي أذركموها وفيها حياة فذكيتوها الذكاة الشرعية، وهي أن يكون في الحيوان حركة بعد ذبحه في أي عضو من أعضائه ولو في أذنه أو ذنبه.

وحكمة حرمة القرعة بالسهام أنها خرافات وأوهام لا يقول عليها إلا ضعيف العقل، ولما فيها من إفساد العقائد ونظام الأعمال. ومن أراد إيضاحًا أوسع في هذا المقام ومعرفة الفرق بين المحرم هنا وبين القرعة المباحة فليرجع إلى شرح حديث رقم ٢٥٢ من كتابنا صفة صحيح البخاري. ذلكم أي كل ما تقدم فشق وعخرج عن طاعة الله عز وجل. اليوم أي يوم نزول هذه الآية، وكان قبل وفاته ﷺ يحرم نسرين يؤمًا: يوم وقف النبي ﷺ بعرفة في حجة الوداع وكان يوم الجمعة.

يس الذين كفروا وانقطع رحاؤهم في أن ينتصروا عليكم لما شاهدوه من انتشار الإسلام وقوته. فلا تخافوهم وخافوني وحدي، لأن الضر والنفع بيدى. اليوم أكملت لكم دينكم ببيان العبود والعتل والحرام، فلا زيادة ولا نقصان بعد اليوم. قال ابن عباس: المراد بالدين هنا كل ما فيه من عقائد وأحكام وعبادات وآداب وما في معناها بالتفصيل، وأهم الحدود والمعاملات وما عدا ذلك وضع المتخصصون في فقه الشريعة قواعد التي يتخلص منها الأحكام الجزئية. وأتممت عليكم شئتي بفتح مكة وهدم منار الجاهلية، واخترت لكم الإسلام دينًا. فمن وقع في ضرورة كمجاعة شديدة حال كونه غير مأكل إلى الإثم كما هو مبين في شرح الآية (١٧٢) من سورة البقرة صفحة ١٢. فأكل من هذه المحرمات فإن الله غفور رحيم بدم مؤاخذته. ثم شرع في تفصيل الحلال الذي ذكر إجمالًا فقال: يسألوئك ما هو الحلال لهم من الطعام، قل أحل لكم كل طيب لا تستخيه النفوس السليمة، وصيد ما علمتموه من الجوارح...

قال عمر: إني والله لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها، نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفه في يوم الجمعة، رآه الشيخان وغيرهما.

فأكملتكم: الكمال من الأنفاظ التي الأمل فيها ألا تستعمل إلا في الكيفيات والمعنويات، لا في الكيفيات والعصبية، فيقال: فلان كامل الخلق ولا يقال تلم الخلق فالكمال بحر لا ساحل له، ولذا يقال: الكمال لله وحده، ولهذا ناسب أن يكون في جانب الدين لأنه هو الوسيلة الوحيدة للمساعدة الخالدة التي هي أسمى مطالب الحكماء، ولا يغفل عنها إلا الحمقى والسفهاء.

فدينكم: المراد من الدين هنا شريعة الإسلام كما هو مبين في آخر الآية وفي الشريعة التي بيئت المعتاد والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق ولم تترك طريقًا من طرق الخير إلا أرشدت إليه، ولا طريقًا من طرق الشر إلا حذرت منه، فكانت الرحمة العظمى المهداة من الخالق لخلقه. فواتمتمكم: التمام من الأنفاظ التي الأصل فيها أن تستعمل في الكيفيات والماديات فيقال: فلان تام الأعضاء، وهذا بيت تام الأركان، ولما كانت المعنويات الرفيعة أشرف وأعلى منزلة من الماديات مهما سمت، ناسب أن يكون الكمال في جانب الدين الحق لأنه الوسيلة الوحيدة للمساعدة الخالدة كما تقدم، ولما كانت النعمة المرادة هنا هي فتح مكة، وهدم معاقل الشرك وتطهير البلاد من حماية الجاهلية فأمّن المؤمنون على أنفسهم وأهلهم، وكان كل ذلك سعادة لكنها دون المساعدة الدائمة، لما كان كل ذلك ناسبها الإتمام الذي يستعمل كثيرًا في الماديات الفانية: فمخممتمكم: مجاعة تغمص لها البطون أي تضمر. فمتجانفكم: الجنف الميل كما تقدم في الآية (١٨٦) من سورة البقرة صفحة ٣٥، والمراد ماثل ومنعرف إلى الإثم. فالجوارح: جمع جراحة والهاء للمبالغة لا للتانيث كغلامه، والجراح هو المعلم على الصيد من الكلاب أو الطيور التي من شأنها أن تخرج ما تصيده.

المعنى: لا يجعلكم بغضكم لتقوم، المراد بهم مشركو مكة، لأجل صدهم ومعهم لكم عن دخول المسجد الحرام في عام صلح الحديبية الذي سيأتي، الكلام عليه في الآية (١٨) من سورة الفتح صفحة ٦٨، ولا يجعلكم على أن تقتلوا عليهم بالقتل وغيره بدون سبب، وتعاونوا على فعل الخير، انظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة، صفحتي ١٢، ١٣. وعلى كل ما يقضى به الشر، ولا تتعاونوا على ارتكاب الذنب وتجاوز حدود الله شرعها لحسن المعاملة بين الناس، واتقوا الله في كل ما أمر به لأنه شديد العقاب لمن لم يتقته.....

أحل لكم الطيبات. أعاده للتأكيد وليربط به ما بعده، وطعام اليهود والنصارى المحلل لهم في كتبهم حل لكم، أما الخمر والخنزير فلا، لأنها محرمة على لسان كل نبى، وطعامكم حل لهم، أى وكل طعام حلال في شريعتكم أنبأ المسلمون فقد أصبح حلالاً لهم، ولو كان قبل ذلك محرماً عليهم، لخورم الإبل وكل ذى ظفر إلى آخر ما بينته الآية (١٤٦) من سورة الأنعام صفة ١٨٨، فإن الإسلام نسخ تحريم ذلك بنزول القرآن الناسخ لكل حكم خالف أحكامه من الكتب السابقة؛ أى فيباحة الطعام مشتركة بين الجانبين، دون إباحة النساء فإنها لنا دونهم، كما في قوله: ﴿والمحصنات﴾ أى وأحل لكم زواج المحصنات أى المضيفات من المؤمنات والمضيفات من الكاتبات، بشرط أن توفوا لهن مهورهن، وأن تكونوا قاصدين إحصان أنفسكم وإحصان زوجاتكم، لا زانين علناً أو سراً، ومن يكفر بتعاليم الإيمان وما تقتضيه بأن يمتنع عن توحيد الله وعن طاعته فقد بطل كل عمله من الخير فلا ينفعه فى الآخرة بالإلتحاق من الخلود فى النار، انظر شرح الآيتين (٨٠، ٧) من سورة الزلزلة صفة ٨١٨، وكذلك الآية (٢٣) من سورة الفرقان صفة ٤٧٣؛ فيكون فى الآخرة من الخاسرين المحرومين من النعيم، بأنبأ الذين آمنوا إذا أردتم القيام للصلاة وكنتم محدثين فلائيد من الوضوء وهو أن تغسلوا وجوهكم إلى، وقد كان الوضوء ثابتاً بالسنة حيث علمه جبريل عليه السلام للنبى صلوات الله عليه صبيحة فرض الصلاة وهو بمكة، فجاءت هذه الآية بالمدينة وفى آخر العهد لتؤكد وجوبه بجعله حكماً متولاً لا يحتفل تغييراً. وقوله: ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب على عطف على وجوهكم، وقضى أرجلكم بالكسر مغطوفاً على رءوسكم، وتكون هذه القراءة أفادت المسح على الخف والجوب، ويكون المعنى فاعسلوا الأرجل إذا كانت مكشوفة، وامسحوها إذا كانت داخلة فى خف أو جوب، وبينت السنة أن الغسل لابد أن يعم الرجل، أما المسح فيكفى فيه مرور الأصابع مبتلة على ظهر الخف؛ وإن كنتم جنباً فاطهروا بغسل الجسد كله بالماء الطهور. ولما فرغ من بيان أعمال الوضوء وكان يظن أن ذلك وقد نزل آخر الأمر قد يكون ناسخاً لما نزل قبل ذلك من إباحة التيمم فى الآية (٤٣) من سورة النساء صفة ١٠٧ ذكر التيمم هنا ثانياً ليسجل خلوده أيضاً كالوضوء، ويدفع احتمال ظن النسخ فقال: ﴿وإن كنتم مرضى﴾ مرضاً يمنع من استعمال الماء أو مسافرين....

سُكِّنَ لَكُمْ طَبِيبَاتُكُمْ مَا عَلِمَكُمُ اللَّهُ تَكْلُوفًا مِمَّا اسْتَكْنَعْتُمْ وَأَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَّمَهُ وَإِنَّمَا اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٤٦﴾ الْقِيمُ أَجَلٌ لَكُمْ أَطْلَقْتُمْ وَقَعَامُ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْفَ حُلٌّ لَكُمْ وَقَعَامُكُمْ حُلٌّ لَكُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْفَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا نَكَحْتُمُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ خَيْرٌ مِنْ خَيْرِ غَيْرِ سَبِيحِينَ وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ إِنْجَادُكُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا فَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

- (١) الطيبات،
- (٢) الكتاب،
- (٣) والمحصنات،
- (٤) المؤمنات،
- (٥) والمحصنات،
- (٦) الكتاب،
- (٧) مسافحين
- (٨) بالإيمان
- (٩) الخاسرين
- (١٠) الصلاة.

المفردات: ﴿مكلمين﴾: معلمين لها طريقة الصيد، والمكلم بكسر اللام مؤدب الجوارح وعروضها على الصيد، مأخوذ من الكلب يفتح فسكون وهو الحيوان المعروف لأن التكلم فيه أكثر.

﴿المحصنات﴾: المراد هنا المضيفات ﴿أجورهن﴾: مهورهن، ﴿محصنين غير مسافحين ولا متخذين أخدان﴾: تقدم تفسيرها فى الآية (٢٥) من سورة النساء صفحات ١٠٤، ١٠٣. ﴿حبط عمله﴾: أى بطل ﴿المرافق﴾: جمع مرفق بكسر فسكون ففتح كمنبر، وبالعكس كمجلس، وهم العظم الذى عند المفصل الذى بين الذراع والعضد.

﴿الكعبين﴾: هما العظامان البارزان فى الرجل عند مفصل الساق من القدم.

المعنى: .كلوا من صيد الجوارح إذا كنتم علمتموها مما علمكم الله من طرق التعليم والتأديب التى ألهمها الله تعالى لكم بواسطة العقل، فإذا استوفت الشروط فكلوا من الحيوان الذى تمسكه لكم، أما إذا أمسكته الجوارح لنفسها فلا يحل أكله. واذكروا اسم الله على تلك الجوارح عند إرسالها على الصيد، واتقوا الله فلا تقربوا ما حرم، ومنه صيد غير المعلم أو غير المسمى عليه، لأن الله سريع الحساب، فيجازى بسرعة على السيئة والحسنة. ﴿اليوم

من الذنوب، ولتتم نعمته عليكم بالجميع بين الطهارتين، وإذا تعمست إحداهما حلت الأخرى مكانها فلا تتعلموا عن الصلاة يوماً كما كان الحال عند الأمم فليكن لعلمكم تشكرون هذه النعم بالمداومة على الطاعة.

واذكروا نعمة الله عليكم بهاديكم إلى الإسلام، واذكروا عهوده التي أخذها عليكم بواسطة رسوله كعهد بيعة العقبة وبيعة الرضوان الآية في الآيتين (١٨٠، ١٠) من سورة الحج صفحات بغضبه. ومن أراد معرفة نبعاته ﷺ تفصيلاً وما حصل فيها فليرجع إلى حديث رقم ٧ من كتابنا صفوة البخاري وبعد ما بين المطلوب من المسلمين من عبادة ومحافظة على عهده أراد أن يبين لهم ما يجري بينهم وبين الناس فقال:

واتقوا الله فلا تخافوا عهده لأنه سبحانه عليم بغيبات الصدور، فإياكم والتفكير فيما بغضبه. ومن أراد معرفة نبعاته ﷺ تفصيلاً وما حصل فيها فليرجع إلى حديث رقم ٧ من كتابنا صفوة البخاري وبعد ما بين المطلوب من المسلمين من عبادة ومحافظة على عهده أراد أن يبين لهم ما يجري بينهم وبين الناس فقال:

فكونوا قوامين^(١) الخ، أي محافظين على القيام بكل ما أخذ عليكم العهد به مخلصين في ذلك لله لا تريدون إلا رضاه وكونوا في شهادتكم بين الناس عدولاً فلا تخافوا مشهوراً له ولا تظلموا مشهوراً عليه، ولا يحملكم كرهكم لقوم على عدم العمل في الشهادة فتتضيّعوا عليهم حتهم.

وتقدم نظير هذا في الآية (٢) من سورة النساء صفحتي ٩٨، ٩٧ وكذلك في الآية (١٢٥) من نفس السورة صفحتي ١٢٥، ١٢٦.

وإذا كان العمل أساس نظام الدولة فامدوا، أي حافظوا عليه لأنه أقرب مبرق من العمل لتقوى الله والبعد عن غرضه. ولهذا أيضاً كثر الوصية بها فقال: واتقوا الله لأنه خير بما تعملون، فيجاري من فرط فيها، ثم أراد أن يبين جزاء من اتقى، وغيره فقال: فوعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات^(٢) الخ.

وبعد التذكير بنعمة إحصال الخير أراد أن يذكر بنعمة الإنحاء من الشر فقال: فإيا الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم^(٣)....

أشد منكم من الغايط أو لستم النساء فلم يجدا ماء فبعموا صعيداً فلبوا فاستمروا بوجوهكم وأيديكم بين يدي الله ليحكم بينكم بين حرج ولكني يريد ليظهر لكم ولستم تعلمون عليكم نكركم تشكرون^(٤) وأذكروا نعمة الله عليكم وميثقه الذي وأنكم يومئذ فليتم نعمتنا وإلهنا وانظروا الله إن الله عليم بذات الصدور^(٥) يتاب الذين آمنوا وكروا فويل لهم شهادتهم إلا تقلوا^(٦) من أقرب ولا تحزبكم شتان فويلهم على ألا تقلوا^(٧) أعياداً من أقرب للشورى^(٨) وكفى الله إن الله عليم بما تعملون^(٩) ومن بعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات^(١٠) لم يغير وجههم ولا وجههم عظيم^(١١) والذي كرموا وكذبوا فإني أتيت الله عليكم^(١٢) أجمعين^(١٣)

السمعة.

لا سمعة.

فوشهدوا بالقسمة؛ شاهدين بالعمل بدون محاباة لأحد.

فولا يجرمنكم^(١)؛ أي لا يحملكم.

فوشهدوا بالقسمة؛ شاهدين بالعمل بدون محاباة لأحد.

السمعة؛ أي لا سمعة.

فولا يجرمنكم^(١)؛ أي لا يحملكم.

فوشهدوا بالقسمة؛ شاهدين بالعمل بدون محاباة لأحد.

السمعة؛ أي لا سمعة.

فولا يجرمنكم^(١)؛ أي لا يحملكم.

المفردات: فومن الغايط^(١)؛ تقدم تفسير الآية كلها في الآية (٤٢) من سورة النساء صفحة ١٠٧.

فخرج^(٢)؛ مشقة.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

فوشهدوا بالقسمة؛ عهده.

(١) لا مستم.
(٢) وميثاقه.
(٣) قوامين.
(٤) الصالحات.
(٥) بإيتان.
(٦) لعمرية.

المنفى: تذكروا نعمته تعالى عليكم في أوقات الشدة التي هم فيها اليهود والمشركون بالفتك بكم وإبطال دعوتكم فأحيط كيدهم ونجاكم، فحافظوا على تقوى الله عز وجل بزرهم حفظاً وقوة وعلى الله وحده يتوكل المؤمنون، فإنه سبحانه خير من يدفع الشر ويطلب النفع. وبعد ما بين سبحانه قيمة حفظ اليهود أراد أن يذكر بعض الأمم التي تقضتها وما حل بهم ليحذر المسلمون من عملهم فقال: «ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل» على أمور مهمة ذكر القرآن في مواضع كثيرة منها غير ما هنا ما في الآيات (٨٢، ٨٤) من سورة البقرة صفحة ١٦، و(٨١، ٨٧) من سورة آل عمران صفحتي ٧٦، ٩٤ و(١٥٤) من سورة النساء صفحة ١٢٩ و(١٦٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥؛ وبعثا منهم قادة لهم وكفلاء عليهم بالوفاء لله تعالى بالعهود. وقال الله لبني إسرائيل إني معكم بعلمي لما يكون منكم وبالنصر إن وفيتم بالعهد. ثم بين الميثاق فقال: لنن أي وعزتي لنن أقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة وأمنتم برسلي الذين سارسلهم إليكم بعد موسى كداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد، وهذا هو الميثاق الذي أشارت إليه الآية (٨١) من سورة آل عمران صفحة ٧٦، وعزرتهم بالمساعدة على الجهاد في سبيل الله، وبذلتم من الصدقات فوق الواجب، وتقدم ببيان القرض الحسن في الآية (٢٤٥) صفحة ٥٠، لو فعلتم ذلك لأكثرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار، فمن كنر وجحد شيئاً مما أمرت به بعد ذلك العهد فقد انصرف وترك وسط الطريق الموصول للنجاة، ومن انصرف اتجه إلى إحدى سبل الضلال المشار إليها في الآية (١٥٣) الأنعام صفحة ١٨٩، ولكن هؤلاء اليهود نقضوا العهود، وبسبب هذا طردناهم عن رحمتنا وملأنا قلوبهم قسوة لا ينفع فيها وعظ ولا تدخلها رحمة. وكان من آثار ذلك أنهم تجرؤا على كلام الله فعزفوه ليخفوا ما فيه من الحق ومن صفة محمد ﷺ، ونسوا مقداراً مما ذكرهم الله تعالى به في التوراة، فالذي عندهم مما في التوراة الصحيحة هو بعضها فقط، انظر الآيات (٢٣) من سورة آل عمران صفحة ٦٦ و(١٤٤، ١٥١) من سورة النساء صفحات ١٠٧، ١٠٨، ١٢٨، ١٢٩؛ ولاتزال أيها النبي تطلع على خيانة منهم، أي هذا هو حالهم دائماً إلا قليلاً منهم وهم من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، فاعف عن هؤلاء المؤمنين منهم، ولا تأخذهم بما سلف منهم، واصفح عما يمكن أن يكون منهم من إساءة إليك إن الله يحب المحسنين بالعمو والصفح والمقصود بالعمو محو الشئ، والمقصود بالصفح الإعراض وعدم التأخذ على الذنب. «ومن الذين قالوا إنا نصاري» أي ادعوا أنهم أنصار الله عز وجل وهم كاذبون...

إذ هم قوم أن يسطر إليكم أيديهم فكف أيديهم
عنكم وأنتم الله وعلى الله فليتبكي الثورتين ﴿١﴾
* ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا فيهم
أثنى عشر نبياً وقال الله إني معكم أين أقام أصواتهم
وأقيم الزكاة وأنتم برسلي وعزرتهم وأقرضتم
الله قرضاً حسناً لا تخفون عنكم سيئاتكم ولا تملكون
جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك
منكم فقد ضل سواء السبيل ﴿٢﴾ فيما نقصهم بنينهم
لنفسهم وجعلنا قلوبهم فاسية يخفون ألكم عن
مواضعهم ونزلنا حكماً ذكراً ياء ولا تزال تطيع
على حانية منهم إلا قليلاً منهم فأغف عنهم وأصفح
إنا الله غيب المعصين ﴿٣﴾ ومن الذين قالوا إنا نصاري

المفردات: «قوم»: هم كشار قريش قبل الهجرة عندما هموا بقتله وقتل كثير من أصحابه انظر الآية (٣٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١، واليهود بعد الهجرة حينما هموا بقتله ﷺ ببحجر يلقونه عليه وهو جالس بجوار حائط عندهم، فأخبره الله تعالى بغدرهم فانصرف انظر شرح أول سورة العشر صفحتي ٧٢٩، ٧٣٠، «يسطوا اليكم أيديهم»: بسط اليد كناية عن إيقاع الأذى. «كف أيديهم»: أي أحسب مكيدتهم. «ميثاق»: أي عهد «أثنى عشر نقيباً»: هم زعماء أسباطهم المتقدم ذكرهم في الآيتين (١٤٠، ١٣٦) من سورة البقرة صفحتي ٢٦، ٢٧ وهم الذين فجر موسى العيون بعددهم كما في الآية (٦٠) من سورة البقرة صفحة ١٢. «وعزرتهم»: أي نصرتهم، «فحينما نقصهم»: أي شيسبب نقصهم. وانظر مثل هذا في الآية (١٥٥) من سورة النساء صفحة ١٢٩: «فخرفون الكلم عن مواضعه»: أي يغيرون كلام الله الذي في التوراة ويبعدونه عن موضعه الذي وضعه الله تعالى فيه، وهذا التصرف يحصل بأمور بينها الآيات (٧٩، ٧٨، ١٧٤) من سورة البقرة صفحتي ١٥، ٢٣... والآية (٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٧٥... والآية (١٥) من سورة المائدة صفحة ١٢٩... والآية (٩١) من سورة الأنعام صفحة ٩١: «حفظاً»: نصيباً. «خائفة»: تستعمل العرب وزن فاعلة وتريد به المصدر فتقول: قائلة بمعنى القيلولة، وخائفة تريد الخطيئة كما في الآية (٩) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢، فخائفة هنا بمعنى الخائفة:

- | | | | |
|------------|--------------|--------------|-------------|
| (١) ميثاق. | (٢) إسرائيل. | (٣) الصلاة. | (٤) الرجاء. |
| (٥) جنات. | (٦) الأنهار. | (٧) ميثاقهم. | (٨) ناسهم. |
| (٩) قاسية | (١٠) نصاري | | |

صفحة ٧٥٢ و (٢٩) من سورة الفتح صفحتي ١٨٤، ١٨٥ و (٣٠) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢ و (٣١) من سورة الحديد أيضًا صفحة ٧٢٢؛

﴿سبيل السلام﴾: السبيل جمع سبيل وهي الطريق، وقد جاء في القرآن مجموعاً كما هنا، ومتفرقاً وهو كثير، فإذا كان مجموعاً مقابل المراد للمستقيم، فالمراد به كل الطرق الموصلة لغير الحق، ولما فيه هلاك سالكيها كما في قوله تعالى ﴿وإن هذا صراط مستقيماً﴾ فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ الآية (١٥٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩. وإذا ذكر مجموعاً في مقام مدحه والترغيب فيه كما هنا، فإنه يراد به كل الأعمال الصالحة الموصلة للإسلامة من المخاطر في الدنيا والآخرة، ولذلك أضافها سبحانه إلى السلام، أي أنها كلها مهمات تعددت فأنها توصل إلى شيء واحد، هو النجاة من كل شر.

ولما جاء مصافق النبي ﷺ فإنه يراد به مجموع شريعته من عقائد وأعمال. كما في قوله تعالى فوّل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى.. الخ.

الآية (١٠٨) من سورة يوسف صفحة ٣١٩، فهي بمعنى الصراط المستقيم في الآية (١٥٣)، المقدمة.

المعنى: - ومن النصارى أخذنا أيضاً العهود كما أخذناها على اليهود، وما أخذ عليهم كثير منه ما اشتركوا فيه مع اليهود كالإيمان بالرسول الذى يأتى ونصيرته، ومما افتردوا به أن المسيح عين الرسول الذى سيأتى بعده باسمه ومع ذلك كفروا به، انظر الآية (١) من سورة الصف صمفتى ٧٢٩، ٧٣٨: ففسى هؤلاء أيضاً نصيباً مما ذكرهم الله به فى الإنجيل، فكان جزاؤهم أن هيج الله وقوى بينهم أى بين النصارى بعضهم مع بعض التعادى والقتال والبغضاء أى الكراهية، وهو من عطف السبب على المصنّب، إلى يوم القيامة، وقد تحقق هذا إلى يومنا هذا، فلم نر أملاً ملء واحدة يتقاتلون جرئاً وراء الشهورات والمطامع مثل ما نرى بين النصارى وهذا جزاؤهم فى الدنيا، وسوف ينالهم الله بما كانوا يصنعون فى الآخرة، أى فسيُعاقبهم أشد العقاب.

المفردات: ١. العدد ٢. أى التعادى
المسبب للقتال.

هو القضاء: أي الكراهة وهو من عطف
السبب على مسببه.

تؤنزلهم: إسماء به هنا القرآن، لأنه ينزل
الطريق لمن اتبعه كما سيأتي انظر الآيات
(١٥٧) و (١٧٤) من سورة النساء صفحة ١٣٣ و (١٥٧)
من سورة الأعراف صفحة ٢١٧ و ٢١٨ و
(٥٢) من سورة الشورى صفحة ٦٤ و (٨) من
سورة النحل ٧٤.

أَخَذْنَا مِنْهُمْ كَفَالًا ثَلَاثًا لَّزَكَاةِهِمْ وَأَمَرْنَا أَنِ يَأْتُوهُمْ آيَاتُ اللَّهِ الْعَذَابُ وَالْجَزَاءُ إِذَا بَرَأَ النَّفْسَ لِرَبِّهِمْ كَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٥٥﴾ يَكْفُلُ الْإِنْسَانُ مَا كَسَبَ رُسُلًا يَلْعَنُ لَكَ كَيْدَ رَبِّكَ كَتُمُ عَنْهُمْ وَشَهِدْ لَهُمْ لَكَ ﴿٥٦﴾ وَبَعَثْنَا لَبَّاسًا قَدْ كُفِيَ عَنْهُ كَمِيقًا لَّعَنَ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُ وَكَتَبَ صَبْرًا ﴿٥٧﴾ يُبَدِّلُ اللَّهُ بَإِذْنِهِ أَشْيَاءَ رُسُلِهِ لَنُصَبِّحَنَّ مِنْ أَجْلِ النَّارِ مَنًى وَنُصَبِّحَنَّ مِنَ الْعَالَمِ إِلَى الْأَرْضِ بِبَاقٍ وَنُصَبِّحَنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ بِأَشْيَاءِ أَلْسِنَتِهِمْ مَسْتَكْبِرِينَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ قَدْ كُنِيَ قَبْلَ هَذَا لِكُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ مَائِكَةً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾

فروكتاب مبين ﴿٤﴾: فهمين ﴿٥﴾ أى موضح لطرائق النجاة، ولما وصف الكتاب بهذه الصفة واكتسب معناها صرح علقه على ما قبله من قبيل علقه الصفة على الصفة، كما تقول جاء محمد العالم والكريم، ومما يؤيد أن الكتاب هنا هو والنور يدلان على شيء واحد إرادة الله تعالى أن يكون الكتاب والنور واحدًا، ولو كانا متغايرين لقال ﴿٦﴾ فهمهما ﴿٧﴾.

فيمضي به: المراد يزيد هداية، انظر الآية (١٢) من سورة الكهف صفحة ٢٨١ والآية (١٧) من سورة سجد صفحة ١٧٥.

﴿وَرَضِوانَهُ﴾. قال الراغب: الرضوان هو الرضى التام، ولما كان أعظم الرضا هو رضى الله سبحانه خضع لشيطة الرضوان فى القرآن بما كان من الله. انظر الآيات (٧٢) من سورة التوبة

١٠. (٤) الكِتَابُ.

(١) متابعه.

(٧) السلام.

(7) مضمانه.

(١٠) الاسماء

(٩) مصراة

(١٠) الخلفاء

في مضيق من الأرض حتى لا يجدوا للحرب مجالاً، فإن دخلتم معتمدين على الله فإنكم ستغلبون، فلا تجبنوا، وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين، لأن وعد الله حق.

فقالوا غير مباليين ولا منتقمين بنصيحة: لن ندخلها ما داموا فيها فاذهب يا موسى أنت وريك فقاتلا الجبارين، قالوا ذلك استهزاء وعدم مبالاة بأمر الله لقسوة قلوبهم وبعدمهم عن الأدب، إنا ههنا قاعدون ننتظر النتيجة.

قال موسى: يا ربى إني لا أملك إلا أمر نفسي ونفس أخى هارون، وهذا منه عليه السلام شكوى إلى الله واعتذار وتصل من عصيان قومه، فافرق أى احكم بيننا وبينهم بما يستحقه كل منا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وأراد بذكر نفسه وأخيه فقط قلة الموافقين لا الحصر، وإلا فمعه الرجال اللذان يخافان الله.

فقال سبحانه مجيباً دعاء موسى: إن الأرض المقدسة محرم عليهم دخولها وتملكها أربعين سنة يتيهون فى الأرض، أى يسيرون فى بركة من الأرض تائهين، لا يستقرون فى مكان، وكانت هذه الأرض فيما بين مصر والشام، فلما مات هؤلاء الكبار فى التيه حتى موسى وهارون ماتا فيه أيضاً ونشأ بعدهم ذرية لم تألف الذل الذى كانوا فيه فى مصر على يد فرعون فكانوا شجعاناً ودخلوا الأرض المقدسة، فلا تأس أى لا تحزن على تعذيب القوم الفاسقين الخارجين عن طاعة ربهم.

ولما كان العامل لليهود على محاربة نبينا محمد ﷺ هو الحسد والغيرة، أراد سبحانه أن يسليه على حسدهم، ببيان أن الحسد قديم فى طبع الإنسان، وأنه كان السبب فى أظلم الجرائم، فذكر قصة آدم فى ذلك.

فقال: وأتل أيها النبي على أهل عصرك بما قهيم أهل الكتاب خير ابنى آدم هابيل وقابيل تلاوة مقرونة بالحق والصدق، حين قرب كل منهما قرباناً فتقبل الله قربان هابيل لتقواه ولم يتقبل قربان قابيل لعدم تقواه، فقال قابيل لأخيه حسداً: لا تقتلك.

فقال أخوه: إنما يتقبل الله من المتقين، أى فليس الذنب عندى، بل أبحث عن العيب فى نفسك وأصلحها، والله يا أخى لئن مددت يدك إلى تقتلنى فما أنا بفاعل مثلك.

يَعِىَ إِلَيْكَ لَا أَفْلَكَ إِنَّ أَهْلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾
إِنَّ أَرِيدَ أَنْ تَبْرَأَ بَيْنِي وَأَمَّاكَ فَتَكْفُرْ مِنْ أَخِي
النَّارِ وَكَأَنَّكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ فَلَقَوْتَهُمْ فَقَتَلَهُمْ
فَقَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَاصْبِرْ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ قَبِلَ اللَّهُ
عُرْبًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَ أَخِيهِ
قَالَ تَوَلَّيْتُ أَعْمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ هَذَا الْقَرْبِ
فَأَرَى سَوْءَ أَخِي فَلَمَّحَ مِنَ الْبُذِينِ ﴿٤﴾ مِنْ أَجْلِ
ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ تَقْتُلُوا نَفْسًا يَغَيِّرُ
نَفْسًا أَوْ قَادِي الْأَرْضِ فَكَاتَمَ قَتْلَ النَّاسِ جَيْمًا
وَمِنْ أَحْكَامٍ نَكَّاتٍ أَحْيَا النَّاسَ جَيْمًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ
لَشُرُوءٌ ﴿٥﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فِي الْآيَةِ (٧٧) من سورة هود صفحة ٢٩٥ .

المعنى: - قلن أفلتك أبداً ولو دفاعاً خوفاً من الله أن يرأى سافكاً لدم إنسان، ولما كان الوعظ الدقيق ربما لا يفيد أتيه بالتذكير بغضب الآخرة فقال: إني أريد أن ترجع إليهم قتلتي ولتلك السابق فتحمل ذنبين بعد أن كان عليك ذنب واحد فتكون بذلك من أصحاب النار. فهوت له نفسه الأمانة بالسوء قتل أخيه فقتله، فصار من الخاسرين لأقرب الناس إليه ولنعيم الآخرة. ولما كان هذا: أول موت تحير قابيل فى كيفية مواراة أخيه التى يسوءه أن يراها بارزة، فبعث الله غراباً فى الأرض ليؤى الله القاتل كيفية مواراة سوء أخيه، قال أبو مسلم إن

- | | |
|---------------|--------------|
| (١) العالمين | (٢) أصحاب |
| (٣) جزاء | (٤) الظالمين |
| (٥) الخاسرين | (٦) يورى |
| (٧) يا ويلتا | (٨) هاواري |
| (٩) التاديب | (١٠) إسرائيل |
| (١١) بالبينات | (١٢) جزاء |

المفسرذات: «أن تبوء يا يائسى وإثمك»:
المراد ترجع إليهم قتلتي وإثمك الذى كان سبب عدم قبول قربانك.
«فقطعت له نفسه»: أى سهلت له.
«سوءة»: السوءة هى العورة التى يسوء منظرها.

«يا ويلتا»: أصلها يا ويلتي فأبدلوا ياء المتكلم ألفاً، وهى كلمة يقولها المتحسر عند حلول الدواهي، انظر الآية (٤٩) من سورة الكهف صفحتى ٢٨٧، ٢٨٨. ويقولونها المتعجب عند سماعه شيئاً غريباً عليه كما

المفردات...: ﴿هُمُكَادُ﴾: أي مفسدين.
﴿مِنْ خِلَافٍ﴾: أي تقطع اليد اليمنى من
آخر الكف والرجل اليسرى عند القدم.

﴿وَابْتَغُوا﴾: أي اطلبوا.

﴿الْوَسِيلَةَ﴾: هي كل ما يتوسل به إلى
رضاء الله تعالى، وهي اتباع ما أمر به
سبحانه وترك ما نهى عنه قال ابن كثير في
تفسيره: قال ابن عباس الوسيلة هنا هي
القرى أي الطاعة. وكذا قال مجاهد وأبو
وائل والحسن وقتادة وغيرهم، وعبارة قتادة
(أن يتقربوا إلى الله بطاعته والميل بها
برضاه).

ثم قال ابن كثير: وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه.

﴿وَكَلَّا﴾: هو التنزيه الشديد.

المعنى: إن محاربة الله ورسوله هي إثارة الفتن والفتن بالأمم، انظر الآية
(١٠٧) من سورة التوبة صصفحة ٢٦٠، والذين يفعلون ذلك هم الذين يسمعون في الأرض
مفسدين، ويسعون في اصطلاح الفقهاء محاربين، وفي عصرنا بالخارجين على القانون،
ويشترط فيهم أن يكونوا عصبة ذات قوة مسلحة تعترف السلب وهتك الأعراض وقتل من
يقتل في طريقها عنوة جهاراً، فجزاء هؤلاء أن يقتلوا أو يصلبوا إلى آخر ما ذكر من أربع
عقوبات يحاقب الإمام بها على قدر الجريمة، فإن كانت الجريمة هي الإفساد بالقتل فقط
قلته، وإن كانت بالقتل وأخذ المال صلبه، بأن يرتبط حياً في خشية أو شجرة مثلاً حتى يموت،

(١) خلاف.	(٢) وجاهدوا.	(٣) القيامة
(٤) يجارحون	(٥) تكلا.	

عادة الغراب البعث في الأرض ليدفن ما يخطئه، ويظهر أن الغراب أطل البحث بدليل قوله
﴿يُبعث﴾ الذي يدل على تكرار الفعل بخلاف ما لو قال (بعث)، ولما رأى قابيل ذلك تعلم منه،
ولما شعر أنه جاهل وأقل خبرة من الغراب قال متعسراً: يا ويلتا أبلغ من عجزى أن أكون أقل
من الغراب تصديقاً للأنبياء.

ومن عجيب أمر الإنسان الذي يفخر بأنه أرقى الحيوانات أنه تعلم أول مرة على غراب.
فأصبح من النادمين بسبب تحيره وكون الغراب أحسن منه، وتبرؤ إليه منه.

ومن أجل فظاعة هذا الحرم العظيم واستعداد الناس للحسد الباعث عليه، فرضنا وحكمنا
على بني إسرائيل في التوراة، وخض في الذكر بني إسرائيل مع أن هذا الجزاء ثابت لمن
قبلهم، لما تميزوا به عن سائر خلق الله من شدة الحسد ومن جرأتهم على هذا الذنب مع
إشراف الخلق، فهم أشعب الوحيد الذي قتل أنبياءه، فكان المعنى حكمنا على كل قاتل
خصوصاً إذا كان من بني إسرائيل، ثم بين الذي كتبه فقال: أنه من قتل نفساً بغير نفس
يوجب القصاص الآتي في الآية (٤٥) الآية صصفحة ١٤٥، ١٤٦: أو بغير فساد في الأرض بما
سيأتي بيانه في الآية الآتية، فكانما قتل الناس جميعاً لاشتراك الاثنين في انتهاك حرمة
الدماء والخروج على الله واستجلاب غضبه، ومن أحيائها بأن كان سبب بقاتلها حية، كان دفع
عنها القاتل أو انتقامها من ملاك مطلقاً، فكانما أحيى الناس جميعاً في استحقاق رحمة الله
وبخزول ثوابه وقد جاء في عقاب ابن آدم هذا قول النبي ﷺ: (كل نفس تقتل بغير حق يكون
على ابن آدم الأول كفل منها لأنه هو الذي سن هذه السنة السيئة).

ولقد جاءت بني إسرائيل رسلاً بالأدلة الواضحة على صدقهم وعلى حرمة القتل ثم إن
كثيراً منهم بعد المكوب عليهم وإرسال الرسل لمسرفون في الأرض بالقتل والبغى. ولما كانت
الآية تشتمل على القتل لا يكون إلا قصاصاً أراد أن يبين أنه يكون أيضاً للمفسدين، وفي بعض
الفساد من الشرور والفتن ما هو أشد من القتل، فقال:

إنما جزاء الذين يحاربون الله بجهادية تعاليم كتابه وعدم امتثالها، ورسوله بجهادية إرشاده
وسنته التي بين بها القرآن...

وإن كانت سرقة تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، وإن لم يحصل منهم شيء سوى إخافة الناس وإزعاجهم ينفوا من الأرض التي أفسدوا فيها إلى مكان بعيد، والسجن مثل النسي. ولما كان خطر هؤلاء شديداً عجز في عقابهم بصيغة التفعيل الدالة على الشدة في النكابة بهم. ولذلك أيضاً جمع بين قطع اليد والرجل في السرقة مع أنه في سرقة الفرد العادية حكم يقطع يد واحدة كما في الآية (٢٨) الآية. ذلك الجزاء فضيحة لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. ومن هذا يعلم أن الحدود لا تكسر الذنب، ولكن ورد في بعض الأحاديث ما يدل على أن التوبة الصالحة مع الحد تكسر. ومن أراد تفصيل الموضوع وبيان الحق فيه فليرجع إلى شرح حديث رقم (٧) من كتابنا صفة صحيح البخاري. فإن تاب هؤلاء المفسدون قبل تمكن الإمام منهم فلا يقام عليهم الحد المتقدم، لأن توبتهم وهم في قوتهم تدل على أنها صحيحة. لأنه سبحانه غفور لهما سلف، رحيم برفع العقاب عنهم، والذي يرتفع عنهم هو حق الله تعالى فقط. أما إذا سرفوا فلا بد من رد المسروق لأهله، وإذا قتلوا فالأمر مشترك لأصحاب الدم إن شاءوا عفواً وأخذوا الدية إلى آخر ما ذكر في شرح حديث رقم (٧) من كتاب صفة البخاري المتقدم.

فيأتيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتعدوا عن معاصيه، واطلبوا كل عمل يوصل لرضاه. وجاهدوا أنفسكم بمنعها عن الشرور، وجاهدوا الكفار والمعارضين بكل ما تستطيعون. لعلمكم تنوزون في الدنيا بالغز وفي الآخرة بالنعيم.

إن الذين كفروا لو فرض أن لكل واحد منهم ما في الأرض جميعاً، انظر الآية (٥٤) من سورة يونس صفة ٢٧٤، ومثله معه أيضاً وبذلوه ليفتدوا به من العذاب يوم القيامة ما تقبل منهم، بل ولهم عذاب شديد الألم بعد رفض الفداء. يومئذ يتنمون أن يخرجوا من النار بأي ثمن، وما هم بخارجين منها ولهم عذاب دائم. وبعد ما بين حكم السرقة الكبرى أراد بيان حكم السرقة الصغرى فقال: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» فإن سرق مرة تقطع اليد اليمنى بالطريقة المتقدمة في الآية (٣٢). وإن سرق ثانياً تقطع رجله اليسرى. فإذا عاد ثالثاً تقطع اليد اليسرى. وفي الرابعة رجله اليمنى لأجل جزائه بما فعل، وللتكامل به أي تشديد العقوبة، والله عزيز لا يعجز عما يريد. حكيم يشرع لكل ذنب ما يناسبه. فمن تاب عن السرقة من بعد ظلمه نفسه بها.....

وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٩
الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ١١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٢
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ١٣
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ١٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٦
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ١٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٨
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ١٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٠
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٢١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٢٣
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٤
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٢٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٦
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٢٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٨
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٢٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٠
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٣١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٣٣
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٤
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٣٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٦
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٣٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٨
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٣٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤٠
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٤١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٤٣
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤٤
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٤٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤٦
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٤٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤٨
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٤٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥٠
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٥١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٥٣
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥٤
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٥٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥٦
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٥٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥٨
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٥٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٠
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٦١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٦٣
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٤
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٦٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٦
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٦٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٨
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٦٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧٠
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٧١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٧٣
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧٤
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٧٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧٦
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٧٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧٨
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٧٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٨٠
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٨١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٨٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٨٣
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٨٤
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٨٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٨٦
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٨٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٨٨
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٨٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩٠
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٣
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩٤
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩٦
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٧
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩٨
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٩٩
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٠

المفسر: «... يسارعون في الكفر». يقومون فيه مسرعين. الذين هادوا: هم اليهود. يحرفون الكلام عن مواضعه: يغيرون كلام التوراة مبعدين له عن مواضعه التي وضعه الله فيه. السحت: الحرام كرشوة وربا وأخرى. المعنى: فمن تاب وأصلح عمله ورد المسروق لأصحابه فإن الله يقبل توبته لأنه كثير المغفرة والرحمة.

ألم تعلم أيها المخاطب أن الله له ملك السموات والأرض يدبر أمرهما بالحكمة والعدل. يذهب من يشاء ممن أفسدوا وعصوا. ويفرض لمن يشاء ممن تابوا وأصلحوا، لأنه قدير على كل شيء من تعذيب أو مغفرة ورحمة.

وكان يهود المدينة وما حولها يدعون التمسك بالتوراة، فوقع فيهم حادث زنا من محصنين وخافوا عليهما من حكم التوراة، فأرسلوهما إلى النبي ﷺ. وقالوا إن وجدتم عند محمد حكماً أسهل فأرسلوا به وأقبلوه وإلا فلا، فلما جاءه رسول الله ﷺ وسأله قال: ما تجدون في كتابكم؟ يريد التوراة، قالوا:

- (١) السموات
- (٢) يسارعون
- (٣) ينفقونهم
- (٤) ساعون
- (٥) ساعون
- (٦) ساعون
- (٧) ساعون

المفردات: ﴿التقسما﴾: المدل.

﴿هدى ونور﴾: أى فيها ما يهدى إلى ما فيه سعادة الأخرى وما يضيء طريق الحياة فى الدنيا.

﴿الذين هادوا﴾: أى رجعوا من الكفر إلى الإيمان، والله راد بهم اليهود.

﴿الريانيون﴾: هم أهل الورع من أجبارهم كما تقدم فى الآية (٧٩) من سورة آل عمران صفحتى ٧١، ٧٥

﴿الأحبار﴾: هم علماء اليهود.

﴿استحفظوا﴾: أى جعلهم الله تعالى حفظة ما علموه من كتابه وهو التوراة.

عَمِهِمْ مَن يَصْرُوكَ فَيَكُونُ فَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالنِّسْبَةِ إِنَّ اللَّهَ يُلْقِي الْكَلِمَةَ الْغَوِيَّةَ ۖ وَكَفَى بَعْجَتَكَ وَعِدَّتُهُمْ تُؤَدُّونَهَا فَيَحْكُمُ اللَّهُ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَيَعِدُّ ذَلِكَ وَمَا أَرْزَاكَ بِالثَمَرِ مِنْهُ ۖ وَإِنَّا أَرْزَاكَ الْتَوْرَةَ رَبِّهَا عَلَى نُورٍ وَنُورٍ يَخْجُرُ بِهَا الْيَهُودُ الَّذِينَ أُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ كَذُورًا وَرَبُّنَا فَلَا يَخْشَوْنَ الْعُنَافَ يَاسِرُونَ ۚ وَلَا تَسْتَبْذِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ أَكْوَافًا ۚ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْتَخِنُ الْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَلَا تُخَفُّونَ بِهِ شَيْئًا ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْتَخِنُ الْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَلَا تُخَفُّونَ بِهِ شَيْئًا ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْتَخِنُ الْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَلَا تُخَفُّونَ بِهِ شَيْئًا ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ

﴿والجروح قصاص﴾: أى متمثلات.

انظر الآية (١٩٤) من سورة البقرة صفحة ٣٨.

المعنى: . وإن اخترت الإعراض فلا تخش غضبهم لأنهم لن يضروك شيئاً قليلاً فضلاً عن الكثير، لأن الله عاصمك من الناس، وإن اخترت الحكم فاحكم بينهم بالعزل لأن الله يحب العادلين.

وتعجب أيها النسي من حال هؤلاء كيف يحكمونك وعندهم التوراة فبها يحكم الله في المسألة التى سألوك عنها، ومساك منهم لطالب الحق، وإنما جردى وراء الدماء وواتهم الأسهل، وإذا قال:

- (١) التوراة.
- (٢) الربيانيون.
- (٣) كتاب
- (٤) يتأني
- (٥) الكافرون.

نسود وجوههما ونفضعهما. فقال ﷺ: كذبتهم، فأتوا بالتوراة فأتوها إن كنتم صادقين، فجاءوا بها ويقارئ يعرف العبرية فقرا حتى وصل آية الرجم وضع يده عليها وتخطاها، وكان عبد الله بن سلام حاضرا فقال:

ارفع يدك، فرفعها فوجدوا مكانها آية الرجم، فامر ﷺ به، وأنزل الله فيهم وفى المنافقين منهم ومن غيرهم ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك﴾ الخ؛ أى لا تهتم بمسارعة الذين يسارعون إلى التعمق فى الكفر بالتعيز إلى أعداء المؤمنين من المشركين.

ثم بين هؤلاء المسارعين فقال: هومن الذين قالوا أمنا بأقرانهم ولم تؤمن قلوبهم﴾، وهم المنافقون.

ومن الذين هادوا قوم سمعوا من أى كثير الاستماع منك تجسسا عليك ليكنبوا ويعرفوا ما تقول ليصرفوا الناس عنك، سمعوا ما تقل لأجل تقل ما تقول تقوم آخرين لم يأتوك وتجبوا، وهم زعماءهم وأصحاب الرئاسة فيهم، وهم الذين أرسلوا غيرهم يسأله ﷺ عن حكم الزنا؛ هؤلاء المتكبرون يعبرون كلام التوراة مبعدين له عن مواضعه بالطرق التى بينت فى شرح الآية (١٢) من هذه السورة صفحة ١٢٨، يقولون لأتباعهم الذين أرسلوهم إليه ﷺ: إن أوتيتهم من محمد حكما أخف من الرجم فخذوه وارضوا به وأقبلوه ولا فاحذروا قبلوه.

ثم قال سبحانه فى هؤلاء اللاعنين بدنيهم:

ومن يرد الله فتنته أى فضيخته وخزيه بإظهار ما فى نفسه فإن تملك ما يدفع ما يريد الله له. وعمل ذلك بقوله:

أولئك هم الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم من الكفر والنفاق، لأن الصد صار طبعاً لهم، فهم كما فى الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤، لهم فى الدنيا خزي بالفضيحة والنم ينصم المؤمنين، ولهم فى الآخرة عذاب عليم.

ثم ذكر صفات أخرى لهم تؤكد استحقاقهم الخزي فقال:

﴿هسماعون للكذب﴾ الذى يفتره رؤسائهم على كتاب الله، كثير أكل الحرام، وإذا كان حالهم كما علمت فإن جاءوك متحاكمين إليك فانت مخير أيها النسي بين الحكم بينهم أو الإعراض عنهم.

ثم يتولون من بعد قبول التحكيم إذا لم يوافق حكمك أهواءهم، وليس هؤلاء بالمؤمنين في الواقع، لا بالتوراة التي في أيديهم، ولا بك عند تحاكمهم إليك.

ثم أظهر جرمهم في حق التوراة فقال:

إنا أنزلنا التوراة فيها ما يهدي إلى طريق الوصول إلى رضا الله، ونور يضيء ما خفى على الناس من طريق الحياة السعيدة، يحكم بها النبيون كموسى ومن بعده إلى بعثة عيسى الذين اتقادوا وخضعوا لحكم الله، وهذا يشعر بدم اليهود الذين تمردوا عليها؛ يحكمون بها لليهود، ويعلم بها أيضًا الربانيون والأحبار بما جعلهم الله تعالى حفظة أمانة عليه من شرعه الذي في كتابه.

وكان هؤلاء النبيون ومن بعدهم شهداء أى رقباء يحمون الكتاب من التغيير كما فعل عبدالله ابن سلام، انظر شرح الآية (٤١) من هذه السورة صفحة ١٤٤.

وإذا كان الأمر كما ذكر من عناية الله تعالى بكتبه فلا نخشوا أيها الأحبار الناس وخافوني في ترك أمرى فإن النفع بيدى، ولا تتركوا آياتى التى فى التوراة وتأخذوا بدل إهمالها عوضاً حقيقياً من الرشوة أو الجاه.

ثم أيد كونهم غير مؤمنين بقوله: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» متى استعملوا ذلك، وفرضنا على بنى إسرائيل فى التوراة من العقوبات أن النفس تؤخذ بالنفس إذا شئت عمداً بغير حق، والعين تنقأ بالعين، والأذن تقطع بالأذن، والسنان تجلج بالسنن، والجروح ذوات قصاص، أى يقتص من الجاني بمثل ما فعل بالمجنى عليه إن أكن كاليد باليد والرجل بالرجل، وما لا يمكن فيه ذلك كما لو ضربه بقطعة عظم فى مخ رأسه فإنه لا يمكن أن يفعل به ذلك تماماً، ففى هذه الحالة يقدر تعويض مالى.

وقد أقررت شريعتنا هذه الأحكام فوضعت ما جاء فى الآية (١٧٨) من سورة البقرة صفحة ٢٤، فمن تصدق بما ثبت له من الحق بأن عفا عن الجاني فالتصدق كفارة يكفر بها ذنبه، ويعفى عنه كما عفا عن أخيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فى هذه الجنايات وأهمل العقاب بالمثل فأولئك هم الظالمون...

الظَّالِمُونَ ﴿١٧٨﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِزِهِم مِّمَّا يَصْرِفُونَ ﴿١٧٩﴾ وَبَدَّلْنَا بُحَيْرَةَ لُقْيَا فِيهَا يُتْرَكُ مَا يُغْنِي عَنْهُمْ وَالْعِثْرَةُ نَازِلَةٌ ﴿١٨٠﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ وَءَاتَيْنَا الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٨١﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِمْ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٨٢﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٨٣﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٨٤﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٨٥﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٨٦﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٨٧﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٨٨﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٨٩﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩٠﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩١﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩٢﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩٣﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩٤﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩٥﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩٦﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩٧﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩٨﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿١٩٩﴾ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ سَاحِقُ الْأُتْرِفِ ﴿٢٠٠﴾

على ذلك قراءة حمزة «وليحكمكم» بكسر اللام وفتح الميم، أى وأنزلنا الإنجيل هادياً وموضحاً ومصداقاً ولأجل أن يحكم أهلهم بما طلب منهم العمل به فيه من الإيمان بخاتم المرسلين ووجوب اتباعه، انظر الآية (١٥٧) من سورة الأعراف صفحات ٢١٧، ٢١٨ و(٦) من سورة الصف صفحات ٧٢٨، ٧٢٩.

«لما بين يديه من الكتاب»: لما سبقه من الكتب السماوية، فالكتاب مراد به الجنس، فيشمل التوراة والإنجيل.

- (١) الظالمون.
- (٢) آثارهم.
- (٣) التوراة.
- (٤) الفاسقون.
- (٥) الكتاب.
- (٦) الإنجيل.
- (٧) واحدة.
- (٨) اتاكم.
- (٩) الخبورات.
- (١٠) الخبورات.

المفردات: «وقفينا على آثارهم»: أى بعثنا عيسى متبعاً آثار هؤلاء النبيين الذين كانوا يحكمون بالتوراة.

«وليحكم أهل الإنجيل... إلخ»: فى الكلام تقدير قول مقدر وذلك معهود عند العرب وكثير فى القرآن.

انظر الآيات (٤٩) من سورة الأعراف، صفحة ٢٠٠؛ و(٥٨) من سورة الصافات، صفحة ٥٩٠؛ و(٣١) من سورة الجاثية، صفحة ٦٦٤؛ و(٢٠) من سورة الأحقاف، صفحة ٦٦٩.

والأصل قلنا لهم «ليحكمكم... إلخ» ويدل

وانزلنا إليك أيها النبي الكتاب الكامل وهو القرآن مقتضباً بالحق في كل أحكامه، مصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية، ورفيقاً عليها يقر ما فيها من الحق، ويبين ما دخلها من التحريف، فاحكم أيها النبي بين أفراد أمك التي بعثت إليها بما فيها من أهل الكتاب بما أنزل الله في القرآن، ولا تتبع أهواءهم مبتعداً عما جاءك من الحق في هذا القرآن بأن تحكم بما حرقه مما يسهل عليهم شهواتهم.

لكل أمة منكم أيها الناس كافة جملة سريعة ومطريفاً في الأحكام العملية تناسب عصرها واستعدادها، انظر الآية (٦٧) من سورة الحج صفحة ٤٤٢، أي فيجب على أهل الكتاب أن يخضعوا لهذا الشريع الأخير الناسخ لكل ما سبقه في الأعمال، أما العقائد فهي واحدة عند جميع الأنبياء كما في الآية (١٢) من سورة الشورى صفحتي ٦٣٩، ٦٤٠.

ولو شاء الله أن يجمعكم أمة واحدة ذات شريعة واحدة لجمعكم كذلك بأن يخلفكم على استعداد واحد، ويلزموكم حالة واحدة، ولا يختلف أحد منكم عن الآخر في عقله ولا في تفكيره مهما تغير الزمن والوطن.

ولكنه لم يشأ ذلك، بل جعلكم مختلفي العقول والأخلاق والاختيار، فلا تصلح لكم شريعة واحدة مع تطور الزمن، فجاء لكم بشرائع صالحة لحالكم، ليجتريكم فيما أعطاكم من الشرائع والنعيم، فيظهر المطيع والمعاصي.

ولما كانت الشريعة الإسلامية هي النهائية الخالدة جاء بها في غير العقائد والمبادئ مرتنة لتصلح لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، ولم يأت بنهي قاطع إلا في أمهات الفضائل وأمهات الرذائل التي لا تختلف في عصر عن عصر، كبر الوالدين والإحسان للفقير والصدق، وتحريم الكذب، وقتل البريء، إلى غير ذلك. وإذا كان الأمر كذلك فسارعوا إلى ما هو خير لكم، لأن ذلك مقصود كل الشرائع، إلى الله مرجعكم يوم القيامة. جميعاً، فبينكم بما اختلفتم فيه، فيظهر من كان على حق ومن كان على باطل.

وانزلنا إليك أيها النبي القرآن، وانزلنا إليك قولنا لك أن احكم بينهم أي الأمر بالحكم الخ، وليس مكرراً مع الأمر بالحكم أولاً، بل ليفيد أن الأمر به كان فيما نزل عليه، وهذا يفيد عناية خاصة.

وهيئنا عليه: أي رقبيا على ما سبقه من الكتب يقر الحق ويظهر خطا ما صرفوه.

﴿شريعة﴾: هي الشريعة.

﴿ومناهجها﴾: أصله الطريق الواضح فعلقه على الشريعة عطف تفسير لبعض صفات الشريعة.

﴿وليلوكم﴾: أي يختبركم أي يعاملكم معاملة المختبر ليظهر للناس عملكم، واللام متعلقة بمقدر مفهوم من سياق الكلام والمعنى: ولكن أرادت حكمتنا أن تكونوا متفاوتي الاستعداد فتختلفوا فيتم اختباركم انظر آيتي (١١٨، ١١٩) من سورة هود صفحة ٣٠١.

﴿وفاسدات﴾: أي اختبارات: أي ابتدروها وسارعوا إليها انتهزاً للفرصة انظر الآية (٩١) من سورة يونس صفحة ٢٨١ والآية (٣١) من سورة الرعد صفحة ٣٢٦.

المعنى: هم الظالمون لأنهم ظلموا أحد الخصمين بهضم حقه، ولم يحكموا بالعدل وبشأ عيسى بن مريم بعد أولئك النبيين مصداقاً بقوله وعمله لما سبقه وهو التوراة، ولم يغير فيها إلا ما أحله لأمته من بعض ما حرم على من سبقهم كما في الآية (٥٠) من سورة آل عمران صفحة ٧١، وأعطينا عيسى الإنجيل مشتملاً على هدى من الضلال في العقائد، ونور بضئ السائر طريق الصواب في أحكامه العملية، ومصداقاً لما سبقه من التوراة أيضاً.

فالمسيح مصدق للتوراة بقوله وعمله، والإنجيل مصدق لها بنصوصه، وهذا الإنجيل هدى... إلخ: أي شديد الهداية أكثر من التوراة لما فيه من المواعظ الروحية المخففة من غلظة قلوب بني إسرائيل ويتبع به المتقون منهم قبل غيرهم..

وإذا كان هذا حال الإنجيل فإننا قلنا لهم بعد نزوله عليهم: ليحكم أهلهم وهم النصاري بما أنزل الله فيه من الأحكام التي أمرهم الله تعالى بالعمل بها، ومن لم يحكم منهم بما فيه فأولئك هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله.

فأبى الله، فأنزل الله: ﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم﴾ إلخ.

فتكون الآية إقرار له ﷺ على ما فعل وأمرًا له بالثبات وعدم الانخداع بهم. فإن تولوا عن حكمك فاعلم أن حكمة الله في ذلك هي أن إرادته تمت على أن يصيبهم أي يعذبهم ببعض دنوبهم في هذه الحياة، أما في الآخرة فيؤفقيهم جزاء كل دنوبهم. ثم سلا ﷺ بقوله:

﴿وَأَن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ وإذا عرضوا عن حكمك فهل حكم الجاهلية يطلبون وهو حكم يسير وراء الشهوات لا وراء العدل؟ ولا أحد أحسن من الله حكمًا عند قوم يوقنون بصحة شرعه.

ولما كان المنافقون في المدينة كثيرين ويخشى منهم، وقد اغتر المؤمنون المخلصون بظواهرهم، ويخشى أن يطعموا الكفار على أسرار المؤمنين، حذر الله موالاة الأعداء من اليهود والنصارى فقال:

﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّاصِرَةَ آلِيَاءَ﴾ لأن بعض اليهود يوالى ويصادق بعضهم الآخر، وكذا النصارى، وأيضاً مجموع اليهود والنصارى يجتمعون في عداوتهم للمسلمين.

وإذا كانت عداوة اليهود أشد، وإذا كان كل منهم يحصر مودته لأهل ملته، فكيف توالونهم أنتم أيها المؤمنون، ومن يتولاهم منكم بعد الآن فإنه يعتبر منهم، فهو ضال لخلالهم، والله لا يهدى القوم الظالمين بوضع الولاية والصداقة في غير موضعها.

فترى الذين في قلوبهم مرض النفاق يسارعون في مودة الأعداء يقولون معتذرين عن عملهم: نخاف أن نصيبنا شدة فنحتاج إليهم. وهذا يدل على أنهم كانوا يتوقعون فشل المؤمنين وقوة الأعداء، انظر الآية (٩١) من سورة النساء صفحات ١١٦، ١١٧. فاصبر أيها النبي فعمسى الله أن يأتي بالفتح أي النصر لنبيه، أو أمر من عنده بفضيحتهم وهلك سترهم وقتل الأعداء، فيصحب المنافقون خادمين على نفاقهم.

وعند ذلك يقول المؤمنون بعضهم لبعض متعجبين: أهؤلاء هم الذين أقسموا بالله غاية جهدهم في توكيدها أنهم لمعكم وعلى دينكم؟

انظر مثل هذا في الآيتين (٥٦)، (٦٢) من سورة التوبة صفحات ٢٥٠، ٢٥١.

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاتَّخِذْهُمْ أَبْنَاءَ بَنِيكَ إِذْ تَتَذَكَّرُ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَإِنَّ تَوَلَّوْا فَعَلِمَ أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ اللَّهُ يُصْهِمُ بَيْنَهُمْ قُلُوبَهُمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٩١﴾ الْحَكْرُ الْجَهْلِيَّةُ يَبْعُونَ وَمِنْ أَحْسَنُ مَنِ اللَّهِ حُكْمًا يَقْرَءُونَ ﴿٩٢﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّاصِرَةَ آلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ يَكُنْ قَلْبُهُ مَشْوِيًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٩٣﴾ قَرَأَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ زُنُوبًا وَأَن صِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَغَسَى اللَّهُ أَنفُسَهُمْ بِالْفَتْحِ وَأَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فُضِّصُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تُبْذِرِينَ ﴿٩٤﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَذَا كَذِبٌ أَلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جِهْدًا كَثِيرًا وَهُمْ لَمْ يَأْتُوا بِالْحُكْمِ

المفردات: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّاصِرَةَ آلِيَاءَ﴾: أي إخلاء موالين لهم بالنصرة والمعون وإطلاعهم على أسرار دولتكم كما تقدم توضيحه في الآية (٢٨) من سورة آل عمران صفحة ٦٧.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: هم المنافقون.

﴿يَسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: أي يسارعون في مودتهم.

﴿دَائِرَةٌ﴾: مصيبة كبيرة مما يبدو به الزمان.

﴿بِالْفَتْحِ﴾: أي النصر.

﴿أَمْرٌ مِنْ عِنْدِهِ﴾: يقتل أعداء الإسلام وفضيحة المنافقين.

﴿جِهْدٌ أَيْمَانُهُمْ﴾: مؤكدين أيمانهم.

المعنى: .. ولا تتبع شهوراتهم المخالفة لما أنزل إليك، واحذر فتنتهم لك بصرفك عن بعض ما أنزل الله إليك ولو قليلاً.

روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: أن بعض أخبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعنا فتنته عن دينه، فأتوه فقالوا يا محمد إننا أحيار اليهود، ولو اتبعناك لاتبعتك اليهود كلهم، وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فننتحلكم إليك، فإن قضيت لنا صدقتنا.

- (١) لفاسقون.
- (٢) الجاهلية.
- (٣) والناصرى.
- (٤) الظالمين.
- (٥) يسارعون.
- (٦) تادمين.
- (٧) أيمانهم.

الخامسة يجاهدون في سبيل الله بإخلاص، والسادسة ولا يخافون لومة لائم.

وفيها تعرض بالمنافقين الذين كانوا يخافون قوة اليهود والمشرّكين.

ذلك المذكور من الصفات فضل الله بؤتيه من يشاء من عباده الصالحين، والله واسع في الفضل عليهم بمن يستحقه.

وقد تحقق هذا الخبر العجيب وارائد عن الإسلام ١١ فرقة، ثلاث في عهد رسول الله ﷺ وقد أمركم
والله تعالى، وسبع في عهد أبي بكر، وقتلهم رضى الله تعالى عنه حتى أقر الدين، وواحدة في
عهد عمر رضى الله تعالى عنه، وهم فئسان قوم جبلة بن الأيهم.

وقيل أن جبلة ندم بعد أن سافر إلى الشام وأسلم، ثم بين سبحانه من تجب موالاته بعد، وأنهى عن موالاته أعدائه فقال: ﴿وَإِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الخ أى ليس لكم أنهما المؤمنون ولى وناصر إلا الله ورسوله وأنفسكم، بعضكم أولياء بعض كما فى الآية (٧١) من سورة التوبة صفحته ٢٥٢.

ثم ذكر صفة المؤمنين بقوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم خاصصون لحكم الله متواضعون تواضع الصالحين.

ومن يقول الله بالإيمان به والتوكل عليه، والرسول والمؤمنين بمناصرتهم فإنه يغلب قلعها، والأولان حزب الله هم الغالبون وحدهم، ثم أعاد النّفس عن مودة اليهود والنصارى مبيناً شيئاً آخر لعدم موالاتهم فقال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا هُزُورًا أَيْ مَهْزُورًا، بِهِ وَمَسْخُورًا مِنْهُ، وَلَعِبًا أَيْ مَلْعُوبًا بِهِ وَادَاءَ تَسْلِيَةٍ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فَلَا تَوَالَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ صَادِقِينَ تَعْرِضُونَ عَلَى كَرَامَةِ دِينِكُمْ.

ثم ذكر نوعاً من استهزائهم فقال: وإذا ناديتكم أي أنتم وبعثتم الناس للصلاة اتخذوا الصلاة والعنادة لها هزواً ولعباً.

روى أنهم كانوا إذا رأوا المسلمين ساجدين يسبحون بهم، وإذا سمعوا المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله قال بعضهم هلك الكذاب ويتضحون، انظر الآيات (من ٢٩ إلى آخر سورة المطففين) صفحة ٧٩٨. ذلك الاستهزاء الواقع منهم بسبب أنهم قدم لا يقولون، لأن عدم العقل والسفه يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق.

جَهِتُوا إِلَيْهِمْ فَاسْجُدُوا لِلْخَيْرِينَ ﴿٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْ بَيْنِكُمْ مَنْ دَنَا إِلَى اللَّهِ فَطَرَفَ إِلَهُ أَيْ قَرَّبَهُ
وَدَنَا عَلَيْهِمْ أُولَئِكَ عَلَى الْخَيْرِينَ أَمْرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
يَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ لِلَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِهِ رَاسِعِينَ ﴿٥٦﴾ أَمَّا
وَلَيْسَ اللَّهُ بِرَسُولٍ وَأَلَيْسَ عَامِرُ الَّذِينَ يُغْمِصُونَ
السُّقْمَ وَيُوْرِثُونَ الزُّكُوفَ لَهُمْ كَمَا يُضِلُّ اللَّهُ
رُوسُلَهُ وَالَّذِينَ لَا يُغْرِبُونَ الْقُلُوبَ ﴿٥٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا الْغَيْبَ إِلَّا بِمَا
وَعَدَ مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الصَّكَّ فِيكُمْ وَلَا تَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ
وَأَمَّا اللَّهُ إِنَّ كَيْدَ فِتْنَتِهِمْ لَبَشِيرٌ وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا

المفردات :- وحبطت أعمالهم : أي بطلت وزهيت عبثاً .

وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٤﴾: المراد خاضعون لأمر الله عن طيب نفس مع انكسار المسالحين، ويقصد مثل هذا المعنى في الآية (٤٢) من سورة البقرة صفحة ٩.

المعنى: - فكان مآل نفاقهم أن جميع أعمالهم التي كانوا يوهومونكم بها أنهم منكم من صلاة وصيام وجهاد ذهبت عبثاً. فصاروا خاسرين لكل نافع، وأصبهوا في الدنيا بالمضيعة. وفي الآخرة بالدرك الأسفل من النار.

ولما كان عمل من يصادق خصوم الدين مستعداً للردة والكفر، أراد سبحانه أن يبين له صلى الله عليه وسلم حقيقة كانت خافية عليه يطمئن لها قلبه فقال: **وإياها الذين آمنوا، اى دخلوا فى الإيمان حقيقة أو تظاهروا، من يرد أى يرجع إلى الكفر فسوف يأتى الله بهم يقوم فيهم ست صفات حميدة:**

الأولى يحبهم الله وقد سبق في الآية (٣١) من سورة آل عمران صفحة ١٨ معنى حب الله وأن من آثاره المغفرة وحسن الجزاء.

والثانية يعجبه ومن آثار ذلك أنهم لا يبالغون إلا بما يرضيه،

الثالثة والرابعة أدلة على المؤمنين أمة على الكافرين، وينسرها قوله تعالى في آخر سورة الفتح ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ الآية (٢٩) من سورة الفتح صفحتين ٦٨٣، ٦٨٤.

(١) أعمالهم.
(٢) أنكافيرين.
(٣) وأوسع.
(٤) الركاة
(٥) التاليفين
(٦) الكتاب
(٧) راكمون
(٨) الصلاة.
(٩) يجاهدون.
(١٠) خاسرين.
(١١) خاسرين.

(ii) H_2O .

أرسل إليهم، ويحزن إذا حرموا منه، كما في الآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٣٨٠

ولما قدم أن مجرد حمل الكتب لا ينفذ أراد أن يبين النافع المنجي فقال: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا...﴾ إلخ وتقدم شرحها في الآية (٦٢) من سورة البقرة صفحات ١٢، ١٣، وغير إعراب الصابئين للحكمة المتقدم بيانها في الآية (١٦٧) من سورة النساء.

وهي هنا لفت النظر إلى أن الصابئين كانوا أهل كتاب، وأن حكمهم كحكم من لهم كتب من اليهود والنصارى والمسلمين في نفى الخوف عنهم إذا اخلصوا وعملوا الصالحات.

ولما كانت العناية بالمحافظة على اليهود هي المقصود الأسمى أعاد التذكير بها فقال: ﴿لقد أخذنا ميثاق...﴾ إلخ. تقدم أن الميثاق هو العهد المؤكد، وتقدم في الآية (١٧) من هذه السورة صفحة ١٢٨ ما أخذ به العهد عليهم، وأرسلنا إليهم رسلاً كثيرين لم يحصل مثله لامة أخرى، وذلك لكثرة ضرورهم وسرعة تمردهم على شرع الله عز وجل.

ثم بين كيف عاملوا رسولهم فقال: كلما جاءهم رسول بما لا تعميل إليه أنفسهم من ميثاق التكليف استكبروا كما صرح بهذا الجواب في الآية (٨٧) من سورة البقرة صفحة ١٧.

وكانت نتيجة هذا الاستكبار أنهم كذبوا فريقاً من الرسل وقتلوا فريقاً كزكريا ويحيى عليهما السلام، وقد تقدم أيضاً في الآية (٨٧) من سورة البقرة صفحة ١٧، وظنوا أن جرمهم هذا لا يصيبهم الله تعالى بسببه ببلاء وعذاب لزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، فعموا عندما ظهر الحق ولم يبصروا العبر فيمن مضى من الأمم، وصموا آذانهم عن سماع الحق.

ثم تاب الله عليهم لما تابوا، فنجاهم من إذلال البابليين لهم دهرًا طويلاً. انظر الآية (٥) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٤، ٣٦٥، ثم عمى وصم كثير منهم، وقليل منهم مقصد كما تقدم في الآية (١٦٦) من هذه السورة صفحة ١٥٠، والله تعالى بصير بما يعملون، وسيجازيهم بما يستحقون يوم القيامة.

ثم شرع في بيان قبائح اليهود وإبطلها فقال سبحانه: كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح، وقد تقدم الكلام على طوائفهم في الآية (١٧) من هذه السورة صفحة ١٣٩، قالوا هذا الباطل مع أن المسيح نفسه قال: يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم.

الْكِتَابَ لَمْ يَأْتِ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى يُبَيِّنَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَسُولٍ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
إِلَافَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ لَأَعْلَمَنَّكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ
وَالنَّصَارَى مِنَ أُمَّةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
فَأُولَئِكَ يَكُونُ لَكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ وَلَكُمْ جُحُودٌ عَنْ
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَالُوا
يَا لَا تَهْتَدُوا لَكُمْ فِتْنَةٌ أَمْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِآلِهَتِكُمْ إِلَّا الْبَاقِيَ الَّذِي كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِهِ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا أَسْمَاءُ بَنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ
وَكُنْتُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٥٢﴾ وَأَرْسَلْنَا
إِلَيْهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَقَالَ يَا قَوْمِ ارْجِعُوا
إِلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَوْلَاجُوعُونَ
وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكُمْ فَارْجِعُوا
إِلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّكُمْ لَعِندَهُمْ بِكُفْرٍ كَافٍ ﴿١٥٣﴾

الحمار يحمل الكتب كما في الآية (٥) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١. وتحافظوا أيضاً على ما أنزل إليكم من ريكم على لسان خاتم النبيين.

ولكن هل تظن أيها القارئ أنهم سيفعلون هذا؟ كلا بل سيزيد ما أنزل إليكم أيها النبي من لقراءة طغيانهم وكفرهم كما تقدم في الآية (١٤) من هذه السورة صفحات ١٤٩، ١٥٠، فلا تحزن على عدم إيمان القوم الكافرين: وذلك لأنه ﷺ كان رءوفاً رحيماً يحب الخير لكل من

- (١) الكتاب.
- (٢) التوراة.
- (٣) طغياناً.
- (٤) الكافرين.
- (٥) والصابئين.
- (٦) والنصارى.
- (٧) صالِحاً.
- (٨) ميثاق.
- (٩) إسرائيل.
- (١٠) يا بني.
- (١١) إسرائيل.

الآب، والأبْن، وروح القدس. كهذا يقولون، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين يثبتون على الكفر منهم عذاب شديد الألم.

أفلا يتوبون إلى الله بعد كل هذه الأدلة ويستغفرونه حتى يغفر لهم لأنه كثير المغفرة والرحمة. ثم شرع في بيان حقيقة المسيح وأمه عليهما السلام فقال:

ما المسيح إلا رسول من رسل الله الكثيرين الذين مضوا، وما أمه إلا صديقة كسائر النساء الصديقات، وكان هو وأمه ياكلان الطعام لحفظ بينهما كسائر الحيوانات ففصلا عن سائر الناس، وكل من يأكل يحتاج قطعاً إلى تبرز، فمن السفه أن يتخذ مثله إلهًا.

ولهذا قال: انظر أيها السامع وتعجب كيف نبين لهؤلاء البراهين القاطعة على بطلان ما يزعمون في المسيح.

ثم انظر كيف يصرفهم الشيطان عن التأمل فيها. ثم قل لهم أيها النبي يمكننا ومويعاً على عبادة مالا ينفخ: أتعبدون من دون الله حالاً يملك لكم ضميراً تخشعونه إذا استقمتم من عبادته، ولا نفماً ترجمونه ولا ترحمون الله مع أنه هو وحده السميع لأصواتكم وكل أقوالكم، العليم بما في نفوسكم، ويحاسبكم عليه ويجازيكم.

وقل لهم أيضاً لا تتجاوزوا الحد في دينكم تجاوزاً مغايراً للحق بأن يرفع التمساري منكم المسيح إلى رتبة الإله، ويدعى اليهود منكم أنهم أبناء الله وأحباًؤه فلن يذبهم إذا خالفوا محمداً ﷺ.

ولا تتبعوا شهوات قوم هم أسلافهم وأئمة الدين منهم قد ضلوا من قبله بعثة خاتم النبيين، وأضلوا معهم خلقاً كثيراً. وصلوا أخيراً بعد بعثته ﷺ عن المشركية المصححانية التي هي الطريق المستقيم.

ثم بين سبحانه بعض أسباب هذا الضلال والاضلال وما عوقبوا به فقط إلى: لمن الذين كفروا.....

لَهُمْ مِنْ يَتْرِكُونَهُ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
وَالظَّالِمِينَ مِنْ أَهْلِهَا ۖ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
ثَلَاثَةٌ ۖ وَثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَحْدٌ ۚ وَإِنْ تَرَيْتُمْ
عِزَّهُمْ يَقُولُونَ لَيْسَ إِلَهِنَّ إِلَّا اللَّهُ وَبِسْمِهِ يُدْعَوْنَ ۚ وَكَانَ عِزُّهُمْ
أَفْلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝
مَالِئِمْ أَنْ مَرِمَ ۖ إِلَّا رُسُلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأَنْزَلَ صُنْدُقَهُمْ كَانًا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ أَنْفَرَكَيْتُمْ بَيْنَ قَوْمٍ
الَّذِينَ لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا مَا فِي الْأَنْبُوتِ مِنْ قُلْ أَنْتُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ۚ مَا لَكُمْ لِكُفْرِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَاللَّهُ مُرْسِلُ
الرُّسُلِ ۚ قُلْ يَتَأَمَّلُ الْكُفْبُ لَا تَعْلَمُونَ ۚ فَيَرْجِعُهُمْ
إِلَى اللَّهِ ۚ وَلَا يَتْلُوا الْقُرْآنَ قَوْمٌ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِ وَأَضَلُّوا
كثيراً ۚ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝ لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا

المفردات: ﴿خَلَتْ﴾: مضت.

﴿صُنْدُقَهُمْ﴾: ملازمة للصدق في القول

والعمل، انظر الآية (٦٩) من سورة النساء

صفحة ١١٢، والآية (١٩) من سورة الحديد

صفحتي ٧٢٢، ٧٢٣

﴿يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: كناية عن كونهما

حيوانين مخلوقين كسائر الحيوانات التي لا

تعيش إلا بالاكل.

﴿وَأَنْتُمْ﴾: كيف.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون.

﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي لا تتجاوزوا الحد.

المعنى: : إنني عبيد مثلكم لرب واحد، فاعبدوه وحده لأنه من يشرك معه في العبادة

غيره فقد حرم الله عليه الجنة، ومكانه الذي يأوى إليه هو النار، ولا يجد من ينصره

فيخرجه منها

ثم ذكر كفر طائفة أخرى من النصاري فقال: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث

ثلاثة:

(١) وماواه.

(٢) للظالمين.

(٣) ثلاثة.

(٤) واحد.

(٥) الآيات.

(٦) للكتاب.

المعنى: لعن الله الذين كفروا به من بنى إسرائيل على لسان داود في الزبور، وعيسى بن مريم في الإنجيل، ذلك اللعن بسبب عصيانهم له تعالى واعتدائهم المستمر على أحكام الله باقتراء الكذب عليه وعلى أنبيائهم بالقتل والتكذيب، ثم بين سبب استمرارهم على ذلك فقال: كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن منكر فعلوه مهما اشتد قبحه، فشجع ذلك التساقط على التجاهر، وعلم الذرية القبح والكبائر. لبس ما كانوا يفعلون. ومن آثار هذا أنك ترى أنها النبي كثيراً من بنى إسرائيل يصافون ويصادقون الكافرين ليحرضوهم على قتلك والكيد لك، قبح شيئاً قدموه لأنفسهم العمل الذي سبب سخط الله عليهم، وكان من أثره أنهم خالدون في العذاب. ولو كان هؤلاء الذين يوالون المشركين يؤمنون بالله وبالنبي محمد ﷺ وبالقرآن ما اتخذوا المشركين بالله الملعونين في كل كتاب وعلى لسان كل نبي أصفياء أخلاء، ولكن كثيراً من هؤلاء اليهود الذين يدعون الإيمان بكتابهم وكتابه خارجون عن دين موسى وعاصون لكتابه، ثم بين الحالة النفسية لأهل الكتاب والمشركين بالنسبة للمؤمنين من العداوة والمودة ودرجة كل منهما، فقال: لتجدن أنها الرسول اليهود والمشركين أشد الكفار عداوة للمؤمنين، ولتجدن أقربهم مودة النصارى، أى أن أحد الفريقين بالنسبة للمؤمنين فى أقصى مراتب أحد النقيضين، والآخر فى أقصى مراتب تقيضه، وكونهم أقرب مودة بسبب أن منهم قسيسين أى علماء بكتيهم، وrehباناً أى متطعنين للعبادة، أى فيهم من يعلم ومن يمثل الزهد، وأنهم لا يستكبرون عن الإذعان للحق إذا ظهر، لأن من آداب دينهم التواضع، بخلاف الحال عند اليهود، وقد أثبتت الأيام هذه المعجزة فكان أكثر الناس دخولا فى الإسلام النصارى ولا نكاد نجد يهودياً يسلم.

ومن أسباب قهرهم من المسلمين أنهم إذا سمعوا القرآن المنزل على الرسول المبشر به فى الإنجيل ترى أنها الناظر أعينهم تمتلئ من الدمع حتى يتدفق من جوانبها لكثرتة، وهذا كناية عن رقة قلوبهم وعدم تكبرهم بسبب معرفتهم بعض الحق، فكيف لو عرفوا جميع الحق بسماع جميع القرآن، وبيان ذلك أنه لما اشتد إبداء قريش للمؤمنين فكانوا يعذبون كل من يظهر إسلامه، ولم يمنع النبي ﷺ من إيدائهم سوى عمه أبى طالب، فشد كانت قريش تخافه، عند ذلك رأى النبي ﷺ أنه عاجز عن دفع ظلم قريش، فأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم: إن فيها ملكاً صالحاً لا يُظلم عنده أحد، فهاجر إليها نحو ثمانين رجلاً منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول وجعفر بن أبى طالب، فلما وصلوا طلب منهم التجاشى أن يسموه شيئاً مما نزل على رسولهم، فقرأ جعفر سورة مريم وكان فى المجلس قسيسون وrehبان، فالتحدرت دموعهم لما عرفوا الحق، وفيهم وفى أمثالهم نزلت هذه الآية وعقب ذلك مباشرة قالوا معانين إيمانهم: يا رب آمنا بما أنزلت على محمد نبيك، فأقبل إيماننا واكتبنا مع الشهداء على الناس يوم القيامة.

المفردات: ﴿الذين قالوا إنا نصارى﴾: عبر سبب حاله عن اليهود باسمهم، وعن المشركين بصفتهم، وهنا عبر عن النصارى بأنهم الذين ﴿قالوا﴾ ولم يقل ﴿الذين تصبروا﴾ مثلاً، مثل ما قال فى المشركين. ﴿الذين أشركوا﴾ وحكمته فى ذلك الإشعار بقرب مودتهم، حيث يقولون إنهم أنصار الله تعالى فهم أحباب أهل الحق، وفيه تعريض بصلاية اليهود، والمشركين والامتناع من الانقياد، لأن اليهود لما قال لهم نبيهم موسى ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾.

قالوا: ﴿أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ الآية (٢٤) من سورة المائدة صفحة ١٤١.... والمشركون لما دعاهم الرسول ﷺ إلى الخير قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ الآية (٢٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١.. والنصارى لما قال لهم نبيهم عيسى عليه السلام ﴿من أنصاري إلى الله قالوا نحن أنصار الله﴾ الآية (٥٢) من سورة آل عمران صفحة ٧١. فالنصارى لم يتجهجوا بالرد تبيح اليهود والمشركين.

﴿تقيض من الدمع﴾: أصل معنى التقيض سيلان الماء، وهنا جعل العين تقيض مبالغة كانها هى نفسها التى فاضت من كثرة الدمع، كما يقولون ﴿سال الوادى﴾ أى سال الماء فى الوادى بكثرة حتى كان الوادى هو الذى سال، انظر أصل معنى ﴿فاض﴾ فى شرح الآية (١٩٨) من سورة البقرة صفحة ٣٩.

- (١) إسرائيل.
(٢) خالدون.
(٣) فاسقون.
(٤) عداوة.
(٥) نصارى.

يُنَادِي بِنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كَذَلِكَ يَمْا قَصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرَمَاتِهِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ رَأَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَن يَخِطِّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ مُمْتَدِّونَ ﴿٢٤﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنِّيمْ خَيْرٌ مِّنْهُمْ فَسَخَّرَ ﴿٢٥﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَوْا ذَٰلِكَ أَنَّهُمْ مَبْغُضُونَ وَرَهْبَانُهُمْ لَيْسَ لَهُمْ بَيِّنَاتٌ وَإِنَّا سَمِعْنَا مَا نَزَلَ بِإِلَى الرَّسُولِ رَأَىٰ مِنْهُم تَقْيِيزٌ مِّنَ الدَّمْعِ بِمَا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْبُرْ

انظر قصصهم في حديث ٥٢١ من كتابنا صفوة صحبيخ البخاري، لما كان كل هذا وكان الإسلام آخر الأديان الذي أراد الله تعالى أن يكون هو الدين العام الخالد، ولم يجعل فيه حرجاً ولا تضييقاً، حذر المسلمين من أمثال هذه الرهبانية فقتل تعالى؛ بأمرها الذين آمنوا لا تحرموا على أنفسكم طيبات ما أحل الله لكم المبينة في أول السورة طائفتان أن هذا يتريكم من الله. ثم أكد هذا النهى بقوله: ولا تعتدوا بتعدى حدوده تعالى التي فصل بها بين الحلال والعرام، أي فلا تدخلوا في الحرام شيئاً من الحلال ولا العكس؛ لأن الله عز وجل لا يحب من يعتدي على حدوده، فاحذروا غضبه.

ثم صريح بالأمر بفقد ما نفى عنه تأكيداً فقال: وكلوا مما رزقكم الله حال كونه حلالاً في نفسه فليس مما حرمه عليكم أول السورة من الميتة وما بعدها، وحلالاً في طريقة كسبه وتناوله فلا يكون ريباً أو مثله، وبأن لا تسرفوا في تعاطيه، انظر الآية (١٤٦) من سورة الأنعام صفحتي ١٨٦ والآية (٣) من سورة الأعراف صفحتي ١٩٦. طيباً مستلذاً غير مستقذر، والمراد من الأكل مطلق الأخذ والاستعمال، وانتقوا الله فلا تقتاتوا عليه في التحريم والتحليل ولما نزلت هذه الآية وكان بعض الصحابة حرم على نفسه بعض المذلات وحلف على ذلك، بين سبحانه حكم الإيمان، فقال:

لا يؤاخذكم الله بالعقاب أو الكفارة بلغو اليمين، ولكن يؤاخذكم بما قصدتموه وسممتم عليه النية؛ يؤاخذكم بالعقاب إذا كانت اليمين غموساً وهي التي تعمس صاحبها في النار كأن يحلف على شيء أنه حصل وهو يعلم أنه لم يحصل، أو بالعكس، فلا كفارة لهذه إلا جهنم. ويؤاخذكم بالكفارة في غير ذلك كأن يحلف أن يفعل كذا ولا يفعل.

وتلك الكفارة هي إطعام عشرة مساكين غذاء وعشاء من معتاد ما تطعمون أهليكم الذين نعت رعايتكم؛ فلا يجوز لمعتاد أكل اللحم والخضر والشاكة أن يطعم الجيب ومثلا. ويجوز أن يعطى المسكين ما يكتفيه طعام يوم من مال أو قوت أو كسوتهم بما يستر الجسم، وتزيد المرأة المسكينة غطاء للرأس، أو عتق رقبة رقيق فمن لم يجد واحدا من الثلاثة فعليه صيام ثلاثة أيام متتالية عند بعض، وغير متتالية عند آخرين؛ ذلك كفارة أيامكم.

تفسير القرآن الكريم

المفردات: - وباللهوفى أيمانكم: تقدم
فى الآية (٢٥) من سورة البقرة صفحة ٤٥
أن اللغو ما يجرى على اللسان من غير قصد
يمين..

فَمَا عَدَمْتُمْ... أَيْ بَتَعْقِيدِكُمُ الْإِيمَانُ أَيْ
بَيِّنْتُمْهُ! بِالْقَصْدِ وَالنِّبَةِ.

وَأَوْسَطُ مَا تَطْعَمُونَ ﴿٤٠﴾ ... أَيُّ مِنْ مَعْتَادِ مَا تَأْكُلُونَ أَنْتُمْ وَأَهْلِيكُمْ.

المعنى: اللهم عدولي وهم المشرك باللهم في الآية (١٤٣) من سورة البقرة صفحتي ٢٨٠، ٢٧ والآية (١٩) من سورة النساء صفحتي ١١٢.

وَيَقُولُونَ أَيْضًا أَي مَانِعٍ يَمْنَعُنَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ

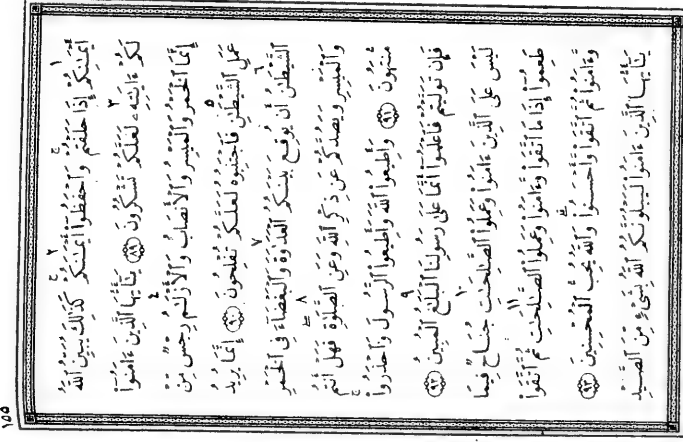
مع الشَّاهِدِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ
 الْبَيِّنَاتِ رَوَّحًا أَنْ يُدْعَىٰ بِهَا لِقَاءُ رَبِّهِمْ الْفَرَقَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٦﴾
 فَانْشَبِهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا فَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٨﴾
 بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَالْخَوَافِ يُغْلِبُ مَا حَلَّ اللَّهُ لَهُ ثُمَّ
 لَا تُنْفَعُهُمْ أُولَٰئِكَ لَآتِيهِمُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٩﴾ وَكَذَٰلِكَ
 رَوَّحْنَا اللَّهُ حَقْلَنَا فَطَبَا وَأَنشَأَ اللَّهُ الْآلِيَّ الْأَمِيرَ
 مُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ لَّا يُؤْخَذُ كُرَّ اللَّهُ بِآيَاتِهِ فِي الْبَيْتِ وَلَكِنْ
 يُؤْخَذُ كَرَّ عَذَابِ الْآلِينَ كَعَذَابِ الْفُلَامِ عَذَابُهُمْ
 سَبْكُنْ مِنْ أَرْطَاهُمْ أَنْطَعُمُونَ فَلْيَكُنْ أَوْ كَذِبُهُمْ أَوْ
 كَجَرِّ رَقِيَّةٍ مَنْ لَّا يُعَدُّ فَيْسَامَ فَلْيَكُنْ آيَاتُ ذَٰلِكَ عَذَابُهُ
 بِمِلَازِمَةِ الْحَجِيمِ أَى جَهَنَّمَ.

وبما جئنا على الحق على لسان محمد وال حال أنا نطمع أن يدخنا ربنا مع القوم الصالحين في دار النعيم، فأعطاهم الله من الثواب بسبب قولهم هذا الناشئ عن اعتقاد جنات تجري من تحتها الأنهار الخ، وتقضهم من الكفر الذي يحازي أصحابه بملازمة النعيم أي جهنم.

ولما جاء في سياق مدح البصاري حديث الرهبانية وهي مبنية على كسر النفس والبعد عن لذائذ الحياة، وكان هذا ربما يفيد جوارها في الإسلام، بل فكر فيها ثلاثة من خيار أصمغاه

(١) الشاهدين. (٢) المصلحين. (٣) قاضيه. (٤) جنات. (٥) الأنوار. (٦) خالدين. (٧) بياضاً. (٨) أصحاب. (٩) طيبات. (١٠) حلالاً. (١١) إيمانكم. (١٢) الأيمان. (١٣) كفارته. (١٤) مساكين. (١٥) ثلاثة. (١٦) كفارة.

وهذه مفسدة دنيوية. أما الآخورية فهي في قوله: ﴿ويصدكم عن ذكر الله﴾ أي يلهيكم ويصرفكم عن تذكّر الله وما يجب له ﴿وعن الصلاة﴾ خصها مع أنها داخلة في ذكر الله لأهميتها. فبعد كل هذا البيان هل أنتم منتهون؟ الكلام على معنى الأمر المؤكد أي انتهوا. ثم عطف على قوله ﴿فاجتنبوه﴾: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ في كل ما أمرا به ونهيا عنه، واحذروا مخالفتهم فإن فيها شقاء الدنيا والآخرة كما تقدم، فإن أعرضتم عما أمرتكم فلا تنفروا بتأخير العذاب لأنه ليس في يد رسولنا، بل الذي في قدرته ومطلوب منه هو إبلاتكم أحكاما إبلاغا واضحا يقطع العذر أما العذاب فعلينا نحن وسنوفكم جزاءكم كما في الآية (٤٠) من سورة الرعد صفحة (٣٢٨). ولما نزل هذا التشديد في تحريم الخمر والميسر، سأل بعضهم عن حال الذين ماتوا وكانوا يشربون ويكفون مال الميسر، وعن حال من كان غائبا منهم بعيدا عن المدينة وقت نزول هذه الآية، وطبعا كانوا يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وهم لا يطمعون بالقطع بالتحريم؛ لهذا كله أنزل سبحانه: ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات من الأحياء والأموات والهاضرين والغائبين إثم ومؤاخذة فيما أكلوا من الميسر وشربوا من الخمر فيما مضى قبل القطع بالتحريم، أو قبل العلم به، إذا ما اتقوا فيما مضى ما كان محرما عليهم كالذكر أول السورة، وكإسراف في المباح، وآمنوا بما كان قد نزل به سبحانه من القرآن، وعمالوا الصالحات التي كانت قد شرعت في ذلك الزمن كالصلاة والصيام والجهاد، ثم اتقوا ما حرمه الله بعد ذلك عند العلم به، وآمنوا بما نزل في هذا المحرم أخيرا وفي غيره لأن الإيمان بزيادة المطلوب به كما في الآية (١٢٤) من سورة التوبة صفحة ٣٦٤، والآية (٢٢) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٢، والآية (٤) من سورة الفتح صفحة ٦٧٨؛ اتقوا أي ارتقوا في التقوى فابتعدوا عن الشبهات - خوفا من الوقوع في الحرام، وأحسنوا كل أعمالهم بأن اتوا بها على أكمل وجه، والله يحب المحسنين فيحفظهم من كل مكروه. ولما كان ظاهر العموم في الآية ٨٧ من هذه السورة صفحة ١٥٤ ربما يفيد نسخ حكم آيتي (٢، ١) من هذه السورة صفحتي ١٣٤، ١٣٥، ولما كان الإسلام شديد الحرص على المحافظة على حرمة البيت الحرام ومن احترامه ألا يؤذى قاصده غيره ولو حيوانا، أكد سبحانه الحكم الأول ودفع توهم النسخ وبين جزاء من يخالف بقوله: ﴿يأيتها الذين آمنوا ليبلونكم الله﴾ أي يماثلنكم معاملة المختبر ليظهر للناس حالكم بشئ من الصبيد المحرم صيده كما تقدم في الآية (١) صفحة ١٢٤ وسياتي في الآية (٩٦) صفحة ١٥٦.



المفردات: ﴿الميسر﴾.. هو القمار بكل أنواعه. ﴿الأنصاب﴾.. حجارة كانوا يذبحون عندها تعظيما لأصنامهم كما تقدم في الآية (٣) من هذه السورة صفحة ١٣٥. ﴿الأزلام﴾... السهام التي كانوا يعرفون بها الغيب كما تقدم في الآية (٢) أيضا. ﴿رجس﴾.. خبيث مستقذر عند أرباب العقول السليمة. ﴿فيما طعموا﴾.. أكلوا وشربوا. ﴿ليبلونكم﴾.... يختبرنكم. ﴿الصبيد﴾... تقدم في الآية (١) صفحة ١٢٤ أن الصبيد يطلق على ما يصاد من حيوان البحر ومن حيوان البر الوحشي والمراد به هنا الثاني كما سياتي في الآية (٩٦) صفحة ١٥٦.

المعنى: إذا حلقتم وحشتم. وصرح بالكفارة ثانيا تأكيداً، وليرتب عليها قوله: واحفظوا أيما ناكم، فلا تعرضوها بدون سبب قوي ولا تكثروا منها ولو صادقة فضلا عن الكاذبة، انظر الآية (٢٢٤) من سورة البقرة صفحة ٤٥. كهذا البيان البديع يبين الله لكم آياته الدالة على شرعه لعلكم تشكرون نعمته على إخراجكم من ظلمة الجهل إلى نور العلم. ثم ذكر سبحانه في معرض الكلام على المعلومات بعضا منها بلغ من خبئه أن يقرن بما فيه شرك فقال: ﴿يأيتها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾ أي مقاربتها وتناولها من سنوسة الشيطان وتزيينه. وجرت عادة القرآن أن ينسب كل منكر شرعا إلى الشيطان لأنه سببه، وإذا كان الأمر كذلك فاجتنبوه أي ابتعدوا عن هذا الرجس كله رجاء أن تلقوا وتفوزوا بما تحبون. ثم بين حظ الشيطان في الخمر والميسر بخصوصيهما لأنهما من المعلومات في الغالب فقال: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء﴾ تقدم شرحه في الآية (٦٤) من هذه السورة صفحتي ١٤٩، ١٥٠، بسبب تعاطي الخمر والميسر.

(٢، ١) إيمانكم.
(٣) آياته.
(٤) والأزلام.
(٥) الصلاة.
(٦) البغاء.
(٧) العداوة.
(٨) آياته.
(٩) البغاء.
(١٠) الصالحات.
(١١) الشيطان.
(١٢) والأزلام.
(١٣) الصلاة.

ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴿١﴾ أي محرمون بفتح أو عمرة، ومن قتله متعمداً فعليه جزاء ذلك من الأنعام مماثلاً لما قتله في هيئته وصورته إن وجد، وإلا فعليه قيمة المماثل، يحكم به رجلان عدلان منكم، وقد حكى ما في قتل النعامة بواحد من الإبل، وفي بئر الوحشى وحماره ببقرة إنسية، وفي الطئى بشاة. فإن لم يكن للصيد مثيل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته يشتري بها طعاماً يعطيه للمساكين لكل مسكين مد وهو نصف قدح بالكيل المصرى الآن، حال كون هذا الجزء المحكوم به مهدياً إلى فقراء الكعبة وأصلاً إليها، ويصح له أن يقدم لمساكين الحرم بدل هذا الجزء من الحيوان طعاماً من جنس غالب قوت أهل البلد يساوى قيمة الجزء، يعطى منه لكل مسكين مد أيضاً، أو ما يعادل ذلك الطعام من صبيام بأن يصوم عن كل مد يوماً.

فرض عليه الجزء ليدرك سوء عاقبة فعله، عفا الله عما سلف قبل التحريم، ومن عاد إلى قتل الصيد بعد تحريمه فينتقم الله منه في الآخرة مع جزائه في الدنيا بما سبق، والله عزير أى غالب لا يغلبه أحد، ذو انتقام شديد ممن يصير على معاصيه، أحل لكم أيها المؤمنون صيد البحر من سمك وغيره مما لا يعيش إلا فيه، وطعامه وهو المملح من سمكه حتى صار يعيش زمناً طويلاً يتمتع بأكله المقيمون منكم والسيارة، أى المسافرين يتزودون منه. وحرم عليكم (١) تصيدوا حيوان البر الوحشى المتقدم ذكره ما دمتم محرمين على الوجه المبين فى الآية (١) من هذه السورة صفحة ١٢٤. واتقوا الله فلا تنهكوا أوامره فإنكم ستحشرون إليه فيجاسبكم ويجازيكم. جعل الله الكعبة التى هى البيت الحرام الذى حرم الله انتهاكه سبباً لقيام مصالح الناس الذين يجاوزونه والذين يحجون إليه، بإيداع تعظيمه فى قلوب الجميع، وجذب الأفتدة إليه، وصرف الناس عن الاعتداء على من يجاوزه وكذلك جعل الأشهر الحرم والهدى وهو ما يهدى للكعبة من الأنعام للتوسعة على جيرانها الفقراء، وجعل التلاذد المتقدم بيانها فى الآية (٢) من هذه السورة صفحة ١٢٤، ١٢٥. جعل كل هذه قيماً للناس، فلا يحاسب واحد بأذى فيها ولا واحد منها بسوء، قالوا كان فى الأسم ملوك يدفع بعضهم شر بعض، ولما لم يكن فى العرب ملوك جعل الله فيهم البيت، وهذه المذكرات تدفع شر الممئدى ولو فى بعض الأمكنة والأزمنة والحالات، فعل الله ذلك لأجل أن تعلموا إذا تأملت فيه أن الله تعالى يعلم ما فى العالم العلوى والسفلى.

ثَلَاثَةٌ أَيْ يَكْفِيكُمْ وَيُطَاعُونَ بِعَمَلِهِمْ اللَّهُ مِنْ جَنَاحِهِ وَيَلْقَى
فِي أَعْدَائِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثٌ مَلَأَ عَذَابُ أَلَمٍ ﴿١﴾ يَتَأَيَّأُ
أَلَمٌ عَذَابٌ لَا تَقُولُ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حَرَامٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ
مَيْمُونًا بَعْدَ ذَلِكَ مَلَأَ مَلَأَ مِنْ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مَنْكُرٌ مُدَّتِ يَدَا الْمُكَلِّفِ فِي الْفَرَعِ نَظَامٌ مَكِينٌ
أَوْ عَدَلٌ ذَاكٌ صِيَامًا يَلْتَمِذُ وَيَا أَمْرَهُ عَفَا اللَّهُ
عَنْ سَلَفٍ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
إِنْتِقَامٍ ﴿٢﴾ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ نَسَاكُمْ
وَالسَّيَّارَةَ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَكَفَرُوا
اللَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُعْزَرُونَ ﴿٣﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَلِمَةَ
الَّتِي تَقُولُونَ وَيُخَيِّلُ النَّاسَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ أَعْلَمُ ﴿٤﴾ وَاللَّذَى
وَالْفَتَى ذَاكَ تَلْمِزًا أَنْ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا تَكْتُمُونَ

صفحة ٩٨. ﴿١﴾ الأشهر الحرام. ﴿٢﴾ المراد الجنس فيشمل الأربعة الحرم.

المعنى: : تناله أيديكم ورمحكم أى أنه كثير فيسهل أخذه. ووجه الاختيار أن المسافرين يتلطف على أكل اللحم ولم يتيسر له حملها، فإذا وجد ما يريد من حيوان البر الوحشى الجائر الأكل كالغزال والطيور الوحشى فإنه يتهاقت عليه.

يبتليكم ليعلم علم ظهور وتحقق من يخاف ربه فى حال غيبته عن عيون الناس، فيكون خوفه خالصاً لوجه الله تعالى لا رياء، فمن اعتدى بأخذ شيء من صيد الحرم بعد علمه بنهى الله عنه فله عذاب فى الآخرة شديد الألم، وفى الدنيا بالتعزير والضرب.

ثم أعداد سبحانه النهى عن صيد البر للمحرم أو للدخل فى أرض الحرم كما تقدم أول السورة ليرتب عليه جزاءه فقال:

(٤) متاعاً.

(١) مساكن
(٢) السموات

(٢) كجارة
(٣) ولعلائد.

(١) بالغ.
(٢) قياتاً.

المفردات: : - لحرم ﴿١﴾ : جمع محرم
يسكون الحاء وكسر الراء.

﴿النعم﴾ : : هى الإبل والبقرة والغنم.

﴿أو عدل ذلك صيماً﴾ : : أى معادل

ومساوى ذلك الطعام من الصيام

﴿وبال أمره﴾ : : أى سوء عاقبة فعله.

﴿الهدى والتلاذد﴾ : : تقدماً فى الآية (٢)

من هذه السورة صفحة ١٢٤، ١٢٥.

﴿قياماً للناس﴾ : : أى سبباً لقيام مصالح
الناس الذين يجاوزونه أو يحجون إليه
ونظيرها فى الآية (٥) من سورة النساء

صفحة ٩٨. ﴿الأشهر الحرام﴾ : : المراد الجنس فيشمل الأربعة الحرم.

والنافع، والفاقد والصالح، والحرام والحلال، والظالم والعدل، إلى غير ذلك، ولو أعجبتكم أيها المخاطب كثرة الخبيث من الناس ووجاهتهم، ومن الأموال المحرمة في التوسعة والتمتع بها، فالقليل الطيب من كل شيء خير من الكثير الخبيث مهما ظن فيه من الفوائد. فانتقوا الله يا أصحاب العقول الخالصة من شهوات المغريات لعلكم تتخلعون إذا اقتضتموه. ولما شعر بعض الصحابة من آية «اليوم أكملت لكم دينكم» الآية (٣) من هذه السورة صفحة ١٢٥ = أن مدة بقائه ﷺ بينهم أصبحت قليلة، أكثروا من السؤال عن أشياء لم تقع، وكان في هذا خطر التشديد عليهم في تشريع أحكام تقيلة عليهم؛ روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خطب فقال: (أيها الناس إن لله فرض عليكم الحج فحجوا).. فقال أحدهم: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت ﷺ حتى كررها السائل ثلاثاً، ثم قال ﷺ: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم). لكل هذا تزل قوله تعالى: لا تسألوا عن أشياء مما أخبركم فيه كالتكاليف الشاقة وأسرار أعراض الناس، كقولهم من والد فلان؟ لشخص كانوا يشكون في نسبته لأبيه؛ ولهذا قال إن تبت لكم أي يظهر الله جوابها تسؤمكم لشدة تكاليفها أو بفضيحة أصحابها. واعلموا أنكم إن تسألوا عن مثل هذه الأشياء التي يسوكم جوابها، إن تسألوا عنها في وقت نزول القرآن أي في حياته ﷺ فإنها تظهر لكم، فتعرضوا أنفسكم لغضب الله إذا فرطتم في التكاليف، أو لفضيحة ما كان مستوراً. عفا الله تعالى عن جملة تلك الأشياء التي نهيت عن السؤال عنها بعدم التكليف بها، فاستكنوا أنتم أيضاً قد سأل مثل تلك الأشياء المستتعبة للندم قوم من قبلكم من بنى إسرائيل فأصبحوا بسببها كافرين حيث لم يقوموا بما كانوا به، فسألوا موسى أن يقاتلوا فلما فرض، أعرضوا، انظر الآية (٢٤٦) من سورة البقرة صفحتي ٥٠، ٥١. وسألوا عيسى إنزال مائدة ثم كفروا بها، انظر الآية (١١٥) الآية من هذه السورة صفحة ١٦٠. وسألوا زيادة عبادة ولم يحافظوا عليها، انظر الآية (٣٧) من سورة الحديد صفحة ٧٢٣ إلخ.

ولما نهى سبحانه في الآية (٨٧) من هذه السورة صفحة ١٥٤ عن تحريم ما أحله أراد أن يبين ضلال أهل الجاهلية في جرأتهم على التحريم فقال: ما جعل الله أي ما شرع ولا أدن أن يتخذ الناس بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حاماً، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون هذه الأفعال المنكرة ويقولون أمرنا الله بها تكريماً لشعثنا عندنا وهي الأصنام هذا فعل رؤسائهم، أما أكثرهم وهم المقلدون فهم لا يعقلون أن ذلك كذب من الرؤساء معطل للانقطاع بما أحل الله تعالى. وإذا قيل لهم تعالوا نتحاكم إلى ما أنزل الله في القرآن....

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَشَيْءٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ الْقَلْبَ وَأَنَّ اللَّهَ فَتَوَّزَّجْهُمُ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ عَلَى الْاَرْسُولِ إِلَّا الْاَبْلَغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَا تَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ اِنْجَبَيْتُمْ كَذِبَ الْكَلْبِ فَاتَّبَعُوا اللَّهَ بِتَأْوِيلِ الْاَنْبِيَاءِ لَرَأَيْتُمْ أَنَّهُ بُدِّلَ لَكُمْ لَعْنًا وَانْ سَخَّرَ اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ قَدْ سَأَلْنَا قَوْمًا مِنْ قَبْلِكُمْ فَأَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿٦١﴾ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَالْأَنْبِيَاءِ وَلَا وَصِيَّةَ وَلَا حَافٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَاتَّخَذُوا لِقَوْلِهِمْ ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾

المفردات: «بحيرة».. هي الناقة التي تلد خمسة آخرها ذكر، فإن العرب كانوا بعد الخامس يبحرون أذنبا أي يشقونها ولا تمنع من ماء ولا مرعى، فشق أذنبا علامة أنها ملك للأصنام. «سائبة».. هي الناقة التي ينذر بها الرجل، فكان أحدهم يقول إذا شفتيت من مرضى مثلاً فناقني سائبة أي متروكة للأصنام كسابقتها. «وصيلة».. كانت الشاة عدهم إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً ذبحوه لخدām الأصنام، وإذا ولدت ذكراً وأنثى معاً قالوا وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح للالهة. فوصيلة بمعنى وصلة. «حام».. الحامي هو الفحل من الإبل الذي خرج من صلبه عشرة أبطن، فإنهم كانوا يقولون حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنعونه ماء ولا مرعى.

المعنى: يعلم أسرارهما، وهو سبحانه بكل شيء، سواء ما ذكر أو غيره، عليم العلم الكامل بكل دقائقه؛ لذلك جعل في قلوب العرب على غلظتها تعظيماً لهذا المكان وللأعمال التي تعمل فيه ولا زمانها، وكان في ذلك حقن للدماء وسعة في الرزق، واعلموا أن الله شديد العقاب على من أصر على معصيته، وأنه غفور رحيم لمن رجع إليه وأطاع.

«هذه أحكام شرعناها لكم لخيركم، وليس على رسولنا إلا إبلاغها لكم، وقد فعل ولم يقتصر من تليغكم كل ما طلب منكم، فلا عذر لكم بعد الآن. والله يعلم ما تظهرونه من أقوال وأفعال، ما تكتتمونه وسيجازيكم على الجميع، فاحذروا مخالفة أمره، وبما أنه سبحانه سيجازي الجميع فاعلموا أن عدله وحكمته اقتضيا أن لا يستوى عنده الخبيث مع الطيب، أي الضار

روى الإمام أحمد عن أبي بكر رضى الله عنه أنه خطب يوماً فقال: أيها الناس إنكم تقرعون هذه الآية. يريد الآية المتقدمه، ولكم تضمنونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا منكروا لم يغيروه يعمهم الله بغضاب من عنده. ولما فرغ سبجانه من أحكام تتعلق بأمور دينهم شرع في بيان أحكام تتعلق بديانهم وقع سببها أثناء نزول السورة؛ وذلك أن رجلين نصرانيين أحدهما يسمى تميم الدارى، والآخر عدى بن بداء بتشديد الدال كانا يتجبران في الجاهلية بين مكة والشام، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة وهاجر معه كثير من قريش حول تميم وزميله تجارتهما إلى المدينة، وكان بديل بن أبى مريم مولى عمرو بن العاص تاجراً أيضاً أسلم وهاجر إلى المدينة مع أهله وخرج في تجارة إلى الشام مع تميم وزميله، وكان معه ضمن تجارته هجرام^(١) وهو إناء من فضة محلى بالذهب، فعرض في الطريق، فكتب وصيته ووضعه في وسط متاعه، وأوصاهما إن مات أن يسلما متاعه إلى أهله، ولما مات أخذا الهجام وباعاه لما رجعا إلى المدينة بالنف درهم وسلما متاعه إلى أهله، فلما فتحوه علموا فقد الهجام، فساؤلوهما عنه فافكرا، فترافعا إليه ﷺ فزلت هويتهما الذين آمنوا شهادة بينكم^(٢) إلى آخر الآية. فأمر ﷺ باستحضارهما وتحفيهما بأنهما ما قبضا غير ما سلماه، وبعد مدة ظهر الهجام عند قوم فسلوا عنه فقالوا اشتريناه من تميم وعدى فكذبوهما فترافعا إلى النبي ﷺ قائلاً، فزلت الآية الأخرى هويان عشر على أنهما استحقا إثماً^(٣) إلخ، فأمر ﷺ رجلين من أهل بديل أن يحلفا على أن الهجام للورثة، فحلف عمرو بن العاص وآخر وأخذاه.

ومنى اليتيم: أيها الذين آمنوا الشهادة المشروعة بينكم إذا شعر أحدكم بأسباب الموت هي شهادة اثنين من رجالكم عدلين، هذا إن كنتم مقيمين، أما إذا كنتم مسافرين ولم تجدوا مسلمين تشهدوهم فشهادة رجلين من غير المسلمين، فإن أدوها كما حملوها فالأمر ظاهر وإن شككنكم في أمانتهما فاحجزوهما بعد صلاة العصر ليحلفا ويقولوا في يمينهما لا نشترى بيمين الله شيئاً ولو كان المستقسم له من أقرارنا، ولا نكتب شهادة الله، إنا إذا كتبنا لمن يمينين، فإن علم أنهما استحقا إثماً بالكذب فالشاهدان المعول عليهما في قض النزاع رجلان آخران من أقارب الميت الذين استحق أقرهم رد الشهادة عليه. هويالويان^(٤) بيان هويالخران^(٥) فيقسمان بالله....

وَأَلَّا الرُّسُولَ فَإِنَّ الرُّسُولَ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوْزَكَانَ آبَاءَنَا وَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ لَا يَدْرِي
يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْكُرُ الْأُنْكَارَ لَا يَعْلَمُ مَنْ مَلَّ
إِلَّا أَهْلَهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَرَاهُمْ جِهًا فَيُتَنَبَّكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ۝ يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الشَّهَادَةِ يَنْكَرُهَا
حَقُّرُهَا تَرَاهُمْ مِنَ الرُّسُولِ جِهًا أَرْبَابُهَا إِنَّهَا تَرَاهُمْ
فِي الْأَرْضِ يَنْكُرُ أَنْ يُزَكَّرَ بِهَا أَنَّهُمْ ضَرْبٌ فِي الْأَرْضِ
فَالْمُتَنَبِّكُم مِمَّنْ تَرَاهُمْ تَحْسَرُونَ مِنْ بَيْنِ السَّجَّادِ
فَيُنْكَرُونَ بَأْهٍ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا تَسْأَلُونَهُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَانُوا
رَأَوْنَهُمْ وَلَا تَكُنْ شِدَّةَ اللَّهِ إِلَيْهَا إِلَّا لِمَنِ الْآخِرِينَ ۝
فَإِنْ جَزَّ عَنْ آيَاتِنَا تَحَدُّثًا فَكَفَرَانِ يَوْمَئِذٍ مَا لَهُمْ
مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَرْثُ فَيَنْسَوْنَ بَأْهٍ
مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَرْثُ فَيَنْسَوْنَ بَأْهٍ

يوجب استحقاق جزاء ذنب. هويالويان^(١).. أي الأقربان من الميت اللذان لهما الأولوية في البحث عن شئونه.

المعنى: وتعالوا إلى الرسول المبين لما أنزل الله، أعرضوا وقالوا كافينا ما وجدنا عليه آباءنا من عقائد وأحكام. فرد عليهم سبحانه مسفها لهم بقوله هويالوي^(٢) إلخ، أي أئكتهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلاء ولا يهتدون إلى سبيل الحق. وبعدما بين سبحانه أن الجاهد على التقليد الأعمى قلما ينفع فيه إصلاح، أراد أن يبينه المؤمنين إلى العناية بأنفسهم، والحرص على عدم تسرب الخلل إليهم، فقال هويالوي الذين آمنوا عليكم أنفسكم^(٣) إلخ، أي الزموا إصلاح أنفسكم بمراقبة الله تعالى وإرشاد العالم للجاهل منكم، والأمم بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه إذا فعلتم ذلك لا يضركم من ضل من غيركم إذا دتمتم أنتم مهتدين. ثم وجه سبحانه الخطاب لكل الناس فقال: إني مرجحكم جميعاً، المؤمن وغيره، والصالح والفاسق، فبينكم عند الحساب بما كنتم تعملون، ويجازي كلا على حسب عمله.

(١) شهادة. (٢) فاصابكم. (٣) الصلاة. (٤) شهادة. (٥) الأوليان

خافوا وقالوا لا حاجة لنا فيها. واذكر أنها النبي للناس يوم يقول الله يا عيسى بن مريم إلیخ...وعبر عما سيقع في المستقبل بصيغة الماضي للإشارة إلى أنه محقق الوقوع.

المعنى : : سال سبحانه عيسى عليه السلام توبيخا لمن زعم هذا الباطل : هل أنت قلت للناس حقا اتخذوني أنا وأمي الهين مستجاوزين أفراد الله وحده بالألوهية؟ وقد تقدم في الآيات (١٧، ٧٢، ٧٣) صفحات ١٣٩، ١٥١، ١٥٢ طوائف النصارى من حيث اعتقادهم في المسيح، قال عيسى : سبحانه أى تزهبها لك عما لا يليق بك، ما ينبغي لى ولا يصح أن أقول ما ليس لى بحق، لأنى أعرف أنى عبدك.

ثم استدل على براءته بقوله:

إن كنت قلته فقد علمته، لأنك تعلم ما انطوت عليه نفسى فضلا عما يصدر من لسانى، وأنا لا أعلم ما فى نفسك لأنك أنت وحدك علام الغيوب ثم بعد ذلك بين ما صدر منه فقال: ما قلت لهم إلا ما أمرتى به.

- (١) سبحانه
- (٢) علام
- (٣) الصادقين
- (٤) جنات
- (٥) الأنهار
- (٦) خالدين
- (٧) السموات

أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ
هَيْلِينَ قُلْتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ تَقُولُ مَا تَقْبِي وَلَا أَعْلَمُ مَا نِي
تُفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عِلْمُ الْغُيُوبِ ۚ فَأَنْتَ قُلْتَ قُلْ مَا
أَمَرَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَرَبِّي وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّبُّ
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ إِنَّ مَدِينَتِي لَمَكِينَةٌ
عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَمَا لَهُمْ ۖ أَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ۚ
قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ ۖ هُمْ فِي جَنَّاتٍ
يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَافٍ بِهِ عِلْمٌ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

ثم بين ما أمر به بقوله:
أن اعبدوا الله ربي وربكم، وبعد ذلك كنت رقيباً عليهم مدة بقائى معهم، فلما توفيتى وانقطعت عنهم كنت أنت يارب وحدك الرقيب عليهم فيما تراقب من خلقك، وأنت على كل شيء شهيد لا على هذا فقط.
ولما كان المسيح عليه السلام يعلم أن من أمته المؤمن والكافر فوض أمرهم جميعاً إلى الله تعالى فقال فى جملتهم:

إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك وأنت العليم بظواهرهم وخافيتهم، وتعلم أنهم عبدوا غيرك، فإن عذبتهم فهو عدل منك؛ وإن تغفر لمن آمن منهم فإنه من فضلك ولا معقب لحكمك؛ لأنك أنت العزيز الغالب الذى لا يمتعه عما يريد أحد، الحكيم الذى يضع كل حكم فى موضعه، ولا يسوى بين المؤمن والفاسق كما فى الآية (١٨) من سورة السجدة صفحتى ٥٤٦، ٥٤٧.

قال الله هذا يوم ينفع الصادقين فى إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم فى الدنيا، ثم بين النفع فقال :

لهم جنات تجرى من تحت غرفها الأنهار هذا ما يكون لهم من النعيم الجسمانى.
أما النعيم الروحانى فهو رضوان الله تعالى عنهم ورضاهم عنه، فهو أكبر من كل نعيم.

كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الآية (٧٢) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢ ثم ختم سبحانه السورة بما يؤيد خطا النصارى وغيرهم فى إشراك غيره تعالى معه فى العبادة فقال:

﴿لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ أى فالكل عبيده فى قبضة يده، وهو على كل شيء قدير، من الإيجاد والإفناء، والمنع والعطاء، وتعذيب الكاذب وإثابة الصادق اللهم اجعلنا من عبادك الصادقين، ولا تجعلنا فئة للظالمين.

والآية (١٢) من سورة الإسراء صفحتي ٣٦٥، ٣٦٦. ثم بعد هذا الصنيع العظيم ترى الذين كفروا وجددوا فاضل ربهم يسعون به تعالى غيره مفعّل لا يستطيع خلق ذبابة يسوونه به في التقديس والضراعة إليه والخوف منه، انظر آيتي ٧٢ من سورة الحج صفحة ٤٤٤؛ و (٣) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٠. ثم خاطب سبحانه هؤلاء الكافرين لتوبيخهم على شنيع صفعهم وتذكيرهم بنعمه عليهم في أنفسهم فقال: ﴿لَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ من مبدأ خلقكم إلى انتهاء العالم، انظر الآية (٥٥) من سورة طه صفحة ٤١٠ والآية (٢٠) من سورة الروم صفحتي ٥٢٢، ٥٢٣؛ ثم قدر لكم أجلين: أجل لكل فرد يعرف بانتهاء حياته، وأجل معلوم له تعالى لا يعلمه غيره وهو أجل بكمم من القبور للحساب والجزاء، ثم أنتم بعد كل هذا تجدون وتجادلون في الحق، وهو أن التآمر على ابتداء الخلق قادر على إعادته بل هو عليها أقدر، كما في الآية (٣٧) من سورة الروم صفحة ٥٣٤؛ وهو سبحانه الخالق وحده المستصرف في السموات والأرض، ويستوى في علمه السر والجهر، ويعلم ما تكسبون من خير وشر. ثم أراد سبحانه أن يبين سبب عدم اعتدائهم مع قوة البراهين فقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا نَسُوا الْإِثْمَ الَّذِي بِهِمْ وَفَوَسَّسَتْ لَهُمْ الشَّيْطَانُ الْأَخْفَىٰ﴾ ولا كانوا عنها معرضين فلا يعتبرون. فقد كذبوا بالحق وهو القرآن لما جاءهم على لسان نبينا فاستهزؤا به، انظر الآية (١٤٠) من سورة النساء صفحتي ١٢٦، ١٢٧ والآية (٥) من سورة الشعراء صفحتي ٤٧٩، ٤٨٠، فسوف يحل بهم ما تضمنته الأخبار التي جاء بها القرآن من خذلائهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة كما في الآية (١٠) الآية من هذه السورة صفحة ١٦٣ والآية (٨) من سورة هود صفحة ٢٨٥ والآية (١٠٦) من سورة الكهف صفحة ٢٩٥؛ إلى غير ذلك، ثم شرع سبحانه في بيان ما توعدهم به مبينا أن سنته في أمثالهم كما جاء مفصلا في سورة القمر فقال: ألم يروا.....

المفردات: .. ﴿قُرْنٌ﴾ .. القرن من الناس القوم المقترنون في زمن واحد ومتوسط زمانهم حوالي مائة عام، ويطلق القرن أيضا على أهل عصر فيهم نبي واحد أو ملك مهما طال زمانه كقوم نوح وهود وعاد إلخ.

﴿السماء﴾ .. المراد بها هنا المطر.

(١) سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ
وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي كُلِّ دَعْوَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ
﴿مُؤَلَّاهِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ نَعَصَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَاجْعَلْهُمْ
عِندَ رَبِّكَ يَوْمَ تَحْشُرُونَ ۚ وَمُؤَلَّاهِي فِي السَّمَاءِ وَلِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَهَيْكُلَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تُكْمُونَ ۚ
وَمَا تَنْتَهِمُ مِنْ عَابِدَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كِبْرًا عِتَبًا
مُورِثِينَ ۚ تَفْعَلُونَ لَكُمْ لَنَا جَاءَهُمْ وَقَدْ
بَاءْتُمْ بِنَسْيَانِكُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَكْبِرُونَ ۚ أَلَمْ يَرَوْا

سورة الانعام

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿وخلق﴾ . الخلق : إيجاد عن تقدير وحكمة مطلقة، أي سواء لوحظ في المخلوق عند خلقه غيره أم لا . ﴿ووجعل﴾ .. الجعل : إيجاد شيء ملاحظاً فيه شيء آخر، كجعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل في السماء بروجاً .

﴿الظلمات والنور﴾ .. وهما حسيان كظلمة الليل ونور النهار، ومعنويات كظلمة الجهل والكفر، ونور العلم والإيمان. وأفرد النور لأن الحق واحد والباطل كثير، انظر الآية (٥٣) الآية من هذه السورة صفحة ١٨٩ .

﴿وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ .. يقال عدل كذا بكذا إذا سواه به، أي يسوون به تعالى الأصنام في العبادة مع أنها لم تخلق شيئاً .

﴿فرض أجلاً﴾ .. هو أجل مدة حياة كل فرد في الدنيا .

﴿وأجل مسمى عندكم﴾ .. هو أجل قيام الساعة ﴿وتعترون﴾ .. تشكون .

المعنى: .. كل البناء الحسن والذكر الجميل مستحق له تعالى، لأنه مصدر كل نعمة تستوجب الحمد ومنها خلقه السموات والأرض، ووضع النظام الذي نتج عنه ظلمة فيها سكن المجتهد، ونور فيه سعيه وكسبه، انظر الآيات (٧١، ٧٢، ٧٣) من سورة القصص صفحة ٥١٧؛

السموات (٢) - القامات (٣) - السموات (٤) - آيات (٥) - إنباء

تنتنا وعناداً ما هذا الكتاب إلا سحر واضح وقالوا تشكيكا في رسالته صلى الله عليه وسلم :
لولا أنزل على هذا الذي يدعى النبوة ملك، فخيرنا أنه نبى. ولو أنزلنا ملكا كما اقترحوا قضى
الأمر بإهلاكهم كما تقدم بيانه في الآية (١١٥) من سورة المائدة صفحة ١٦، ثم لا يمهلون بل
ياخذهم العذاب عاجلاً.

وأيضا لو جعلنا المنزل عليهم ملكا لا بشراً لجعلناه متمثلاً في صورة رجل ليتمكن رؤيته
لاستحالة رؤية البشر للملك على صورته الحقيقية. ولو جعلناه في صورة رجل لاخط الأمر
عليهم كما كانوا وحينئذ يقيمون فيما يلبسون أول الأمر، أى فهم يطلبون إما ما فيه هلاكهم، أو
عبثاً.

ثم سلى سبحانه نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه فقال: ولقد استهزئ برسلى من قبلك
فاحاط بالذين سخروا منهم العذاب الذى كانوا به يستهزئون، انظر الآية (٥٩) وما بعدها من
سورة الاعراف صفحة ٢٠٢ وما بعدها لتعرف كيف استهزئ بالرسلى قبل محمد ﷺ قل أيها
النبى مذكراً قومك بأحوال من قبلهم : سيروا في الأرض ثم انظروا بعين الاعتبار كيف صارت
عاقبة المكذبين لرسولهم من إهلاكهم وترك ديارهم خراباً، انظر آيات (٧٤) من سورة الحجر
صفحة ٢٤٢، و (٤٥) من سورة الحج صفحة ٤٤٠، و (٥٢) من سورة النمل صفحة ٥٠٠.

وقل أيها النبى لقومك الجاحدين: لئن ما فى السموات والأرض ملكاً وحقاً وتصرفاً؛ وقد
ثبت أنهم يقولون بأنها لله كما فى آيتى (٨٤، ٨٩) من سورة المؤمنون صفحتى ٤٥٣، ٤٥٤،
وآيتى (٦١، ٦٢) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩. ولذا قال فى الجواب: قل لله أى لا خلاف
بيننا فى ذلك، فأجابه بذلك إلى الاعتراف بخطأ عبادة غيره تعالى. وقل لهم أيضاً : إن الله
الذى يملك كل شىء كتب وأوجب على نفسه الرحمة بعباده فلا يجعل تعذيبهم، ويتقبل توبتهم،
ووالله ليجمعنكم ويحشرنكم إلى يوم القيامة.

﴿مداراً﴾... غزيراً ﴿قرطاس﴾... أى ورق.
﴿لا ينظرون﴾... لا يمهلون..
﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾... أى خلطنا
الأمر عليهم كما يخلطون على أنفسهم فى
قولهم ما هذا الرسول إلا بشر مثلكم.
﴿فحاق﴾... أى نزل وحل.

المعنى : : ألم يعلم هؤلاء الكفار القرون
الكثيرة التى كانت قبلهم وأهلكها لها عملت
مثل عملهم: مكناهم فى الأرض تمكيناً لم
نمكنه لكم أيها الكفار، فكانوا أطول منكم
أعماراً وأقوى أجساماً وأوسع سلطاناً، ووسعنا
لهم فى الرزق فأرسلنا المطر عليهم غزيراً وصيرنا الأنهار تجري من تحت قصورهم وجنانهم،
انظر الآية (٥١) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٢؛ فلم يغن عنهم ما هم فيه شيئاً، فأهلكناهم
بسبب ذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين، أى أنه سبحانه لا يعجزه شىء، إذا أهلك
المفسد يعمر الأرض بغيره، انظر آيتى (١٤، ١٥) من سورة الشمس صفحة ٨١٠.

ثم أراد سبحانه أن يبين لرسوله شدة عناده وقومه وأنه لا يرجى منهم فقال: ولو أنزلنا عليك
أيها النبى كلاماً مكتوباً فى قرطاس فلنساو القبرطاس بأيديهم للتحقق ورفع الشبهة فتألموا

- (١) مكناهم
- (٢) الأنهار
- (٣) فأهلكناهم
- (٤) كتاباً
- (٥) جعلناه
- (٦) لجعلناه
- (٧) عاقبة
- (٨) السموات.

وَقُلْ أَيْضًا أَخَافُ إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي فَأُكْذِّبُكَ وَفِي خِطَابٍ آخَرَ قَالَ: «يَكُونُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ولما بين أن الخير والعذاب بيده يوم القيامة أراد سبحانه أن يبين أن الأمر كذلك في الدنيا فقال:

وإن يمسسك أيها المخاطب بفسخ كمرض أو فقر وغيرهما من أنواع البلاء فلا مزيد له عليك إلا هو سبحانه، أي لا أحد من الخلق فضلاً عن الأصنام. وإن يمسسك بخير كصحة أو غنى أو ولد فلا راد له، لأنه على كل شيء من الضر والخير قدير، فلا يكشف الضر سواء، ولا يحفظ النعمة غيره. وهو القاهر الغالب فوق عباده بالقدره والإخلاص، انظر الآية (١٢٧) من سورة الأعراف صفحة ٢١١ يتضح لك معنى التهور. وهو السكيم في تنفيذ أوامره، الخبير بأهل الخير والشر.

ولما قال مشركوكم يا نبي الله صلى الله عليه وسلم ما نرى أحدا يصدقك فيما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فأجرونا بأنه ليس لك عندهم ذكر، فهل عندك من يشهد لك. أمره الله تعالى أن يقول لهم: أي شيء شهادته أكبر وأعظم وأحق بأن تكون أصح وأصدق؟ ثم أمره بأن يعجب عنهم بأن أكبر الشهادات شهادة الله، أي وإذا كانت هذه قيمة شهادته فهو شهيد، بينى وتبينكم بأنني صادق وبأنكم معاندون، وقال لهم إن الله تعالى أوحى إلى هذا القرآن لأندركم وأخوفاكم بما فيه من الوعيد، وأندركم به أيضا كل من يأتيه إلى يوم القيامة. وخص الإنذار بالذكر مع أن القرآن فيه إنذار وتبشير لأن المخاطبين هنا كانوا كلهم جاحدين بآياتهم.

174

المفردات : - إلى يوم القيامة .. إلى
بمعنى (وفي) .. أى يجمعكم فى يوم القيامة
أو بمعنى اللام كما فى قوله (ووالأمر لك، ويساعده قوله (وإي
إليك) .. أى والأمر لك، ويساعده قوله (وإي
مجموع له الناس) الآية (١٠٢) من سورة هود
صفحة ٢٩٩ أى للحساب فيه فلا ريب
فيه .. لا شك فيه.

﴿وَمَا سَكُنَ﴾ .. أى وما تحرك، ففى الكلام اكتفاء بذكر أحد الطرفين المتلازمين لانتهائهما من المذكور كما فى قوله: ﴿وَسَبِيلَ تَتَبِعَكُمُ الصِّرَاطَ﴾ .. أى أو البرد.

﴿وَلِيًّا﴾.. أَيْ نَاصِرًا وَمُجِبًّا بِخَضِيع لَه.

وفاطر السموات... اخترعها ومبدئ خلقها.

المعنى : : ليجمعنكم ليوم القيامة جميعا لاشك فيه، ويجمع على الغضوض الذين خسروا أنفسهم بإهمال عقولهم، فهم لا يؤمنون أبداً ما داموا على هذا الحال. وكما أن الله كل ما فى السموات والأرض له أيضا كل ما سكن وما تحرك فى الليل والنهار، أى أنه سبحانه وملك لجميع ما فى كل زمان وكل مكان، وهو السميع لكل أقرالهم وهمساتهم، الطليم بكل ما تخفيه الصدور. وإذا كان الأمر كذلك فقتل إهم أيها النبى أعير الله الذى هذه صفاته اتخذ ناصرًا ومعيودًا أى هذا لا يصح ولا يكون من عاقل. ثم وصف نفسه بقوله: فاطر السموات والأرض، أى، خالقهما لا علم، مثلاً، وهو يقطع أى يرتق غيره طعاماً ولا يحتاج إلى رزق من أحد.

(١) القيامة
(٢) الليل
(٣) السموات
(٤) شهادة.

أيها النبي إن الله قادر على أن ينزل آية مما تقرحون ولكن أكثرهم لا يعلمون أن نزولها حسب اقتراحهم فيه فتأولهم جميعاً إذا لم يؤمنوا كما تقدم بيانه في الآية ٨ المنشار إليها صفحة ١٢٣.

المفردات .. : هـ الآية : انظر معناها في

الآية (٢٩) من سورة الشورى صفحة ٦٤٣.

فيظهر بجناحيه : ذكر ذلك للتأكيد كما في

الآية (٤٦) من سورة الحج صفحة ٤٤٠.

أمم أمثالكم : الأمة هي الجماعة التي

تجمعها صفات وعادات واحدة متجانسة وفي

الكتاب : هو اللوح المحفوظ، انظر آيات (٥٩) الآية صفحة ١٧١، و (١) من سورة هود

صفحة ٧٨٤، و (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠، و (٣٩) من سورة النبا صفحة ٧٨٨.

و (٣٢) من سورة البروج صفحة ٨٠٢. فمن شيء : فمن على عموم شيء، بعدها.

وارائكم : تتربص من الهمة للاستفهام، والمثل رأى بمعنى علم وهذا الفعل متعد لمفعولين.

وضمير التاء المفتوحة للمخاطب، والكاف حرف خطاب، والميم علامة الجمع : وارائكم

بمعنى أخبروني. وذلك عن طريق مجازين... الأول في الاستفهام بإرادة مطلق طلب الإيضاح.

والثاني في الرؤية بإرادة الإخبار إذ رؤية الشيء سبب في الإخبار عنه.

والمعنى : أخبروني أخبر من يعلم عن حالكم عندما يصيبكم شيء فوق الاستبانت هل

تدعون أصنامكم التي لا تضر ولا تنفع أم تدعون الله سبحانه وتعالى.

وَمِنْ دَائِيَةِ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَكُنْ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا
أَمْ أَنْتَ لَكُمْ مَا تَزُورُونَ فِي الْكُتُبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَنْتَهِزُوا بِحُجْرَتِكُمْ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَنْ يَكْفُرْ
فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ نَبَأِ اللَّهِ يُعَذِّبُهُ وَنَسِيَ جَعْلَهُ عَلَى
مَرْكَبٍ مُنْقَسِرٍ ۖ قُلْ أَرَأَيْكُمْ أَنْ تُنْكِرُ عَذَابَ اللَّهِ
أَوْ تُنْكِرُ النَّاسَ أَمِيرًا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ
بَلْ إِنْ تَدْعُوهُمْ فَسُكُوتٌ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
وَكُنْتُمْ كَاذِبِينَ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا أَنْ أَمِيرًا مِنْ قَبْلِكَ
فَأَعَانَاهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْقُرْآنِ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۖ
قَوْلًا أَذْ بَعْدَهُمْ نَبَأًا فَأَعْرَضُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَلَّ لُحْمُ الشُّيَاطِينِ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ۖ فَلَمَّا أُنْزِلَ
مَاءٌ زُرِّيًّا يُبَيِّنُ لِقَوْمِهِمْ آيَاتِ رَبِّكَ كَيْفَ تَنْزِيلُهَا وَإِنْ رُحُوا

- (١) عاشر. (٢) الكتاب. (٣) بالياء. (٤) الظلمات. (٥) مرابط.
(٦) اتاكم. (٧) صادقين. (٨) فاحذثناهم. (٩) الشيطان. (١٠) أبواب.

جائزون في صميم قلوبهم بأنك على حق، ولكن هؤلاء الظالمين يَكْبُرُونَ في تكذيبهم بآيات الله الدالة على صدقك. ثم قو سبجانه تسليته الأولى بفسية ثانية فيها إرشاد لطريق النجاح فقال: «ولقد كذبت رسل من قبلك»، انظر الآية (٤٢) من سورة الحج صفحة ٤٢٩، وآيتي (٤)، (٢٥) من سورة فاطر صفحات ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٥؛ ولما كان التكذيب يستلزم الإبداء اكتفى بذكره في سياق الصبر فقال: «فصبروا على ما كذبوا وأودوا» أي وصبروا على الإبداء حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدل للكلمات الله في وعده بنصر الصابرين كما في آيتي (١٧١، ١٧٢) من سورة الصافات صفحة ٥٩٦، والآية (٤٧) من سورة الروم صفحة ٥٣٧، والآية (٥١) من سورة غافر صفحة ١٢٤؛ ولقد جاءك بعض أنباء المرسلين قبلك التي قصصناها عليك قبل هذا المتضمنة تكذيب الرسل ونصر الله لهم في النهاية. ومن أراد معرفة أشد ما فعله كفلار قريش به ﷺ فليرجع إلى حديثي ٤٦٨، ٤٧٣ من كتابنا صفوة البخاري. ثم أكد سبجانه الصبر بأنه علاج لا بد منه فقال: «ولأن كان شأنك معهم أنه كبر وعظم عليك إضرارهم عنك المفهوم من التكذيب فإن استطعت أن تغلبهم بمعجزة مما اقترحوه ليؤمنوا كما يزعمون فافعل وأت لهم بما يطلبون، ولن تستطيع، أي فإرح نفسك بالصبر ولا تحزن ولا تحاول المستحيل، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى مكنهم لجمعهم بجعل الإيمان إجباريا لهم كالملازمة، ولكن هذا يستلزم أن لا تكون الدنيا دار تكليف، لأن التكليف يستلزم الاختيار، والاختيار يستلزم التفاوت في التفكير والعادات والميول، وإذا انتفى كل هذا فلا جنة ولا نار، ولهما وجدا على أساس تفاوت المكلفين في الطاعة والمعصية، وإذا كانت هذه هي حكمة الله تعالى فلا تكون أيها النبي بعرضك الشديد على إيمانهم من الجاهلين بسنة الله في خلقه الذين يتمنون حصول ما ليس من الحكمة حصوله.

وخوطب نوح عليه السلام بأشد من هذا في الآية (٤٦) من سورة هود صفحة ٢٩١؛ ويد ما بين سبجانه أن حكمته اقتضت تفاوت الناس، أراد أن يبين من منهم يختار الهدى وهل هؤلاء منهم أم لا ليرجع ﷺ نفسه من الحزن عليهم، فقال: «إنما يستجيب أي يجيب دعوتك إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقى إليهم سماع فهم وقبول، دون الذين لا يسمعون ولا يظهرون كأنهم أموات كما في الآية (٤٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥. وموتى القلوب يخرجهم الله تعالى يوم القيامة من قبورهم ثم ترجعهم الملائكة إليه تعالى ليثابروا جزاءهم. ثم أراد سبجانه أن يبين شيئا من عنادهم ليزيد في تسليته ﷺ فقال:

وقالوا لو لا نزل عليه آية مما اقترحنا مما سبقت الإشارة إليه في الآية (٨) صفحة ١٦٣ وسيأتى بعضه في الآية (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ١٧٦ وما بعدها. قل لهم

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾: التقييد بالمشيئة هنا إشارة إلى أن الذي يمكن أن يكشف عنهم عند الرجوع إلى ربهم إنما هو عذاب الدنيا قبل بلوغ الروح الحلقوم، ومشاهدة مقدمات الموت التي لا بد من حصوله بعدها أما بعد ذلك فلا ينفعهم تضرع لما دلت عليه آيات أخرى، انظر الآية (١٥٨) من هذه السورة صفحتي ١٩٠، ١٩١، وآيتي (٩١، ٩٠) من سورة يونس صفحة ٢٨٠، وآيتي (٨٤، ٨٥) من سورة غافر صفحة ٢٢٩.

﴿الْيَأْسَاءُ﴾: ما يصيب الإنسان في غير نفسه كفتد ولد أو مال ﴿الضراء﴾: ما يصيبه في نفسه كالمرض.

﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾: أي يتدللون ويخشعون لربهم تائبين، محافظين على التوبة غير ناقضين. لها، ولا رجعوا خاسرين انظر الآية (١٣٥) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢، والآية (٣٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٩، والآية (٥٤) من سورة النحل صفحة ٣٥٢، والآية (٦٥) من سورة العنكبوت صفحتي ٥٢٩، ٥٣٠، والآية (٣٢) من سورة الروم صفحة ٥٢٥.

﴿فَلَوْلَا﴾: تأتي كلمة ﴿لولا﴾ في لغة العرب لعمان: منها أن تكون شرطية، تربط بين جملتين، نحو لولا طلوع الشمس لأظلم الجو، والمعنى لولا أن طلوع الشمس محقق لأظلم الجو. ومن ذلك في القرآن ﴿لولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمحكم فيما أفضت فيه عذاب عظيم﴾ الآية (١٤) من سورة النور صفحتي ٤٥٨، ٤٥٩، ومنها إفادة التخصص، وهو الحظ على الفعل، أي طلب حصوله، قال تعالى ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ الآية (٣) من سورة الماعون صفحة ٨٢٣.

وهذا الطلب إما أن يكون على سبيل الرجاء، أو على سبيل الأمر. فمن الأول ﴿لولا أخرتني... إلخ﴾ الآية (١٠) من سورة المنافقون صفحة ٧٤٤، ومن الثاني ﴿لولا تستغفرون الله﴾ الآية (٤٦) من سورة النمل صفحة ٥٠٠، والفعل المذكور بعدها لا يكون إلا مضارعاً، أي دالاً على مستقبل، أو ماضياً مثلاً بالمستقبل، فمن الأول ما تقدم في صفحة ٥٠٠ ومن الثاني ما تقدم في صفحة ٧٤٤، لأن معناها أرجوك يارب أن تؤخرني إلى أجل... إلخ. كما تقول لمن يطالب بدين له عليك:

لولا أهملتني، تريد: أرجوك أن تهملني. وقد يراد بـ ﴿لولا﴾ هذه التوبيخ والإشعار بالندم على التفریط، وهذه تقييد ضمناً عدم حصول الفعل المذكور بعدها، وإن كان في صورة الماضي، ومنه قوله تعالى ﴿فلولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ الآية (١٦) من سورة النور صفحة ٤٥٩، فالمعنى إنكم تستحقون التوبيخ على عدم قولكم ما يكون لنا... إلخ فينبغي لكم أن تدموا على هذا التفریط.

وقد يراد بها أيضاً التعجيز والتحدى، وذلك حينما يطلب بها من المخاطب ما يعجز عنه، ومن ذلك في القرآن قوله تعالى ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ الآية (٨٣) من سور الواقعة صفحة ٧١٧ لأن المراد هل تستطيعون إرجاع الروح إذا بلغت الحلقوم إلخ ما سيأتى ونظير هذا التعجيز في القرآن قوله تعالى ﴿قل كونوا حجارة أو حديد﴾ إلخ الآية (٥٠) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ٣٧١ ثم إن ﴿لولا﴾ لا بد أن يكون الفعل المذكور بعدها متصلاً بها، ولا ينفصله في النقط فقط لا في المعنى إلا أحد ثلاثة أشياء.

﴿إِذَا﴾ و ﴿إِذَا﴾ ظرفان منصوبان بالفعل الذي أصله أن يكون قبلها نحو ما تقدم في الآية (١٦) من سورة النور صفحة ٤٥٩ والآية (٨٣) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧.

والثالث الجملة الشرطية نحو قوله تعالى ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها.. إلخ﴾ وسياق بيان ذلك في الآية (٨٦) من سورة الواقعة صفحة ٧١٧، فأصل التركيب فلولا ترجعون الروح إن كنتم غير مدينين.

ومن معاني ﴿لولا﴾ أيضاً إفادة التفرع أي التوجع للزربة، والتأسف لحصولها، ويكون المراد حمل السامع على التأسف لما حل بإخوانه في الإنسانية الذين أهلكتهم المصائب لمخالفتهم أوامر ربهم، وبذلك يجتنبون جرائمهم التي أوقعتهم في هذا الهلاك، ومن ذلك ما في هذه الآية التي نحن بسبيل شرحها، وما في قوله تعالى ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾ الآية (١١٦) من سورة هود صفحة ٣٠١، وقوله سبحانه ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً لآلهة بل ضلوا عنهم... إلخ﴾ الآية (٢٨) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠.

١٥٠، والآية (١٠٨) من سورة المائدة أيضا صفحة ١٥٩، والآية (٣٧) من سورة ابراهيم صفحة ٣٢٤، والآية (١٠٤) من سورة النحل صفحة ٣٦٠، والآيات (٨ - ١٠) من سورة الليل صفحتي ٨١٠، ٨١١ وغير ذلك، فمن حيث إنه سبحانه ووضح الأسباب والمسببات صبح أن يقال إنه يضل من يشاء ويهد من يشاء بمعنى أنه كان قادرا أن يغير لهم هذا النظام فيكون العالم كله مجبوراً، ومن حيث إنه سبحانه منح المكلفين الاختيار وسهل لهم الأسباب صبح أن يرتب هدايته لهم واضلاله على عملهم فيقول مثل **وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ** الآية (٣٨) من سورة غافر صفحة ١٢١، ويقول **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** الآية (١٩) من سورة المائدة صفحة ٥٢٠، ثم بعد ذلك أراد سبحانه أن ينبههم إلى ما في داخل فطرته التي أفسدها لهم يرجعون فقال: **قُلْ إِنَّمَا النَّبِيُّ لِمَشْرَكِي قَوْمِكَ أَزَاتِمُ، أَيْ أَخْبِرُونِي مَاذَا تَفْعَلُونَ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا كَمَا أَتَى مَنْ قَبْلَكُمْ، كَالرَّيْحِ الصَّرْصَرِ، وَالصَّاعِقَةِ وَالطُّوفَانِ، أَوْ أَنْتُمْ مَقْدَمَاتِ السَّاعَةِ وَأَهْوَالُهَا، هَلْ تَدْعُونَ لَكُشْفِ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْ أَنْتُمْ غَيْرِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنْ أَصْنَاكُمْ أَنَّهُ تَفْعُ، أَمْ لَا تَدْعُونَ غَيْرَهُ تَعَالَى؟** ثم أجاب بما هو الواقع منهم قطعاً في مثل هذا فقال: **بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ، أَيْ لَا تَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي حَالِ الشَّدَةِ كَمَا هِيَ عَادَتُكُمْ دَائِمًا،** انظر آيتي (٢٦، ٢٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٩، والآية (١٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٢، فيكشف سبحانه ما تدعونه لكشفه إن شاء وعند هذه الشدة تسبون ما تشركونه مع الله في العبادة، ثم أراد سبحانه أن يخفف على رسوله شدة عذابه قومه وقسوتهم عليه فآخبره بأن أمم الرسل قبله كانوا أقسى قلوباً من أمته، وأن الشدائد لم ترجعهم إلى الحق، ومع ذلك صبر هؤلاء الرسل كلما كذبوا حتى آتاهم نصر الله بإهلاك قومهم، انظر الآية (٣٤) الماضية صفحة ١٦٧ فقال هنا ولقد أرسلنا رسلاً إلى أمم كثيرة قبل أمك فلما كفروا أنزلنا عليهم البأساء والضراء لعلمهم يتخبرعون، ويرجعون إلى الحق رجوعاً صادقاً لا لكسة بعده، ولكنهم لم يفعلوا، فبإس حسرة عليهم حيث لم يفعلوا، واستمرت قلوبهم على قسوتها، وزين لهم الشيطان عملهم، فلما أمهلوا ما ذكروا به كانوا سوءاً، بلوأنهم بالحسنات بدل السيئات، لتسلك بهم كل طرق الاختيار، وتقطع عليهم سبل الاعتذار، انظر الآية (١٧٨) من سورة الأعراف صفحة ٣٢٠، فوسمنا عليهم في الرزق، وصحة الأجسام، فلم يزدهم ذلك إلا بطراً وكبراً، حتى إذا فرخوا....

فوقتنا عليهم أبواب كل شيء؛ من أبواب الرزق الواسع، وصحة الأجسام.

المعنى : : لما فرغ سبحانه من بيان آياته القاطمة بصدقته ﷻ، ومن الراد على مقترحاتهم أراد أن يرشد المستند منهم لنوع من آياته في العيون التي لو تأملوها لعلموا أنه لا يكون إلا عن تدبير حكيم عليهم، واستغفروا بذلك عن تعنتهم في اقتراح آيات معينة فقال **هُوَ مَا دَابَّ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أَمَّمْ أمَّاكُمْ** أيها الناس في تمييزها عن غيرها وتجانسها في أفعالها ونظام حياتها، وفي هذا أقوى دليل على حكمة المليم القدير، ما فرطنا في الكتاب من شيء، ثم إلى ربهم يحشروا هذه الأمم، أي يحشر المكلفون جميعاً، ومن العيون التي وقع عليه ظلم من مكلف ليشهد على من ظلمه كما تشهد عليه جوارحه كما في الآية (١٥) من سورة يس صفحة ٥٨٥، وآيتي (٢٠، ٢١) من سورة فصلت صفحة ١٣٢، وكما تشهد الموءودة في الآية (٨) من سورة التكاوير صفحة ٧٩٤، والذين كذبوا بآياتنا من القرآن والحجج المبنية في الكون، صم لا يسمعون دعوة الحق سماع فهم وقدير، بكم لا ينطقون بما قد يعرفون من الحق غارقون في ظلمات الشرك والعناد وتقيد الآباء،

من يشاء الله إضلاله بضلاله بأن يتركه ونفسه يختار ما يشاء كما اقتضته سنته في نظام هذه الدنيا أن لا يجبر أحداً على شيء، انظر آيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة صفحتي ٣٦٦، ٣٦٧ والآية (٢٦) من سورة البقرة صفحتي ١٧، وليس المعنى أنه يخلق الضلال في العبد خلقاً قهراً عنه فتكون أفعاله وحركاته كحركة الدم في الجسم وعمل المعدة في الهضم فلا دخل له فيها ولا يستطيع الخلاص منها. ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم وذلك بأن يوقعه للانقاع بقلبه وسمعه ويصده لسلامة طبعه ونطاقته من الأمراض المميتة للقلوب انظر الآية (٩) من سورة يونس صفحة ٢٦٦ والآية (٢٧) من سورة الرعد صفحة ٣٢٥، والآية (١٩) من سورة المائدة صفحة ٥٢٠، والآية (١١) من سورة النحل صفحة ٧٤٦، والآيات (٥، ٧) من سورة الليل صفحة ٨١٠؛ كما لا يضل إلا فاسد الطبع الذي مرن على المعاصي حتى طمس قلبه، انظر الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحة ١٧، والآية (٢٥٨) من سورة البقرة أيضا صفحة ٥٤، والآية (٨٦) من سورة آل عمران صفحة ٧٧، والآية (١٧) من سورة المائدة صفحة

فقرئ فيهم : وانذر إلى آخر الآية (٥٥)، وكانت هذه عادة المستكبرين دائماً، انظر الآيات من (٢٧) إلى (٣١) من سورة هود صفحات ٢٨٨، ٢٨٩ وآيتي (٧٢، ٧٣) من سورة مريم صفحة ٤٠٣، وآيتي (١٠٩، ١١٠) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٥، ولا تطرد أيها النبي هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم أول النهار وآخره، والمراد في جميع الأوقات، يريدون وجه الله أي مخلصين، لا تطردهم أرضاء لكفر قريش الذين طغوا في إخلاصهم وتهمومهم بالنفاق، فما عليك أيها النبي من حساب هؤلاء الضعفاء شيء، كما أنه ليس من حسابك عليهم شيء، أي كل ملككم محاسب أمام ربه فيما يتعلق بأحوال ضميره، فهي في معنى قوله هؤلاء تزد وازدة وازد أخرى، انظر الآية (٤٠) من سورة الرعد صفحة ٢٢٨ والآية (١١٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦، وإذا كان الأمر كذلك فلا تسمع دس الكافرين وتطردهم، فإنك إن فعلت كنت في عداد الظالمين، وحاشاه ﷺ أن يقع في ظلم. وكهذه الفتنة التي وقع فيها الأقوياء فتناً كل متكبر بالضغف، كما فتنا وامتحنا المستضعفين من المؤمنين والفقراء منهم بالأقوياء والأغنياء، انظر الآية (٢٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢ ليظهر معدن كل منهما، ويتبين المخلص في إيمانه الذي لا يهتم إلا بما يقربه من الله من المتكبر الذي تهمة المظاهر، انظر الآية (٢٧) من سورة هود صفحة ٢٨٨ والآية (١١١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦ والآيات من (٣١) إلى (٣٥) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠ فتناً بعضهم ببعض واختبرناهم ليقول المتكبرون هؤلاء الفقراء المساكين هم الذين من الله عليهم من بيتنا بهذه النعم التي يقول بها محمّد، وهي أنهم سيكونون سادة في الدنيا سعداء في الآخرة هذا لن يكون، انظر الآية (١١) من سورة الاحقاف صفحة ٦٢٧ فرد الله تعالى عليهم بقوله : أليس الله أعلم بمن يشكر نعمته فيجزيه رغم أنوفكم، وبعد أن نهى الله عن طردهم أمره سبحانه بأن يكرمهم ويحاملهم قتالاً؛ وإذا جاء الذين يؤمنون بأياتنا قتل لهم سلام من الله عليكم، أي بلغهم تحيتي وممّنتهم بأن ربهم أوجب على نفسه تفضلاً منه ورحمة أنه من عمل مكمل دنيا متدفعا إليه بلا روية ولا تصميم ثم سارع إلى التوبة والندم وأصلح أعماله بالإخلاص في التوبة غفر الله له لأنه كثير المغفرة واسع الرحمة.

وبمثل هذا التفصيل البديع تفصل وتنوع الآيات القرآنية الدالة على الحق لبيان الصحيح والواقع، وتظهر طرق المحرمين فيسهل اجتيازها. ثم أمره أن يقول هؤلاء الضغف أني نفيت أي نهيتي ربي ومنعتي أدلة العقل عن أن أعبد الذين تدعونهم من دون الله.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْنَا مِنْ بَيِّنَاتٍ لَمْ يَكُن لِيَكُ رَيْبٌ مِنْهُمْ مِنْ قُدْرَةٍ رَبِّي وَلَا تَغِيغَ نَفْسُهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ يَوْمَئِذٍ دَعْوَاهُمْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابٍ مِمَّنْ عَمِيَ عَنْ رَبِّهِ وَمَا يَرْثِي رَبِّي حَسَابًا ﴿٥٧﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ مَعَهُمْ يَفْعَلْ لِيُؤْثِرُوا الْمَثَلَةَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّا جَاءَهُمْ مِنْ بَيْنَاتٍ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّا جَاءَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ عَلَنَ نَفْسِهِ لِرَحْمَةٍ اللَّهِ مِنْ عَمَلٍ يُبْكِي سُرُورًا يَهْمِلُهُمْ تَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَصْلَحَ فَأَمَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلْيَتَّبِعُوا سَبِيلَ الْغَيْرِ مِنَكَ ﴿٦٢﴾ قُلْ إِنِّي أُبَيِّنُ أَنْ أُعْبِدَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

وكتب ربكم على نفسه تفسهة... أي فرض وأوجب على نفسه تفضلاً منه.

هو أنه من عمل منكم... إلخ... هذا يدل أو بيان للرحمة ببعض أنواعها.

فوجهالة... أي بسفه وطيش دفعه إلى السوء لا عن تعمد وإصرار دائم.

المعنى : وانذر بما يوحى إليك وهو

القرآن المؤمنين الذين يخافون من حشرهم إلى ربهم للحساب والجزاء وخصهم بالذكر لأنهم هم الذين يتفقه الإنذار قال تعالى:

﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ الآية (٥٥) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٦ وفي معناها الآية (١٨) من سورة فاطر صفحة ٥٧٤ والآية (١١)

من سورة يس صفحة ٥٨٠: المؤمنين الذين يعتقدون أنه ليس لهم من دون الله ناصر ولا معين

ولا شفيع، انظر الآية (٢٥٤) من سورة البقرة صفحة ٥٣ والآية (١٩) من سورة الانعام

صفحة ٧٩٦، انذر هؤلاء لعلمهم يحافظون على اتقاء ما يغضبهم سبحانه روى ابن جرير عن

عبد الله بن مسعود أن هذه الآية وما بعدها نزلت في ضعفاء المسلمين وفقراءهم فكانه

سبحانه يقول: إذا أعرض عنك المتكبرون فوجه عنايتك هؤلاء المخلصين فإنهم سيكونون نواة

امتك فيما بعد. وبيان ذلك أنه مر ذات يوم نفر من صناديد قريش على النبي ﷺ ومعه بلال

وصهيب وعمار بن ياسر وخباب وغيرهم من المستضعفين من المسلمين فقالوا يا محمّد

كيف تجلس هؤلاء دون كبار قومك؟ هؤلاء هم الذين من الله عليهم من بيتنا! طردهم عنك

فعلماك إن فعلت تتبعلك.

(١) بالعداء	(٢) بالشاكين	(٤) بآياتنا
(٥) سيلا	(٦) بهالة	(٧) الآيات.

قُلْ لَا آتِيَكُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ سَلَكَ إِذَا رَمَى نَارًا مِنَ
الْمُهَيَّيْنِ ۖ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ
مَا عِدَدِي مَا تَسْتَعْتِلُونَ بِهِ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَهْدِي
الْحَقُّ رُوحَ حَيْرِ الْقَطْرِ ۖ قُلْ لَّوْ أَن عِندِي
مَا تَسْتَعْتِلُونَ بِهِ لَفُتِحَ الْأَرْضُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّالِمِينَ ۝ * وَعِندَهُ مَنَاقِبُ النَّبِيِّ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُهَا
إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَنَا تَسْقُطُ مِن رَّوْقٍ
إِلَّا يَعْطِفُهَا وَلَا حِجَّةَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رُجُوبَ
وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كَيْبٍ مِّبِينٍ ۖ وَوَدَّ الَّذِينَ يُؤْتُونَكُمُ
بِالتَّيْلِ وَيَحْمِلُونَهُ فِي الْيَمِّ لَأَتِمَّتْ فِي قُلُوبِهِمُ لُغُوبٌ
أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ۖ وَهُوَ الْغَالِمُ فَوْقَ عِلْبَيْهِ وَيَرْسِلُ عَلَيْكُمْ

المفردات : .. «أهواءكم» .. أى شهواتكم القائمة على الباطل لا على الدليل.

«بيينة من ربى» .. أصل معنى بينة واضحة شديدة الوضوح وتطلق على المعجزة كما فى الآية (٨٧) من سورة البقرة صفحة ١٧، والآية (٩٢) من نفس السورة صفحة ١٨، و ١٠١ من سورة الإسراء صفحة ٣٧٨، وتطلق أيضا على الدليل القاطع كالتقرآن الكريم كما فى الآية (٩٩) من سورة البقرة صفحة ١٩، والآية (١٥) من سورة يونس صفحات ٢٦٧، ٢٦٨ والآية (١) من سورة النور صفحات ٤٥٦، ٤٥٧ وتطلق أيضا على العلم القطعى الناتج عما تقدم كما فى الآية (٤٢) من سورة الأنعام

صفحة ٢٢٢ ويعبر عنها فى القرآن أحيانا بالبصيرة كما فى الآية (١٠٨) من سورة يوسف صفحة ٣١٩. «يرقص الحق» .. أى يتبع فى فعله الحق، من قولهم قمص أثره إذا اتبع طريقته «مضاتج الغيب» .. جمع مفتاح كمبرد ومبارد وهو المفتاح.. «فى كتاب مبين» .. هو اللوح الغيب، أو جمع مفتاح بكسر الميم كمبرد ومبارد وهو المفتاح.. «فى كتاب مبين» .. هو اللوح المحفوظ انظر الآية (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠ والآية (٢٩) من سورة النبا صفحة ٧٨٨.. «يرتوقاكم بالليل» .. المراد يضعف صلة الأجساد فلا يشعر النائم بما يشعر به المتيقظ، انظر الآية (٤٢) من سورة الزمر صفحة ١١٢.. «جرحتم» .. جرحه جرحاً كمنعه

أحدث بجسمه تمزقاً، ولهذا سميت السباع جوارح لأنها تجرح كما تقدم فى الآية (٤) من سورة المائدة صفحات ١٢٥، ١٢٦. ومن المجاز فيه قولهم جرحه لسلانه أو فى شهادته إذا طعن فيه.

وجوارح الإنسان هى يداه ورجلاه التى يكتسب بها. ولهذا قالوا إن المعنى هنا ويعلم ما كسبتم من الإثم، لأن سياق الآية فى التهديد والتوبيخ فيناسبه كسب الذنب. «يريتكم فيه» .. أى يوقظكم فى جنس النهار لا فى النهار المتقدم. «القاهر فوق عبادته» .. أى الغالب فوق عبادته بالقدرة والإخضاع انظر الآية (١٢٧) من سورة الأعراف صفحة ٢١١.

(١) التفاصيل (٢) بالظالمين (٣) ظلمات (٤) كتاب (٥) يوقاكم (٦) بالليل.

المعنى : .. قل لهم أيتها النبى أيضاً: لا أسير فى طريقكم الذى سلكتموه من اتباع الهوى وإغفال الدليل، لأن هذا هو الضلال بعينه، ولذا قال قد ضللت مثلكم إذا اتبعت أهواءكم، وما أنا حينئذ على شيء من الهداية.

ثم بين ما يجب أن يكون عليه المؤمن فقال: إنى سائر فى عملى على بينة واضحة من صحيح القرآن الذى جاءنى من عند ربى والحال أنكم قد كذبتم بهذا القرآن المعبر عنه «بيينة». ولما زعموا أنهم لم يصدقوه لعجزه ^١ عن الإتيان بما توعدهم به من العذاب رغم تكرار طلبهم أن يأتيتهم به، انظر آيات (٣٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١، و (٤٧) من سورة الحج صفحة ٤٤٠، و (٥٣) من سورة المائدة صفحة ٥٢٨، و (١٨) من سورة الشورى صفحة ٦٤١، ولما غلطوا بذلك رد عليهم بقوله: ما عندى أى ليس عندى ما تستعجلون حصوله من العذاب لأنه مرهون بإرادة الله وحكمته، وما الحكم فى كل شيء يحدث فى هذا العالم إلا لله، فهو وحده الذى ينزل العذاب على من يشاء متى يشاء، يتبع سبحانه فى فعله الحق والحكمة.

وهو خير الفاضلين بين الحق والباطل. وقل لهم أيضاً: لو أن عندى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الأمر بينى وبينكم بانزاله عليكم سريعاً لشدة غضبى من عصيانكم لربى وإنقاذاً لعباده الضعفاء من بطشكم، ولكنه ليس فى يدي، والله سبحانه وحده هو الأعل

بمقدار ظلم الظالمين، فهو وحده الذى يتولى عقابهم، كل على حسب حاله، وهو العليم أيضاً بحكمة اختيار الوقت الذى ينزل فيه العذاب، انظر آيات (١١) من سورة يونس صفحة ٢٦٧، و (٥٨) من سورة الكهف صفحة ٢٨٩، و (٤٥) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨، ولذا قال: وعنده سبحانه مفتاح الغيب، أى أن سر الغيب المطلق كله بيده سبحانه لا يعلمه غيره إلا عن طريقه، ويعلم ما فى البر والبحر من الظاهر والخافى عليكم، أى أن تعلق علمه سبحانه بالمشاهدات

كثيفة بالمغيبات، فאלكل بالنسبة إلى علمه المحيط سواء، يعلم كل أحوالها لا يخفى عليه منها شيء مهما صغرت، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، وما تسقط حبة فى ظلمات الأرض، ولا يسقط شيء وطب ولا يابس من الثمار ونحوها إلا ثابت كل ذلك فى كتاب هو اللوح المحفوظ، وكل هذا كناية عن إحاطة علمه سبحانه بتفاصيل كل شيء فى هذا العالم صغيره وكبيره علويه وسفليه لا مجرد المذكورات فقط، وهو الذى يتوفاكم بالليل بالانتم فيه، انظر الآية (٤٢) من سورة الزمر صفحة ١١٢، لراحتكم كما فى الآية (٧٢) من سورة القصص صفحة ٥١٧، مع أنه يعلم ما كسبتم من الذنوب فى النهار السابق على الليل الذى تقتل عليكم فيه بما فيه راحتكم، ثم يوقظكم فى النهار لتسمعوا فى الأرض، وهكذا ينمىكم ويوقظكم إلى أن يقضى أجل المقدر لكل فرد منكم فى هذه الدنيا، ثم يمينكم فترجعون إليه فينبئكم بما داومتم عليه من عمل خير أو شر، ويجازيكم عليه. وهو القاهر فوق عبادته فلا يعجزه أحد منهم وقد تقدم بيانها فى الآية

ولا يستبقونه، ثم يرد الله جميع الخلاق إليه يوم القيامة للحساب والجزاء وهو سبحانه مولاهم الحق الباقي الذي لا يزول كما يزول ما اتخذوه من دونه آلهة بالباطل، ألا له سبحانه وحده يوم القيامة القضاء النافذ وهو أسرع الحاسنين، يوفى كل عامل عمله عقب عمله، وبحاسب الخلق جميعا يوم القيامة في أقصر وقت، وبعد ما بين سبحانه أنه هو المولى الحق أراد أن يبينه الكفار إلى ما يجدونه في قرارة نفوسهم عند الشدة من إغفال غيره سبحانه ودعائه وحده، فقال: قل لهم أيها النبي من يجيب عنهم إلفاده أنه لا جواب عندهم غيره، فقال: قل وجعلكم تدعونه تضربوا وخفية، أي معلنين ومسررين قائلين: والله لئن أنجانا من هذه الشدة لنكونن من الشاكرين، ثم أمره ﷺ أن يجيب عنهم إلفاده أنه لا جواب عندهم غيره، فقال: قل الله هو الذي يجيبكم منها ومن كل كرب يرض لكم، ثم أنتم بعد مشاهدة هذه الإحسانات تمدون إلى الإشراف به من لم يعمل لكم شيئا؛ أي فلم تكتفوا بعدم الشكر بل ضمتم إليه أفحيح معصية.

وبعد ما بين سبحانه أنه هو القادر على إنقاذهم من الشدائد، أراد أن يبين لهم أنه قادر أيضا على إنقاذهم فيها فقال:

هو القادر على أن يبعث أي يسلم عليكم عذابا شديدا شاملا بآتيكم من جهة الملو كالصيحة والصواعق، أو من جهة السفلى كالخسف والزلازل، انظر آيتي (١٧، ١٦) من سورة الملك صفحتي ٧٧٥، ٧٥٦. ولم يعين سبحانه هذا العذاب الذي هدد به ليشمل كل ما يجد، وقد جد في عصرنا ما لم يكن في حساب مخلوق وقت نزول القرآن مما تقتضيه الطائرات وما تعجره الأنعام والغواصات وما خفى كان أعظم، وقد سئل ﷺ عن هذه الآية فقال: (أما إنها لأتية ولم يأت تأويلها الآن) رواه أحمد والترمذي عن سعد بن أبي وقاص، يريد ﷺ أنها لن تحصل لأمته في زمنه، ولكنها ستحصل ولابد لأمة دعوته وهم جميع الخلق إلى يوم القيامة. فسبحان علام الغيوب الذي علم رسوله مالم يكن يعلم، وقادر أيضا على أن يخطبكم في القتال للنازع على الدنيا متفرقين كل في ناحية، ثم فسر ذلك بقوله: فوئديق بعضكم بأس بعض.

انظر أيها النبي كيف تنوع الآيات تقريبا للفهم، وتقدم مثلها في الآية (٤٦) صفحتي ١٦٩، لغتهم يشتهون الحقيقة فيجمعون عن العناد، وكذب بالقرآن وما فيه من العذاب قومك العرب مع أنه الحق، فقل لهم لست موكلًا بكم أحفظ أعمالكم وأجاريكم بها، بل هذا لله تعالى، وما أنا إلا نذير، ولكل خير مما أخبركم الله به وقت يتحقق فيه مدلوله، وسوف تعلمون صدق تلك الأخبار، وإذا رأيت أيها المؤمن الذين يخوضون في آياتنا المزلّة من الكفار المكذّبين المستهزئين أو من أهل الأهواء المفرقين لكلمة المؤمنين، فاعرض عنهم، أي انصرف عنهم، لأن الجوس معهم فيه إغراء لهم بالتمادي، وهذه الآية هي التي بيه الله سبحانه إليها في الآية (١٤٣) من سورة النساء صفحتي ١٣٦، ١٣٧.

حَفَظَهُ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ يَوَدُّهُ رَسُلًا يُدْعَىٰ
لَا يُدْعُونَ ۚ ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَرْثَلُهُمْ فِيهِ ۚ أَلَا
أَلَمْ تَرَ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ ۚ قُلْ مَنْ يَجْعَلُ لَكُمْ
فَلَاحًا أَوْ بَرَاءَةً تَدْعُوهُ نَهَرًا نَفِيًّا ۚ يَوْمَ لَا يُخَالَفُ
مِنْ حُدُودِ الَّذِينَ يَزُكُّونَ مِنَ الَّذِينَ ۚ قُلْ اللَّهُ يَجْعَلُ
مِثْلًا ۚ وَمَنْ كَلَىٰ كَرْبٍ ثُمَّ تَمُرُّ كَرُونِ ۚ قُلْ مَنْ الْقَادِرُ
عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا يَنْقُضُ بِرَيْبِهَا أَوْ يَدْعُ
أَحَدَكُمْ أَوْ يَنْبِذَكُمْ فِيهَا وَيَذِيقَ بِمَعْزُمِهَا ۚ يَوْمَ
أَنْفَرْتُمْ فُسْرَىٰ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِمَعْلُومٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ
يُكَذِّبُ بِهِ قَوْمٌ دُونَ الْحَقِّ ۚ قُلْ لَنْتَعْلَمَ
يَوْمَ الْقِيَامِ ۚ لَكِنْ يَسْتَعْزِزُكَ رَبُّكَ ۚ تَعْلَمُونَ ۚ
وَأَذَانًا يَوْمَ يُنْفَخُ ۚ يَوْمَ لَا يُخَالَفُ ۚ يَوْمَ لَا يُخَالَفُ ۚ

(١٨) من هذه السورة صفحة ١٦٤، ويرسل عليكم لتسجيل أعمالكم حفلة...

المفسرات : - : حفلة : هم الكرام الكاتبون في الآية (١٠) من سورة الانفطار صفحة ٧٩٥. أولا له الحكم : ألا كلمة تدل على تنبيه السامع لما بعدها لأهميته. وظائف البر والبحر : الوظائف كناية عن الأحوال والشدائد.

فانزعوا وخفية : التضرع المبالغ في الضراعة وهي التذلل والخضوع وتكون في الخالب جهرا. والخفية الاستتار خوفا من الرياء.

فأز يلبسكم شيئا : يقال لبست الأمر لبسا كضرب خاطئه، وشيع جمع شيعة كلبنة

وسلع، والشعبة كل قوم جمعهم أمر واحد، وهو منسوب على الحال أي حال كونكم متفرقين، كل متخلف لفرقه، ويقال الشيعة هي الجماعة التي تشايعت على الباطل أي تعاونت عليه وأشياعهم أمثالهم؛ فرباس بعض : البأس الشدة.

فكل نبا مستقر : النبا الخبر، والمستقر أصله الزمان أو المكان الذي يستقر فيه شيء والمراد يتحقق وقوعه فيه فيخوضون في آياتنا : الغرض الحديث بالباطل، والمراد بالآيات آيات القرآن الكريم.

المعنى : - : يرسل الحفلة يكتبون كل عمل من طاعة أو معصية حتى المباحات انظر الآية (٤٩) من سورة الكهف صفحتي ٣٨٧، ٣٨٨ والآية (١٨) من سورة ق صفحة ٦٨٩، بل يكتبون حتى خلجات القلوب، انظر حديث رقم ٦٤٨ من كتابنا صفوة البعاري، وحكمة إخباره سبحانه بذلك أن العبد إذا علم هذا خشي النصيحة على رموز الأشهاد. ويستمر عمل هؤلاء الحفلة إلى أن تأتي أسباب الموت ومقدماته، وعند ذلك تقيض روح العبد رسل الله من الملائكة الموكلين بقبضها، وبذلك ينتهي عمل الحفلة، وهم لا يفرطون بالتواني عن الموعد المحدد،

(١) مولاهم	(٢) العاصيين	(٣) ظلمات	(٤) أنجانا
(٥) الشاكرين	(٦) الآيات	(٧) آياتنا	

انه ينسب كل ما لا خير فيه للشيطان ولو كان خطأ، انظر آيتي (٦٣) من سورة الكهف صفحة ٣٩٠، و (١٥) من سورة القصص صفحة ٥٠٨. ولما كان ربما يتوهم أن الذي يجلس مع الخائضين ولو نسيانا مؤاخذاً، دفع ذلك بقوله: وما على الذين يتقون الله من ذنب الخائضين شيء، أي لا يلحق المتقين الذين يجالسونهم نسياناً شيء يحاسبون عليه من ذنوبهم، ولكن عليهم فقط تذكيرهم بفتح أعمالهم، والقيام عن مجالسهم، وإظهار الكراهة لهم، لعلهم يتقون الخوض حياء أو خوفاً من إساءة من هو أقوى منهم واترك أيها المؤمن الذين اتخذوا دينهم الذي فرض عليهم وطلب منهم الخضوع له وهو الإسلام لعباً ولهواً، تقدم شرحها في الآية (٣٢) من هذه السورة صفحة ١٦٦، ١٦٧؛ والمراد لا تبال بهم وامض فيما أمرك به الله، وابعد عن هؤلاء الذين خدعتهم الدنيا بالباطل حتى أنكروا البعث والنهوض في ملذاتهم. وذكر بالقرآن، انظر آخر سورة ﴿ق﴾ صفحة ٦٩٢، ثلثا تحبس كل نفس في الهلاك بسبب ما كسبت من الذنوب حال كونها ليس لها ولي ينصرها ولا شفيع ينقذها من العذاب، وإن تقدم هذه النفس كل فداء تتقى به العذاب لا يقبل منها. أولئك المتخذون دينهم لعباً ولهواً المغترون بالدنيا الذين هلكوا ليس لهم شراب في جهنم إلا من حميم يتجرعه أدهم ولا يكاد يسيغه يقطع أمعاءهم، انظر الآيات (١٧٧) من سورة إبراهيم صفحة ٣٣٢، و (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٢٨٤، ٢٨٥، و (١٥) من سورة محمد: صفحة ٦٧٤، وعذاب أليم غير ذلك من نار تشوى جلودهم، لهم ذلك بسبب كفرهم المستمر. قل لهم أيها النبي أنت ومن معك من المؤمنين هل يصح أن ندعوا من دون الله ما لا ينفعنا إن عبدناه، ولا يضرنا إن تركناه كما تعملون في عبادة الأصنام، ونرجع إلى الشرك بعد هداية الله لنا للتوحيد فنكون في رجوعنا على أعقابنا مماثلين للذي استهوته الشياطين فهو هائم على وجهه في الأرض حيران لا يهتدى إلى طريق النجاة، لهذا الضال رفقة مهتدون لم تضلهم الشياطين بدعوته إلى طريق الهداية والنجاة قائلين في دعائهم أئتنا أي أرجع إلينا تسلم، فلا يجيبهم فيهلك. وقل لهم أيها النبي إن هدى الله هداية إلهية وهو الإسلام هو الهدى وليس هناك هدى غيره.

حَتَّى يُخْرِجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبَيِّنُكَ لَتَقُولَنَّ
قَلَّا تَقَعُدُّ بُعْدَ الْأَدْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٣﴾ وَمَا
عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنَ حُلُومٍ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرُنَا
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٤﴾ وَقَدْ أَكْثَرُوا ظُلْمَهُمْ لَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ
مَعَهُمْ الْحِكْمَةُ الْغَالِيَةُ وَكَرِهِي أَنْ تُبَيِّنَ نَفْسُكَ بِمَا
كَتَبْتَ لِنَفْسِكَ مَا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ
تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَأُؤْخَذَ بِهَا وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ أُبَيِّنُوا بِمَا
كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴿٧٥﴾ قُلِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ اللَّهِ لَا شَيْءَ
وَلَا يَضُرُّهُمْ وَرَدَّ عَلَىٰ أَغْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ مَدَدْنَا اللَّهُ كَالْفُلِّ
أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَّهِ الْأَصْحَابُ
يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَلْمَسِ أَتَيْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ هَدًى مِّنْ أَلَدِّ هُوَ الْهُدًى

المفردات: : «وإما ينسبك الشيطان»: أصل التركيب «إن» و «ما»: : «وإن» شرطية تدل على ارتباط جملتين بعضهما ببعض و «ما» حرف يدل على تأكيد هذا الارتباط في كل حال من أحواله.
«وذر»: اترك وابتعد. «تبسل نفس»: تبسل من البسل بمعنى الحبس أو الهلاك، يقال أبسله الله أي أهلكه.
«وإن تعدل»: تعد. «كل عدل»: كل فداء أسلوا بما كسبوا: هلكوا بسبب عملهم السيئ «حميم»: هو الماء الشديد الحرارة.
«نرد على أعقابنا»: الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر القدم والمراد يرجعنا الشيطان إلى الخلف والمراد به الكفر. «استهوته الشياطين»: حملته على اتباع الهوى والسير على غير رشد. «حيران»: حال من الذي استهوته الشياطين و «حيران»: أي ثائه لا يهتدى إلى ما فيه نجاته.

المعنى: : ابتعد عنهم حتى يشتغلوا بحديث غيره، وإن عرض لك نسيان فجالسهم وهم يخوضون ثم تذكرت ففارقهم حالاً لأنهم ظالمون ونسب الإنساء للشيطان لأن من أدب القرآن

- (١) الشيطان
- (٢) الطالبين
- (٣) الحياة
- (٤) هداية
- (٥) الشياطين
- (٦) أصحاب

وسليمان... إلخ وقد جزم ابن جرير بأن الضمير في ذريته لنوح لأنه أقرب مذكور ولأن لوطا ويونس ليسا من ذرية إبراهيم.

وذهب سائر المفسرين إلى أن الضمير عائد على إبراهيم، لأن أصل الكلام في شأنه، وإنما ذكر نوحا في المقام لأنه جده لبيان نعمة الله عليه في أصوله، وفي كثير من فروعه، ولذلك جمعهما سبحانه في الامتنان عليهما يجعل الثبوت في نسلهما في الآية (٢٦) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢. وقال هؤلاء إن يونس من ذرية إبراهيم وإن لوطا ابن أخيه فهو إنه حكماً وقال صاحب المنار: ولم يرتب سبحانه هؤلاء الأنبياء حسب زمانهم لأنه أنزل كتابه للهداية والموعظة لا لمجرد التاريخ، ولأنه ليس كتاب مناقب يرتب أصحابها حسب درجاتهم، وإنما هو كتاب عبرة، وقد جعلهم سبحانه في هذا المقام ثلاثة أقسام لكل قسم منهم معنى يجمعه.

فالقسم الأول «داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون» والجامع بينهم أن الله آتاهم النبوة والإمامة والحكم والسيادة، وكل منهم ابتلى فصيبر، وأُثِمَّ عليه بالسراء فشكر، ولذلك خصوا بلفظ «المحسنين» لإحسانهم في تصريف الشؤون...

والقسم الثاني «زكريا ويحيى وعيسى وإلياس» هؤلاء يجمعهم شدة الزهد في الدنيا، والرغبة عن سلطانها، ولذا وصفهم بالصالحين، وهو أليق بهم وإن كان كل نبى صالحاً.

والقسم الثالث «إسماعيل وإيسع ويونس ولوط» ويجمع هؤلاء عدم خصوصية برزوا بها، إذ لم يكن لهم من سلطان الحكم ما للقسم الأول، ولا من المبالغة في الزهد ما للقسم الثاني، واكتفى بذكر تفضيلهم على عالم زمانهم، والله أعلم بأسرار كتابه.

«ومن آياتهم» أي وهدينا بعض آيات من ذكر من الأنبياء، وبعض ذرياتهم وإخوانهم، وهذا يدل على أن كثيراً من آياتهم وذرياتهم وإخوانهم لم يهتدوا، وقد جاء ذلك صريحاً في الآية (٢٦) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢. «واجتنبناهم» معطوف على «فضلنا» قال الراغب: يقال اجتنب الله العبد أي خصه بفيض إلهي يحصل له بسببه نعمة بلا يسعى منه،

وهو خاص بالأنبياء، وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء، «وهديناهم إلى صراط مستقيم» أعاد ذكر الهداية ثانياً للتأكيد، وليربط بها متعلقها وهو «إلى صراط مستقيم». وليرتب عليها قوله: ذلك أي الهدى إلى صراط مستقيم هو هدى الله الموصول للخير يهدي به سبحانه من يشاء هديته من عباده المستعدين لذلك كما في الآية (٣٩) المتقدمة صفحة ١٦٨ ولو فرض أن أشرك بالله أولئك المهتدون المصطفون لبطل وسقط عنهم مع علو قدرهم ما كانوا يعملون من الصالحات، فكيف بغيرهم ممن جمع بين الشرك وعدم مزية مما في هؤلاء. أولئك الأنبياء هم الذين آتيناهم الكتاب، والمراد بإتيانه سبحانه لهم الكتاب إلهامهم الفهم الصحيح لما فيه، والتمكن من الإحاطة بدقائقه، سواء جمع لأحده مع ذلك إنزاله عليه، أو كان تلقاه عن غيره منهم، لأنه من المعلوم أنه لم ينزل على كل واحد منهم كتاباً، بل على قليل منهم فقط، وآتيناهم الحكمة والنبوة، فإن يكفر بهذه الثلاثة هؤلاء المشركون من أهل مكة، بأن لم ينتقموا بها فقد وكلنا بأمر رعايتها والانتفاع بها قوماً كراماً هم أهل المدينة ومن سلك سبيلهم ليسوا بهذه النعم كافرين، أي فليسوا مثل كفار مكة. أولئك الأنبياء الثمانية عشر المذكورون هم الذين هداهم الله إلى الحق، فبهدهم اقتد أيها النبي، أي سر على طريقته في الأخلاق الفاضلة، والصفات الكاملة، كالحلم والصبر والزهد وكثرة الشكر والتضرع، فيكون جمع كل الفضائل التي تفرقت فيهم وقل أيها النبي لمن بُعث إليهم أولاً: لا اطلب منكم على هذا القرآن الذي أمرت أن أبلغه لكم أجراً من مال ولا غيره.

ما هذا القرآن إلا تذكير وموعظة وإرشاد.

المفردات: «وما قدروا الله» : أصل القدر معرفة المقدار، ثم استعمل في معرفة الشيء على أتم وجه.

«قرطاس» : جمع قرطاس وهو ما يكتب فيه من ورق وغيره. «تبدونها» : تظهرونها «أزهم» : أتركهم «في حوضهم» : كلامهم الباطل.

«لما بين يديه» :

الذي نزل الهداية تلاعب به أصحاب الشهوات من أجباز اليهود فكيفوه في أوراق متعددة يبدون منها ما لهم مصلحة في إظهاره، ويخفون ما لهم مصلحة في إخفائه، وكان هو الأكثر، وهذا يدل على أن مخالفتهم للتوراة المسيحية كانت أكثر. ثم امتن سبحانه على المؤمنين بقوله: وعلمتم أيها المؤمنون بآيات الله لكم هذا القرآن المبين لكل شيء ومنه ما خفي من جرائم المشركين واليهود ما لم تكونوا تعلمونه قبل ذلك. وعندما سألهم هذا السؤال المفصم لفته الجواب الوحيد الذي كان يجب أن ينطقوه فقال: قل لهم: الذي أنزل الكتاب على موسى هو الله، ثم اتركهم في باطلهم يلعبون كالصبيان فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، وهذا القرآن كتاب أنزلناه عليك كما أنزلنا التوراة على موسى، كتاب باركة الله بمرزايا كثيرة، منها بضاؤه إلى قيام الساعة، وامتياز في النظم والمعنى، ومصدق في الجملة لما تقدمه من كتب الأنبياء فلا يقر إلا ما هو صحيح منها، ويرد ما حرفوه، أنزلناه إليك لتبشر المؤمنين وتذير أهل مكة وما حولها من سائر بلاد العالم، والذين يؤمنون بالأخرة وما فيها من الجزاء فلا بد أن يخافوا الله فيؤمنوا بهذا القرآن، أما مكرو البعث فلا يشعرون بالحاجة إليه. وهذا هو السبب في أن مشركي العرب معرضون عنه، انظر الآية (١٥) من سورة يونس صفحتي ٢٦٧، ٢٦٨، يؤمنون ويحافظون على صلاتهم بأدائها على أتم وجه، وخصت الصلاة من بين أركان الإسلام لأنه لم يكن فرض عند نزول السورة غيرها.

ولما كان الناس بالنسبة لإرسال الله رسلا من البشر على ثلاثة أقسام:

قسم يؤمن وهم اتباع الرسل من كل أمة، وقسم ينكرها وهم مشركو الأمم السابقة كما تقدم في هود ومشركي هذه الأمة، وقسم ثالث يقر بها لكنه يدعيها لنفسه كذبا. وقد أبطل سبحانه دعوى الفريق الثاني، وشرع هنا في تهديد الفريق الثالث ومن كان على شاكلته في الكذب على الله وادعاء القدرة على الإتيان بعث القرآن فقال: ومن أظلم أي لا أحد أشد ظلما ممن يكذب على الله كقول: إن له شريكا أو ولدا، أو لم يرسل وحيا على بشر، أو يقول أوحى إليّ والحال أنه لم يوح إليه شيء، كمسيلة الكذاب الذي ادعى النبوة، ومثله من قال سائر مثل ما أنزل الله كيعض مشركي مكة، انظر الآية (٣١) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١، ثم هدّد سبحانه هذه الطوائف فقال: ولو ترى أيها السامع ما يحصل للظالمين وقت سكرات الموت والملائكة باسط أيديهم قائلين لهم سلّموا أرواحكم بلا إبطاء، اليوم تجزون عذاب الهوان الشديد. قال الفخر الرازي: الكلام كناية عن المنف والشدّة في إزهاق الروح وليس هناك قول لسان، والكل محتمل وإن كنا لا نرى شيئا، فقد يرى النائم شداً ولا يشعر بها الجالس بخواره، والله أعلم بالغيب.

الْمَلَكِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا قَرَأَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَرَأَ مَا أَنزَلَ
اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مِنْ قُلٍّ مِنْ أَرْزَلٍ فَكَيْتَبَ إِلَيْهِ
جَاءَ بِهِ مَوْحٍ ذُرٍّ وَهَدَى النَّاسَ سُبُلَهَا فَوَاطَّسَ
بَيْنَهُمَا وَخَرَّبَ أَعْيُنَ عَدُوٍّ أَعْيُنًا وَمَا يَكُونُ لَكُمْ
عِلْمٌ بِأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا تَشَاءُونَ ﴿٤٦﴾
وَهَذَا كَيْتَبَ أَرْزَلَهُ رَبُّكَ وَمَسَّيْتُ إِلَيْكَ كَتَبَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلْيُنْزِلْ أَمْرًا تَقْرَأُ مِنْ حَوْثٍ وَالَّذِينَ يُوْمِنُونَ وَالْآخِرَةَ
بِوَسْوَءٍ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ حِمَامٌ ﴿٤٧﴾ وَمَنْ
أَعْلَمُ سِرَّ قَدْرِي عَلَى اللَّهِ كَيْتَبًا إِذْ قَالَ أَوْحَى إِلَيْكَ لَرَبِّهِ
إِنِّي أَنبِئُكَ بِمَا تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ فَتُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ تَحْرِيْفًا
يَسْمُرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَنْزِلُ عَلَيْكَ آيَاتٌ مِنَ رَبِّكَ
فَقُلْ هِيَ الْحَقُّ وَلَوْ كُنْتُمْ أَهْلَ عِلْمٍ

أي ما سبقه من الكتب، فأم القرى: أي أهمها لأنها قبلة كل مسلم في كل بلاد العالم. ولأن فيها أول بيت وضع للناس، فعداب الهون: هو الهوان الشديد.

المعنى: .. ما هذا القرآن إلا تنكير

للعالمين عامة لا الكلام خاصة حتى أطلب منكم أجراً. وبعد ما قرر سبحانه أدلة التوحيد شرع في تقرير إثبات إرساله رسلا وإثبات اليوم الآخر فقال هو ما قدروا الله حق قدره، إلخ، أي ما عرفوا الله حق المعرفة الثلاثة به تعالى، حيث جهلوا من صفاته الحكمة والرحمة اللتين تقتضيان أن يرشد الخلق لما فيه سعادتهم ولا يتركهم فوضى كالبهائم، انظر الآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإرسال الرسل

وانزال الكتب، انظر الآية (١٥٧) من هذه السورة صفحة ١٩٠ والآية (١٧) من سورة هود صفحة ٧٨٦ والآية (١٠٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢، فما عرف هؤلاء المشركون ربه حق المعرفة حين قالوا ما أنزل الله على بشر شيئا من الكتب مثل الذي يدعيه محمد، انظر الآية (٩٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧ فمرادهم الطعن في رسالته ﷺ بأسلوب فيه مبالغه، فرد سبحانه عليهم بقوله قل لهم أيها النبي من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وهو التوراة؟ وقد كان العرب يعرفون ذلك كما تقدم في الآية (٣٠) من هذه السورة صفحة ١٦٥، ولكنهم لما لجروا في خصومتهم له ﷺ قالوا ما قالوا عدداً وتجاهلاً لما كان يعرفه بعضهم.

انزل الله كتاب موسى نوراً واضحا في نفسه، وهدى مرشدا للناس في زنته، تجعلونه وقرئ يجعلونه قرطيس يبدونها ويخفون إلخ، والأمر عليها ظاهراً: أما قراءة تجعلونه ففيها التفات من الغيبة للخطايا مع اليهود أنفسهم، وهذه القراءة نزل الإذن بها لما حار ﷺ إلى المدينة واشتدت فتاكة اليهود: أما قراءة الباء فكانت بيعة مع كل السورة، ومن أراد معرفة تفصيل ذلك فليرجع إلى حديث البخاري رقم ٤٢٧. والمراد أن هذا الكتاب

- | | | | |
|--------------|------------|----------------|-------------|
| (١) للمؤمنين | (٢) الكتاب | (٣) كتاب | (٤) أنزلناه |
| (٥) الظالمون | (٦) غمرات | (٧) والملائكة. | |

﴿ومخرج الميت من الحي﴾ : ذكر تميمًا كمال قدرته تعالى، أي كما أنه يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، ولذلك عطفها بالواو وإنما أتى أولاً بصيغة الفعل المضارع ﴿يخرج﴾ فقال ﴿يخرج﴾ الحي، وهنا قال ﴿مخرج﴾ بصيغة اسم الفاعل للإشارة إلى أن صنع الله سبحانه في إخراج الحي من الميت أظهر وأوضح في بيان قدرته من إخراج الميت من الحي، وذلك أن الفعل المضارع يفيد الاستمرار والحركة، وهذا يجعله مستحضرا في ذهن السامع، بخلاف الاسم أو الفعل الماضي، فكلاهما لا يفيد التجدد، ولا الاستحضار في الذهن، ترى ذلك واضحا في قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ الآية (٦٣) من سورة الحج صفحة ٤٤٢، فانظر كيف قال في إنزال المطر ﴿أنزل﴾ بصيغة الماضي، ولكن في اخضرار الأرض الذي يحصل تدريجًا، قال ﴿تصبح﴾ بصيغة المضارع، ليتمكن السامع من استحضار الصورة البديعة في أن صيرورتها تأتي تدريجًا، ولاشك أن إخراج الحي الذي تشاهده العيون مددًا كثيرة أبدع من إخراج الميت الذي ينتهي ويغيب عن الأعين والأذهان كما في الآية (٦٧) من سورة غافر صفحة ٦٢٧.

﴿فاني﴾ : فكيف ﴿توفكون﴾ : تصرفون ﴿الإصباح﴾ : المراد بالإصباح هنا هو الغيش الذي يكون بين الفجر الكاذب، والفجر الصادق.

والفجر الكاذب هو الضوء الذي يظهر مستطيلًا إلى السماء، أي الذي يقول عنه الفقهاء إنه «كذب السرجان» بكسر السين وسكون الراء، أي الذئب؛ ثم يضعف ويذهب، وعند ذلك يظهر الفجر الصادق، وهو الضوء المستعرض في الأفق ثم يرتفع مع استعراضه هذا إلى أعلى شيئًا فشيئًا حتى تبرز الشمس.

﴿الليل سكا﴾ : أي وقت سكون وراحة للأجسام والعقول من عناء عمل النهار انظر آيات (٧١) وما بعدها من سورة القصص صفحة ٥١٧. ﴿حسيانا﴾ : أصله الحساب أطلقه عليهما مبالغة لدقة سيرهما حسب نظام الحساب المقرر لهما حتى كأنهما الحساب نفسه، ونظيره الآية (٥) من سورة الرحمن صفحة ٧٠٩. ﴿فيمستقر﴾ : أي مكان تستقرون فيه فوق سطح الأرض. ﴿ومستودع﴾ : في القبور إلى وقت البعث... وقبل المستقر هو الرجل الذي تستقر

المفردات : . ﴿ففرادي﴾ : أي أفرادا غير مجتمعين، والمراد ليس معكم أحد ممن تظنون أنه يشفع لكم، أو ينشكم من الولد أو الوالد انظر الآية (٩٥) من سورة مريم صفحة ٤٥٥. ﴿خولناكم﴾ : أي أعطيناكم من الولد والمال وغيرهما.

﴿شفعناكم﴾ : ما كانوا يعبدونه من دون الله ليشفعوا لهم.

﴿تقطع بينكم﴾ : فاعل تقطع مقدر مفهوم من سياق الكلام، والأصل تقطع ما كان بينكم من روابط المودة انظر الآية (١٦٦) من سورة البقرة صفحة ٣٢.

﴿وصل عنكم﴾ : أي غاب وذهب. ﴿فالحق الحب﴾ : أصل الحلق الشق. ﴿يخرج الحي من الميت﴾ : أي يخرج ما ينمو ويزيد من حيوان أو نبات أو شجر مما لا ينمو لو بقي على حاله. كالشراب والحب والنوى إذا ترك دون زرع، وكالندفحة إذا بقيت في صلب الرجل. والجملة مستأنفة مبنية لكثير مما قبلها، ولذا لم تعطف.

- (١) آياته
- (٢) فرادى
- (٣) خلتناكم
- (٤) خولناكم
- (٥) شركاء
- (٦) الليل
- (٧) ظلمات
- (٨) الإيات
- (٩) واحدة
- (١٠) الآيات

وَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا لَقَوْا كَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَوَلَمْ مَرَّرْكُمْ مَاءَ الْوَحْشِ وَرَأَوْا ظُهُورَ الْبُحَارِ وَمَا تَرَوْنَ مَعَكُمْ مَعَكُمْ ثُمَّ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخَرَجَ مِنْهَا نَخْلٌ ﴿١٧٩﴾ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَصَلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾ * إِنَّا اللَّهُ فَالْحَيُّ الْقَيُّومُ وَالنَّوِيُّ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَاكِرُ اللَّهِ فَإِنَّ تَوَفُّكَوْنَ ﴿١٨١﴾ فَإِنَّ الْإِصْبَاحَ وَجَمَلُ الْبَلِّ سَكَا وَأَنْشَسَ وَالْقَمَرُ حَسْبَانَا ذَاكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَمَا الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ النَّجْمُ لِيَتَنَبَّأُوا بِمَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَنَسْفَكْهُ وَسَوْفَ يَدْخُلُ الْفَصْلَانِ الْآيَاتِ

المفردات : . «فأخرجنا» : لم يقل سبحانه «فأخرج» حتى يكون على نمط «أنزل» المذكور قبله بل حول الكلام من أسلوب الحديث عن الغائب إلى أسلوب المتكلم لفت نظر السامع إلى ما سيذكر بعد هذا الفصل من الصنيع العجيب . وهذا الأسلوب يسمىه علماء العربية «التفاتا» انظره في الآية (٥٢) من سورة طه صفحة ٤١٠ ، والآية (٧٧) من سورة فاطر صفحة ٥٧٥ .

0.000.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ : أى من النبات.

(سورة الانعام)

لَقَوْمٍ يَعْقِبُونَ ﴿١٠٠﴾ وَمَا أَدَّى الْأَرْثُ مِنَ الْأَسْمَاقِ وَنَهَ
فَلَقَدْ جَاءَهُ بِثَابِتٍ كَثِيرٍ مِّنْ أَعْقَابِهِمْ خَصِيمًا مُّخْرِجًا مِّنْهُ
جَاهِدًا يَا بَنِي الْعَالَمِ يَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَإِنَّا بِأَعْيُنِنَا
مِنْ أَعْيَابِكُمْ وَإِذْ تَسْتَخِيرُكُمُ الْمَلَائِكَةُ لَعَلَّكُمْ تُهْتَدُونَ ﴿١٠١﴾
أَمْ لَكُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ أَمْ لَكُمْ أَرْكَانُ تَكْفُرُ بِاللَّهِ
تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامِ ﴿١٠٢﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شِرْكَاءَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ
يَغْتَرِبُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ
قَالَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي ﴿١٠٤﴾ وَرَفَعْنَا
فَوْقَهُمُ الْبُرُوجَ وَالْأَنْجِلَ وَأَعْيُنُهُمْ كَالْحِجَابِ
غُلِّقْنَا عَلَيْهِمُ الْأَبْصَارَ فَكُنُوا فِيهَا قُلُوبًا غُلْفًا ﴿١٠٥﴾
وَوَضَعْنَا عَنَسًا ذُرِّيًّا يَأْوِي إِلَيْكَ مِنَ الْعَوْنِ ذُرِّيًّا
وَمَا يَمَسُّكُمُ الْمَوْتُ فِيهَا حَتَّىٰ تُخْرُجُوا مِنْهَا فَيُفَجِّرَكُمُ فِيهَا
فُجَارًا فَلَمَّا أَفْتَدَاكُمْ فَلَاحَ لَوْنُ الْحَمْرِ فَكَرِهْتُمُوهَا
وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيهَا كَالْعِخْلِ
فَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ
كُلًّا وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ وَفِجْرًا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿١٠٧﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا نُوحًا نُبًّٰى لِّقَوْمِهِ
وَإِذْ قَالَ لِأَهْلَيْهِ النَّاسِ لَا مَوْلَايَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ
عَلَّامَ الْغُيُوبِ ﴿١٠٨﴾ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِبًا لَّعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿١٠٩﴾ وَإِذْ قَالَ نُوحٌ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ذُرِّيًّا
يَقْبِلُ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّنِي أَخَذْتُ عَهْدَكَ
لَا يَكُنْ لَّيَّالَىٰ وَلَدٌ لِّمَنْ هِيَ أُنثَىٰ وَلَكِنْ رَّبِّ اجْعَلْ
لِّي ذُرِّيًّا يَحْبِبُكَ اللَّهُ رَجُلًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَإِذْ
قَالَ لِسُلَيْمَانَ رَبِّ إِنِّي وَجَدْتُ عِصْيَانًا لِّمَنْ هِيَ
أُنثَىٰ وَلَٰكِنْ رَّبِّ اجْعَلْ لِّي زُرْقًا يَخْرِجُهَا
فِي سَآئِرِ الْأَرْضِ فَحَسْبُ لِي وَلَدًا ﴿١١١﴾ وَإِذْ
قَالَ يٰٓأَيُّهَا الْمَلَأَ الْأَرْضَ إِنِّي نَادِيكُمْ فَاعْبُدُونِي
فَعَبَدُوا الْعِجْلَ وَنَحْنُ مُبْتَلُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِذْ
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١١٣﴾ وَاجْعَلْ
لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١١٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١١٥﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١١٦﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١١٧﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١١٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١١٩﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢٠﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢١﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢٢﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢٣﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢٥﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢٦﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢٧﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٢٩﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣٠﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣١﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣٢﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣٣﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣٥﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣٦﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣٧﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٣٩﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤٠﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤١﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤٢﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤٣﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤٥﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤٦﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤٧﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٤٩﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥٠﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥١﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥٢﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥٣﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥٥﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥٦﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥٧﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٥٩﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦٠﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦١﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦٢﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦٣﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦٥﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦٦﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦٧﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٦٩﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧٠﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧١﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧٢﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧٣﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧٥﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧٦﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧٧﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٧٩﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨٠﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨١﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨٢﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨٥﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨٦﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨٧﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٨٩﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩٠﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩١﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩٢﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩٣﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩٥﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩٦﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩٧﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً
مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ
وَاجْعَلْ لِّي آيَةً مِّنْ أَمْرِكَ ﴿١٩٩﴾ وَاجْعَلْ لِّي آي

﴿خضر﴾ : آی شیئا غضا اخضر.

﴿متر اكبا﴾ آى بعضه فوق بعض.

﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ : خبث مقدم المبتدأ مؤخر وهو ﴿وَقُوتُوا﴾ الآتي . بيانه . و ﴿وَمِنَ طَلْعِهِ﴾ :
 بديل من ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ وهو بديل بعض من كل ، مع إعادة حرف الجر كقول العرب يعجبني من
 زيد من وجهه بشأسته .

زيد من وجهه بشاشته.

ومن ملاحظتها: **١٠** بين اللغويون الخطأ، بأنه أول ما يظهر ثم النخل على هيئة كنين التثنية أطراف أصابعهما من أعلى وأخرهما من أسفل مع تباعد يمين بين يديهما، وسميه عامة المصريين (كوز النخل) ويكون في وسطه الشماريخ التي تحمل الباج، وهو المسمى بالأكمام

(١) وجات	(٢) ويات
(٣) مشايه	(٤) ويات
(٥) سيعانه	(٦) ويات
(٧) صلاحيه	(٧) السموات
(٨) خالق	(١٠, ١١) الأضمار

اللعنة فيه، والمستودع المرأة التي يستودع الجنين في رحمها، فكانه قال خالقكم من نفس واحدة فممنكم ذكر وممنكم أنثى.

المعنى : : يحازكم الله بالعذاب بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق من أن له شركاء وأنه لا يوحى إلى أحد من البشر، وبسبب كونكم استكبرتم عن آياته فأعرضتم عنها ولم تفكروا فيها. ومما يهينهم به سبحانه أن يقول لهم يوم القيامة : ولقد جئتمونا للحساب منفردين عن الأنصار والشفعاء والأولاد والأموال وكل ما بعم به آخرتكم من زخارف الدنيا، فأنتم اليوم على الهيئة التى ولدتها عليها فى التجرد من كل شيء مما يستتر العور، وتركتم ما أعطيناكم فى الدنيا من زخارفها، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء الله عز وجل يستحقون منكم معه سبحانه العطايا والتعظيم والتقرب بالمال والنذر ليكونوا لكم شفعاء، فأين هم اليوم؟ ذهب كل هذا باطلاً، وتقطع ما كان بينكم من علاقات المودة والواله، وغاب عنكم ما كنتم تزعمون من شفاعة الشفعاء وتقديم القضاء.

انظر ما تقدم في الآيات (٢٣، ٢٤) من هذه السورة صفحة ١٦٥ وبعد ما بين سبحانه أصول الإيمان الثلاثة : التوحيد والبعث والرسالة، شرع في ذكر بعض آياته الدالة على قدرته وعلمه وحكمته فقال:

إن الله فائق العجب والنوى، يفرج الحسى كالحيوان والنبات من الميت كالتراب ومخرج الميت كالبن والمضلات وغيرها من العيون.

ذلكم القادر العظيم هو الله فكيف يصرفكم الشيطان عن طاعته ومن آياته سبحانه أنه هو الذي يخلق غيش المصبح بإظهار ضوء الشمس فيذهب الغيش كما تذهب قشرة الحبة وتفسى وجعل الليل وقت سكون وراحة من تعب عمل النهار وجعل الشمس والقمر يسيران بحساب دقيق للحكمة المبينة في آيتي (٥) من سورة يونس صنفحة ٣٦٦، و (١٢) من سورة الإسراء صنفحتي ٣٦٥، ٣٦٦. ذلك كله تقدير العزيز الغالب الذي لا يعجزه شيء العظيم بما في ذلك من المصلحة.

وهو سبحانه الذي جعل ونظم لكم النجوم لتتقوا بها في السير في ظلمات الليل في البر والبحر. قد فصلنا الآيات والأدلة على وجود إله قادر لقوم يعلمون ويتقنون بها. وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة، تقدم بيناها أول سورة النساء، وجعل منكم ذكرا وأنثى. قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر وعظمى الحكم لقوم يتقنون.

انظر الآية (١١) من سورة الرحمن صفحة ٧٠٩، وقد يطلق ويراد به الشماريخ نفسها التي بداخله كما هو ظاهر هنا وكما ذكر في الآية ١٠ من سورة ق صفحة ٦٨٩ وقد يطلق على غير ثمر النخل لقرب شبيهه به انظر الآية (٦٥) من سورة الصافات صفحة ٥٩١ والمعنى ومن المخرج من طلع النخل فتوان الخ. وإنما غير سبجانه الأسلوب، ولم يقل ومن النخل من طلعه فتواناً حتى يكون متفقاً مع سابقه ﴿خضر﴾ ولا حقه ﴿جنات﴾ و ﴿الزيتون﴾ الخ.

فعل ذلك سبجانه للفت النظر إلى ما في النخل من جزيل الفائدة، وعجيب الصنع، حتى قال النبي ﷺ في النخلة أنها تشبه المؤمن في أن كل ما فيه نافع خصوصاً عند أرباب النخل.

﴿فتوان﴾ : جمع فتو بكسر القاف وهو العود المحمل بالثمر فهو للثمر بمنزلة العنقود للعنب.

﴿دانية﴾ : قريبة سهلة التناول.

﴿وينعه﴾ : نضجه. ﴿الجن﴾ : يطلق لغة على كل مستتر عن العيون فيشمل الجن المعروف والملائكة الذين عبدوهم بإغراء شياطين الجن انظر آيتي (٤٠، ٤١) من سورة سبأ صفحتي ٥٦٩، ٥٦٨ ﴿وخرقوا له﴾ : اختلقوا كذباً وباطلاً.

﴿يصفون﴾ : أي يفترون عليه سبجانه كذباً مزخرفاً يحاولون به التمويه على البسطاء انظر الآية (٦٢) من سورة النحل صفحة ٢٥٢.

﴿يدبغ السموات.. إلخ﴾ : المراد بالبدبغ هنا هو الذي يوجد الشيء على مثال لم يسبق

إليه

﴿أنى يكون﴾ : كيف يكون.

﴿صاحبة﴾ : زوجة ﴿اللطيف﴾ : يطلق على ما دق عن الأنظار فلا تستطيع رؤيته، وعلى العلم بدقائق الأشياء؛ وعلى الذي يعامل غيره برفق ورحمة، انظر الآية (١٩) من سورة الشورى صفحة ٦٤١.

المعنى : : فصلنا الآيات لقوم يفقهون أي يعلمون دقائق الأشياء فيزدادون إيماناً. ومن نعمه وقدرته سبجانه أنه هو الذي أنزل من السحاب ماء فأخرج بسببه كل صنف من أصناف النبات المختلفة، ثم فصل ما أجمل فقال: فأخرجنا منه أي من هذا النبات أي حولناه إلى شيء كامل الخضر، ونخرج من هذا الأخضر حبا منظماً بعضه فوق بعض كسنبال التمع وغيرها. ثم شرع سبجانه في تفصيل حال الشجر بعد الخضر فقال: ومن النخل من طلعه أي ومن طلع النخل فتوان قريبة من يد المتناول. وأخرج بالماء أيضاً جنات مكتوبة من أغصاب، والزيتون والرمان مشتهيات أي بعضه يشبه بعضاً في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الأوصاف الدالة على كمال القدرة، وبعضه مختلف عن الآخر في ذلك: انظروا أيها المخاطبون بعين الاعتبار إلى ثمر شجر الزيتون والرمان إذا أثمر وتدرج في أحواله إلى أن يصل إلى نضجه. إن في ذلك أدلة عظيمة لقوم مستعدين للإيمان لسلامة فطرتهم. وإنما اقتصر سبجانه على المذكور من الشجر لأنه هو المعروف عند العرب وقتئذ، وهم الذين نزل القرآن عليهم لبسانهم. ثم شرع سبجانه في توبيخ من أشرك به مع وجود هذه الأدلة فقال: وجعلوا أي اعتقد الكفار أن لله شركاء من الملائكة، وقد عبد المشركون الملائكة بسبب وسوسة الشياطين، انظر الآية (١٢١) آتية من هذه السورة صفحة ١٨٢، وآيتي (٤٠، ٤١) من سورة سبأ صفحتي ٥٦٨، ٥٦٩: عبدوا الجن والحال أن هؤلاء المشركين يعلمون أن الله تعالى وحده هو الذي خلقهم ورزقهم لا هؤلاء الجن، فإنهم أيضاً مخلوقون مثلهم، فكيف يجعلون مخلوقاً مثلهم شريكاً للخالق؟ واقتضى الكفار أيضاً على الله فجعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بما هو الخطأ والصواب. وبلا فكر ولا روية، فقال اليهود: العزيز ابن الله، والنصارى: المسيح ابن الله، والعرب: الملائكة بنات الله، انظر آيات (٣٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥، (٥٧) من سورة النحل صفحة ٣٥٢، (٤٠) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٩، ومن (١٤٩) إلى (١٥٨) من سورة الصافات صفحتي ٥٩٥، ٥٩٦، ومن (١٦١) إلى (١٩) من سورة الزخرف صفحتي ٦٤٨، ٦٤٩، و (٣٩) من سورة الطور صفحة ٦٩٩: سبجانه وتعالى عما يفترونه عليه من أن له ولداً أو شريكاً، فهو بدبغ السموات والأرض فكيف يكون له ولد والحال أنه ليس له زوجة. وهو سبجانه الذي خلق كل شيء ومن جملة ذلك ما زعمتموه شريكاً أو ولداً، ويعلم كل شيء ولو كان له ولد لعلم به. ذلك الموصوف بصفات الكمال هو الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فيما مضى وما سيكون فاعبدوه وحده لأنه على كل شيء وكيل أي رقيب فهو مطلع على أعمالكم فأخذروا انتقامه. لا تتركه الأبصار فهو ليس كالمخلوقات، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف، فيستحيل على مخلوق الإحاطة به.

﴿عَلَيْهِمْ بُوكِلَ﴾ : ﴿وَعَلَى﴾ بمعنى عن انظر، مثلها في ﴿وَعَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾ آية (١٠٢) من سورة البقرة صفحة ٢٠.

هَؤُلَاءِ تَسْبَحُونَهُ: المرادُ لا تقولوا كلاماً خالياً من فائدة الإرشاد، لا تريدون به إلا مجرد التضييق كما سيأتي بيانه.

﴿الذين يدعون﴾ : المراد بالذين معبودات المشركين، وعُتِر عنهم بنقض ﴿الذين﴾ الموضوع للذكر المقلاء، تنليبا للمقلاء من معبوداتهم كالملائكة عند العرب، والمسيح عند النصارى والعزير عند اليهود انظر الآية (٣٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥؛ نقول تنليبا لهؤلاء على الأصنام، والتغليب في كلام العرب كثير ومنه في القرآن غير ما هنا ﴿فكان أبواه مؤمنين﴾ آية (٨٠) من سورة الكهف صفحة ٣٩٢.

وَيَدْعُونَ ﴿١٠﴾ أَىٰ يَدْعُوهُمْ لِيُعْصِمَهُمْ. ﴿١١﴾ مَنْ دُونَ اللَّهِ ﴿١٢﴾ الْمَرَادُ مُعْرِضِينَ عَنِ اللَّهِ. ﴿١٣﴾ يُعْصِدُوهُ ﴿١٤﴾ أَىٰ يُعْصِدُوا وَتَجَاوَزُوا حُدُودَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ.

هزينا لكل أمة.. إلخ): المراد أنهم لكثرة جرائمهم خلبنا بينهم وبين ترزيب الشياطين ولم نجعلهم من تسلطه عليهم ليزدادوا إنما فيزداد عذابهم، وبظير هذا قوله تعالى عن فرعون ﴿فأخذناه وجنوده فبيناهم في اليوم﴾ آية (٤٠) من سورة القصص صفحة ٥١٢ فالمراد تركهم ليغرقوا ولم ننقذهم انظر آية (٥) من سورة الصف صفحة ٧٢٨. ﴿جهد أيماهم﴾: المراد بالفتن منتهى اجتهدهم في تأكيد أيماهم، ﴿وآية﴾: يريدون بها معجزة دالة على صدق الرسول. ﴿وقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾: هذه الجملة معطوفة على قوله تعالى ﴿ولا يؤمنون﴾. والمعنى وما يشعركم أيضا أننا عند مجيء الآية التي يطلبونها نقلب قلوبهم بالهواجس والتأويلات الباطلة، والتفكير في اختراع احتمالات يجادلون بها، وقلب أبصارهم في توهم خيالات كما هو شأنهم دائما من عدم الإتيان عند توارد الآيات عليهم من أول الأمر، كما هو شأن المبطل المعاند فإيه لا يصغى إلى الدليل مهما كان واضحا انظر آيتي (١٤، ١٥) من سورة الحجر صفحات ٣٢٨، ٣٢٩.

المفردات : .. إِبْصَارُهُ : جمع بصيرة
وهي للقلب كالْبَصَرِ للعَيْنِ، والمراد بها هنا
القرآن وما فيه من حجج واضحة.

﴿أَبْصِرْ﴾ : أي تأمل بعين البصيرة. يقال: أبصر الرجل إذا خرج من ظلمة الكفر والمعمية إلى بصيرة الإيمان والطاعة. انظر الآية (٢٠١) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥، والآية (٢١) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٣.

﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ : المراد لم
يكفني ربي بحفظ أعمالي وأحسابها.

[illegible]

ونصرف الآيات: إى تنوع الأدلة على وجود شتى كما تقدم فى الآية (٤٦) من هذه الآية
صفحة ١٦٩، انظر الآية (٤١) من سورة الإسراء صفحتى ٣٦٩، ٣٧٠.

﴿درست﴾ : أصل معنى الدرس تكرار معالجة الفعل حتى يصل لغايته، يريدون أنك أخذت هذا القرآن من غيرك من علماء أهل الكتاب انظر آيات (١٠٢) من سورة النحل صفحة ٣١.

و (٤، ٥) من سورة الفرقان صفحات ٤٧٠، ٤٧١.

- (١) الآيات
(٢) جناتك
(٣) إيمانهم
(٤) الآيات
(٥) وأيضاً رهم.

بإله الذي يؤمنون به وبأنه خالقهم انظر آيات (٦١) وما بعدها من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩، والآية (٨٧) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٥، وأن آلهتهم تشفع لهم عنده انظر الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٣٦٨، وأنها تقرهم إليه سبحانه انظر الآية ٣ من سورة الزمر صفحتي ٦٠٦، ٦٠٥. رب قائل يقول: كيف ينهانا سبحانه عن ذلك وقد جاء في القرآن وصف آلهتهم بأنها لا تضر ولا تنفع، وأنها حطب جهنم انظر الآية (٩٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣١، وأنها لا تستطيع خلق ذبابة وإن يسلبهم الذباب شيئاً فلا يستطيعون رده انظر الآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤٤، نقول إن ما جاء في القرآن مما ذكر لا يقال له في العرف إنه سب، لأن السب هو الشتم الذي يقصد به مجرد الإهانة والتحقير، كأن يقول الرجل لآخر أنت ومعبودك تحت حدائي مثلاً من كل كلام خلا من وجه الدلالة على الخطأ والإرشاد إلى الصواب أما ما ذكر في القرآن عن معبوداتهم فإنما المقصود به بيان الحقيقة، والتفكير من الخرافات الباطلة التي لا تستند إلى حجة، ومما يدل على ذلك أن من معبودات بعض قبائل العرب الملائكة انظر الآية (٤٠) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨، ولا يمكن أن القرآن يتعرض للملائكة بسبب، كذلك أي مثل هذا التزيين الذي حمل المشركين على ما ذكر غضباً لآلهتهم زينا لكل أمة عملهم من إيمان وكفر وخير وشر تبعاً لاستعدادهم، فنسهل لكل ما يقتضيه طبعه كما في آيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحتي ٣٦٦، ٣٦٧، ثم في النهاية يكون مرجعهم إلى ربهم يوم القيامة فينبئهم بما كانوا يعملون ويجازيهم عليه. وأقسم بالله أولئك المشركون جهد أيمانهم مبالغه منهم في التضليل لتغريب الضعفاء لئن جاءتهم آية أي معجزة مما اقترحوه من تفجير الأرض ينابيع وإنشاء جنات .. إنهم انظر الآية (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء صفحتي ٣٧٧، ٣٧٦ ليؤمنن بدين محمد سبب هذه الآية، قل أيها الرسول لهم: إنما الآيات عند الله، فهو وحده القادر عليها، والمتصرف فيها بحكمته. ولما كان النبي ﷺ وكثير من المؤمنين يتمنون أن يجاب طلب هؤلاء الكفار كما تقدم في الآية (٧) وما بعدها من هذه السورة صفحة ١٦٣، قال لهم سبحانه:

وما يشعركم أيها المؤمنون أنها إذا جاءت كما يطلبون لا يؤمنون. وقد تقدم أيضاً أول هذه السورة ما كان سبحانه يحصل منهم لو أجيبوا، وما يشعركم أننا نطلب أفئدتهم عند مجيء الآيات بالخواطر والتأويلات والاحتمالات، ونقلب أبصارهم في توهم التخييلات فيكونون على حالهم غندماً رفضوا الإيمان بالقرآن. انظر آيتي (١٥، ١٤) من سورة الحجر صفحتي ٣٢٨، ٣٢٩.

المعنى: قل أيها النبي لهؤلاء المشركين المحرومين من هداية القرآن: قد جاءكم من خالقكم ومربيكم من الوحي ما هو البصائر للقلوب، فمن أبصر الحق فتنقح إيصاره عائد على نفسه، ومن أعرض فلم يتدبر فعمى قلبه فوبال إعراضه على نفسه، وما أنا عليكم بحفيظ لأعمالكم، وإنما ذلك لله الذي يحفظها ويجازي عليها، وإنما أنا منذر فقط ومبلغ. ومثل هذا التنوع البديع في الأدلة تنوع الآيات الدالة على المعاني الجليلة ليهتدي بها المستعدون للإيمان، ولتفهم هؤلاء المشركين فلا يجدون مخرجاً إلا افتراء الكذب فيقولون عناداً قد درست يا محمد وتعلمت من غيرك وليس هذا الذي تدعى نزوله عليك نوحى وإنما هو شيء تلقينته من أهل الكتاب.

فالمراد أن القرآن هو البودقة التي تظهر طبع ما يعرض عليها فينتفع بها سليم الطبع ويضل الفاسد كما في الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحتي ٦، ٧ نصرف الآيات للسبب المتقدم ولنبين أسرار القرآن للذين رزقهم الله تعالى العلم الصحيح.

ويعد ما بين سبحانه طوائف الناس بالنسبة للقرآن أمره ﷻ أن يتبع ما يوحى إليه فقال: اتبع ما أوحى إليك من ربك بالعمل به وبيانه للناس لا إله إلا هو، وأعرض عن المشركين فلا تبال بافترائهم عليك، فإن العاقبة لك وللسقين. ثم أراد سبحانه تسلياً رسوله فقال:

ولو شاء الله عدم إشراكهم بأن خلقهم مجبورين على الإيمان كالملائكة ما أشركوا، ولكنه خلقهم مختارين كما تقدم في الآية (٣٩) صفحة ١٦٨ توضيح ذلك، وما جعلناك أيها النبي عليهم حفيظاً أي رقيباً تحفظ عليهم أعمالهم، وما أنت عليهم بوكيل من جهتهم تجلب لهم ما ينفع وتدفع ما يضر ولما كان المؤمنون في مكة قلة ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن نفسها وسط طغيان كفار قريش، أمرهم الله بالحيلة في مجادلة الكفار ولما قال كفار قريش: يا محمد إن لم تنته عن سب آلهتنا لنسبن من نزع أنه أرسلك إلينا، فنزل قوله تعالى:

﴿ولا تسبوا... إلخ﴾ أي ولا تشتموا آلهتهم ولا تذكروهم بقبيح لمجرد التشهير فقط فيحملهم ذلك على سب الله سبحانه بغير علم منهم أنهم يسبون الله متجاوزين حدود اللائق

الروم صفحة ٥٣٧، و (٥١) من سورة غافر صفحة ١٢٤، و (٣٠) من سورة الدخان صفحة ٦٥٨؛ **فَصَدَقًا وَعَدَ لَا يُفِيءُ** : مصدران منصوبان على الحال من **فَوَيْلٌ لَّكَ أَيُّ حَالٍ كُنْتَ** أي حال كون ربك أيها النبي صادقًا في وعده لك بالنصر وتوحيده لعدوك بالخذلان وعادلا في حكمه فلا يسوى بين المؤمن والمناسق انظر آية (١٨) من سورة السجدة صفحتي ٥٤٧، ٥٤٨، ويصح أن يكونا حالا من **فَوَكَلَمَهُ** كما سيأتي في شرح المعنى.

المعنى : .. كحالهم أول الأمر وهم كفار، ونتركهم بعد ذلك في طغيانهم ومجازاتهم الصدى يخبرون هل هو حق أم سحر، ثم يغلب عليهم الطبع فيقولون أنه سحر، فيحرمون من الانتفاع به، انظر الآيات من (١٨) إلى (٢٥) من سورة المدثر صفحة ٧٧٦، ثم بين سبحانه ما أشعر قوله **فَوَمَا يَشْعُرُكُمْ** إلخ، من أنهم كاذبون في إيمانهم فقال: ولو أننا نزلنا الملائكة فزأروهم المرة بعد المرة بأعينهم وسمعوا شهادتهم لك أيها النبي بالرسالة كما اقترحوا في الآيات (٧) من سورة الحجر صفحة ٢٢٨ و (٩٢) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧، و (٢١) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢، وكلمهم الموتى منهم بأننا أحييناهم لتقيم الدليل على صدق ما جئت به من أن الميت سيبعث كما اقترحوا في الآية (٣١) من سورة الدخان صفحة ١٥٨، والآية (٢٥) من سورة الجاثية صفحة ٦١٢، وجمعنا لهم كل شيء من الآيات وعرضنا عليهم ما طلبوه وما لم يطلبوه قبيلًا بعد قبيل وصنفنا بعد صنف، ما كانوا ليؤمنوا لأنهم لا ينظرون إلى الأدلة نظر اعتبار، وإنما ينظرون إليها نظر ريبية وحذر، فاقبل ما جس يصرفهم عنها إلى ما تعودوا ووجدوا عليه آبائهم إلا أن يشاء الله إيمانهم قهرا كما تقدم في الآية (٣٩) من هذه السورة صفحة ١٦٨. هذا في الحقيقة حالهم، ولكن أكثر المؤمنين الذين يتمنون إجابة طلبهم بإزالة ما اقترحوا يجهلون هذه الحقيقة، ثم شرع سبحانه في تسلية رسوله ﷺ ببيان أن هذا هو شأن الكفار في كل أمة مع كل نبي فقال: وكذلك جعلنا أي كما جعلنا هؤلاء أعداء لك جعلنا لكل نبي قبيلا أعداء هم شياطين الإنس والجن، يتعدون ويتكبرون عن قبول الحق، يوسوس بعضهم إلى بعض القول المزيف لأجل التعريف باليسطاء، انظر ترتيب إبليس لآدم في آيتي (٣٠، ٣١) من سورة الأعراف صفحة ١٩٤.

يَوْمَ يُنَادِيهِ أَتَىٰ مَرَّةً وَيَدْعُهم فِ طَلَبِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨١﴾ * وَلَوْ أَنَّا زُلْزَلْنَا أَتَىٰ النَّاسُكَ وَكَلَمَهُمُ الْمَوْقُ وَخَشَرَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ وَبُيَا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ جَاهِلُونَ ﴿١٨٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانًا الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ذُرِّيَةِ الْقَوْلِ غَرُورًا كَذِبًا رَبُّكَ مَا فَتَوَهُ لَذَرَهُمْ وَبَاقِيُونَ ﴿١٨٣﴾ وَلَنُصَبِّحُنَّ إِلَيْهِ أَقْبَادَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَةِ وَيَرْجِعُهُمْ فَوْقَ مَا قَفَرُوا ﴿١٨٤﴾ لَنَقْبَرَنَّ أَيْتِي حَكْمًا وَمَا الَّذِي أَرَادَ إِلَيْكَ الْكَتِبُ مُعْصَا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ الْكَتِبُ يَكْتُبُونَ أَمْ يُؤْمِنُونَ بِرَبِّكَ بِالْجَنِّ لَا تَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٥﴾ وَكَفَىٰ كَلِمَةً رَبُّكَ صَدَقًا وَعَدًا لَا يَبُولُ لِكَلْبِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

الإعلام **فَوَيْلٌ لَّكَ أَيُّ حَالٍ كُنْتَ** : أي يركبوا من الإثم، **فَالْمُؤْمِنِينَ** : أي الشاكين.

وَلَمَّا يَكُنْ وَقْتُهَا حَرْبٌ وَلَا نَصْرَ فَهِيَ يَشْرِي لَهُ وتطمين **فَوَكَلَمَهُ رَبُّكَ** : المراد بها الجملة التي وعد فيها نبيه بالنصر، انظر آيات (٤٠) من سورة الحج صفحة ٤٢٩، و (٤٧) من سورة

المفردات : .. **فَوَيْلٌ لَّكَ أَيُّ حَالٍ كُنْتَ**، ونتركهم.

فَيَعْمَهُونَ : يترددون من شدة العيرة

فَوَيْلٌ لَّكَ أَيُّ حَالٍ كُنْتَ : المراد جمعناه

وعرضناه عليهم **فَوَيْلٌ لَّكَ** : جمع قبيل بمعنى

صنف ونوع وهو منسوب على أنه حال من

كل شيء **وَالْمَعْنَى** عرضناه عليهم حال كونهم

صنفًا بعد صنف إلخ.

فَوَيْلٌ لَّكَ أَيُّ حَالٍ كُنْتَ : العدو ضد الصديق يطلق على

المفرد والجمع والذكر والأنثى، انظر آية

(٥٠) من سورة الكهف صفحة ٢٧٨ والآية

(٧٧) من سورة الشعراء صفحتي ٤٨٤، ٤٨٥؛

فَوَيْلٌ لَّكَ أَيُّ حَالٍ كُنْتَ : الشيطان اسم لكل متفرد شرير من الإنس والجن، **فَوَيْلٌ لَّكَ** : الإيحاء الإعلام

في خفاء، **فَوَيْلٌ لَّكَ أَيُّ حَالٍ كُنْتَ** : القول المزخرف في الظاهر الفاسد الباطن، **فَوَيْلٌ لَّكَ** : أي

تعمل، **فَوَيْلٌ لَّكَ أَيُّ حَالٍ كُنْتَ** : أي يركبوا من الإثم، **فَالْمُؤْمِنِينَ** : أي الشاكين.

وَلَمَّا يَكُنْ وَقْتُهَا حَرْبٌ وَلَا نَصْرَ فَهِيَ يَشْرِي لَهُ : أي أنها ستتحقق قطعًا حتى كانها تمت الآن فعلا إنما قلنا ذلك لأن السورة مكية

ولم يكن وقتها حرب ولا نصر فهي يشري له **فَوَيْلٌ لَّكَ** وتطمين **فَوَكَلَمَهُ رَبُّكَ** : المراد بها الجملة

التي وعد فيها نبيه بالنصر، انظر آيات (٤٠) من سورة الحج صفحة ٤٢٩، و (٤٧) من سورة

- (١) طغيانهم
- (٢) الملائكة
- (٣) شياطين
- (٤) الكتاب
- (٥) آياتهم
- (٦) الكتاب
- (٧) كلمة
- (٨) اكلامته.

ولو شاء ربك عدم الإحياء ما فعلوه، ولكنه لم يشأ أن يغير نظام الدنيا كما تقدم في الآية (٣٩) من هذه السورة صفحة ١٦٨. وإذا كان الأمر كذلك فذرهم أيها النبي وما يفترسون ويكذبون من الكيد لك ليصرفوا الناس عنك، يوحى بعضهم إلى بعض القول الباطل ليغفروا البسطاء، ولتصغى إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة لموافقتهم لأهوائهم، وليرضوه من غير بحث عن صحته، وليشرفوا بسببه ما هم مقترفون من المعاصي. وبعد كل هذا أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهم ميكتا: أفغير الله. أي أصبح أن أعدل عن الحق فأطلب حكما غير الله يحكم بيني وبينكم، ويبين المحق منا من المبطل، والحال أنه سبحانه هو الذي أنزل إليكم القرآن مفصلا فيه كل ما يحتاج إليه المكلف فلا حاجة لحكم غيره. ثم بين سبحانه أحقية الكتاب بأن يكون حكما بشهادة علماء لهم خبرة بالكتب السماوية فقال: والذين آتيناهم الكتاب وهم اليهود والنصارى يعلمون أن القرآن منزل من ربك مقررنا بالحق فليرجع إليهم الشاكون، وعلماء أهل الكتاب يقر بعضهم بلسانه بهذا الحق، وبعضهم بقلبه ويماند حسدا كما في الآية (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨. فلا كون أيها السامع بعد ذلك من الشاكين في أن أهل الكتاب يعرفون ذلك، ثم طمأن سبحانه نبيه بقوله: وتمت أي تحققت كلمة ربك التي وعدك فيها بالنصر حال كونها صادقة عادلة في حكمها لا يستطيع أحد أن يبدل ويغير وعد ربك فلا بد من تحقيقها وهو السميع لكل ما زخرفوا به وضلوا، انظر كلمات الله تعالى في وعد أنبيائه في آيتي (٩٥) من سورة الحجر صفحة ٢٤٤، و (٥١) من سورة غافر صفحة ٦٢٤.

المفردات : : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ : إن حرف نفى بمعنى ﴿لَا﴾ أي ما يتبعون.

وكذلك يقال في ﴿إِنْ﴾ في ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا الْخِطَاءُ﴾ أي ما هم متبعون شيئا إلا الظن.. الخ.

﴿يُخْرِصُونَ﴾ : الخرص بفتح فسكون قول الشخص غير المتيقن لما يقول، فهو التخمين الذي لا سند له. ﴿وَمَا لَكُمْ إِلَّا تَاكُلُوا﴾ : ﴿مَا﴾ اسم استفهام مشرب معنى التفسير من عدم الأكل، يقول العربي: مالك يا فلان ألا تفعل كذا، يريد أي شيء ثبت لك من الفائدة في عدم فعل كذا. والمعنى المراد هنا.. أي فائدة لكم في عدم الأكل مما ذكر اسم الله عليه. والمراد لا فائدة لكم في عدم الأكل منه مطلقا. ﴿وَذَرُوا﴾ : أي واتركوا.

الْعَالَمِ ﴿١٨٧﴾ وَإِنْ طَغَى أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ضَلُّوهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٨٨﴾ إِنْ رَبُّكَ مُوَاعِنٌ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ عِلْمُ الْهَيْهَاتِ ﴿١٨٩﴾ فَكَلِّمْهُمْ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَاقِبَةِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَمَا أَكْثَرُ تَاكُلُوا مَا ذُكِّرْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَنَاسِكَكُمْ إِلَّا مَا افْتَرِجْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُمْ يَظُنُّونَ بِأَعْوَابِمْ شَيْءٍ عَلِمَ إِنْ رَبُّكَ مُوَاعِنٌ يَاسْتَعِزُّ ﴿١٩١﴾ وَذَرُوا ظُلُمَ الْأَنفُسِ وَبَاطِلَ الْإِنِّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِيمَ سَجُودَ مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَلَا تَاكُلُوا مِمَّا يَبْذُكَرُ كَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِ سَبِيلِ اللَّهِ يُبْحِنُونَ أَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَئِمَّةُ لِيَجْذَلُوا وَيَافِكُورَهُمْ إِنَّكَ تُشْرِكُونَ ﴿١٩٣﴾

انظر الآية (١٠٣) من سورة يوسف صفحة ٣١٨ فما يتبع هؤلاء الكثيرون إلا الظن الباطل، والظن لا يغنى عن الحق شيئا، وما هم إلا يكذبون فيما يقولون بلا سند ولو كانوا مخلصين ليحسوا، إن ربك وحده هو أعلم بمن يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين. فاتبع أوامره ولا تطع الكثرة المبطلات. ثم رتب سبحانه على النهي عن اتباع المضللين الذين من جملة إضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام بيان بعض ذلك فقال: فكلوا مما ذكر اسم الله عليه دون غيره مما سيأتي بيانه بعد آيتين إن كنتم بآياته المبينة للحق مؤمنين. وما لكم ألا تأكلوا الخ أي لا فائدة لكم في ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، بل فيه ضرر عليكم حيث حرمت ما أحل الله طاعة لوسوسة الشياطين كما سيأتي في الآية التالية، والحال أنه سبحانه قد فصل وبين لكم ما حرم عليكم في الآية (١٤٥) الآتية من هذه السورة صفحتي ١٨٧-١٨٨ والآية (١١٥) من سورة النحل صفحة ٣٦٢، وليس منه ما ذكر اسم الله عليه. حرم عليكم ما سيأتي بيانه إلا ما دعكم إليه ضرورة كما تقدم تفصيل ذلك في أول سورة المائدة. وإن كثيرا من الناس ليضلون غيرهم بتحسين المعاصي بأهوائهم وشهواتهم بغير علم مأخوذ من وحى صادق.

إن ربك وحده هو أعلم منك ومن جميع الخلق بالمعتدين الذين تجاوزوا ما أحله الله إلى ما

- (١) يأتاه (٢) ظاهرا (٣) الشياطين (٤) ليجادلوك

﴿ظاهرا الإثم﴾ : هو الذي يفعل علنا.

﴿ويأطئه﴾ : هو أفعال القلوب كالحسد ونية السوء، انظر الآية (٥١) من هذه السورة صفحة ١٨٩. ﴿يقترفون﴾ : أي يرتكبون من الذنب.

المعنى : : وهو العلم بمقاصدهم وسجائزهم عليها. ثم أراد سبحانه أن يبين لنبيه أن أهل الضلال هم الكثرة في كل الأمم ليطمئن ولا يجزع فقال: وإن طغى أيها النبي أنت ومن معك من المؤمنين أكثر من في الأرض الممراد وإن طغى ولو واحداً من هذه الكثرة الغالبة بأن تخالف ما شرعه الله لك بضلوك عن سبيل الله لأنهم ضالون متبعون وسوسة الشيطان فلذلك لا يؤمنون أبداً.

خير لنفسه. **﴿فأحييناه﴾**: المراد انتدائه من الكفر بالإيمان الذي هو حياة للقلب. **﴿فَنُورًا﴾**: أي قرآنا ينير الطريق المستقيم. انظر الآية (٨) من سورة التغابن صفحة ٧٤٦. **﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾**: أي يمشي بسببه بين الناس أمنا من جهنم.

﴿مُثَلَّهِ﴾: أي صفته العجيبة، وهو مبتدأ خبره قوله **﴿وَفِي الظَّالِمَاتِ﴾** والمعنى كمن صفته أنه تالله في الظلمات إلخ. **﴿وَفِي الظَّالِمَاتِ﴾**: المراد بها هنا الكفر والضلال. **﴿وَجَعَلْنَا﴾**: أي صيرنا. **﴿وَفِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾**: أي من القرى التي عنت عن أمر ربها وأردنا أراحة الخلق من إفسادها انظر آيتي (٨، ٩) من سورة الطلاق صفحة ٧٥٠، والقرية هنا هي المدينة الجامعة لكثير من الناس يقيم فيها أرباب النفوذ وأولو الأمر انظر الآية (٢١) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦.

﴿الْكَابِرِ﴾: قال ابن جرير: أكابر جمع كبير، يقول العربي الأكابر والأصاغر، والأكابر هم أرباب النفوذ المسموع الكلمة وهي مغفول ثان لجعلنا، والمغفول الأول هو **﴿مُجْرِمِيهَا﴾** أي صيرنا في كل قرية مجرميها هم أكابرها، والمجرم هو كل من يفعل ما فيه إفساد في الأرض واضرار بالخلق. **﴿فَصَغَّرَ عِنْدَ اللَّهِ﴾**: أي ذل وهو أن. **﴿وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾**: لاستحقاقه الهداية انظر الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ٦٦٨. **﴿يُشْرِحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾**: المراد يسهله ويشمله له، لأنه يشعر في قلبه نورا يقوده إلى السلامة، قال تعالى **﴿وَأَقَمْنَا شَرْحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾** الآية (٢٢) من سورة الزمر صفحة ١٠٩ وقال تعالى **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَرَبُّهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾** الآية ٧ من سورة الحجرات صفحة ١٨٥. قال ابن جرير: سأل جماعة النبي ﷺ وكيف يشرح الله صدر الرجل للإسلام؟ فقال: نور ينفذه فيه يشرح له صدره وينفسح، قالوا: فهل لذلك إماراة يعرف بها؟ قال ﷺ: الإجابة إلى دار الطور، **﴿وَالْتَجَافَى عَنْ دَارِ الْغُورِ﴾**، والاستعداد للموت قبل لقائه.. **﴿وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضْلُكْ﴾**: لاستحقاقه الإضلال انظر الآية (٣٦) من سورة البقرة صفحة ٣٦، ٢٧.

﴿رَضِيْقًا﴾: أي لا يتسع لشئ من الهدى، ولا يميل إليه شئ من الإيمان. **﴿وُحْرَجًا﴾**: قال صاحب المنار: أصله مصدر **﴿تَفْعَلَ﴾** **﴿وُحْرَجَ﴾** يوزن قبح، يقال حرج الرجل حرجا إذا اشتد به

أَوْ مِنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَعَانَا لَمْ نُؤْمَرْ بِتَبَتُّهِ
فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا
كَذَلِكَ زَيْنُ الْكَبِيرِ مَا كُنَّا نَعْلَمُ ۖ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا يَحْجُزُهَا يَسْكُرُونَ أَفَمَا
يَتَذَكَّرُونَ أَلَا يَأْتِيهِمْ مَا يُنذَرُونَ ۖ وَإِنَّا جَاءَنَّهُمْ
بِآيَةٍ قَارِعَةٍ نَمُوتُنَّ نَحْنُ فَنُكَلِّفُ مَا نُوَلِّي رَسُولُ اللَّهِ
أَلَّا نَعْلَمَ حَيْثُ يَكُونُ رِثَاكُهُمْ يُهْبِطُ الَّذِينَ يُؤْمَرُونَ
مَصَافِرَ عِنْدَ اللَّهِ وَقَدَابِ شَدِيدًا يَكْفُرُونَ ۖ
فَمَنْ يَرُدَّ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشْرِكْ صَدْرَهُ الْإِسْلَامِ وَنَ
يُرَدُّ أَنْ يُصَلِّهَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرًّا كَانَتْ
يَعْمَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَرْجَى عَلَى
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَعَلَىٰ صَرْفِ رَيْبِكَ سَتَقِفْنَا

ويزيدون بما ذبحه الله الميتة. وإن أطمعتم واستحللتم أكل الميتة وبالأولى ما أهل لغير الله إنكم لمشركون مثلهم.

المفردات: : ﴿وَأَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا﴾: إلخ ﴿الهمزة للاستفهام المفيد للنفي داخلة على جملة مقدرة في الكلام معلومة من السياق، تحتوي على شبهة وشبهه به، كالجمل، المذكورة بعدها، و ﴿وَمَنْ كَانَ مِيتًا﴾ جملة مركبة من مبتدأ وهو ﴿وَمَنْ﴾ اسم موصول، وخبر وهو قوله ﴿وَمَنْ﴾ مثله في الظلمات... إلخ وهذه الجملة الثانية معطوفة بالواو على الجملة المقدرة، وتقدير الكلام هل أنتم أيها المؤمنون كأولياء الشياطين الذين يجادلونكم بباطل من القول مزخرف بوجهيه إليهم شياطينهم، والمراد أن يمكن أن تكونوا مثلهم أبداً انظر ذلك واضحا في الآية (٢٨) من سورة ص صفحة ١٠٠ ثم جاء بالدليل على صدق مضمون الجملة الأولى فقال: كما لا يستوي من كان مِيتًا بالكفر فأحياه الله بالإيمان... إلخ بمن مثله في الظلمات... إلخ أي لا يمكن أن يكونوا متساوين.

﴿مِيتًا﴾: قال ابن عباس: المراد بالميت هنا الكافر الضال، لأنه كالميت لا يستطيع عمل

(١) فأحييناه (٢) الظلمات (٣) للكافرين (٤) أكابر (٥) للإسلام (٦) صراط.

الضيق، وأريد بالمصدر هنا اسم الفاعل، أى شديد الضيق، فهو تأكيد لما قبله. ﴿يَصْعَدُ﴾ : أصله يتصعد، أى يتكلف الصعود ويحاوله بمشقة، قال صاحب الأساس: يقول العربى صَعِدَ فلان السلم، وصعد إلى السطح، وصعد فى السلم وفى السماء، وتَصَعَّدَ فى الجبل وتصاعد، أى تكلف الصعود. ﴿فى السماء﴾ : قال الراغب : سماء كل شئ أعلاه، انظر الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٥، المراد يصعد إلى جهة أعلى منه. ﴿الرجس﴾ : المراد به هنا العذاب بالخذلان فى الدنيا، ونار جهنم فى الآخرة، انظر الآية (٩٠) من سورة المائدة صفحة ١٥٥.

المعنى : - وبعد ما بين سبحانه أن المؤمن على هدى والكافر فى ضلال، ضرب مثلاً بين الفرق بين المؤمنين المهتدين، والكافرين الضالين، لينفر المؤمنين من طاعة الكافرين، ويحذرهم من غوايتهم. وبين لهم أيضاً أن سبب ضلال الكافرين تزوين الشياطين لهم ذلك حتى أصبحوا لا يميزون بين النور والظلمة فقال: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا... إلخ﴾ أى هل أنتم أيها المؤمنون كأولياء الشياطين؟ كلا، كما أنه لا يستوى مَنْ كان ميتاً بالكفر والجهل فأحييناه بالإيمان وجعلنا له نوراً يعيش بضوء هدايته، والمراد أنه أحاطت به ظلمات الجهل والتقليد وفساد الفطرة حتى أمسى لا يستطيع الخروج منها، أى لا يمكن أن تكونوا مثلهم، كما لا يمكن أن يكون السائر فى النور كالخابط فى الظلمات، كذلك، أى مثل هذا التزوين الذى تضمنه المثل السابق، وهو تزوين نور الهداية لمنْ أحياءه الله بالإيمان وتزوين ظلمات الكفر لموتى القلوب، مثل هذا التزوين زين للذين كفروا من قريش ما كانوا يعملون من الجرائم، والمزوين لهم هذا هو الشيطان، انظر آية (٤٢) المتقدمة من هذه السورة صفحة ١٦٨ وآية (٣٩) من سورة الحجر صفحات ٢٤٠، ٢٤١، أما المؤمنون فالمزوين لهم بالإيمان هو الله تعالى انظر الآية (٧) من سورة الحجرات صفحة ٦٨٥، واكتفى بذكر المشركين فى التزوين الأخير دون المؤمنين لأن المقام فى بيان جرائمهم.

﴿وكذلك جعلنا فى كل قرية.. إلخ﴾ أى كما جعلنا فى مكة مجرميها هم أكابرها وأصحاب الكلمة فيها جعلنا فى كل قرية من قرى الأمم السابقة التى أردنا إهلاكها أكابرها مجرميها ليمكروا فيها والمراد تسليته ﷺ لئلا يحزن على هلاك قومه بمحاربتهم له، وما يعود ضرر مكروهم فى الآخرة بالعذاب وفى الدنيا بالخزى إلا عليهم انظر آيات (٥٠ إلى ٥٣) من سورة

النمل صفحة ٥٠٠، وانظر الآية (٤٣) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨ ومن جرائم مشركى مكة أنهم إذا جاءتهم آية دالة على صدقه ﷺ قالوا لن نؤمن بما تقول يا محمد حتى يوحى الله إلينا، وبأئينا جبريل كما يأتى الرسل انظر آية (٥٢) من سورة المائدة صفحة ٧٧٨، فرد الله عليهم بقوله: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ أى هو وحده سبحانه الذى يعلم الشخص الذى يصح أن يكون محلاً لرسالته لمزايها فيه وليست فى واحد منكم غير محمد. ثم توعدهم بأن عاقبة مكروهم ستكون عليهم فقال:

سيصيب الذى أجمعوا صفار عند الله ومهانة وعذاب شديد بسبب دوام مكروهم انظر الآية (٢٦) من سورة الزمر صفحة ٦١٠، والآية (١٦) من سورة فصلت صفحات ٦٢١، ٦٢٢ فمنْ يرد الله أن يهديه لاستحقاقه الهداية انظر الآية (٢٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، فإنه سبحانه يمنحه من ثمرات الهداية شرح صدره للإسلام، وهذا من زيادة الهداية المشار إليها فى الآيات (١٧) من سورة محمد صفحة ٦٧٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨ من سورة النساء صفحات ١١١، ١١٢. فهدايته تعالى للمبدى هى إمداده لما فى استعداده وتفسيره له انظر آيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٦، ٣٦٧، ومنْ يرد أن يضله لاستحقاقه الإضلال يجعل صدره ضيقاً شديد الضيق لا يتسع لقبول شئ جديد عليه، مخالف لما غرق فيه من تقليد الآباء، أو حب الرئاسة، فيرى نفسه أولى بالرئاسة ممنْ يرشده إلى الصواب، انظر الآية (٣١) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠، ويكون استنقاله لإجابة الدعوة، وشهوره بالنفور منها كشهوره بالعجز عن الصمود بجسمه فى جو السماء، قال ابن جرير : هذا مثل ضربه الله لقلب الكافر فى شدة ضيقه عن وصول الإيمان كمثال امتناعه عن صعود السماء والمراد أن الكافر المعاند المعاجز عن التغلب على خصمه يجد صدره شديد الضيق لا يتسع للحق لأنه يزلزل كبريائه، ولا يستطيع الخلاص من خصمه لأنه فوق طاقته انظر الآية (٣١) من سورة الحج صفحات ٤٣٧، ٤٣٨ كذلك أى يجعل الصدر ضيقاً يجعل الرجس على الدين لا يؤمنون.

ثم وجه سبحانه الخطاب له ﷺ فقال: وهذا أى ما فى القرآن من الأحكام هو الطريق الموصّل لرضا ربك، حال كونه مستقيماً لا عوج فيه.

قبح. ﴿يُرِيدُوهُمْ﴾... يوقعوهم في الردى وهو الهلاك. ﴿وَلِيْلَيْسُوا عَلَيْهِمْ﴾... أى وليخلطوا عليهم. ﴿دِينِهِمْ﴾... المراد به ما بقى لديهم من دين إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿فَدَرَهُمْ﴾... أى اتركهم.

المعنى : لكل عامل منزلة بقدر عمله تتفاوت بتفاوتته، وما ربك بغافل عما يعمل كل عامل، فلا يخطئ في تقدير الجزاء وربك هو الغنى فليس محتاجا إلى العباد ولا إلى عبادتهم وإنما هي لمصلحتهم، صاحب الرحمة الواسعة ومنها تكليفهم بما فيه مصلحتهم، فأرسل الرسل ليس لنفعه سبحانه بل هو رحمة للناس. إن يشأ يذهبكم أيها العصاة أو الناس جميعا بالهلاك لأن النعمة تتم كما في الآية (٢٥) من سورة الأنفال صفحة ٢٣٠، ويستخلف في الأرض من بعد إهلاككم ما يشاء من الخلق مؤمنين، كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين لم يكونوا عصاة مثلكم وهو المؤمنون، وهم الذين كانوا مع نوح في السفينة. إن الذي توعدون به من البعث والحساب وتقوات الجزاء لواقع كما في الآيات (٦، ٥) من سورة الداريات صفحة ٦٩٢، و (٧، ٨) من سورة الطور صفحة ٦٩٧؛ ولستم معجزين القادر القاهر فيما يريد. وقل لهم أيها النبي لتشديد التهديد : يا قوم اعملوا ما في استطاعتكم إنى عامل وثابت على إسلامي، فسوف تعلمون الطريق الذي تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار الدنيا لتكون وسيلة إليها بما فيها من العمل الصالح لأن الشأن في عدل الله عز وجل ألا يسوى بين الكافر والمؤمن وبعد هذه المحاجة شرع سبحانه في بيان بعض أعمالهم التي أشركوا بسببها في الحرث والأنعام وقتل الأولاد طاعة لشيأطينهم إلى غير ذلك:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ إلخ، وبيانه أن مشركى قرينش كانوا يعينون جزءاً من ثمرات الزرع ونتاج الأنعام لله يصرفونها للضيغان والمساكين، وجزءاً منها لألهتهم ينفقونه لخدائهم ويندبحونه عندها، فإذا زاد ما جعلوه لله عن المعتاد جعلوا ما زاد للآلهة، وإذا زاد ما للآلهة تركوه لخدائهم قائلين إن الله غنى ليس فى حاجة لشيء من نصيب الآلهة. فأصل نظم الكلام كما يفهم من السياق وجعلوا لله إلخ، ولشركائهم أيضاً نصيباً وإنما لم يذكر نصيب الشركاء لأنه أمر محقق عندهم واكتفى بالإشارة إليه فى قوله:

يَمَّا عَمِلُوا زَوَارِكاً يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ رَبِّكَ الَّذِي ذُكِّرْتُمُ إِن يَتَأَنَّ يُعْزَكْ وَيَسْخَفْ مِنْ يَدَيْكُمْ مَا يُنَادِي كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ بَاطِلٍ إِنَّهُ يَأْتِيهِمْ وَمِنَّا يُعْزَكُونَ ﴿١٧٩﴾ قُلْ يَتَقَرَّبُ الْمُؤْمِنُونَ لَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبَ تَكُونُ لَكُمْ عَقِيبُ الدَّارِ إِنَّمَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَمِنَّا لِرْغَمٍ كَثِيرٍ إِنْ كَانُوا لَيَرْكَبُونَ فَلَا يُصِلُ إِلَى اللَّهِ وَكَانَ إِلَهُهُمُ يُصِلُ إِنَّكُمْ كَرَّهْتُمْ سَعَةً مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٨١﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَّاؤُكُمْ لِيُفْتِنَهُمْ وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَكْفَرُ مِنْكُمْ فَيَكْتُمُونَ ﴿١٨٢﴾

﴿بمعجزين﴾... الباء لتأكيد نفى ما بعدها عما قبلها و﴿معجزين﴾ أى موقعين الله سبحانه فى العجز حتى تغفلوا من عقابه انظر الآية (١٢) من سورة الجن صفحة ٧٧١ .

﴿على مكانتكم﴾... تدور مادة مكان ومكانة فى اللغة على معنى التمكن، والإحساس بالثبات والقوة يقول العرب: مكن فلان بفتح الميم والكاف مكانة فهو مكين إذا تمكن أبلغ تمكن، قال الزجاج ﴿مكانتكم﴾... أى تمكينكم فى الدنيا، ومنه قول العرب:

إن بنى فلان ذوو مكة من القوة بفتح الميم والتون بينهما كاف مكسورة يريدون أنهم أصحاب تمكن وحاصل المعنى تهديدهم بأن يعملوا إلى آخر ما فى طاقتهم وأقصى ما يمكنهم فلان يصلوا إلى ما يريدون. ﴿عاقبة الدار﴾... أى العاقبة الحسنى لدار الدنيا، وهذه العاقبة هى الجنة ونعيمها. ﴿ذراً﴾... أى خلق وكثر انظر الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢. ﴿من الحرث﴾... أى الزرع. ﴿الأنعام﴾... الإبل والبقر والغنم. ﴿لشركائنا﴾... المراد المعبودات التى جعلناها شركاء لله نتقرب إليهم بالتدور، والقربيات، ليكونوا وسيلتنا عند الله بالشفاعاة ليقربونا إليه انظر الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٦٨ والآية (٣) من سورة الزمر صفحتى ٦٠٥، ٦٠٦. ﴿سواء﴾...

- (١) بغافل
- (٢) لآت
- (٣) يا قوم
- (٤) عاقبة
- (٥) الظالمون
- (٦) والأنعام
- (٧) أولادهم

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ هُم مِّنْ شَيْءٍ﴾

(٢٥) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٣.

ويفسر الإنشاء والأكْل أيضًا (٢٤، ٢٥) من

سورة يس صفحة ٥٨٢ .

المعنى : بعدما تقدم ذكر سبحانه جملة

من جرائمهم مقتزنة متجاورة ليعطى السامع

صورة بشعة لجرائمهم على الله فقال: وقالوا

أى مشركو قريش هذه الأشياء التى جعلناها

للآلهة أنعام وحرك محجورة ومنع تناولها

لا يأكل منها إلا من نشاء من خدام الأصنام،

قالوا هذا زعمنا منهم أن الله أن لهم فى

ذلك، انظر الآية (٥٩) من سورة يونس صفحة ٢٧٥ . وقالوا هذه أنعام حرمت ظهورها فلا

تركب ولا يحمل عليها وهى السائبة وما بعدها المذكورة فى الآية (١٠٣) من سورة المائدة

صفحة ١٥٧، وهذه أنعام لا يذكر اسم الله عليها حال ذبحها بل يذكر اسم أصنامهم قالوا كل

هذا افتراء عليه سبحانه، وذلك أن التحليل والتحريم لا يكونان إلا من الله، فإذا حرّموا وحلّوا

من عند أنفسهم أو هموا أتباعهم أن هذا بإذن الله وسيجزئهم الله بسبب استمرارهم على

الافتراء أشدّ الجزاء. ومن أنواع كفرهم أنهم قالوا ما فى بطون البحائر والسواكب المتقدم

ذكرها فى سورة المائدة خاصة أى خاصة وحلال لهم لا تشركهم النساء، وهذا هو المقصود

من قولهم ومحرم على أرواحنا أى نساءنا هذا إذا ولد حيا، وإن يكن ما فى بطونها ميتة أى

ولد ميتا فالذكر والإناث شركاء فيه يأكلون منه وهذا من جفاء الطبع فى حق النساء

الضعيفات.

أنعام (١)	وأنعام (٣، ٢)	الأنعام (٤)	أرواحنا (٥)	الأنعام (٦)	الأنعام (٧)
موروثات (٩، ٨)	مشتابها (١٠)	مشتابه (١١)	واتوا (١٢)	الأنعام (١٣)	جات (١٤)

فقالوا هذا لله برزخهم وهذا لشركائنا، فشركاؤهم هى الأصنام لأنهم جعلوا لهم نصيبا من

أموالهم، فما عبثه لشركائهم لا يصرف منه شيء فى الوجوه التى يصرف فيها ما عبثه لله،

وما كان لله يصرف لأهنتهم، سواء ما يحكمون من ترجيح مخلوق عاجز على خالق قادر. فاحذر

أيها المؤمن أن تتسرب هذه الشناعة إليك من حيث لا تشعور. ومثل تزيين الشرك فى قسمة

الحرث والأنعام زين لكثير من مشركى العرب شركاؤهم من شياطين الإنس والجن قتل

أولادهم، وكان تزيينهم وتصنيفهم يختلف باختلاف نوع الولد، فإذا كان أنثى زينوا لهم التخلص

منها لأنها قد تجلب العار إذا وقعت أسيرة أو تزوجت غير كعب، وإذا كان ذكرا زينوا لوالده

تقديمه قربانا للأصنام، ففى ذلك خير للولد لأنه يصير محسوب الآلهة ولأبيه ليباركوا رزقه

ويشفعوا له عند الله، وإذا كان الوالد فقيرا زينوا له التخلص من ولده ذكرا أو أنثى ليخلصه

من ذل الفقر كما فى الآية (١٥١) من هذه السورة صفحة ١٨٩، والآية (٣١) من سورة الإسراء

صفحة ٣١٨.

زينوا لهم ذلك ليوقعوهم فى الردى، وليخطئوا عليهم ما كان عندهم من بقية دين إبراهيم

بالرشية ليعدهوهم عن هذه البقية. ولو شاء ربك عدم وقوع هذا منهم ما فعلوه، وقد تقدم بيان

مشيئته تعالى فى الآية (١٢٥) من هذه السورة صفحة ١٨٢، وإذا كان الأمر كذلك فعدمهم

وافترائهم فسيدمون وقت لا ينفعهم ندم، فالكلام تهديد لعلمهم بتهنون.

المفردات : : ﴿حجر﴾ : بمعنى محجور كذبح بمنفى مذبح، انظر آية (١٠٧) من سورة

الصافات صفحة ٥٩٣، يستوى فيه المذكور والمؤنث والواحد والكثير.

﴿لا يطعمها﴾ : لا يذوقها.

﴿وصفهم﴾ : المراد كذبهم على الله فى التحليل والتحريم، وهو من قبيل قولهم وصفت

عينه السحر وكلامه الكذب، أى ثبت له ذلك على أتم وجه، انظر آية ٦٢ من سورة النحل

صفحة ٢٥٣.

﴿فسفها﴾ : السفة خفة العقل كما تقدم فى آية (١٢) من سورة البقرة صفحة (٤) وما

أقبحه إذا انضم إليه الجهل. ﴿موروثات﴾ : هى من الكرم ما يحمل على عيdan كهيئة

المرثية.

سيخزبهم الله وصفهم الكذب أو كذبهم البالغ نهاية التقيح، لأنه حكيم لا يسوى بين الكافر والمؤمن، علم بكل ما يفعلون فلا يظلم، ثم جمع سبحانه ما ينكر على العرب المشركين في أمرين عظيمين فقال:

قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم كل خير وحرما ما رزقهم الله تعالى مما ذكر في الآية (١٠٣) من سورة المائدة صفحة ١٥٧ وغيرها افتراء على الله، قد ضلوا بهذا العمل أى زاد ضلالهم بدليل قوله وما كانوا في الأصل مهتدين فالضلال عندهم قديما وحديثا. قال ابن عباس: إذا أردت أن تعرف جهل العرب فاقرا هذه الآية، ثم رجع سبحانه إلى ما هو المقصود الأصلي من السورة وهو إقامة أدلة التوحيد، ومحاربة الشرك في كل مظهره، ومن أشبع مظاهره تحريم ما أحل الله وبالعكس، فذكر في ذلك عشر آيات قدم لها بالإشارة إلى فضله سبحانه عليهم بالأنعام وما تبتت الأرض ومع ذلك يتصرفون فيها بما يغضبه فقال: وهو الذي أنشأ وأوجد جنات معروشات وغير معروشات بأن تقوم على سوقها، وأنشأ النخل والزروع مما في الجنات مختلفا ثمرة في شكله ولونه وطعمه وريحه، وأنشأ الزيتون والرمان متشابهها وتغير متشابهه كذلك، كلوا يا عبادي من ثمر كل هذه المذكورات إن كانت مما يثمر ويؤكل ثمرة وكلوا من كل ما ينتج منها من زرع، وآتوا حقه الذي أوجبه الله فيه للفقراء يوم حصاده.

والمراد يوم جمع الزرع وقطع الثمر وقد يشعر هذا أن في المال حقا غير الزكاة، لأن الزرع يشمل الخضّر كالفجل والكرب وغير ذلك مما يطبخ أو يؤكل دون طبخ وليس في ذلك زكاة عند جمهور الأئمة، وكذا الرمان والعنب قبل صيورته زبيبا، ولذا قال كثير من المفسرين أن هذه حقوقا في المال غير مقدرة سوى الزكاة لما أخرجه الترمذى والدارقطني وجماعة عن فاطمة بنت قيس عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن في المال حقا سوى الزكاة ثم قرأ ﴿وهو الذي أنشأ جنات... الآية﴾ ومثل هذا أخرجه البخارى في تاريخه ويؤيد كل هذا ما ورد في الحديث الصحيح (لا يؤمن بالله من بات شبعانا وجاره طاو إلى جنبه) وإجماع العلماء على أنه إذا وصل حال التقير إلى حاجته إلى طعامه الضروري، الذي يهلك بعدها وجب على الناس أن يعطوه مقدار دفع الضرورة وإن كانوا ممن لا تجب عليهم الزكاة انظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحات ٣٢، ٣٤، ومن أراد تفصيل كيف فرضت الزكاة ومتى بين مقدارها وكيف كانت أولا بركة فليرجع إلى حديث رقم (٢٠١) من كتابنا صفوة البخارى، ولا تسرفوا أى لا يقع منكم إسراف في صورة ما من صورته، فلا تسرفوا في الأكل قبل الحصاد حرصا على حق التقير، ولا في الإعطاء حرصا على الأولاد من الجوع، ولا في الأكل والشرب العادى كما في الآية (٣١) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦، لأن الله تعالى لا يحب المسرفين، وأنشأنا لهم أيضا من الأنعام....

حَوْلَهُ وَتَرَكْنَا كَلِمَاتٍ مَّا رَزَقْنَاهُ اللَّهُ وَلَا تَلْمِزُوا خُطُوتِ
الْبَيْتِ لَيْسَ لَكُمْ عُدُوٌّ مِنْهُ تَلْمِزُهُمْ أَزْوَاجُ مِنْ
الْعَالَمِينَ الَّذِينَ مِنَ الْمَعْرِ الَّذِينَ قُلَّ اللَّهُ كَرِيمٌ حَرَمٌ لِمِ
الْأَنْفِيْنَ أَمَا أَفْسَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْفِيْنَ يَتَوَلَّى
يَعْلَمُ إِنَّكُمْ سِدِّيقِينَ ﴿١٧٧﴾ وَمِنْ الْأَنْفِيْنَ مِنَ الْبَيْتِ
الَّذِينَ قُلَّ اللَّهُ كَرِيمٌ حَرَمٌ لِمِ الْأَنْفِيْنَ أَمَا أَفْسَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأَنْفِيْنَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَا اللَّهَ بِهَذَا
فَقُلْ أَفْهَمُ مَنْ أَفْهَمَ عَلَى اللَّهِ كَلِمًا يُضِلُّ النَّاسَ يَغْيِرُ
عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٨﴾ قُلْ لَا أَمِدُّ
فِي مَا أَوْحَى إِلَى عَرْمَاءٍ عَلَى طَائِعٍ يَقْلَعُهُمْ إِيَّاءَ أَنْ يَكُونُوا
مَعَهُ أَوْ مَا مَنَعَهُمْ أَوْ حَمَمٍ خَيْرٌ مِنْهُمْ رَجَسٌ أَوْ قِسْفًا
لِمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ بِهِ قُوَّةٌ فَخُطِرَ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

المفردات : : ﴿حاملة﴾ : هى ما يحمل الناس والمتاع من كبار الإبل.

﴿فسرفنا﴾ : المراء يتخذ من وبرها وأصوافها وشعرها فرش، انظر الآية (٨٠) من سورة النحل صفحة ٣٥٦.

﴿أزواج﴾ : يطلق الزوج في اللغة على كل اثنين تقارنا في شىء، تقول عندي زوج نعل مثلا، ويطلق على كل واحد من القرينين الذكر والأنثى من الحيوانات المتزاوجة، فيقال للذكر زوج وللأنثى زوج وللأنثيين

زوجان، تقول عندي زوجا حمام تريد ذكرى وأنثى. وهذا الاستعمال هو المراد هنا وإلا كان المذكور أربعة لا ثمانية. ﴿شهداء﴾ : أى شاهدين حاضرين.

﴿رجس﴾ : خبيث تعافه الطباع السليمة.

﴿فسقا﴾ : أى سبب فسق وخروج عن طاعة الله.

﴿بأغ ولا عاد﴾ : تقدم في الآية (١٧٣) من سورة البقرة صفحة ٣٣ أن الباغى هو الخارج على الإمام بالإفساد في الأرض، والعادى هو الذى تجاوز حد الضرورة بأن يأكل حتى يشبع.

المعنى : : وخلق لكم من الأنعام ما يحملكم ويحمل متاعكم كما في الآية ٧ من سورة النحل صفحة ٢٤٦، وجعل لكم منها فرشا للبيت، وقلنا لكم كلوا مما رزقكم الله من هذه الأنعام وغيرها، ولا تتبعوا خطوات الشيطان يتحريم ما لم يحرمه الله أو يجعلها للأصنام، إن

- | | | | | | |
|-----------|-------------|------------|------------|---------------|-----------|
| (١) خطوات | (٢) الشيطان | (٣) ثمانية | (٤) أزواج | (٥) الذكور | (٦) أم ما |
| (٧) صافين | (٨) الذكور | (٩) أم ما | (١٠) وصاكم | (١١) الظالمين | |

المفردات: «غفور رحيم»: غفور العباد
الخطأ اليسير في تحديد المقدار الذي يدفع
الضرر. «رحيم» حيث جرم عليهم ما يضرهم.
انظر ما تقدم في الآية (١١٢) من سورة
البقرة صفحة ١٣، والآية (٣) من سورة
المائدة صفحة ١٣٥. «الذين هادوا»: معنى
هاد رجع، والمراد بهم اليهود. انظر الآية
(١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧..

[illegible]

وهي الممران الغليظة التي يكن فيها البعر قبل خروجه ويكون الشعر مختلفا فيه بالاحم، ويأكله المصريون محشوا بالأرز والتوابل.

﴿بَابُ ١٥﴾ : عَذَابُهُ وَاتِّصَالُهُ.

﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ : إِنْ - حرف نفى بمعنى ما .

﴿الذين﴾ : المراد به هنا الوهم الذي لا سند له. ﴿وإن أنتم﴾ : إن - كسابقها .

﴿تَخْرُصُونَ﴾ : الخرصُ التخمينُ . ﴿هَلُم﴾ : ائى حضروا وهاتوا .

المعنى: .: بعد ما بين سبحانه ما حرمه على جميع المكلفين شرع في بيان ما حرمه على

بنی اسرائیل خاصة عقوبة لهم كما تقدم في آيتي (١٦٠، ١٦١) من سورة النساء صفحة ١٣٠

(١) جزيناهم
(٢) لصا دقون
(٣) واسعة
(٤) بيوتا
(٥) البياغة
(٦) لهداكم
(٧) بيأتنا.

الشیطان لكم عدو ظاهر العداوة، انظر آیتی (١٦٨، ١٦٩) من سورة البقرة صفحہ ٣٢، خلق
من الأنام المذكورة ثمانية أزواج، وبین هذه الأزواج لیرتب علیہم بکینہم وتجهلہم علی تحريم
بعضہا قتال:

من الضأن اثنين الذكر والأُنثى أى الكبش والعجبة، ومن المعز اثنين أى التيس والعنز.

قل لهم أيها النبي المذكورين من الضنآن والممحرّم الله تعالى أم الأثنيّين منهما أم الأجنّة التي في أرحام الأثنيّين ذكورا أم إناثا. والاستفهام للإلّكار أى لم يحرم الله شيئاً منها فافاجبروني بعلم مقتول عن واحد من رسل الله إن كنتم صادقين في دعوى أن الله حرّمها. ومن الإبل اثنين الجمّل والناقّة، ومن البقر اثنين هما الثور والبقره فهى واحدة البقر تنطلق على الذكر والإنثى. قل لهم أيها النبي المذكورين حرم أم الأثنيّين أم ما اشتملت عليه وأرحامها أى لا. لم يحرم شيئاً كما سبق. فهل كنتم حاضرين حين وصاكم الله بهذا التحريم؟! والكلام تكرير للإفحام والتبكيّة، والمعنى لم يكن شيء من هذا بل هو اقتراء منكم. ولا أحد أشد ظلما ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرمه ليضل الناس بغير علم، انظر الآية (٢٨) من سورة الأعراف صفحه ١٩٦؛ والمراد قس: عيل الجهل العام مع سوء النية، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وغيره ممّن يتبعه فحرم من الهداية، لأن الله لا يهدي الظالمين.

وبعد ما ألزمهم سبحانه العجبة وبكتهم وهدهم أمر رسولهُ ﷺ أن يبين لهم وغيرهم ما حرّمه سبحانه دون غيرهم ومنه يعلم شناعة افتراءهم بالزيادة عليه فقال:

قل أيها النبي لا أجد فيما أوحاه الله تعالى إلى طعاما محرما على أكل يأكله من ذكر أو أنثى إلا أن يكون ذلك الطعام ميتة أو دما مسفوحا إلخ، تقدم بيانها في الآية (٣) من سورة المائدة صفحة ١٢٥ فإنه أي المذكور رجس أو يكون الطعام هضمًا، وبين سبب كونه قسمًا أنه أهلٌ لغير الله به، والمراد ذكر غير اسم الله تعالى عند ذبحه، وتقدم مثل ذلك في الآية (١٧٣) من سورة البقرة صفحة ٣٢ والآية (٣) من سورة المائدة صفحة ١٢٥، فمُنَّ الجاهل الضميمة لكل شيء مما ذكر بشرط أن يكون غير باغ على إمامه بأن يكون مفسدا في الأرض، ولا عاديا أي متجاوزا حد دفع الضرورة إلى الشيع

فقال: هؤلاء الذين هادوا حرماً كل ذي ظفر، قال ابن عباس: هو ما ليس منفرج الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط، وحرماً عليهم من البقر والغنم شحومهما لا لحومهما، إلا الشحم الذي فوق الظهر أو الحوايا أو الشحم الذي اختلط بعظم وهو ألية الضان لا اختلاط شحمها بالعصص. فهذه الثلاثة حلال، فالمحرم غير ذلك هو شحم الكلية، والشرب بالثاء، يوزن النجس وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والأعضاء، فالمحرم هو الشحم الذي ينزع بسهولة لعدم اختلاطه بعظم أو لحم. ذلك التحريم جزئياً بهم به بسبب بغفهم، وتقدم بيان البغى في الآية (١٦٠) من سورة النساء صفحة ١٣٠، وإنا لصادقون في كل ما أخبرناك به من تحريم وتحليل وبغى وغير ذلك. فإن كذبك المشركون الذين أرسلت إليهم لتقيم الحجج على الصواب لمخاجتهم فقل لهم ريكم ذو رحمة واسعة لمن رجع إليه كما في الآية (٨٢) من سورة طه صفحة ٤١٣، أما إذا استمروا على عنادهم فأعلمهم بأنه تعالى لا يرد عذابه عن المجرمين. وبعدما أبطل سبحانه كثيراً من شبهاتهم شرع في تلقين نبيه ﷺ رد شبهة من أخبث ما ضل بمثلها كثير من الكفار قبلهم، لقنها سبحانه لرسوله قبل أن يقولوها لثلاً يفاجأ بها وليس معه جوابها فقال تعالى:

سيقول لك الذين أشركوا إلخ. أى سيقول لك أيها النبي المشركون: لو شاء الله أن لا نشرك به نحن ولا آباؤنا من قبلنا ما أشركنا، ولو شاء أن لا نحرم ما حرماً شيئاً من الحرث والأنعام وغيرها، أى ولكنه شاء أن نشرك وأن نحرم فحرمنا، فوقع ذلك منا دليل على مشيئته تعالى، يريدون أن يرتبوا على ذلك أنه سبحانه راض بما يعملون، أى فلا دخل لك يا محمد. وقد وقع ما أخبر به تعالى قبل وقوعه انظر الآية (٣٥) من سورة النحل صفحات ٢٤٩، ٢٥٠، وآيتي (٢٠، ٢١) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٩، بل بلغ من تبجحهم أنهم أدعوا أن الله أمرهم بهذا انظر الآية (٢٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦، ومرادهم أن يقولوا إن ما فعلناه حق مشروع لأنه بإرادة الله وكل ما أَرادَهُ فهو مرضى عنه منه، فهم يقصدون بما قالوا ما يلزمه في زعمهم وهو رضاه سبحانه عن كل ما يريده.

ولما كان هذا التلازم باطلاً لأنه لا يلزم من إرادته تعالى لشيء رضاه عنه، لأن كل ما يقع في ملكه بإرادته لا جبراً عليه ومع ذلك لا يرضى لعباده الكفر كما في الآية (٧) صفحات ٦٠٦.

٦٠٧ وكذلك لا يرضى لهم المعاصي. وإلا ما عذبهم عليها. ولذا رد عليهم بتكذيبهم في دعوى التلازم بقوله كذلك أى مثل هذا التكذيب بالمغالطة كذب الكفار قبلهم رسلهم. عندما قالوا لهم إن الله لا يرضى لعباده الشرك ولا التحشأ، ولا يأمر ولا يرضى إلا بالإيمان والعدل أما إرادته فتأنيباً لحكمته تعالى في النظام الذي ارتضاه لهذه الدار الدنيا، ومن هذا النظام أنه يسهل لكل مكلف ما يختاره بعد أن يرشده إلى الصواب قال تعالى:

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحات ٣٨٤، ٣٨٥ وآيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٦، ٣٦٧. فتقولكم إن شركنا مرضى عنه تكذيب لرسولكم، كتكذيب الكفار قبلكم لرسولهم، واستمروا على هذا التكذيب حتى ذاقوا عذابنا. وهذا دليل على كذبهم، لأن الله تعالى لا يعذب على ما يرضيه، وبعد هذا التكذيب المقام عليه الدليل أمر الله تعالى نبيه أن يطالبهم بدليل علمي على زعمهم فقال:

قل لهم هل عندكم من علم فتظهره لنا؟ والاستفهام للتوبيخ والتعجيز، ولذا أعقبه ببيان حقيقتهم فقال: إن تبيهن إلا الظن، أى ليس عندكم علم بل ظن باطل لا يغنى عن الحق شيئاً؛ ولذا قال وإن أنتم أى ما أنتم إلا تخمنون تخميناً لا يستند إلى شيء.

وبعد ما نفى عنهم أدنى مراتب العلم أثبت لنفسه سبحانه الحجة القاطعة؛ قل أيها النبي لهؤلاء الكفار الذين يبنون أصول دينهم على التخمين: إذا لم يكن عندكم علم فى أمر دينكم فالله وحده الحجة البالغة النهاية فى القوة، فلو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين يجبركم على الاستقامة، فيكون العالم كله ملائكة. ولكنه لم يشأ ذلك للحكمة المتقدمة فى الآية (٣٩) من هذه السورة صفحة ١٦٨. وبعد ما نفى عنهم العلم طلب منهم أن يحضروا من يشهد لهم على صحة ما يزعمون لينتبه أنهم ليسوا على شيء لا من العلم ولا من غيره فقال: قل لهم وهاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم ما حرمتوه. وهذا تعجيز لأنه ليس فى البشر من يعلم عن الله علماً قطعياً كأنه مشاهد إلا الرسل. فإن فرض وأحضروا شهداء وأدعوا أنهم قاطعون بما يشهدون فلا تشهد أيها النبي معهم، أى لا تقررهم على كذبهم، ولا تتبع شهواتهم لأنهم مكذبون بآياتنا أى أدلتنا التى بينها لهم قاطعة بصدق رسولنا....

سورة النساء صصفحة ٩٨ والآية (٣٤) من سورة الإسراء صصفحة ٣٦٩ والآية (٨٢) من سورة الكهف صصفحة ٣٩٢. أما قوله تعالى في شأن نبيه موسى عليه السلام ﴿ولما بلغ أشده آتياه حكما وعلماء﴾ انظر الآية (١٤) من سورة القصص صصفحة ٥٠٨. فإننا نجد سبحانه جمع بين بلوغ الأشد وبين الاستواء قبله بلوغ الأشد هو بلوغه مبلغ الرجال، واستواؤه هو اكتمال قوته الجسمية والعقلية، ويكون في العادة بعد العشرين سنة.

وأما قوله **وَلَحِثَى** إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، فهو يريد به أقصى بلوغ الأشد، وذلك يكون عند انتهاء شباب الإنسان، ودخوله في سن الشيخوخة، وعند هذا المدى بُعث نبينا محمد ﷺ، فَوُتِّدَ من كل ذلك أن بلغ الأشد محصور المبدأ محصور النهاية، غير محصور ما بينهما .

﴿الْقِسْفَةَ﴾: العدل ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: الصميم في ﴿وَكَانَ﴾ يعود على مفهوم من سياق الكلام والمراد ولو كان المتعلق به القول قريبا لكم، ونظير هذا الصميم تجده في ﴿عَلَيْهَا﴾ من قوله تعالى ﴿وَلَوْ يَرَاهُ النَّاسُ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ انظر الآية (٣١) من سورة النحل صفحة ٣٥٢.

المعنى :- ولا تتبع هؤلاء المكذابين الذين من صفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة، ويجعلون لربهم شركاء مماثلاً وبعدما بين سبحانه ما حرمه وما أحله وحججه الباقية على المشركين، شرع في بيان أصول المعمرات من الأعمال والأقوال وما يقابلها من أصول المضائل فقال:

قل أيها النبي لهؤلاء المتبعين في دينهم لمجرد التحمين والهوى فيما يحبون ويكرهون :
تعالوا إلى أفرا عليكم الكلام الدال على ما حرمه ركنكم عليكم، وخص التحريم بالذكر هنا مع
أن الوصايا العشر التي سيذكرها فيها خمسة محرمة منهن، وخمسة واجبة مأمور بها،
لأن أغلب الكلام فيما سبق كان فيما حرموه، فكانه يقول المحترّم هو ما نهى الله تعالى عنه لا
ما حرّمتم أنتم، ولا فاضل الكلام أتل ما حرّم وما أوجب، وإذا علمت أن من الأساليب العربية
الشيعة أن يقول الرئيس لمروسه اسبح ما أمّنتك من قتله: لا تتملك كذا ولا كذا، وإذا علمت

وَالَّذِينَ لَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا حِرْمَانَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾
 ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَلْبَسَ أَحَدٌ مِّنكُمْ عِلْمًا إِلَّا شَرًّا يَكْفُرُ بِهِ
 نَفْسًا وَيَا لَوِ اتَّخَذَ النَّاسُ حِسَابًا وَلَا تَعْلَمُوا أَلَمَهُمْ بَيْنَ أَيْدِي
 عِزِّي وَرَأَيْتُمْ أَنَّكُمْ لَا تُغَيِّرُونَ إِلَّا حِرْمَانَهُمْ بِرَبِّهِمْ
 وَمَا يَكْفُرُ وَلَا تَعْلَمُوا أَلَمَهُ الْفَسَادِ حَتَّى أَهْلَ الْأَيْدِي
 ذَكَرْتُكُمْ وَصَلَّيْتُكُمْ بِرَبِّكُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَا تَعْلَمُوا أَلَمَ
 الْبَلَاءِ إِلَّا الَّذِي فِي أَحْسَنِ حَتَّى يَسْلُجَ الْعَسْفُ وَذَلُّوا
 الْكَبِيرُ وَالْيَتِيمَانِ يَنْفِطُ لَا تَكْفُرُ نَفْسًا إِلَّا رَوْسِيهَا
 وَكَأَنَّهُمْ قَاعِدُونَ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَرَبِّهِمْ اللَّهُ أَعْلَمُ
 ذَكَرْتُكُمْ وَصَلَّيْتُكُمْ بِرَبِّكُمْ كَذَرْتُ ﴿٥٨﴾ وَكَأَنَّهُمْ
 صِرَاطِي مُتَّبِعُونَ فَأَعْيُوهُ وَلَا تَكْفُرُوا أَلَمَهُ تَعْلَمُونَ بِرَبِّكُمْ
 عَنْ سَبِيلِهِ ذَكَرْتُكُمْ وَصَلَّيْتُكُمْ بِرَبِّكُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

المفردات : ﴿يُعيدون﴾: أي يجعلون له
تعالى عبدا، أي شريكا ممثلا، انظر أول
هذه السورة صفحة ١٢٢ والآية (١٠) من
سورة النمل صفحة ٥٠١. ﴿إسلام﴾: هو
الفقر. ﴿ما ظفر منها﴾: هو ما تفعله
الخوارج كالقتل والزنا والسرقة والكذب.

هو ما بطن): هو أفعال القلوب كالعسد
ونية السوء (أشده): بلوغ الأشد محصور
بين البلوغ مبالغ الرجال الذي عنده يكون
التكليف وبين اكتمال القوى الجسمية
والعقلية ويكون غالباً بين المشركين والأربعين

من عمر الإنسان، فقله تعالى في سريرة يوسف ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا... الآية﴾ انظر الآية (٢٢) من سورة يوسف صفحة ٢٠٥ معناه البلوغ مبلغ الرجال. وعنده رآودته امرأة العزيز عن نفسه" ومنه قوله تعالى ﴿ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ انظر الآية (٦٧) من سورة غافر صفحة ١٢٧. ويطلق ﴿الأشد﴾ أيضا على بلوغ الإنسان مبلغا يجعله صالحا للتصرفات المالية بأن يكون عاقلًا حسن التصريف، وهذه الحالة عبر عنها القرآن بالرشد فقال في البقرة ﴿وَلَمَّا نَسَبْنَاهُمْ رُسُلًا فَاذْكُرُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ انظر الآية (٦) من

(١) وبألو الدين

(۵) احسانا

$$m_{5,2,0}(r)$$

(3) إهلاك

(٥) - الفواحش

$$\log(V.7)$$
$$j_{\text{eff}}(v)$$

(۹) وصایا:

أيضا أن من المقرر أن الأمر يشئ نهي عن ضده والنهي عن شيء أمر بضده، فإذا قلت ترجل أمرتك بالصلاة فقد نهيتك عن تركها، وإذا نهيتك عن الكذب فقد أمرته بتركه، إذا علمت كل هذا سهل عليك فهم ما يأتي وشرع سبحانه في بيان ما حرم وما أوحى به فقال:

أن لا تشركوا به شيئا **﴿١﴾** حرف تفسير تفيد أن ما بعدها تفسير لما قبلها، فكأنه قال:

أول ما أتوه عليكم من الوصايا هو أن لا تشركوا به شيئا؛

والثاني مما أتوه عليكم وأوصاكم به ريكتم أن تحسنوا للوالدين إحسانا كاملا، وهذا يستلزم ترك الإساءة وإن صغرت فكيف بالمعقوق.

وقد تقدم نظير ذلك في الآية (٨٣) من سورة البقرة صفحة ١٠٦، والآية (٣٦) من سورة النساء صفحة ١٠٦، وسيأتي في الآية (٢٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٧؛

والثالث من الوصايا أن لا تقتلوا أولادكم الصغار من أجل فقر حل بكم فرارا من أن يؤلمكم مشاهدتهم جباعا، وهذا من تزيين شياطينهم كما تقدم في الآية (١٣٧) من هذه السورة صفحة ١٨٥، نحن نرزقكم وإياهم أي رزقكم ورزقهم علينا فلا تخافوا،

والرابع من الوصايا أن لا تقربوا المعاصي الشديدة القبح ما ظهر منها مما تغعله الجوارح كالزنا والسرقة، وما بطن كالاحسد ونية السوء، انظر ما تقدم في الآية (١٢٠) من هذه السورة صفحة ١٨٢.

والخامس منها أن لا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا إذا كان القتل بوجهه حق كأن تكون قاتلة أو زانية بعد إحصان، ذلكم ما ذكر من الأحكام الخمسة في هذه الآية وصاكم بالمحافظة عليها ريكتم لإعدادكم لأن تعقلوا ما فيه الخير فتعملوه وما فيه شر فتجتنبوه،

والسادس من الوصايا أن لا تقربوا مال اليتيم بوجه من الوجوه إلا بالفعلة التي هي أحسن كحفظه وتميمته، فحافظوا عليه إلى أن يبلغ رشده فسلموه له كما في الآية (٦) من سورة النساء صفحة ٩٨.

والسابع منها أن تجعلوا الكيل وافيًا وكذا الميزان، والمراد المكيل والموزن، ولا تكونوا من المطففين الذين توعدهم الله تعالى بالهلاك في سورة المطففين: ولما كان الأمر بالتوسط قد يقع أهل الورع في حرج لأن العدل المطلق لا يتحقق إلا بمثل موازين الذهب فقد تزيد حبة واحدة أو تنقص، لكل ذلك قال سبحانه:

﴿٢﴾ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها **﴿٣﴾** أي ما في طاقتها فعله، ولا يؤاخذ بمثل هذه الأشياء التي لا يمكن ضبطها، بل بالعدل المعروف عند الناس،

والثامن منها أن تعدلوا إذا قلتم قولا في حكم أو شهادة ولو كان المحتاج إلى قولكم ذا قرابة منكم.

والتاسع منها أن توفوا بالعهد الذي عاهدتم الله عليه، ويدخل فيه ما شرعه على لسان رسوله وقبلتموه بدخولكم في الإسلام، ويدخل فيه ما يعاهد الناس بعضهم بعضا فيما هو جائز شرعا وما يلزمون به أنفسهم من نذر أو يمين، انظر الآية (٧٥) من سورة التوبة صفحة ٢٥٤، ومحل الوفاء بالعهد إذا كان على شيء فيه خير ومصلحة، لا في شر، ولذا عبر عنه بعهد الله. ذلكم ما ذكر من التكاليف الأربعة وصاكم ريكتم به لمعلم تذكرون دائما ما فيها من المنافع فتحافظوا عليها ولا تغفلوا عنها.

والعاشر منها أن تتبعوا الشرع لأنه صراطى المستقيم المذكور في سورة الفاتحة، وهذه الوصية العاشرة جامعة لكل خير، فهي أعم مما تقدم، ولا تتبعوا سبل الضلال الكثيرة فتتفرق أى تشعب وتبعد بكم عن سبيله المستقيم. ذلك الأمر باتباع الطريق المستقيم وصاكم به ريكتم لمعلم تتقون، ويتبعون عما يضركم في الدنيا والآخرة. روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ خط بيده خطا ثم قال:

هذه سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وشماله وقال:

هذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ هذه الآية. ولذا أفرد سبيل الحق لأن الحق واحد، والباطل طرقه كثيرة.

أيضا أى حملته، وتقول أيضا : وَرَرَّ الرجل أى حمل ما يشغل ظهره وتقول أيضا وزر فلان يزر بوزن وعد أيضا وَرَرًا وَرَرًا أيضا أى ارتكب إنما وَرَرٌ بفتح الواو وكسر الزاى وموزون. والأشئ وازرة، والوزر بكسر الواو وسكون الزاى. يستعمل مصدرًا كما تقدم. ويستعمل بمعنى الإثم أى الذنب. ويستعمل بمعنى الحمل الثقيل. وجمعه أوزار ومنه قوله تعالى ﴿وَحَتَّى تَضَعَ الحرب أوزارها﴾ الآية (٤) من سورة مخدم صفحتى ٦٧٢، ٦٧٣ أى انقالتها والوزر بفتحها هو الملجأ ومنه قوله ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ الآية (١١) من سورة القيامة صفحة ٧٧٩ فمعنى ﴿لَا تَزِرُ﴾ أى لا تحمل ﴿وازره﴾ أى نفس مرتكبة ﴿وزره﴾ أى إنما و ﴿وزر أخرى﴾ أى إثم نفس مرتكبة أخرى والمراد جزاء ذنبها وهو العقاب. وبعد كل هذا فيحسن أن تنبه لأمر مهم هنا قد تغضى على بعض البسطاء دقائقه. وظروفه التى جاء فيها ذلك أن قوله تعالى ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا تحمل نفس مذنبية ذنب نفس أخرى. وهذا ربما يوهم أن النفس غير المذنبية قد تحمل ذنب نفس أخرى. والعدل الإلهى يأبى ذلك لأنه سبحانه قرر أن كل نفس سواء كانت مذنبية أو غير مذنبية لا تحمل ذنب غيرها. فقد قال تعالى ﴿وَإِخْشَاوْا يَوْمًا لَا يَجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ الآية (٣٣) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤. وكل هذا يقتضى أن يقول سبحانه ﴿وَلَا تَزِرُ نَفْسٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ويُرْوَى الخفاء إذا علمنا أن الكلام هنا مع قادة الكفر أصحاب الأوزار الذين يسمعون فى تضليل غيرهم ويقولون لهم لا تخافوا شيئًا لأننا سنحمل عنكم خطاياكم إن كان لكم خطايا. قال تعالى فيهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ الآية (١٢) من سورة المنكبوت صفحة ٥٢٢ وفى هذا الأسلوب أيضا إبراز للعدل الإلهى على أكمل وجه حتى مع هؤلاء المجرمين حيث قرر أن عذابهم إنما هو على ما ارتكبه من الأوزار. لا بما ارتكبه غيرهم ولا يعارض هذا ما جاء فى الآية (١٣) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢ مما يفيد ظاهره أن هؤلاء الكفار يحملون أثقالا مثل أثقالهم. فإنه فى الحقيقة سيحمل المجرم ذنب نفسه لكنه مضاعف، عذاب على ذنبه الذى فعله فى نفسه خاصة كالكفر مثلا. وعذاب على إضلاله لغيره وتسببه فى كفره وانحرافه عن الصواب فهو بمعنى ما فى آيات (٣٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٨، ١٩٧، ٦٨ من سورة الأحزاب صفحتى ٦٠، ٦١.

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْجِبَ عَنْ عِبَادَتِي قَبْلَ أَنْ تَنْظُرَ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا بِحَيْثُ كَانُوا يُكْفَرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتَلُوا بِحَيْثُ كَانُوا يُكْفَرُونَ ﴿١١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُنْقَلُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيَارًا وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ فَضَّلْتُ وَشَكَيْتُ نَحْيَا وَمَعَايَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ هَارَوْا وَإِنَّا أَوْلَى السَّبِيلِ ﴿١٥﴾ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّيَ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَتَّبِعْ كُلَّ نَفْسٍ إِلَّا عَنِّي وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦﴾

﴿حنيفا﴾ : مائلا عن الباطل إلى الحق.

﴿نسكى﴾ : هو فى الأصل مطلق العبادة وكثر استعماله فى عبادات الحج من سعى وطواف وذباح، انظر الآية (١٩٦) من سورة البقرة صفحتى ٣٨، ٣٩، والآية (٣٠) من نفس السورة صفحتى ٣٩، ٤٠، والآية (٢٤) من سورة الحج صفحة ٣٨، والآية (٦٧) من نفس السورة صفحة ٤٤٣.

﴿تزر﴾ : أصل الوزر الحمل الثقيل، يقال وزر الشيء يزره كوزع حملة والمراد تحمل ذنبا.

﴿وازره﴾ : أى حاملة وزرا أى ذنبا. ﴿تزر وازرة وزر أخرى﴾ : يقول العربى: وزر فلان الشيء يزره بوزن وعدة. يعدة وزرا. بفتح الواو. وسكون الزاى. ووزرا بكسر الواو وسكون الزاى

- (١) إيمانها
- (٢) ميدانى
- (٣) صراط
- (٤) إبراهيم
- (٥) المائتين.

يوم يأتى بعض آيات رك هذه فيؤمن الناس اضرازا كما اضطرازا فرعون فى الآية (٩٠) من سورة يونس صفحة ٢٨٠. لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت....

المفردات : : ﴿قيما﴾ : أصله مصدر كالصغر والكبر وجعل وصفا للمبالغة، والمراد ديننا يقوم به أمر الناس فى معاشهم ومعادهم، انظر الآية (٥) من سورة النساء صفحة ٩٨، والآية (٩٧) من سورة المائدة صفحتى ١٥٦، ١٥٧.

رسوله أن يقول لجميع المكلفين القول الجامع لجملة ما تقدم فقال: قل للناس كافة إنني هادئ ربي وأوصلني بما أوحاه إليّ إلى طريق مستقيم، وهو الدين الذي به قيام مصالح الناس في معاشهم وأخراقتهم، وهو ملة إبراهيم المبتعد عن الباطل، ولم يكن مشركا كالعرب الذين يدعون أنهم على ملته مع أنهم مشركون فهم كاذبون.

ثم أمره بأن يقول لهم بأن كل عبادته وأعماله خالصة لوجهه تعالى فقال: قل أيها النبي لهم أيضا إن صلاتي وأعمالي في الحج كلها وما أفعله في حال حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح كل ذلك خالص لله رب العالمين الذي لا شريك له في الربوبية حتى يستحق أن يشارك في العبادة، وبذلك الإخلاص في توحيده وعبادته أمرني ربي وأنا أول المتقادين لأمره سبحانه وقل لهم أيضا منكرا عليهم ما هم فيه: أغير الله أبغى ربا إلح أي لا يصح أن يطلب ربا غير الله مع أنه هو وحده رب وخالق كل شيء وسيحاسبنا على ما كنا بما به ولا ينفعنا عنده إلا عملنا لأنه لا تكسب كل نفس إلا عليها، فما ترغمونه من تحمل غيركم ذنوبكم عنكم في الآية ١٢ من سورة النكبات صفحة (٥٢٢) كذب وفضليل، والمعنى لا تكسب نفس إنما إلا كان عليها وحدها جزاؤه دون غيرها، ولا تحمل نفس مذنبية من الذنوب فوق حملها حمل نفس أخرى. فالجملة الثانية لازمة للأولى كقولك: ذنبي على وحدي، ولا يستطيع أحد أن يحمل عنى شيئا منه، ثم في النهاية ترجعون جميعا إلى ركنكم فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه من أمر أديانكم، فيظهر المحق من البطل فيجازي كلا بما هو أهله.

المفردات: ﴿خلائف الأرض﴾: الخلائف جمع خليفة وهو من يخلف سابقه في مكان أو عمل أو ملك. ﴿ليليولكم﴾: يختبركم أي يعاملكم معاملة المختبر لتظهر للناس حقيقتكم.

﴿خرج﴾: تقدم في الآية (١٢٥) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢. أنه شدة الضيق.

﴿ولتندر به﴾: تخوف.

﴿قليلًا ما تذكرون﴾: المراد تذكرون تذكرًا قليلًا جدا في لحظات خاطفة ترغمكم عليه قوة العجة، ولكن شدة عنادكم تصرفكم عنه.

﴿بأسنا﴾: عذابنا.

﴿بيانات﴾: أصله مصدر أريد به الصفة أي بائتين أي ليلا. ﴿وقائلون﴾: من القيلولة وهي النوم ظهرا وقت شدة الحر. ﴿ودعواهم﴾: أي دعائهم واستغاثتهم انظر الآية (١٠) من سورة يونس صفحات ٢١٦، ٢١٧.

المعنى: لا يفتن نفسا لم تكن آمنت من قبل مشاهدة علامة الساعة الكبرى إيمانها بعده، ولا يفتن نفسا كانت في الدنيا مؤمنة ولكنها لم تعمل خيرا وعَملا صالحا ما تحاوله من توبة أو عمل خير عند مشاهدة العلامة لبلالان التكليف الذي يترتب عليه ثواب العمل الصالح، أي فلا عمل يفتن في تخفيف العذاب، ولا إيمان يفتن من الخلود في النار. والآية أي العلامة الكبرى المقصودة هنا هي طلوع الشمس من مغربها قبيل الطامة الكبرى التي تذكر الشمس وتبس الجبال، روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا جميعا، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها) إلخ. فقل أيها النبي لهؤلاء الكفار المتربصين بكم الدوائر: انظروا ما تتمنون وقوعه لنا من الانكسار وذهاب الدين، إنا منتظرون وعد ربنا لنا بالنصر، ووعدكم لكم بالخذلان والعذاب وهذا تهديد شديد وجهه لكم كثيرا لو كنوا يعقلون، انظر آيات (١٠٢، ١٠٣) من سورة يونس صفحة ٢٨٢ و (١٢١، ١٢٢) من سورة هود صفحة ٣٠٢ و (٢٩، ٣٠) من سورة السجدة صفحة ٥٤٨، وبعد ما وصي سبحانه بهذة الوصايا العظيمة التي كان آخرها الأمر بالتباعد الصراط المستقيم والبعد عن سبل الضلال أراد سبحانه أن يبينه هذه الأمة بأمر خطير هي عرضة له من التفرق في الدين والتعصب للرأي حتى تصير الأمة شيعةا تتعصب كل شيعة لمذهبيها فتقطع العلاقات بين أتباع الأمة الواحدة كما حصل في أهل الكتب قبلها لما طال عليهم الزمن، فقال سبحانه محذرا:

إن الذين فرقوا دينهم وجعلوه مذاهب متعارضة مختلفة بما ابتدعوه فيه وهم اليهود والنصارى ومن يشابههم في ذلك، انظر الآية (١٠٥) من سورة آل عمران صفحة ١٢، وكانوا شيعةا أي فرقا، است منهم في شيء، أي أنت برىء منهم ومن عقابهم، إنما أمرهم في الدنيا إلى الله عز وجل يديره حسب حكمته ثم ينبئهم يوم القيامة بما كانوا يفعلون في الدنيا ويجازيهم عليه. وبعد ما بين سبحانه أصول الفضائل التي أمر بها الإسلام وأصول الرذائل التي نهى عنها، أراد سبحانه أن يبين جزاء كل منهم فقال: من جاء ربه يوم القيامة مقترنا بالصفة الحسننة للتحطيط بها في نفسه الفعلة الحسننة التي عملها في الدنيا فله من الجزاء جزاء عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا جزاء مثلها المقدر بعده تعالى، وهذا من فضله سبحانه لأنه ضاعف الحسننة فوق ما يستحقه العبد، وهنا لم ينصاعفها رحمة منه بخلقه حتى العاصي منهم، فسبحان من سبقت رحمته غضبيه. ولا يظلم أحد منهما يوم القيامة فلا ينقص من أجر المحسن شيء مما استحقه، ولا يزد جزاء المسيء فوق المثل. ثم أمر سبحانه

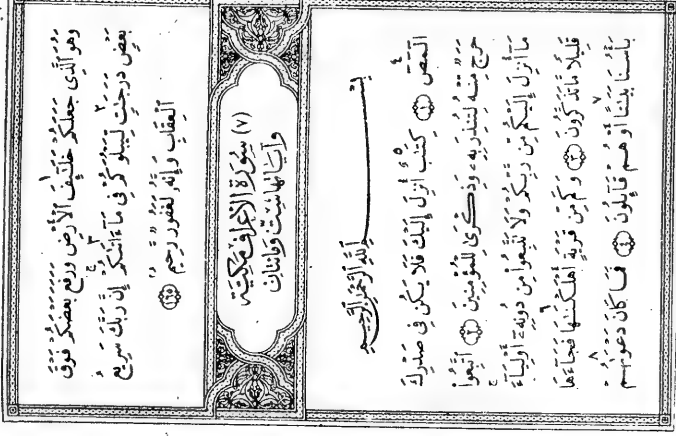
يهمك هذا فإنه باطل زائل، والعاقبة لك، انظر آيات (٢٥، ٣٥، ١٠٥) من سورة الأنعام صفحات ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٠، ومن أصعب ما لاقاه ﷺ حزنه على عدم إيمان أهله وعشيرته، انظر الآية (١٢) من سورة هود صفحة ٢٨٥، والآية (٩٧) من سورة الحجر صفحة ٣٤٤، والآية (١٢٧) من سورة النحل صفحة ٣٦٣، والآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٣٨٠. أي فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قبلك. أنزلناه إليك لتتذرع به وتحذر العصاة وليكون تذكيرا للمؤمنين بوجوده تعالى وفضله.

ثم خاطب جميع المكلفين بقوله: اتبعوا أيها الناس هذا الكتاب الذي أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء من شياطين الإنس والجن بأن تقبلوا منهم باطلهم وما يزينونه لكم من الشر، انظر الآية (٢٧) الآتية صفحتي ١٩٥، ١٩٦، والآية (١٦٨) من سورة البقرة صفحة ٣٢ والآية (٢٠٨) من نفس السورة صفحة ٤١، والآية (٢٥٧) من سورة البقرة أيضا صفحة ٥٤، والآية (٦٨) من سورة آل عمران صفحتي ٧٣، ٧٤، والآية (١١٩) من سورة النساء صفحتي ١٢٢، ١٢٣، فإنكم إن اتبعتموهم فنكون تذكركم قليلا جداً، أي فلا تنتفعون به. ثم شرع في تذكيرهم وتخويفهم مما حصل لمن قبلهم من العذاب بسبب إعراضهم وتماديهم في اتباع أوليائهم فقال:

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ فِجَاءَهُمْ عَذَابِنَا عَلَىٰ غَرَّةٍ وَهُمْ نَائِمُونَ لَيْلًا أَوْ ظَهْرًا، فَمَا حَصَلْ مِنْهُمْ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ الْعَذَابِ....

المفردات : ﴿عَذَابِنَا﴾ : عذابنا. ﴿مَعَايِشُ﴾ : جميع معيشة وهي ما يعيش به الإنسان مثل الطعام والشراب انظر الآية (٢٠) من سورة الحجر صفحة ٣٣٩.

﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ : أي لا يصدر عنكم ما يعتبر شكراً لله تعالى على نعمه من إحسان إلى فقير أو عمل بر فهو قليل جداً لا يتساوى مع جليل نعمه سبحانه وتعالى حتى لكأنه العدم.



وَمَنْ أَلْبَسَ جَلْدَكَ خَلْقَ الْأَرْضِ ذَرِيعَ بَشَرٍ قَرِيبٍ
بِقَضِ دَرَجَتٍ لِيُؤَكِّدَ فِي مَاءِ الشُّكْرِ أَنَّ رَكَّ سَرِيعٍ
الْعَقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْأَعْرَافِ مَكِّيَّةٌ
وَأَسْمَاءُ هَيْبَتٍ وَفَاتَانِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النَّصُّ ﴿كِتَابُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي مَذْهَبٍ
مُخْرَجٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَفُكِّرْ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ أَتَمُّوا
مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكَ وَلَا تَلْمِزُوا مِنْ دُونِهِ آيَاتٍ
فَلَا تَأْكُذِبُوا ﴿٨﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهُمْ فَفَاءَ مَا
بُنَّاسًا يَنْتَهِ أَوْهُمْ قَائِلُونَ ﴿٩﴾ قَا كَانَ دَعْوَاهُمْ

المعنى :- وهو وحده الذي مكنكم في الأرض وجعلكم أمماً يخلف بعضكم بعضاً فيها لتصلحوا، انظر الآية (٣٠) من سورة البقرة صفحتي ٨، ٧، أي لا أصنامكم، وهو سبحانه الذي رفع بعضكم فوق بعض درجات في الغنى والفقر والصحة والمرض والعلم والجهل وغير ذلك ليلوكم فيما آتاكم ليبني الجزاء على ما يكون منكم، فهل شكر الغنى منكم وصبر الفقير، وعلم العالم الجاهل، وهكذا، انظر الآية (١٥٥) من سورة البقرة صفحة ٣٠، والآية (٢٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢.

إن ربك سريع العقاب لمن كفر بنعمه وأنه سبحانه مع سرعة عقابه لمن عصاه فإنه غفور لمن تاب، رحيم بالمؤمنين المحسنين.

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿المص﴾ : تقدم بيان المراد من هذه الحروف المقطعة في أول سورة البقرة. هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك أي الرسول فلا يضيق صدرك بما ستلاقيه بسببه من المشاق المشار إليها في سورة المزمل ومن التهم التي توجه إليك كزيمهم لك بالجنون والسحر والكذب، أي لا

(١) خلافت	(٢) درجات
(٤) الف لام مهم صاد	(٥) كتاب
(٧) بيانا	(٨) دعواهم
(٦) اهلكناهم	(٧) آتاكم

بأحوالهم ظاهرها وباطنها: لأننا لم تكن غائبين عنهم في حياتهم الدنيا، فكل صغيرة وكبيرة عندنا علمها. ولما كان الجزء على حسب الأعمال وهي متفاوتة تنضبط بالوزن. قال: ﴿وَالْوَزْنَ﴾ إلخ، أى الوزن الحق لأعمال العباد كائن يوم يسأل الرسل والمرسل إليهم: انظر الآية (٤٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥. ويطلق الوزن على القدر والمنزلة، ومنه ليس لفلان وزن أى قدر لغسسته، ومنه قوله تعالى في الآية (١٠٥) من سورة الكهف صفحة ٣٩٥ ﴿فَلَا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ أى لا اعتبار لهم.

فلا تخالف بين الآيتين. فمن ثقلت موازينه بالحسنات فأولئك هم المفلحون أى الفائزون. ومن خفت موازينه لغلبة السيئات فأولئك الذين خسروا أنفسهم بسبب استمرارهم على جحود آيات الله وعدم الالتفات لها، ولا يعلم الميزان وكيفية الوزن يوم القيامة إلا علام الغيوب ثم شرع سبحانه في تذكيرهم بنعمه ليقبلوا دعوته فقال:

﴿وَلَوْ كُنَّا مَكَانَكُمُ فِي الْأَرْضِ﴾ أى أقدرناكم على التصرف فيها، وجعلنا لكم فيها ما تكون به عيشكم من المطاعم والمشارب وغيرها، وشكركم لله قليل جداً لا يكفى نعمه ثم شرع في بيان نعمة أخرى هى تعطيتهم فى شخص أبيهم آدم وتكبر إبليس عليه مما يقتضى بندهم عنه، انظر الآية (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٣٨٨، فقال:

﴿وَلَوْ كُنَّا خَلْقًا نَكَمًا﴾ أى خلقنا أياكم آدم، ثم صورناه بصورة إنسان، ثم نفخنا فيه الروح كما فى الآية (٣٩) من سورة الحجر صفحة ٣٤٠. ثم قلنا للملائكة اسجدوا له إلخ كما تقدم فى الآية (٣٤) وما بعدها من سورة البقرة صفحة ٨. قال ما منعك أى ما الذى جراك على عدم السجود؟ قال: أنا خير منه، خلقته من نار وهى جوهر نورانى، وخلقته من طين وهى ظلماتى. وقد أخطأ لأن الطين أفضل من رجوه كثيرة؛ منها رذائته ووقوره ومنها العلم والحياء والصبر. وفى النار الطيش والحدة، وذلك يدعو إلى الاستكبار، والنار تقنى والتراب يمو.

قال تعالى: فاهبط من الجنة فما يصح لك أن تتكبر فيها، وأكد الأمر بالهبوط بقوله فاخرج منها لأنك لمست من أهلها.

إِذْ جَاءَهُمْ بُرْسَانًا أَلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ مُّسَدِّدِينَ ﴿١﴾ فَلَمَّا سَمِعَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَقَّاهُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ فَلَقَّبَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْفَارِثِينَ ﴿٣﴾ وَالْوَزْنَ يُعَدُّ وَثَنًا عَظِيمًا ﴿٤﴾ وَالْوَزْنَ يُعَدُّ ثِقَلًا مِّنْ ثِقَلَيْنِ مَوْزَنَيْنِ ﴿٥﴾ فَأَوْرَثَكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ جَهَنَّمَ بَوَاقًا وَيَأْتِيَانَّ يَلْقَاؤَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَكَانًا لَّكُرْنَا فِيهَا مِنِّيٍّ لَّيْسَ لَنَا شَرْكٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٧﴾ وَكُنَّا نَحْكُمُكُمْ مَوَازِينَ ﴿٨﴾ فَجَعَلْنَا لَئِلكُمْ مِّنَ السَّجْدَةِ أَكْثَرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَمَبْسُوءَاتٌ لِّمَا نَحْكُمَنَّاهُ ﴿١٠﴾ وَأَنَّا لَخَبِيرَاتٌ ﴿١١﴾ فَخَلَقْنَاهُ مِن نَّارٍ وَطِينٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنَّا فَكُن مِّمَّنْ يَكُفِّرُ بَكَ إِنَّا نَكْفِيكَ فَيْكًا فَخَرَجَ مِنْكَ

﴿وهما منعك ألا تسجد﴾: قال الراغب المنع يطلق على ضد المعطى؛ يقال رجل مانع ومناع للخير أى يخل.

ويطلق على الحماية، ومنه مكان منيع أى يحصى من فيه، وفلان ذو منعة أى قوى ممتنع على من يقصده بسوء؛ أى ما الذى حماك وجرأك على ألا تسجد. ﴿فاهبط منها﴾: الضمير يعود على الجنة المفهومة من السياق.

المعنى: .. فما كان تغررهم ودعائهم حين جامهم المعاناب إلا اعترافهم على أنفسهم

بالظلم فى وقت لم يتغصمهم ذلك، ويوم القيامة نسأل الأمم الذين أرسلنا إليهم رسلنا سؤال توبيخ، فيقال لهم: لم عملتم كذا وكذا؟ ولذا قال بعدها: ﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ إلخ، مما يدل على أنه ليس سؤال استعمال؛ انظر سؤالهم فى الآية (١٢٠) من سورة الأنعام صفحة ١٨٤، والآية (٦٥) من سورة القصص صفحة ٥١٦، والآية (١٦) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢، ونسأل الرسل ماذا أجابكم أممكم، انظر الآية (١٠٩) من سورة المائدة صفحة ١١٥٩؛ أما ما فى الآية (٧٨) من سورة القصص صفحة ٥١٨ وما فى الآية (٣٩) من سورة الرحمن صفحة ٧١١ مما يدل على أن المعجزة لا يسأل عن ذنبه فالمراد لا يسأل سؤال استعجال للرحمة بل للتوبيخ كما تقدم، ولنقصن على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم حال كوننا عالمين

- | | |
|--------------|---------------|
| (١) ونسألهم. | (٧) ونسألهم. |
| (٢) ونسألهم. | (٨) ونسألهم. |
| (٣) ونسألهم. | (٩) ونسألهم. |
| (٤) ونسألهم. | (١٠) ونسألهم. |
| (٥) ونسألهم. | (١١) ونسألهم. |
| (٦) ونسألهم. | (١٢) ونسألهم. |

إبليس متذللًا : رب أمهلني إلى يوم البعث. قال : إنك من المنظرين : لأن بقائه هو المحك الذي يظهر صدق المؤمن ومقدار تمسكه بدينه، فلما اطمان اللعين إلى أنه باق أعلن عزمه الأكيد على الانتقام من أولاد آدم الذي تسبب في نكيبته، فقال : يارب أقسم بسبب إغوائك أي إضلالك لي لأقعدن لهم على طريق الإسلام أصد كل من أراد سلوكه كما يقعد قاطع الطريق لإيذاء السالك، ثم لاثنين من بين أديبهم ومن خلفهم إلخ : أي لا أترك جهة من جهاتهم إلا هجمت عليهم منها، وستكون النتيجة أنك لا تجد أكثرهم شاكرين لك بل يكفرون. وقاله اللعين فلما فأنصأب كما قال سيحانه : «ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه» الآية (٢٠) من سورة سبأ صفحة ٥٦٥، كذلك انظر الآية (٣٩) وما بعدها من سورة الحجر صفحات ٣٤٠، ٣٤١ عند ذلك كرر سبحانه الأمر بطرده فقال : اخرج منها مذمومًا مدحورًا، وعزتي لمن اتبعك من المكلفين لأملأن جهنم منكم. المراد من أولاد آدم ومنك ومن ذريتك المذكورين في الآية ٥٠ من سورة الكهف صفحة ٢٨٨ أما قوله تعالى : أجمعين : أي لا يفلت أحد منكم من عذاب الله عز وجل وبعد إخراج إبليس فلما يا آدم اتخذ أنت وزوجك الجنة مسكنًا، فكلًا من حيث شئتما إلخ، وقد تقدم بيان ذلك في الآية (٣٥) من سورة البقرة صفحة ٨، ولكن الشيطان قام بما توعد به وصار يوسوس لآدم وزوجته ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما. فقال في وسوسته : ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين مقربين أو تكونا من الخالدين الذين لا يموتون كما قال في الآية (١٢٠) من سورة طه صفحة ٤١٧، وأقسم لهما أنه من الناصحين لهما فأسقطهما في المعصية بما أغراهما به وحقبة الجنة أو الشجرة وكيفية وسوسة إبليس كل ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى والمطلوب من كل هذا هو العبرة والاحتراز من الشيطان، ولا يتوقف شيء من ذلك على معرفة شيء مما استأثر الله تعالى بعلومه.

المفردات : «طفقًا» : يقال طفق فلان بفعل كذا أي شرع بفعل.

«يخصفان» : أي يجعلان ورقة فوق أخرى كما تخصف النمل.

«مستقر» : أي مكان استقرار.

«ومتاع» : تمتع بخيرات الأرض.

«أنزلنا عليكم لباسًا» : يعبر القرآن بالإنزال ويريد به الخلق الصادر من العلى الكبير، انظر الآية (٥٩) من سورة يونس صفحة ٢٧٥، والآية (٦١) من سورة الزمر صفحة ٦٠٦، والآية (٢٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢٣، أي خلقنا لكم ما تلبسونه.

«وريشًا» : أصل الريش ما يستر الطير، وأريد به هنا لباس الزينة.

مِنَ الصَّغِيرِ ۖ قَالَ اطْرُقْ إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ۚ
قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۚ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَ
لَهُمْ صُرُوكَ الْمُسْتَقِيمَ ۚ ثُمَّ لَا يَنْبَغُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ
وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ وَعَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۚ قَالَ أُنْزِجَ مِنْهَا مَلَكُومًا مَدْحُورًا
لَمَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ۚ
وَيَتَادَمُ السَّكَنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْبَيْتَ فُكَلَا مِنْ حَيْثُ
وُتِمَّا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۚ
فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
سُوءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَا مَلَكَاتٍ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ ۚ وَقَامَهُمَا
إِلَى لَكَامِنٍ اللَّيْثِي ۚ فَدَلَّهُمَا بِوُجُوهِهِمَا فَتُلَاقَا

إلى أسفل شيئًا فشيئًا على مهل، والمراد ما زال يغريهما بالهلف والترغيب حتى أسقطهما في المعصية.

«بغور» : هو الخداع الباطل.

المعنى : . فاخبرج من الجنة لأنك من أهل الصغار والهوان ملعون على كل لسان. فقال

- (١) الصاغرين
- (٢) صراطك
- (٣) لايتهم
- (٤) ايهاهم
- (٥) شاكرين
- (٦) يا آدم
- (٧) الظالمين
- (٨) الشيطان
- (٩) ماووري
- (١٠) سواتهما
- (١١) ما نهاكما
- (١٢) الغالدين
- (١٣) الناصحين
- (١٤) فداهما

المفردات : «الصاغرين» : الصغار الهوان والاحتقار؛ انظر آيتي (٣٤، ٣٥) من سورة الحجر صفحة ٢٤٠. «انظرني» : أي أمهلني ولا تمتنى.

«لأقعدن لهم صراطك» : أي لأقعدن لهم

على طريق شريعتك لأمنعهم عنها.

«مذمومًا» : مذمومًا معيبًا

«مدحورًا» : مطرودًا مبعدًا عن الرحمة

«وقاسمهمها» : يقول العرب قاسم فلان

فلانا أي حلف له، فهنا المراد حلف لهما.

«فدلاهما» : أصل معنى دلى أنزل الشيء

أكبر كالتوسل بالأصنام أو غيرها، أو أصغر كالرياء أو التقرب إليه عز وجل بغير ما أذن لكم به كالتدور لغيره تعالى وما شابه ذلك انظر الآية (١١٢) من سورة البقرة صفحة ٢٢.

﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ : في هذا التحويل خفاء يحتاج إلى تمحيص فإذا ما رجعنا إلى ما قيل في شرح الآية (٩) من سورة الحج صفحة ٢٤ نعلم أن المراد هنا أن زينة الدنيا وطيباتها يتمتع بها الذين آمنوا وإن كانت غير خالصة من مكدرات دار الغرور، هذه المكدرات التي لا يسلم منها حتى الأنبياء والرسل، انظر بعض ما صادف كثيرا منهم من الحزن، وضيق الصدر، والقلق، والخوف إلخ في آيات (١٥٥) من سورة البقرة صفحة ٢٠، و (١٨٦) من سورة آل عمران صفحة ٩٤، و (٣٤، ٣٢) من سورة الأنعام صفحة ١٦٧، و (١٢) من سورة هود صفحة ٢٨٥، و (٩٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤٤، و (١٢٧) من سورة النحل صفحة ٣٦٢، و (١٠، ١١) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٠. هذه النعم التي هذا حالها في الدنيا يُعلم الله المؤمنين يوم القيامة علماً هو عين اليقين انظر الآية (٩٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٨؛ بأنها لهم حال كونها خالصة مما كان يكرها في الدنيا، وعند ذلك تشرح صلورهم بمشاهدة الجنة قريبة منهم انظر الآية (٣١) من سورة ق صفحة ٦٩٠.

المعنى : - إنه سبحانه أكد التحذير من الشيطان تأكيداً بعد تأكيد فقال تعالى:

إنا جعلنا الشياطين إيلخ، أي سهلنا لهم ما سعوا فيه بحسب استعدادهم السيئ من الرغبة في موالاة ومناصرة الشياطين؛ انظر الآية (٣٠) في هذه الصفحة وآيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٦، ٣٦٧، و (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨. ثم بين سبحانه بعض آثار ولايتهم للشياطين فقال: وإذا فعل هؤلاء الكفار أولياء الشياطين فعلاً قبيحاً كطوافهم حول الكعبة عمرة حتى سوءاتهم ولايمهم الناس على ذلك قالوا معتذرين إن آبائهم كانوا يفعلونها، وإن الله تعالى أمرهم بها حيث أقرهم عليها ولو كرهها لَمَنَعَهُمْ منها؛ انظر آيات (١٤٨) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨، و (٣٥) من سورة النحل صفحات ٢٤٩، ٢٥٠، و (٢٠) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٩. فرد سبحانه افتراءهم عليه بقوله: قل لهم أيها النبي كذبتم لأن الله لا يأمر بالفحشاء، فهل يصح أن تقولوا على الله ما ليس لكم به علم.

ولم يرد هنا على الأمر الأول وهو تقليد الآباء، لأنه تقرر توبيخهم عليه في القرآن كثيراً؛ انظر آيات (٧٤، ٧٥) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٤، و (٢١) من سورة لقمان صفحة ٥٤٢، و (٢٢ - ٢٥) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٩؛ ثم بين سبحانه ما يصح أن يأمر به فقال:

قل لهم ربى يأمر بالقسط والعدل لا بما تقولون، وقل لهم اجعلوا وجوهكم مستقيمة لله وحده عند كل عبادة خصوصاً في المساجد، وادعوه مخلصين له العبادة بأن لا تغلطوا في دعائكم ولا عبادتكم أي شائبة من الشرك، فاحترسوا من مخالفته، لأنه كما بدأكم وأنشاكم ابتداء يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم حال كونكم فريقين:

فريقاً هداهم الله تعالى في الدنيا لإخلاصهم، وفريقاً حق عليه الضلال لاتباعهم الشياطين وإعراضهم عن دعوة الرسل؛ ولذا قال : إنهم اتخذوا أي استحقوا الإضلال لأنهم اتخذوا الشياطين أولياء، أي أطاعوهم وعصوا الرسل، ويحسبون أنهم مهتدون لأن الشياطين لفتتهم أن الله عظيم ولا يصح أن يخاطب العظيم مباشرة فلا بد من التوسط والتوسل إليه بالأصنام ليقرّبوهم إليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وفي إبطان زعمهم قال سبحانه: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ الآية (١٨٦) من سورة البقرة صفحة ٣٦؛ يا بنى آدم خذوا زينتكم أي لباس زينتكم المعتادة عند كل عبادة، فلا تقفوا بين يدي الله بأردأ ثيابكم وأوسخها وعنديكم أنظف منها؛ وهذا رد شديد على المشركين الذين كانوا يطوفون عمرة ولما كان بعض العرب يحرمون على أنفسهم إذا أحرموا بالحج لحم الشاة وشخنمها ولبنها فتهاهم الله عن ذلك بقوله:

﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ في هذه الثلاثة، وهى الزينة عند العبادة، والأكل، والشرب، لأن الله لا يحب المفسرفين في أي شيء. وقد جمع القرآن الطلب في هذه الآية. قل لهم أيها النبي مستكراً تحريمهم الحلال:

من الذى حرم زينة الله التى أخرجها لعباده والطيبات من الرزق؟ قل لهم أيها النبي: هذه الزينة والطيبات من الرزق ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا وإن خابطها من شوائب الدنيا

المفسرودات : ﴿وقال ادخلوا في أمة﴾ الخ
 ﴿وقال﴾ أي الله سبحانه على لسان الملائكة،
 وإذا راجعت ما قلناه في شرح الآية (٩) من
 سورة الحج ص ٢٤ تعلم أن الله سبحانه
 يعلن هؤلاء أنه حكم عليهم حكما مقطوعا به
 حتى كأنه تحقق وصار يخبر عنه، وذلك
 الحكم أنكم ستدخلون بعد الحساب يوم
 القيامة في جهنم محشورين مع أمة منست
 قبلكم.

﴿قد خلت﴾ : أي مضت.

﴿أدركوا فيها﴾ : أصله تداركوا، أي أدرك

كثيرين ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَخَلَقْتُ أُمَّةً لَكُمْ لَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ خَشِيَ إِذَا دُخِلَ فِي أُمَةٍ ضَعُفْتُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿إِنَّا الَّذِينَ كَفَرْنَا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرْنَا عَنْهَا لَا نُفْقِحْ لَهُمُ ابْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿كُلُّ مَنْ جَهِنَّمَ مِهَادٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَهَنَّمُ جَوْشَرٌ وَسُوفَ يُعْجِزُ الْفُلُجِينُ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا وِثْرًا وَسَهَّاءُ أَوْ تَكْلَفٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ

بعضهم بعضا وتلاحقوا واجتمعوا في النار.

﴿أخراهم﴾ : منزلة وهم الأتباع.

﴿ولا ولاهم﴾ : منزلة وهم القادة والرؤساء؛ اللام بمعنى ﴿عن﴾ أو ﴿في﴾ أي قال الأتباع في

شان الزعماء يا ربنا هؤلاء أضلونا... إلخ.

﴿ضعفنا﴾ : مضاعفا أي مثلين، اضلالهم في أنفسهم، وإضلالهم غيرهم.

﴿الجمال﴾ : هو الجبل الفيليط الذي تربط به السفن.

﴿سم الخياط﴾ : سم ثقب، والخياط هي الإبرة.

(١) كافرين	(٢) أخراهم	(٣) لا ولاهم
(٤) قاتهم	(٥) لا ولاهم	(٦) لا أخراهم
(٧) بياتنا	(٨) ابواب	(٩) الظالمين
(١٠) الصالحات	(١١) أضغاب	

والبعى الذى لا يكون إلا بالباطل، وهو من ذكر الخاص بعد العام، والشرك بالله بدون حجة، وهذا تهكم بهم لأنه يستحيل أن يقام دليل على الشرك، وأن تشتروا على الله فى التحريم والتحليل والولد والصاخية من كل ما تنهجون على مقامه عز وجل بدون علم، وبعد ما بين سبحانه أصول المحرمات والمفاسد المهلكة للأمم قال سبحانه :

﴿وكل أمة أجل﴾ أى قل لهم فيها النبي أيضا لكل أمة أجل أى وقت محدد لحياتها وسعادتها لا تتعداه، تنتهى بحلول أجل حياتها، كأهم نوح وعاد وشمود وغيرهم ممن أهلكهم الله جميعا، وقد تنتهى بحلوله سعادتها واستقلالها فتتبع فى الدل تحت حكم غيرها، وذلك لا يكون إلا بانحرافها عن الاستقامة وارتكابها هذه الموبقات التى حرّمها الله تعالى فيما سبق، فإذا جاء أجل الأمة لا يستأخرون لحظة كما أنهم لا يتقدمون عليه، فالمعنى أنهم لا يتقدمون على أجل المحدود وإذا جاء لا يستأخرون عنه، فنتبه وبعد ما قرر سبحانه لكل أمة أجلا لا تسبقه ولا تتعداه، أراد أن يبين ما خاطب به كل أمة على لسان رسولها مبينا لها أصول الدين الذى شرعه لهدايتها، ونبهاها إلى أنها إن اقتت وأصلحت فلا خوف عليها فى الآخرة، وإن استكبرت وكذبت الرسل كانت عاقبتها جهنم، فقال:

يا بنى آدم، أى سبق أنى قلت لكل أمة يا بنى آدم إن جاءكم فى أى حال من الأحوال رسل منكم يقرءون عليكم كتبى، فمن اتقى منكم الشرك وأصلح عمله فلا يخاف من هول القيامة، ولا يحزن لفوات مرغوب، والذين يكذبونكم بآياتنا ويستكبرون عن الإيمان بها أولئك يلازمون النار خالدین فيها. وبعد ما بين سبحانه جزاء المكذب بآياته أراد أن يبين أن من أشدهم ظلما من يكذب عليه أو يكذب بآياته فقال: فمن أظلم أى لا أحد أشد ظلما ممن كذب على الله ونسب إليه الباطل، أو كذب آياته التى أنزلها على رسله. أولئك المضترون والمكذبون يستوفون ما كتب من الأعمال والأعمار والأرزاق إلى أن تأتيتهم ملائكة الموت يقبضون أرواحهم، وقالوا لهم أين الآلهة التى كنتم تعبدونها من دون الله ليدافعوا عنكم؟ قالوا غالبا عنا فلا نرى لهم وجودا. وبهذا أصرّفوا على أنفسهم بالكفر.

المفردات .: هو خال .: حقد كما في الآية

(٤٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤١ والآية

(١٠) من سورة العنكبوت صفحة ٧٢١. هُذُنْ

مؤذن .: أي نادى مناد.

بين الفريقين .: أي موجود في مكان متوسط

بين الفريقين.

يرصدون .: الأصل صدروا في الدنيا ولكن

عبر بالمضارع لاستحضار الصور المحيية في

البشاعة.

فيعقبنها عوجا .: أي يطالبون لها

الأعوجاج والتناقض كما تقدم في الآية (٩٩)

من سورة آل عمران صفحة ٧٩.

وحجاب .: هو السور المذكور في الآية (١٢) من سورة الحديد صفحة ٧٢٠.

الأعراف .: جمع عرف بوزن قفل وهو اسم لأحالي الأشياء ومنه عرف الديك، وعرف الفرس والمراد به هنا أعلى السور.

وسمياهم .: علاماتهم المميزة لهم عن غيرهم. هو لقاء .: أي جهة.

المعنى .: ونزعنا ما كان في قلوبهم من حقد في الدنيا ليكونوا إخوانا على سرر متقابلين؛

انظر الآية (٤٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤١، حال كونهم تجري من تحت غرقهم في الجنة

(١) خالدون	(٢) الأنهار	(٣) هذنا
(٢، ٥) أصحاب	(٧) الظالمين	(٨) كافرون
(٩) سبيهم	(١٠) أصحاب	(١١) سبلام
(١٢) أوصيهم		

هو هاد .: فرأى من تعذبهم.

هو غواش .: وقع غاشية وهي العطاء؛ انظر الآية (١٦) من سورة الزمر صفحة ٣٠٨. والمراد أن النار محيطة بهم.

المعنى .: وشهدوا واعترفوا على أنفسهم بأنهم كانوا بدعائهم آلهة من دون الله كافرين. والمراد تحذير المشركين وحملهم على التأمل فيما سيلاقوهم إذا استعصموا على شركهم.

وتقول لهم الملائكة بأمره تعالى ادخلوا في عداد أمة قد مضت من قبلكم من الجن والإنس وعملوا مثل عملكم. وهذا يشعر بأنه سبحانه يدخل الكافرين في جهنم أفواجا، فوجا بعد فوج لا دفعة واحدة؛ ولذا قال:

كما دخلت أمة منهم في النار لمنت أختها في الكفر والتي سبقتها للنار؛ انظر الآية (٢٥) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤ والآية (٧١) من سورة الزمر صفحة ١١٦. حتى إذا أدرك بعضهم بعضا واجتمعوا في النار قالت الأتباع مخاطبة الرب سبحانه بخصوص القادة:

يأربنا هؤلاء الذين أضلونا فجازهم بعداب مضاعف من النار، فيقول سبحانه: لكل منكم ومنهم عذاب مضاعف؛ أما الرؤساء فلما تقدم، وأما الأتباع فإلهم يتقيدهم الأعمى في العقيدة التي لا يجوز فيها التقليد جمعوا مع ضلالهم جرما آخر هو زيادة ضلال الرؤساء وطغيانهم، ولتقرير بالبسطاء الذين لم يقعوا في شباك الرؤساء، ولكمكم لا تعلمون ما أعد لكل منكم. وانظر هذا الجدل بينهما في الآيات (١٦٥ - ١٦٧) من سورة البقرة صفحة ٣١، و (٣١ - ٣٢) من سورة سبأ صفحة ٥١٧. وقالت أولاهي لأخراهم حين سمعوا جوابه تعالى: فما كان لكم علينا بعد هذا البيان فضل، أي لا مزية لكم علينا تقتضي تخفيف العذاب عنكم دوننا بل نحن متساوون في العذاب ومضاعفته.

ويقول القادة للأتباع على سبيل التشفي: فنذروا العذاب المضاعف بسبب كسبكم ما استحققتموه به. ثم قال سبحانه مبينا سبب سوء خاتمة هؤلاء: إن الذين كذبوا بآياتنا التي جاء بها الرسل واستكبروا عن الإيمان بها لا تفتح لهم أبواب السماء، أي لا يقبل، لهم دعاء ولا عمل، وبهذا لا يدخلون الجنة إلا إذا دخل حبل السفينة الغليظ في ثقب الإبرة، والمراد أنه مستحيل. وبمثل هذا الجزاء العادل تجري كل مجرمة؛ ثم فصل بعض هذا الجزاء فقال: لهم من جهنم فراش، ولهم منها غطاء، ومثل هذا الجزاء يخزي الظالمين، والمراد أنهم جمعوا بين الشرك والإجرام والطغيان. ولما ذكر جزاء الكافر المعاصي ناسب أن يقتصر به جزاء المؤمنين الصالحين كعادة القرآن، فقال: والذين آمنوا وعملوا الصالحات، التي ما كانفأهاهم بها إلا وهي في طاعتهم لا صعوبة فيها، أولئك هم أصحاب الجنة خالدين فيها .:

الأنهار، قائلين شكرا لله : الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا نهدى سبل الخير لولا أن أرشدنا الله تعالى إليها بإرسال الرسل بينين لنا ما فيه سعادتنا، فقد جاءت رسل ربنا بالحق الثابت الذي لا يخاططه باطل. وناداهم مناد بأن قال لهم: تكلم هي الجنة المالية المنزلة البعيدة المنال لغير أهلها التي أعطاها الله تعالى لكم بفضلها جزاء عملكم الصالح. وبعد أن ذكر سبحانه أصحاب النار وأصحاب الجنة، أراد أن يبين لنا ما يكون بين الفريقين من الحوار، فقال عز وجل: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ أي نادوا، على أصحاب النار قائلين في نداءهم: إنا وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقا ثابتا لم يتخلف، فهل وجدتم أنتم أيضا ما وعدكم ربكم من العذاب حقا؟ ومرادهم بهذا الاعتراف بفضلهم والشماتة بالكفار. والتعبير بالوعد في جانب العذاب معهود في القرآن وإن قل من الوعيد يؤتى به للتحكم، نظير قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾ انظر الآية (٢٦٨) من سورة البقرة صفحة ٥٧، والآية (٦٨) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢، والآية (٧٢) من سورة الحج صفحة ٤٤٤، وهذا على أن الدارين في أرض واحدة يفصل بينهما سور لا يمنع من اطلاع أهل الجنة وهم في عليين على أهل النار وهم في سجين. وقد كان هذا بعيد التصور في العصور الأولى، أما الآن وبعد أن قدر البشر على أن يتخاطب من في أقصى الشرق مع من في أقصى الغرب مع رؤية كل منهما للآخر بواسطة (تليفزيون). فلا يبعد على القدير عز وجل أن يجعل أهل الآخرة يتراءون ويتخاطبون مع بعد الشقة كما يتخاطب الجليس مع جلسيه. وشئون الآخرة لا يعلمها إلا هو عز وجل. وعندما يعترف أهل النار بصدق وعد الله ينادي مناد من قبل الله تعالى قائلا: لعنة الله وغضبه على الظالمين الذين كانوا في الدنيا يمنعون الناس عن دين الله، ويعملون مجتهدين على جعله في نظر الناس معوجا بتحريفه وتغييره حسب شهواتهم، وهم بالدار الآخرة كافرون. وبين الجنة والنار وأصحابهما سور قد اعتلاه رجال أي ونساء وإنما قصر الكلام على الرجال لأن الكثير أن يكون التخاطب في مثل هذه الحالة بين الرجال، وهؤلاء الواقفون على الأعراف هم من استوت حسناتهم وسيئاتهم، بعد أن اتجه من غلبت حسناته إلى الجنة، ومن غلبت سيئاته إلى جهنم. يعرف هؤلاء الرجال كلا من الفريقين: فريق الجنة، وفريق النار بعلاماتهم المذكورة في الآية (٢٨) وما بعدها آخر سورة عبس صفحة ٧٨٣. ويظهر أن ما يحصل من أهل الأعراف من هذا النداء هنا يكون قبل دخول الفريقين الجنة والنار، إذ لو كان بعده لكانت معرفتهم بدخولهم لا بالعلامات فتتبه وتأمل وقال بعضهم: إنه بعد دخولهم الجنة وتكون الباء في «يسمأهم» للمصاحبة لا للسببية، أي يعرفون كلا من الفريقين وهو مصاحب ومتصف

أَحْبَبَ أَتَارَ قَالُوا رَبَّنَا لَا تُجِمْمْ كَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾
وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَرَوْنَهُمْ إِيْسَهُمْ
قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ جَمْعُكَ وَرَأْسُكُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢﴾
أَهْتَأَلَا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا تَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا إِلَىٰ
لَا تُعْرَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا أُنْمُوتُ تَحْزُونَ ﴿٣﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ
النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّا أَنُفُسًا عَلَيْنَا مِنَ الْحُكْمِ مُرْتَدُونَ ﴿٤﴾
الَّذِينَ أَخْلَعُوا لِيَوْمِ هَٰذَا أَوْيَاءً وَنَادَىٰ رَبُّهُمْ أَلَسْ بَدَلًا
فَاتَّبَعْتُمُ تَسْهُمًا تَسْهُمًا لَّيْسَ لَكُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا إِلَىٰ
يَا بَنِيَّائِي جَعَلْتُمْ وَلَقَدْ جَنَّاتُكُمْ بِكُنُفٍ فَصَلَّاهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ مَدَىٰ وَرَحْمَةٍ يَقْرُءُ بِزُيْنٍ ﴿٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كُسِرُوا مِنْ

الجد. ﴿ولعبا﴾ : اللعب هو ما تقصد منه فائدة صحيحة كأعمال الأطفال. ﴿ينظرون﴾ : ينتظرون تأويله، عاقبة أمره وما يقول إليه ما أخبر به من الوعد والوعيد.

﴿نسوه﴾ : المراد تركوا العمل به انظر الآية (١١٥) من سورة طه صفحة ٤١٧.

المعنى : . وإذا صرفت أبصارهم من غير رغبة منهم، بل بمقتضى سرعة تحولها من جهة إلى جهة؛ ولذا لم يقل: وإذا صرفوا أبصارهم جهة أصحاب النار، قالوا ربنا إلخ، أي استعداؤا بالله وفرغوا إلى رحمته أن لا يجعلهم منهم ونادى أصحاب الأعراف، كسر ذكرهم ولم يقل ونادوا، لأن التادمين هنا غير المتقدمين، والموضوع غير الموضوع، فالمراد من أصحاب الأعراف هنا قوم ممن كانوا في مكة أيام طفيان كفار قريش، والرجال المنادى عليهم هم

(١) أصحاب	(٢) الظالمين
(٣) يسيمأهم	(٤) أصحاب
(٥) الحياة	(٦) تساهم
(٧) جناتهم	(٨) بكتاب
(٩) أصحاب	(١٠) الكافرين
(١١) يساهم	(١٢) نياتنا
(١٣) جناتهم	(١٤) فصلناه

بصفته. ونادى أهل الأعراف على أصحاب الجنة قائلين : سلام وأمان من الله عليكم، أي نهنتكم بذلك، والحال أن أهل الأعراف لم يدخلوا الجنة ولكنهم يطعمون في كرم الله ليخلوهم. وهذا ما سيحصل آخر الأمر. وإذا صرفت أبصار أصحاب الأعراف جهة....

المضردات : . ﴿حرمهما﴾ : أي منعهما. فالتحريم بمعنى المنع لا التحريم الشرعي، انظر آية (٧٢) من سورة المائدة صفحة ١٥١، ١٥٢، و (١٢) من سورة القصص صفحة ٥٠٧.

﴿لهوا﴾ : اللهو ما يشغل الإنسان عن

المفردات : **إرسنة أيام** : يطلق اليوم على جزء من الزمن يتميز عن غيره بما يحدث فيه كيومنا المعروف الذي يعرف بالنور والظلمة .
وأيام العرب هي مدة العروب التي كانت تدور بينهم ويطلقونها على ما فيها . انظر الآية (٥) من سورة إبراهيم صصفحة ٣٢٠ وأيام الله المنكورة في سورة إبراهيم هي الأحداث التي حلت بالأمم .

أما اليوم هنا فهو مدة من الزمن الذي حددته الله لانتقال المخلوقات من حال إلى حال في مبدأ الخلق، ولا يعلم تعديده غيره تعالى وقد يراد به لحظة.

(سورة الأحقاف)

[illegible]

انظر الآية (٢٩) من سورة الرحمن صفحة ٧١٠، وله أيام أخر حدها تقريبا لأذهانتنا تارة

يُناف سنة كما في الآية (٤٧) من سورة الحج صفيحة ٤٤٠ والآية (٥) من سورة السجدة. صفيحة ٥٤٥ وتارة بخمسين ألف سنة كما في الآية (٤) من سورة الماعز صفيحة ٧١٥. **فِي غَيْشِ اللَّيْلِ النَّهَارِ** : أي يغطي به ويجعله غشاء وستراً له. **فِي حَيْثُهَا** : سرياً. **فَتَضَرَّعَا** :

هو التذلل ومنتهى الخشوع، والمراد به هنا الصفة، أي متضرعين. ﴿بِشْرًا﴾: أصلها بَشِرًا بضم أمم كذُرْ وبشِير، كذُرْ وبشِير، وسكنت الشين لتخفيف النطق به ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾: أي أمام أوله وثانيه. جمع بَشِير، بَشِيرِينَ.

- (١) السموات
(٢) الليل
(٣) مسخرات
(٤) المالمين
(٥) اصلاحتها
(٦) رحمة
(٧) الرياح
(٨) بشرى
(٩) سقناه.

رؤساء المشركين كآبى جهل والواليد بن المغيرة وغيرهما، يعرفونهم بعلامات كانوا يعرفونهم بها في الدنيا، وقالوا لهم توبيعا وتبيكتا: ما أغنى عنكم جمعكم المال والرجال لقتال هؤلاء المسلمين واستبكاركم على ضعفاء المؤمنين الذين عذبتموهم وسخرتم منهم أهؤلاء المستضعفون كلال وآل ياسر هم الذين أقسمتم في الدنيا على أن لا يئالهم الله برحمته لأنه لم يهلكهم من الدنيا ما أملاككم، فانظروا الآن كيف قال لهم الرحمن : ادخلوا الجنة لا خوف عليكم من مكروه ولا تعذبون لفوات مرغوب، انظر ما كانوا يقولونه في هؤلاء الضعفاء، في الدنيا وما كان يقوله أمثالهم من كفار الأمم السابقة في الضعفاء أمثالهم في آيات (٣٧) إلى (٣١) من سورة هود صفحتي ٧٨٨، ٧٨٩، والآية (٧٨) من سورة الكهف صفحة ٣٨٤، والآية (١١١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦، والآية (١١) من سورة الأحقاف صفحة ٦١٧. وبعد ما فرغ سبحانه من مخاطبة أصحاب الأعراف شرع في بيان ما سيكون من الحوار بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ليتبينه الغافل ويرجع الكافر فقال: ونادى أصحاب النار لما اشتد بهم العذاب والجموع على أصحاب الجنة قائلين: أفيضوا أى أعطونا شيئا من الماء أو مما رزقكم الله من الطعام، قالوا ردا عليهم : لانعطيك شيئا لأن الله منعهما عن الكافرين. وهنا انتهى كلام أهل الجنة.

ثم بين سبحانه بعض أسباب كفرهم فقال: الذين اتخذوا دينهم الذي كان يجب أن يحترموه لهوا ولعبا، فحرموا وحلوا حسب شهواتهم، واعتروا بزخارف الدنيا وزينتها، ثم قال تعالى تنزيها على رد أصحاب الجنة: لهذا نتركهم في يوم الجزاء خالدون في العذاب لنسيانهم لثناء ربهم في يومهم هذا يأنكروهم البعث وجودهم المستمر لآيات الله، فالكاف هنا كالكاف في الآية (١٩٨) من سورة البقرة صفحة ٢٩ للتعليل، ثم تكلم سبحانه عن كفر مكة فقال: ولقد جنّاهم بكتاب هو القرآن فصلا حاله وحرامه ومواعظه وقصصه، عالمن بحكمة كل ما فيه، حال كونه أكبر هاد للصواب، ورحمة بالعباد الذين استعدوا بسلاطة فطرتهم للإيمان فهل ينظرون؟ الاستفهام للإذكار المفيد للنفي، أي ليس أمامهم شيء ينتظرونه إلا حصول ما يقول إليه أمر أخباره ووعده ووعد، وهو خذلانهم في الدنيا وخلودهم في النار في الآخرة. يوم يأتي ويحصل ما أخبر به يقول الذين تركوا هذا الكتاب.

﴿رحمته﴾ : المراد بها هنا المطر الذي هو من أجل نعمه ورحمته تعالى لأن جميع المياه العذبة التي بها الحياة والنبات من ماء المطر، سواء منها ما كان في الأنهار أو في جوف الأرض، انظر الآية (٢٤) من سورة الروم صفحة ٥٣٣، وهذا الماء العذب هو الذي ينقذ الخلق من الظما والقحط.

﴿أقلت سبحاً﴾ أي حملته ووضعت. ﴿بلد ميت﴾ : أي ليس بأرضه ماء ولا نبات، فهو جاف قحط لا ينتفع به كما لا ينتفع بالميت؛ انظر الآية (١٦٤) من سورة البقرة صفحة ٣١، والآية (٢٤) من سورة يونس صفحات ٣٦٩، ٣٧٠ وآيات (١٩، ٢٤، ٥٠) من سورة الروم صفحات ٥٢٢، ٥٢٣، والآية (٩) من سورة فاطر صفحة ٥٧٢، والآية (٣٣) من سورة يس صفحة ٥٨٢، وغير ذلك في القرآن كثير.

المعنى : . يوم يأتي ما وعد به القرآن عند نهاية العالم وترتفع الحجب يقول الذين تركوا القرآن كالمنسى من قبل في الدنيا : قد جاءت رسل ربنا بالحق، أي يعترفون بصحة ما جاءت به الرسل في وقت لا ينفع فيه إيمان، ثم يتمنون أحد أمرين لإنقاذهم : إما شفعاء يشفعون لهم، أو رجوعهم إلى الدنيا كما في آيات (١٠٠، ١٠١، ١٠٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٦، والآية (٢٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦، فكأنهم يقولون : هل لنا من شفعاء أو هل نرد أي نرجع إلى الدنيا ثم شرح سبحانه حالهم بقوله : قد خسروا أنفسهم في الدنيا بتدليسها بالشرك والمعاصي وضل أي غاب عنهم ما كانوا يفترضونه من آلهة تقرهم من الله كما في الآية (٣) من سورة الزمر صفحات ٦٠٥، ٦٠٦، وتشفع لهم. ويعد ما بين سبحانه حال المشركين في الآخرة أتبع ذلك بخمسة أدلة على وحدانيته وقدرته موجبة مقصرة العبادة والدعاء عليه تعالى فقال.

﴿إن ربكم الله﴾ إلخ : أي إن الرب الحق لكم يا جميع المكلفين هو الله الذي خلق السموات والأرض أي وما فيهما كما في الآية (٤) من سورة السجدة صفحة ٥٤٥، ثم استوى على العرش، المراد أنه سبحانه بعد تكوين هذا الملك استوى على عرشه استواء يليق به، يدبر

أمره ويصرف نظامه على حسب حكمته، انظر الآية ٣ من سورة يونس صفحة ٢٦٥ وآيتي (٢) من سورة الرعد صفحات ٣٢٠، ٣٢١.

والعرب تكنى بالاستواء على العرش عن التملك، والعقل عاجز عن معرفة حقيقة الله عز وجل وصفاته، ويقطع بأنها ليس كمثلتها شيء، فقدرته وعلمه ويصره وسمعه مثلاً ليست كما هي عندنا، فكذا عرشه واستواؤه، وإنما الذي نفهمه ويكفنا الله تعالى به هو أن نعتقد أن أمر الملك والتصرف فيه إنما هو لله وحده. وقد حكم السلف على من بحث في حقيقة ذلك بأنه مبتدع يجب زجره. ثم ذكر سبحانه بعض تصريحه للكون فقال :

﴿ينفث الليل النهار﴾ أي يجعل الليل يستر ضوء النهار حال كونه يتبعه مسرعاً كالطالب له بدون تراخ. وخلق الشمس والقمر والنجوم حال كونها مسخرات، أي مذلات خاضعات لأمره وتصريفه. ﴿إلا﴾ كلمة يراد بها تنبيه السامع والقارئ لما بعدها ليتأمله، أي تنبه فإن لله وحده خلق كل شيء، وله الأمر فيه بالتشريع والتدبير والتصرف.

﴿تبارك الله﴾ أي تعظمت وتزايدت بركاته. وبعد ما ذكر سبحانه دليل توحيده أمر بما يجب أن يكون لازماً لها وهو إفراده سبحانه بالدعاء والعبادة، فقال :

ادعوا ربكم متضرعين مخفين، لأنه أبعد عن الرياء، فلا يطلب رفع الصوت به إلا فيما شرع الله فيه الرفع لحكمة، كالأذان، وتكبير العيد، والتلبية في الحج؛ لأنه سبحانه لا يحب المعتدين في الدعاء، كما لا يحبهم في كل شيء. والاعتداء في الدعاء المبالغة فيه بما لا ينبغي ولا يجوز. ولا تقصدوا في الأرض بالمعصية والظلم بعد إصلاح الله تعالى لها بما خلق فيها من المنافع، فلا تقبلوا النافع ضاراً، وادعوه سبحانه خائفين من غضبه، فتبعدوا عن سببه، وطعوا في رحمته. ويضهم من الكلام تغليب الخوف على الرجاء ليؤمن العبد الوقوع في الخطر. ادعوه ولا تخشوا رد دعاء المخلص؛ لأن رحمته تعالى أي إحسانه قريب من المحسنين لأعمالهم، فلا يرد لهم دعاء. ومن دلائل قدرته أنه هو الذي يرسل الرياح مبشرة المجدين أمام المطر، ولا تكاد تجد القرآن يذكر الرياح جميعاً إلا في الخير، ولا الريح مفردة إلا في العذاب والشر؛ حتى إذا حملت الرياح سبحاً ثقالاً بالماء سقنا هذا السحاب إلى بلد ميت قحط، انظر آية (٩) من سورة فاطر صفحة ٥٧٢، فانزلنا بسبب هذا السحاب الماء....

مالا تعلمون، فهو رحيم غفور لمن تاب ورجع إليه، وشديد العذاب لمن كفر به وعصاه، فهل بعد هذا كذبتم وعجبتكم من أن يخبركم ذكر وسوعظة من ربكم على لسان رجل منكم ليحذركم عاقبة الكفر، ولتنقوا الله وتخالفوه لعله يرحمكم، فكذبوه في دعوى الرسالة، فأخبرناه والذين كانوا معه ومصحبه في الضللك، وهم الذين آمنوا به وكانوا قبليين: انظر الآية (٤٠) من سورة هود منقحة ٣٩٠، وأعرفنا جميع الباقي الذين كذبوا بآياتنا...

المفردات : .. لوعين : جمع عم بالتثنية.
وأصله عمن بكسر الميم والياء مفتوحة ، يوزن
كثف وهو فاقد نور البصيرة والأعمى فاقده
نور العين : قال زهير :

ولكنني عن علم ما فو، غد عم.

﴿بِسْمَةِ﴾: أي سعة في الملك وقوة الأبدان، فكانوا أطول ما في العالم أجساما وأقوى أبدانا.

﴿آلَاءُ اللَّهِ﴾ : نعمه مفردة ^١إِلى بكسر فسكون كحمل وأحمال. ﴿نَزَرَ﴾ : أي نترك.

المعنى : : أجنبتنا نوحاً ومن معه. وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فلم يؤمنوا : : لأنهم كانوا عمن
القلوب.

وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ عَادٍ وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ فِي الْيَمَنِ تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ. أَخَاهُمْ هُودًا، قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ مَا لَكُمْ بِهِ غَيْرُهُ، أَفَلَا تَتَّقُونَ عَذَابِي؟ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ، وَهَذَا يَفْتِيدُ أَنْ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِ هُودٍ مَنْ آمَنَ بِهِ بِخِلَافِ قَوْمِ قَاهِلِ نُوْحٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَافِ أَحَدٌ : إِنَّا نَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ، أَيْ خُفْصَةِ عَقْلِ وَطَيْشٍ، لِأَنَّهُ تَأَمَّرَ بِتَرْكِ دِينِ قَوْمِهِ إِلَى دِينِ آخَرٍ وَوَرَأَى لِنَظَرِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي أَدْعَاكَ الرِّسَالَةِ. قَالَ : يَا قَوْمِ لَيْسَ عِنْدِي سَفَاهَةٌ أَبَدًا بَلْ إِنَّا رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكُمْ، أَرْسَلْنِي بِأَعْلَمِكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، كَمَا قَالِ نُوْحٌ : وَإِنَّا لَكُمْ بِصَاحِبِ قِيَمَةٍ

(١) يا أيها
(٢) يا قوم
(٣) نراك
(٤) الكافرين
(٥) يا قوم
(٦) العالمين
(٧) رسالات
(٨) سمطة
(٩) الآء
(١٠) الصالحين

كَذَرُوا بِعَهْدِنَا إِنَّمَا كَانُوا مِنَّا بِغَيْبٍ * وَإِلَّا عَادُوا
لِحَرْبِنَا إِنَّمَا أَنَا صَبِيرٌ ۝ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ
أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ آلِهِ عَمَّ
أَهْلُ بَيْتِهِ ۝ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا كَرِهْنَا مِنْ آلِ الْكَافِرِينَ ۝
قَالَ يَقُولُ لِمَنْ فِي سَفَرَةٍ وَلَيْسَ بِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝ أَيْلَيْكُمْ رَسُولَاتِي وَآلَا لَكُمْ لِيُحْجِ
إِيَّانِي ۝ أَوْعَدْتُمْ أَنَا كَذِبٌ وَرَبِّي مُذَكِّرٌ عَلَى رُحُلٍ
مُتَكَبِّرِينَ ۝ وَكَذَرُوا أَنَا حَكَمَكُمُ عِلْمَانِي ۝ بَعْدَ
مَنْ مَنَعَ فُوجٌ وَوَادَعُوا فِي الْحَقِّ بَعْضُهُمْ قَاذِرٌ كُذَرَا ۝ إِنَّكَ
إِلَٰهَ الْعَالَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءُوا جَاءُوا لِيُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ
وَلَمْ يَكُنْ لَكَ رِيبٌ ۝ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
وَلَكِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ اللَّهَ بِكُمْ رَسُولٌ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝
قَالَ قَوْمٌ لَوْلَا جَاءُوا لِيُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ
وَلَمْ يَكُنْ لَكَ رِيبٌ ۝ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
وَلَكِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ اللَّهَ بِكُمْ رَسُولٌ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝

الْمَاءَ فَتَحْمِلُهُمْ فِيهِ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ ۚ وَكَانَ الْخُورُجُ
الَّذِي تَخْلُكُونَ مَخْدُونًا ۖ وَالَّذِي لَا يَخْرُجُ إِلَّا كَيْدًا كَذَّابًا
يُصْرِفُ الْأَمْوَالَ فِي لُتُوفٍ مُبْتَدِرٍ ۚ فَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِذْ
قَامَ بِهِ قَوْمُهُ فَقَالَ يَقُومُ أَبْعِدُوا اللَّهَ عَنْكُمْ إِنَّكُمْ كَافِرُونَ ۚ
إِنَّمَا أَنَا خَلْقٌ جَعَلَ آبَاءُكُمْ بِكُمْ لِلْعَمَلِ الْعَظِيمِ ۚ وَقَالَ السَّمَلُ
مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّمَا تَلْعَنُونَ فِي خَلْقٍ مُبْتَدِرٍ ۚ قَالَ يَقُومُ
لَيْسَ فِي صَلَاحِي ۖ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ
أَلَيْسَ لَكُمْ رَسُولَانِ فِي الْأَمْمَةِ ۖ وَابْعَثُوا فِي اللَّهِ مَلَا
يَعْلَمُونَ ۚ أَوْعَيْتُمْ أَنْ يَبْعَثَ رَبِّي رَسُولًا مِنْكُمْ ۚ إِنَّكُمْ عَلَى
رُجُلٍ مُسَبَّحِينَ لِلسَّجْدِ ۚ أَوَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۚ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ فَأَنشَزَ الْأَمْمَةَ الْآخِرَةَ

المفردات: ﴿البلد الطيبة﴾: أي الأرض الطيبة التربة الخصبة. ﴿خيت﴾: أي ردى التربة كالسبخة. ﴿كركا﴾: هو ما لا يخرج إلا بمسح وصعيرة. ﴿الملا﴾: هم الأشراف والسادة الذين يمثلون العيون مهابة.

﴿وعلى رجل منكم﴾ : على لسان رجل
﴿والفلك﴾ : العظيم من السفن.

المعنى : - فأخرجنا بالسحاب بالاسملة

نخرج الصواني يوم القيامة لعلمكم تذكرون

أفدريتا فتؤمنون بالبعث، إذ لا فرق بين الإخراجين، والبلد الطيب يخرج نباته بسهولة بتيسير الله، والبلد الخبيث التربة لا يخرج نباته مع قلته إلا بمسر وصعوبة قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والبار والفاجر؛ فالوعظ والإرشاد ينفع المؤمن الصالح، ولا يؤثر في الكافر والفاجر ومثل هذا التصريف والتوزيع نصرف الآيات ونزودها لقوم يشكرون نعمه تعالى فيفكرون ويقترون. ثم شرع سبحانه في ذكر ما حصل لبعض الأنبياء مع أهمهم ليعتبر العاقل بما حصل فيعتقد من سبب غضب الله وعذابه فقال: لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده لأنه ليس لكم إله غيره، وإذا لم تغردوه بالعبادة فإني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، هو يوم نزول العذاب بهم في الدنيا والأخرة، فقال كبار القوم المتوفون: إنا لراك يا نوح في ضلال عن الصواب ظاهر واضح قال: يا قوم ليس بي أقل ضلال وهو الضلالة الواحدة، ثم استدرك لتأكيد نفس الضلال فقال: ولكن رسول من رب رب است بيما عن الضلال فقط بل أنا رسول الخ، فإنا على صراط مستقيم، جئت بأبلاغكم رسالة ربي في المواضيع المختلفة وأنصح لكم بسلوك طريق الخير، لأنى أعلم من الله.

(١) التفريعات	(٢) الآليات	(٣) يا قوم	(٤) انزراك	(٥) ضلال
(٦) يا قوم	(٧) ضلالة	(٨) العالين	(٩) رسالات	(١٠) فاجنباه

المعنى : . قال قد تحقق وقرع العذاب والغضب من الله ربكم الذي خلقكم ووزقكم فعبثتم معه غيره، وهل يصح أن تجادلوني في الدفاع عن أشياء ما هي إلا أسماء ليس لها معنى، لأنهم سموا الأصنام آلهة وليس فيها شيء من معنى الألوهية، ما أنزل الله بها حجة تدل على صحتها. وهذا مستحيل لأن الباطل لا دليل له، انظر اعترافهم بيوم القيامة في الآية (٧٤) من سورة غافر صفحة ٢٦٧. فانظروا نزول العذاب إنا معكم منتظرون ذلك وستعلمون صدقنا، فنزل العذاب المشار إليه في الآية (٢٥) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠، فأنجينا والذين معه من المؤمنين برحمة عظيمة منا لا يقدر عليها غيرنا، وقطعنا دابر المكذبين بآياتنا، أي أهلكناهم عن آخرهم، ولو تركوا ما كانوا ليؤمنوا أبدا، فإهلاكهم عدل، ولا فائدة في إهلاكهم؛ انظر الآية (١٣) من سورة يونس صفحة ٢٦٧.

وأرسلنا إلى ثمود، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام، أخاهم صالحا؛ قال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده مالكم من إله غيره، قد جاءكم بينة أي حجة ظاهرة شاهدة على صحة نبوتى، ثم بين هذه الحجة فقال : هذه ناقة الله، نسبها له تعالى تعظيما لشأنها، ولأنها كانت فى أحوالها خارقة للمعتاد؛ فقال لهم : هذه ناقة الله لكم آية فذروها أي اتركوها تاكل فى أرض الله، أي هي ناقة الله تعالى تاكل فى أرضه سبحانه فلايس لكم منها، ولا تمسوها بسوء، فإن مسستموها بأذى يأخذكم عذاب شديد الألم. وتذكروا نعمه تعالى عليكم حين جعلكم خلفاء من بعد عاد، وأنزلكم فى مياة من الأرض تتخذون فى سهولها قصورا تصيفون فيها، وتحتون فى الجبال بيوتا تشتون فيها، فاذكروا نعم الله تعالى هذه، ولا تقسدوا فى الأرض بالشرك والظلميان مداومين على الإفساد. عند ذلك أهملوه هو تكبرا عليه، وتوجهوا بالكلام لمن آمن معه من المستضعفين المنكرين.

المفردات : «اعتوا» : يقال عتا الرجل يمتو بوزن سما يسمو إذا تمرد وتجاوز الحد فى ارتكاب الجرائم حتى صار لا ينفع فيه وعظ ولا تحذير، ويقال أيضا عتا الشيخ الكبير إذا أسنَّ وهرم وبيست مفاصله وضار فى حالة يصعب علاجه. وما هنا من المعنى الأول. ومن الثانى ما فى الآية (٨) من سورة مريم صفحة ٣٩٦، ٣٩٧.

وَجَسَّ وَغَضِبَ الْجِدْلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمِينُوا أَنْتُمْ
وَبِأَيِّكُمْ مَاتَلَّ اللَّهُ بِأَيِّكُمْ سُلْطَنٌ كَانَتْ إِلَى مَعَكُمْ
مِنَ السُّلْطَنِينَ ۖ وَأَعْيَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَدَّ رِجْلَهُ نَبَاً
وَقَفَّتْ دَابِرُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۖ
وَلِإِنْ عَمِدُوا غَافِرٌ صَالِحٌ فَلَا يَقْرَأُ عَبْدُ اللَّهِ مَالَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَهَلْ
نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ تَذَرُوهَا تَاكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا
تَمْسُرُهَا يَسْرُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ۖ وَأَذْكُرُوا
إِذْ جَعَلْنَا خَلْقًا مِنْ بَدَنٍ وَأَنْبَاؤًا كُرْفَى الْأَرْضِ
عَلَّادِينَ مِنْ سَبْعِ قُصُورٍ وَجَعَلْنَا لِبَنَاتٍ لَكُمْ
نَاكِحًا زَوْجًا وَلَا تَمْنُوا فِي الْأَرْضِ مُبْعِدِينَ ۖ
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا

ادعوكم إليه، أمين على ما أقول وعلى مصالحكم. أعجبت أن جاءكم ذكر من ربكم إلى آخر ما تقدم فى قول نوح، وأراد حملهم على التوحيد بتذكيرهم بنعم الله عليهم فقال: واذكروا فضل الله حين جعلكم خلفاء فى الأرض من بعد ذهاب قوم نوح، وراكم من بين الخلق بسطة، فاذكروا نعم الله بالشكر عليها ليديمها عليكم، ولا يكون ذلك إلا بمبادته وحده، لمحكم تفوزون بما فيه سعادتكم قالوا فى ردهم عليه: أجبنا لنعيد الله وحده وترك ما كان يعبد آباءنا؟ كلا، بل لا بد من عبادتهم مع الله والتوسط بهم عنده ليكونوا شفعاء لنا عنده، فاتقا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين، انظر آيات من (١٢٧ إلى ١٣٩).

من سورة الشعراء صفحة ٤٨٧، ٤٨٨ قال قد وقع ونزل، أى لا بد من نزوله؛ فكانه وقع عليهم.....

المفردات : «رجس» : أى عذاب. «سلطان» : برهان. «دابر القوم» : أصل الدابر خلف الشيء الذى يكون وراءه، والمراد هلكوا عن آخرهم. «آية» : أى أن أحوالها معجزة تدل على تمام قدرتها على ما نريده من كل أمر خارق للمادة، لأنها كانت تشرب كل الماء الذى يكفى القوم جميعا فى يوم واحد، وقسم سبحانه الماء بينهم وبينها فجعل لها ماء يوما خاصا بها، وجعله لهم يوما خاصا بهم، انظر الآية (١٥٥) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٩ وأبني (٢٨، ٢٩) من سورة القمر صفحة ٧٠٦. «قدروها» : اتركوها. «بواكم» : أى أنزلكم فى مياة وهى المكان الذى ينزل فيه. «آلاء الله» : أى نعمه تعالى كما تقدم. «تمتوا فى الأرض» : يقال عتى بمعنى من باب ضرب وعلم، وعتى يمتو، وكلها بمعنى أفسد، فمفسدين بعدها إفادة معنى للثبات على الفساد، انظر الآية (٨٥) من سورة هود صفحة ٢٩٧.

(١) اتجادلوني (٢) سلطان (٣) فأنجينا (٤) بآياتنا (٥) صالحا (٦) يا قوم (٧) آلاء.

﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ : أى لا تقطعوا طريق الحق على سالكه، وفسر ذلك بما بعده. ﴿وتعبدون﴾ : أى يخوفون. ﴿وتعبدون عن سبيل الله﴾ : وتبتغيونها عوجا : تقدم تفسيرهما فى الآية (٤٥) من هذه السورة صفحة ١٩٩.

المعنى .. فأهبطناه وأهل بيته إلا أمراته صارت من الهالكين؛ لأنها كانت من الكافرين؛ انظر الآية (١٠) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢. وأمطرنا عليهم عذابا عن السماء بعد قلب القرية عاليها على سافلها كما فى الآية (٨٢) من سورة هود صفحة ٢٩٦. والآية (٧٤) من سورة الحجر صفحة ٣٤٣. فانظر أيها السامع وتأمل كيف صارت عاقبة المجرمين، وابتعد عن أسبابها. قال أبو جعفر: قلت لمحمد بن على هل عذب الله قوم لوط بعمل رجالهم؟ فقال: الله أعدل من ذلك، ولكنهم لما استغنى الرجال بالرجال واستغنى النساء بالنساء أهلكهم الله جميعا؛ انظر آيتي (١٦، ١٥) من سورة النساء صفحة ١٠١ ولرسلنا إلى أهل مدين من العرب العاربة، وكانت أرضهم تمتد ما بين طورسينا إلى الفرات، وكانوا قد جمعوا إلى كفرهم بخص الكيل والميزان، أخاهم شعبيا، سماه العلماء خطيب الأنبياء لأنه كان حسن الإقناع؛ انظر بعضا منه فى الآيات من (٩٥ - ٨٤) من سورة هود صفحات ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨؛ قال يا قوم اعبدوا الله وحده لأنه ليس لكم إله حق غيره، قد جاءكم بينة من ربكم، أى معجزة، لم يبين الله تعالى آية شعيب ولكنها لا بد أن تكون معجزة كونه خارقة للعادة؛ لأن المعروف عن تلك الأمم السابقة أنها ما كانت تدعن إلا لذلك، ولو لم تكن هذه البينة ملزمة قاطعة للألسن لما أمكنه أن يرتب عليها أمره بقوله :

﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ : أى أتموا المكيل والموزون إذا بعتم، ولا تنقصوا حقوق الناس، ولا تسدوا فى الأرض بعدما أصلحها غيركم؛ ذلك من كل ما أمرتكم به خير لكم من كل وجه إن كنتم مؤمنين أى مصدقين بما أقول. وبعدما أمرهم بالتوحيد وما بعده نهاهم عن ثلاثة أشياء أخرى لا تقل خطورة عما قبلها إن لم تكن أقطع من بعضها فقال ﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ إلخ؛ أى تقطعوا طريق الحق على من أراد سلوكه وتعبدونه وتخوفونه بالعذاب إن آمن. والجريمة الثانية أنكم تصدون وتصرفون من آمن عن الثبات على إيمانه، أى تحاولون كفره بعد إيمانه. والثالثة طلبكم جعل سبيل الله المستقيمة معوجة بالظلمن فيها والتشكيك والتشويه؛ انظر بعض ذلك فى الآية (٨٧) من سورة هود. صفحة ٢٩٧. تركوا ذلك وادكروا نعمة الله عليكم حين كنتم قليلا مستضعفين فيبارك فيكم وكثركم، والنظروا وتأملوا كيف صارت نهاية المفسدين من الشعوب المجاورة لكم فتبتغيوها أسبابها؛ انظر بعض هذه الأمم التى أشار

المفردات :- ﴿الغابرين﴾ : يقال غبر الشيء إذا بقى منقطعا عما كان معه، وإذا ذهب وهلك، ويصح هنا كل من المعنيين؛ أى من الباقين فى مكان العذاب، أو الناهبين الهالكين.

﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ : المراد بالمطر هنا الحجارة المحمسة بالنار التى أرسلت عليهم من السماء بعد خسف القرية؛ انظر الآية (٨٢) من سورة هود صفحة ٢٩٦ والآية (٧٤) من سورة الحجر صفحة ٢٤٣. ومن كل هذا تعلم أنه ليس مطر الخير المتقدم فى الآية (٥٧) من هذه السورة صفحتي ٢٠١، ٢٠٢ بل مطر سوء كما فى الآية (٤٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٥.

﴿مدين﴾ : فى التوراة ما يفيد أن مدین اسم ولد من نسل إبراهيم عليه السلام ثم أطلق على القبيلة التى من نسله، وأطلق أيضا على مساكنهم، وهذا الأخير هو الظاهر فى الآية (٤٥) من سورة القصص صفحة ٥١٢. ويجب أن يعلم أيضا أن شعبيا أرسل أيضا إلى أصحاب الأيكة وكذبوه أيضا فأخذهم عذاب يوم الظلة انظر الآيات (١٧٦ - ١٨٩) من سورة الشعراء صفحتي ٤٩٠، ٤٩١.

- (١) الغابرين
- (٢) عاقبة
- (٣) يا قوم
- (٤) إصلاحها
- (٥) صراطا
- (٦) عاقبة
- (٧) الحاكمين.

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿١٠﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا مُّثَارًا
كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمَجْرِمِينَ ﴿١١﴾ وَإِلَىٰ مَدِينٍ لَّعَنَهُمُ
سُبْحًا قَالَ يَقُومُ عَلَيْهَا اللَّهُ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ
قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾
وَلَا تُفْسِدُوا كَيْلَ صِرَاطٍ يُؤْتُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ مَنْ عَمِلَ بِهِ وَتَتَّبِعُوا عِوَجًا وَآذًا وَإِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
تَتَكَبَّرُونَ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣﴾
وَإِنْ كَانَ عَذَابُهُمْ تَتَابَعًا أَمْسِرًا فَلَا يَؤْتِيهِمْ
وَسِيلَةٌ لَّمْ يُوَفِّرُوا قَاصِرًا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنَّا وَهُمْ
خَيْرٌ لَّكَيِّنِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا

باعتبار المجموع من شعيب والمؤمنين معه، لا باعتبار كل فرد منهم حتى يفيد أن شعبيا كان على ملتهم قبل النبوة، فقال شعيب: هل تعود ولو كنا كارهين العودة؟ هذا لن يكون، لأن الإكراه لا ينال العقائد انظر الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحة ٥٤، ٥٢، والله لقد افترينا على الله كذبا إن عدنا بعد زمن إنحاء الله لنا منها، وكانت العودة من نبي، كذبا على الله لأنها تفيد وتقرر في أذهان الناس أن الله شريكا كما كان يعتقد قومه وإلا لما فعلها الرسول. ويصح أن يكون الكلام للتعجب من قولهم، كانه يقول ما أشد افتراءنا على الله إن عدنا في ملتكم إلخ ولا يصح لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا. وهذا رفض آخر لطلبهم العودة في ملتهم مؤكداً أبلغ تأكيد؛ أي لا نعود إلا أن يشاء الله؛ لأنه وحده المتصرف بحسب حكمته، ونحن لم نفسد فطرتنا بل قد أخلصنا له سبحانه الدين فعده يأبى أن يحولنا إلى الشرك، أي فأنتم تطلبون ما يشبه المحال. والتعليق بالمشيئة يقصد به أيضاً التناوب مع الله وعدم القطع بما ليس لنا به علم، ونظيره ما تقدم في الأنعام من قول إبراهيم عليه السلام في الآية (٨٠) صفحة ١٧٥: وسع ربي كل شيء علما، فهو يعلم أحوال عباده وما في قلوبهم ويعامل كل ما يستحق، فعليه وحده نكل أمورنا بعد قيامنا بما طلبه منا، فإيرنا افتح بيننا وبينهم بنفسه المعق منا وعقاب المفسد وأنت خير الحاكمين. ثم التفت الكفار لاتباع شعيب عليه السلام يخلونهم بعدما يسبوا منه فقاتلوا: لنن استمروكم على اتباع شعيب إنكم حينئذ لخاسرون أي مغبونون، لنوات ما نحن فيه من اللذائذ عليكم، ولترككم ما كان عليه آبائكم.

﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ تقدم بيانها في الآية (٧٨) من هذه السورة صفحة ٢٠٥ ثم ذكر ما يفيد سفهمهم في قولهم ﴿ولنخرجنك يا شعيب﴾ بقوله: الذين كذبوا شعبيا ذهبوا وهلكوا كان لم يكن لهم هنا ذكر؛ وما يفيد سفهمهم في قولهم ﴿لئن اتبعتم شعبيا إنكم إذا لخاسرون﴾ بقوله:

الذين كذبوا شعبيا كانوا هم الخاسرين لا من آمن مع شعيب، وبعد ما حل بهم العذاب وتركهم جثا منكئة على ركبها ووجوها انصرف بعيدا عنها وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي ونصحت لكم، كما قال صالح في الآية (٧٩) المتقدمة من هذه السورة صفحة ٢٠٥. وإذا كان الأمر ما ذكر فكيف أحزن...

مِنْ قَوْمِهِ لَتُخْرِجَنَّكَ بِشَعِيبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِهِمْ أَوْ لَتَعُدَّنَّ فِي يَلِيْلٍ قَالُوا أَوْ كَيْفَ تَخْرِجُونَهُ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ مَنَعَنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِيثَاقًا بِنُوحٍ إِذْ أَوْفَىٰ أَمْرًا أَن يَتَّخِذَ آلُ إِبْرَاهِيمَ إِلَهًا مَعَهُ وَرَبَّهُمْ فَقَدْ أَفْرَقْنَا بَيْنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ هَارُونَ وَآلِ لُوطٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

إليها هنا في الآية (٨٩) من سورة هود صفحة ٢٩٧. ثم هددهم وطمان المؤمنين معه بقوله: وإن كان طائفة... إلخ أي أن نصر المؤمنين وخذلان المفسدين قريباً إن شاء الله، وهو سبحانه خير الحاكمين؛ لأن حكمه حق وعادل دائماً. فماداً كان بعد هذا التهديد، الذي لا يكون إلا من واثق بما يقول؟ إن ردهم الذي يدل على تمكن الكفر قول كبيرائهم وأصحاب الكلمة فيهم...

المفردات: .. ﴿افتح بيننا وبين قومنا﴾: أي احكم بما يستحقه كل منا من النصير أو الهزيمة، انظر ما قلناه في تفسير الآية (١١٨) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٧.

﴿رسالات ربي﴾: تقدم مثلها في الآية (١٢) من هذه السورة صفحة ٢٠٢.

﴿الرجفة، جاثمين﴾: تقدم في الآية (٧٨) من هذه السورة صفحة ٢٠٥.

﴿ويفتروا فيها﴾ أي لم يقيموا في ديارهم زمناً طويلاً، من قولهم غنى بالمكان بوزن رضى إذا أقام فيه طويلاً.

﴿وآسى﴾: من الآسى وهو الحزن أي أحزن.

المنفى: .. قال الوجهاء المتكبرون من قومه: والله لنخرجنك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا، أي لايد من أحد الأمرين فاختار لنفسك أنت ومن معك أيهما شئت. والتعبير بالعودة

- | | | |
|--------------|-------------|------------|
| (١) يا شعيب | (١٦) كارهين | (٣) نجاة |
| (٤) العاتحين | (٥) لخاسرون | (١) جاثمين |
| (٧) الخاسرون | (٨) يا قوم | (٩) رسالات |
| (١٠) آسى | | |

أنهم ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية معجزات رسلم بسبب إصرارهم على تكذيبهم السابق على رؤيتها. فالمراد أنهم أول ما جاءهم الرسل فاجئوهم بالتكذيب، ولما أتوا بالمعجزات أصروا على التكذيب فما انفكهم الآيات شيئا كما في الآية (١٠١) من سورة يونس صفحة ٢٨٢.

وما وجدنا أكثر هذه الأمم من محافظة على عهد. وقال : أكثرهم، لأن بعضهم كانوا لا يهاهون، فلا يقال لا يوفون. وإن وجدنا أكثرهم إلخ.

المعنى : وإن الحال والشأن الذي وجدنا عليه أكثرهم هو التمكن من الفساد، وهو الخروج من كل عهد مشرور بالكلث والعذر وغير ذلك من المعاصي، ثم يمينا من بعد، هؤلاء الرسل المتقدم ذكرهم موسى مصاحبا للمعجزات الواضحات إلى فرعون وقومه والمصاحبة زمتها واسع فبدخل فيه الآيات التي جاءت بعد، كالطوفان وغيره، انظر الآية (٥٦) من سورة طه صفحة ١١٠؛ وإنما خص الملأ وهم الزعماء بالذكر لأنهم كانوا هم السبب في محاربة موسى في دعوتهم كما سيأتي. فظلموا أنفسهم كافرين بالمعجزات، فانظر أيها السامع بعين عقاك كيفية ما فعلنا بهم لأنهم مفسدون. ثم شرع سبحانه في تفصيل هذا الإجمال فقال: وقال موسى يا فرعون، وفرعون لقب ملك مصر، كما أن قيصر لقب ملك الروم، وكسرى لقب ملك الفرس، فكانه قال يا ملك مصر إني رسول من رب العالمين إليكم حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق إلخ، على بمعنى الباء كقولهم سافر على اسم الله أي باسم الله، وجاء فلان على حال حسنة أي بحال حسنة. فالمعنى أنا جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق. والمراد لا يمكن أن الكذب على الله، قد جئتكم ببينة معجزة تثبت رسالتي التي أحمأها لى ربكم الذي خلقكم، فأتارك بنى إسرائيل لينهبوا إلى دار غير دارك يحكمهم فيها عبادة زتهم. قال فرعون: إن كنت جئت بآية من عند من أرسلك فأت بها إن كنت من الصادقين فيما تقول، فألقى موسى عصاه من يده على الأرض ففأجأ كونها حية عظيمة ظاهر أمرها لا يشك في أنها حية، وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء كما في الآية (١٢) من سورة النمل صفحة ٤٩٥.

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ تِلْكَ الْأَنبِيَاءُ نَرْسُفُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَآءٍ وَفَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَّابًا يَلْعَنُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَظَالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَفِرْعَوْنَ ذَلِيلًا وَقَدْ ظَلَمُوا ﴿٥٩﴾ فَأَنظَرْنَاهُ كَيْفَ كَانَ عَقِبُ الْغَائِبِينَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُعْرَضُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّمَهُ الْعَذِيقُونَ ﴿٦٢﴾ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأَلَيْتُ بِمَا أَنْ كُنْتُ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٦٣﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْلُبٌ مُنْجٌ رَزَقَ يَدَ إِذَا

المفردات :- فلفما كانوا ليؤمنوا : اللام في ليؤمنوا لتأكيد النفي انظر الآية (٣٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٨١. فومن عهد : المراد به كل عهد ارتبطوا به، سواء ما أخذه الله عليهم في الآية (١٧٢) الآية في هذه السورة صفحة ٢٨١، أو ما عاهدوا الله عليه إذا أصابهم بسوء، من توبتهم وشكركه تعالى كما في الآية (٦٢) من سورة الأنعام صفحة ١٧٢، والآية (٦٢) من سورة يونس صفحة ٢٨٩، ومن للنص على عموم نفي ما بعدها.

فإن وجدنا أكثرهم فاسقين : في الأوسى فإن : مخففه وضمير الشأن محذوف، وذهب الكوفيون إلى أن فإن : نافية واللام في ففاسقين بمعنى إلا. أي وما وجدنا أكثرهم إلا خارجين على الطاعة.

فظلموا بها : أي ظلموا أنفسهم كافرين ومكذبين بها، فضمن الظلم معنى الكفر والتكذيب. ففإذا هي : إذا الفجائية هنا قال الأخفش إنها حرف يدل على سرعة حصول ما بعده عقب حصول ما قبله، وإلغاء تؤكد هذا الربط.

المعنى :- ونطبع على قلوبهم فلا يسمعون الموعظة والأدلة سماع تدبر وإعطاء، انظر الآية ١٠١ من سورة يونس صفحة ٢٨٢.

ثم شرع سبحانه في بيان عاقبة الكفر والمعاصي ليعتبر أهل مكة فقال : تلك القرى المهلكة من قرى قوم نوح وعاد وثمود إلخ نقص عليك أيها النبي بعض أخبارها فيما سبق، ومنها تلم

(١) بالبيئات	-	(٢) الكافرين	(٣) فاسقين	(٤) بالبيئات	(٥) مثله	(٦) عاقبة
(٧) يا فرعون	(٨) السامعين	(٩) إسرائيل	(١٠) بآية	(١١) الصادقين.		

﴿انقلبوا﴾: أى رجعوا إلى المدينة.

﴿صاغرين﴾: أدلاء. ﴿واللقى السحرة ساجدين﴾: أى ألقت سطوة الحق السحرة على وجوههم خاضعين والمراد معرفتهم للحق أخضعتهم.

المعنى: .. وأخرج موسى يده من جيبه فإذا هى بيضاء عن بقية جسمه وعن يده الأخرى بيضاء يلتفت النظر حتى رآه كل الحاضرين وعرفوا أنه غير طبيعي. عند ذلك خاف فرعون والزعماء أن يذهب ملكهم فغفروا بالناس ورددوا قول فرعون إن موسى لساحر عليم بفنون السحر. انظر الآية (٥٧) من سورة طه صفحة ٤١٠، والآية (٣٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٢، يريد أن يخرجكم من أرضكم مصر ليحل محلكم بنى إسرائيل. ثم قال فرعون للزعماء: فيماذا تأمرون؟ أى فيماذا تشيرون أن نعمله؟ قالوا: أمهله وأخاه هارون ولا تتعجل بقتله أو حبسه، وأرسل فى مدائن ملكك رجلا يحشرون السحرة المهرة ويجمعونهم عندك ليظهر عجزه فيفضح أمام الناس حتى لو قتل بعد ذلك لا يشك أحد فى أنه كاذب لا رسولا. فأرسل وجاء السحرة إلى فرعون وقالوا إن لنا لأجرا عظيما على غلبتنا موسى إن كنا نحن الغالبين. قال فرعون: نعم لكم أجر، ولكم زيادة عليه وهو أن أجمعكم من المقربين عندي. قال السحرة: يا موسى إما أن تلقى عصاك أولا وإما أن تكون نحن الملقين ما معنا أولا. قال لهم موسى: القوا أتم أولا. فلما ألقوا حيالهم وعصيتهم كما فى الآية (٤٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٢: سحروا أعين الناس وخوفهم خوفا شديدا لأنهم جاءوا بسحر عظيم فى التمجيد والتخييل، وبلغ من شدته أن موسى خاف منه، انظر الآية (٦٧) من سورة طه صفحة ٤١١ فقد انقلب حيالهم وعصيتهم فى أعين الناس حيات ضئمة. عند ذلك أدرك الله تعالى موسى وقال له: القى عصاك على سحرتهم فألقاها فإذا هى حية أعظم تتلع كل ما كانوا يكذبون به على الناس ويؤمنونهم أنه حقيقة. عند ذلك ثبت ووضع الحق، وأن موسى صادق فى أنه رسول رب العالمين، وبطل ما كانوا يعملون من السحر، فعلموا أى فرعون وقومه هنالك أى فى المكان الذى جمعهم فيه وفى الزمان المشار إليه فى الآية (٥٩) من سورة طه صفحة ٤١٠. ورجعوا إلى المدينة أدلاء، وألقى السحرة ساجدين، أى أن معرفتهم للحق أرغمتهم على الخضوع لسطوة الحق، فكان الحق دفعهم دفعا إلى الخضوع والتسليم حال كونهم قائلين فى أثناء سجودهم: آمنا برب العالمين....

المفسر دات: ﴿الملا﴾: زعماء القوم الذين لهم كلمة نافذة.

﴿فماذا تأمرون﴾: يقول العرب تأمر القوم وأتمروا بمعنى تشاوروا، ويقول أحدهم مرئى أى أشر على. ﴿أرجه﴾: أرجئه وأمهله ولا تتعجل بقتله أو سجنه؛ والعرب تخفف مثل ذلك يحذف الهمزة فيقولون أرجا فلان كذا أى أرجاه.

فهما لهيئتان عربيتان، وقال بعض اللغويين إنهما لغتان إحداهما أرجا والأخرى أرجى فيقولون أرجات الأمر وأرجيته والمعنى واحد، انظر ما قبل فى الآية (١٠٦) من سورة التوبة صفحة ٢٦٠.

﴿حاشرين﴾: رجلا يجمعون السحرة ويحشرونهم فى المكان الذى تراه. ﴿سحروا أعين الناس﴾: أى خيلوا لها أنها حيات حقيقية وهى فى الواقع ليست كذلك، انظر الآية (٦٦) من سورة طه صفحة ٤١١. ﴿واستترهيوهم﴾: أصل معناه طلبوا إرهابهم وتخوفتهم، والمراد خوفهم وأرهبوهم إرهابا شديدا.

﴿تأتلف﴾: التآلف الأذن بسرعة وتلقف تبتلع بسرعة.

﴿يا فاكون﴾: يكذبون به على الناس ويؤمنونهم أنه حقيقة.

﴿فوقع الحق﴾: ثبت وتبين الحق وهو صدق موسى.

(١) الناطرين	(٢) لساحر	(٣) حاشرين	(٤) ساحر
(٥) الغالبين	(٦) يا موسى	(٧) صاغرين	(٨) ساجدين

المعنى : قال سمعوا فرعون أمنا برب العالمين. ولما كان فيه احتمال أنه فرعون كما كان يدعى في الآية (٢٨) من سورة القصص صفحة ٥١٢، دفعوا ذلك بقولهم : رب موسى وهارون عند ذلك قال فرعون ملكا على السحرة وموينا لهم : أمتنم برب موسى وهارون قبل أن آذن لكم أي ولا يمكن أن آذن لكم، بدليل قوله إن هذا العمل منكم وعزتي لمكر وحيلة فقلتوها أنتم وموسى، انظر الآيات (٥٧، ٦٢، ٧١) من سورة طه صفحات ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، في المدينة أي مصر، لتخرجوا منها أهلها المصريين وتكون لكم وليتي إسرائيل، ثم هدد السحرة تهديدا إجماليا بقوله : فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم، ثم فصل هذا التهديد بقوله : وعزتي لأقطع أيبيكم وأرجلكم من خلاف، أي اليد اليمنى والرجل اليسرى مثلا، ثم لأصلبكم كلكم على جذوع النخل حتى تموتوا فضيحة لكم وتخويفا لغيركم، انظر الآية (٧١) من سورة طه صفحة ٤١٢، فلم يبال السحرة بهذا التهديد، بل قالوا :

إننا نحن وأنتم نرجعون إلى ربنا في الآخرة فيحكم بيننا وبينكم بالعدل، وقالوا أيضا :

ومن غريب أمرك يا فرعون أنك لا تعيب علينا شيئا إلا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا على يد موسى، وذلك ليس فيه عيب بل هو من أكبر المحاسن والمناخر، ويقصدون بهذا قطع أمل فرعون في رجوعهم.

ثم أمرضوا عن فرعون وتوجهوا إلى الله تعالى قائلين : يا ربنا أفض علينا صبرا يفسرنا حتى لا نبالي بتهديد عدوك، وتوطينا ثابتين على ما وقفنا إليه من الإسلام، وقال الملأ من قوم فرعون موجّهين الخطاب لفرعون : هل يصح أن تترك موسى ونبي إسرائيل آمنين ليفسدوا في أرض مصر بإدخال أهلها في دينهم ويهدوك أنت وأهلك، هرد عليهم بقوله : ستقتل الخ، ستمتد ونزدي تقتيل الأبناء الذكور ونبقى نساهم للذل والخدمة ولا يهجزنا ذلك لأننا فارقهم قاهرون. عند ذلك التفت موسى لقومه وقال لهم : استمعوا بآله على هذا الظالم واصبروا على تهديده ولا تبالوا به، لأن الأرض كلها لله وحده لا لفرعون والله هو الذي يورثها أي يعطيها لمن يشاء من عباده، والخاتمة المحمودة لمن يتقى الله، أي لا لفرعون وجنوده. فقال قوم موسى وهم بنو إسرائيل : أودينا من جهة فرعون...

يَرْبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ فَرَعُونَ
عَاسِمُهُمْ قَبْلَ أَنْ آتَانَاكَ بِآءِ هَٰذَا الذِّكْرِ مَكْرَهُمْ
فِي النَّبِيِّينَ لِيُخْرِجَ رَبَّنَا مِنْهَا لَنُكْرِفَ لَكُمُورُ ﴿٣٠﴾
لَا تَقْطَعْ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْبِرَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا آتَاكُمْ رَبَّنَا مُبْتَلًى ﴿٣٢﴾ وَمَا
تَتَّبِعُونَ إِلَّا آءَاءَنَا وَمَا بِآيَاتِنَا رَبَّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا
أَوْفَ عَلَيْنَا صَيْبًا وَوَقُوفًا مُبِينًا ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الْكَاذِبِينَ
قَوْمُ بَرَعُونَ أَتَدْرُسُونَنَّا وَقَوْمُ لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
وَيَذَرُوكَ وَالْفِتْنَةُ قَالَتْ سَتَكُنُ لَأَبْنَاءِ هُمْ وَنَسْتَحْيِي
بَنَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ نَهْمُونَ ﴿٣٤﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَوَإِذَا

المفردات : لهم خلاف ﴿٢٨﴾ : أي يد من جهة
ورجل من أخرى.

﴿هتقم منا﴾ : من نقم بوزن ضرب بمعنى
كره وعاب.

﴿وافرخ علينا صبرا﴾ : أي أصيب علينا
صبرا كثيرا كما يضرب الماء الكثير حتى يغير
المصوب عليه.

﴿واتذر﴾ : أي هل تترك.

﴿والهتاك﴾ : روى أنه كان يعتقد أن في
العالم العلوي آلهة هي الكواكب وهي المريية
للعالم السفلي، وأنه هو إله العالم السفلي.

وجعل لقومه أصناما يعبدونها تقريبا إليه هو لأنه هو أربى المعبودات التي في الأرض كما في
الآية (٢٤) من سورة البازعات صفحة ٧٩٠، وليس في الأرض إله غيره كما في الآية (٣٨) من
سورة القصص صفحة ٥١٢، فالمراد بالهتة هنا هي ما كانوا يتقربون به إليه، أو الجميع من
سفلى وعلوى.

﴿فوقتل أبناءهم ونسختهم﴾ : تقدم في الآية (٤٩) من سورة البقرة صفحة ١٠.

- (١) العالمين
- (٢) وهارون
- (٣) آذن
- (٤) خلاف
- (٥) بآيات
- (٦) وأهلك
- (٧) ونسختهم
- (٨) قاهرون
- (٩) والعاقبة

شكر نعمته تعالى أو كفرها، فيجازيكم على كل. وهذا إرشاد لهم إلى الشكر، وتحذير من المعاصي، ثم شرع سبحانه في تفصيل مقدمات هلاك آل فرعون الذي وعد موسى قومه به فقال: وعزتي وجلالي لقد أخذنا أي أصبنا آل فرعون بالقحط في البادية، ونقص ثمرات الشجر والزرع في المداين؛ فلما بهم ذلك لعلمهم، يتعظون فيرجعون إلى ربهم. ثم بين عدم تذكرهم وعدم انتباههم بالتنبية فقال: فكانوا إذا جاءتهم الحسنة أي ما يستحسنونها من رضاء وصحة قالوا غروراً: هذه النعم لنا وحدنا لا يستحقها غيرنا لعل مقامنا، وإن يصيبهم ما يسوهم كالضيق والمرض ينسبون سببه لموسى وقومه، ويقولون ما أصابنا ذلك إلا بشؤمهم.

فرد سبحانه قولهم الباطل فقال: ألا إنما شؤمهم من عند الله اقتضته حكمته تعالى جزاء كفرهم، لا بسبب موسى، ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة تصرفه تعالى في معاملة خلقه حسب أعمالهم، انظر قول أمثالهم وردة تعالى عليهم في آيتي (١٩، ١٨) من سورة يس صفحة ٥٨٠. وقال أكثرهم لأن بعضاً منهم آمن وأعلن إيمانه كالسحرة المتقدم ذكرهم، وبعضهم أخفى إيمانه كما سيأتي في الآية (٢٨) من سورة غافر صفحة ٦٢١.

وقال فرعون وملؤه بعد رؤية المعجزات والجذب: إنيك يا موسى إن جئتنا بكل نوع من أنواع المعجزات التي تزعمها لأجل أن تصرفنا بها بخداك الخفى عن ديننا وعن استعباد بني إسرائيل فما نحن لك بمصدقين. عند ذلك أنزل الله عليهم المصائب الخمس الآتي ذكرها حال كونها أدلة واضحات على صدق موسى في دعوته وفيما تورعدهم به من الهلاك، فكانت كلما جاءت مصيبة منها لجئوا لموسى ليدعو ربه ليكشفها ليؤمنوا، فبدعو موسى فتكشف فلا يؤمنون، كرروا ذلك خمساً. وقد كانت كل واحدة تكفى لجرهم لو كانوا يعقلون. وستأتي استغاثتهم بموسى في الآية (١٢٣) في هذه الصفحة، وفصل سبحانه هذه المصائب في قوله:

فأرسلنا، أي فأنزلنا عليهم المطر ثمانية أيام ليلاليها، فأهلك زرعهم وثمرهم، وأنزل الجراد فملاً الأفق وأكل كل أخضر وبابس، ثم أرسل عليهم القمل ينهش أجسامهم ولا يستطيعون كفه أكثرته، ثم الضفادع فملأت المياه والبيوت ومواقع نومهم، ثم الدم فملأ المياه حتى عجزوا عن الشرب. وبعد هذه الآيات الواضحات استكبروا عن الإيمان وكانوا قوماً راسخين في الإجرام. وبين سبحانه استغاثتهم بقوله: ولما وقع عليهم العذاب المتقدم ذكره واحداً بعد الآخر قالوا عقب كل واحد: يا موسى ادع لنا ربك متوسلاً بعهده عندك، ونعاهدك لنشكشفت عنا العذاب لنصدقك ولنرسلن معك بني إسرائيل كما طلبت.

المفسرات: .: (السنين) : جمع سنة وأصلها الزمن المعلوم، وتطلق على الشدة الناتجة عن قحط أو غيره. (يطيروا) : يتشاءموا.

(الآ) : حرف يدين على تنبيه السامع للنعاية بما يأتي بعده.

(طائروهم عند الله) : أي شؤمهم يأتيهم من عند الله على عملهم لا من عند موسى وبسببه.

(مهمما) : اسم شرط يدل على العموم وبين معناه بقوله (من آية) أي معجزة وهم يريدون ما تزعم أنه معجزة أيدك بها ربك.

(لتسحرنا بها) : لتصرفنا بها بدقه وحيلة عما نحن عليه من دين ومن تسخير بني إسرائيل فيما نريد. (بمؤمنين) : أي مصدقين. (الطوفان) : الأمطار المغرقة المتلفة للزرع والثمار.

(واحدته قبله وهي الحشرة المعروفة شديدة الإيذاء،

(الضفادع) : جمع ضفدع كدرهم، والأنتى ضفدعة.

(آيات مفصلات) : أي أدلة مفصلة دالة على صدق موسى.

(فيما عهد عندك) : أي بعهده عندك وهو النبوة.

(الرجز) : أي العذاب المتقدم من القحط وغيره.

المعنى: .: قال قوم موسى: أودينا من قبل أن تأتينا بالرسالة بقتل آبائنا إلخ، ومن بعد ما جئنا بالتهديد وتشديد الجور. قال موسى تلميناً لهم: اصبروا، أرجو أن يهلك ربكم غدوكم ويجعلكم خلفاء في الأرض فينظر كيف تعملون. أي ليظهر منكم ما انطوت عليه نفوسكم من

(١) آل (٢) الثمرات (٣) طائروهم (٤) آيات (٥) مفصلات (٦) يا موسى (٧) إسرائيل.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ : أصل معنى سام طلب، أى يطلبون لكم سوء المذاب، والمراد يذبونكم.

المعنى : . فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد مرة إلى أجل هم بالغوه أى إلى زمن محدد بلغوا نهايته أسرعوا بنكت العهد فى كل مرة، والمراد لا يصبرون على الوفاء بالعهد إلا زمنا قليلا حتى يسمع إليهم الندى كما هى عادتهم. ولما كرروا خيانة العهد مرارا ولم تتفهم العبر عاقبتهم العقاب الأكبر، فأغرقناهم فى البحر بسبب استمرارهم على تكذيب آياتنا واستمرارهم على النغلة عنها، وأورثنا أى أعطينا التورم الذين كان يستدلهم فرعون بما تقدم بيانه وهم بنو إسرائيل جميع الأرض التى باركنا فيها بالخصب والخير تحقيقا لوعدا فى الآية (٥) من سورة القصص صفحة ٥٠٦، وهذه الأرض هى أرض الشام وفلسطين، وكانت تحت حكم فرعون فى ذلك الوقت، ولم يصف القرآن أرضا بالبركة إلا هذه، انظر الآية الأولى من سورة الإسراء صفحة ٢٦٤ وآيتي (٧١، ٨١) من سورة الأنبياء صفيحتي ٤٢٧، ٤٢٨، ونفذت كلمة ربك أى تحققت تامة فى كل وجه بالخير على بنى إسرائيل بسبب صبرهم على إيداء فرعون، ومررنا كل ما صنع فرعون وقومه من العمارات والقصور، وما عرشه للجنات والأصاب، وكان هذا التخريب لأسباب منها المصائب الخمسة المتقدمة فى الآية (١٢٢) صفحة ٢١٢، ومنها خروج بنى إسرائيل فإنه عطل أعمالا كثيرة كانوا يسخرونهم فيها، ومنها كثرة من غرق مع فرعون فثلف ما كانوا يقومون بشئونه، إلى غير ذلك.

ثم بعدما فرغ سبحانه من قصة موسى مع فرعون شرع فى قصته مع قومه فقال: ﴿وَجَاوِزْنَا بَيْنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ الخ، أى تجاوزوه بغايتنا كأننا كما مهم، فأثروا عقب خروجهم من البحر ودخلهم البر على قوم بالازمون عبادة أصنام اتخذوها آلهة؛ فبدل أن يستقيحوا ذلك ويشكروه بعد أن راوا مصير المشركين، دفع ببعضهم جهلهم وغلطهم أن يقولوا: يا موسى اجعل لنا إلهة تقترب به إلى الله، وهذا يدل على أنهم ألفوا عبادة غير الله فى المدة التى قضوها فى مصر، ولم يفهموا التوحيد الذى جاء به موسى كما فهمه بسرعة السحرة المصربون المتقدم ذكرهم فى الآية (١٢٠) صفحة ٢١٠، وكما فهمه المصري الذى كتم إيمانه كما فى الآية (٢٨) من سورة غافر صفحة ١٢١. فقال موسى: إنكم قوم تجهلون كل شئ، لأنكم جهلتم الضرورى وهو ما يليق به تعالى الذى لا يصح لمعاقل أن يجعله لأن هؤلاء التورم الذين يعبدون أصناما مضى على ما هم فيه بالهلاك والتخريب بسبب ظهور التوحيد الحق فى هذه البلاء، وكل ما يعملونه من الأصنام وعبادة غير الله باطل وزائل. ثم تعجب موسى منكرا قولهم فقال: أغير الله، أى لا يصح أن أطلب لكم إلهة غير الله وهو الذى فضلكم على العالمين فى زمانكم بما جدد فيكم من التوحيد الذى جاء به إبراهيم وبقية أهل زمانكم مشركون عبدة أصنام انظر الآية (٢٧) من سورة الدخان صفحة ٢٥٨. ثم وجه سبحانه

ثُمَّ كَفَّنَا لَهُمْ أَرْبَابَهُمْ أَجْلٌ لَهُمْ يَلْمُؤُهُمْ أَهْلُهُمْ
يَكْفُرُونَ ﴿١٢٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا إِسْرَائِيلَ قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
كَلِمَةً بَارَكْنَا بِهَا لَكُمُوهَا قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ سُبْحَىٰ لِلَّهِ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا
يَوْمَئِذٍ قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
يَا صَبْرًا وَدُرُوبًا مَا كَانَ يَصْغُرُ قَوْمٌ وَدُرُوبًا
وَمَا كَانُوا يَمُوتُونَ ﴿١٢٣﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَرْضَ
فَاتَوَّاهَا قَوْمٌ يَمُوتُونَ قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
أَجْعَلْ لَنَا آيَةً قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ
يَوْمَئِذٍ قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
يَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾ قُلْ أَغْيِرُكُمْ آيَةً قُلُوبُكُمْ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
الْمَلَكِ ﴿١٢٥﴾ وَأَذِ الْبَيْتَ مِنْ بَابِ وَجْهِكُمْ يَوْمَئِذٍ

المفردات : . فوالى أجل هم بالغوه : أى منما عنهم العذاب إلى مدة بلغوا نهايتها بسرعة بنقضهم العهد. فوفاغرقناهم فى البيم : هو البحر.

﴿وَأُورِثْنَا التورم الخ﴾ : معنى هذه الجملة لم يحصل إلا بعد مضى زمن طويل كما سيأتى إلى نهاية الآية (١٧١) صفحتي ٢٢٠، ولكنه سبحانه عجل بذكر ثمرة هلاك فرعون ونجاسة بنى إسرائيل ثم رجع ثانيا لتعجيل ما حصل بعد هلاكهم.

﴿ومشارك الأرض ومغاربها﴾ : المشارق والمغارب مراد بهما هنا جميع أرض الشام كما سيأتى.

﴿وقمت كلمة ربك﴾ : تعام الشئء وصوله إلى آخر حده و فكلمة ربك : هى وعده لبنى إسرائيل بالهلاك عدوهم. ﴿ودمرنا﴾ : أهلكنا.

﴿يعرشون﴾ : أى يبنون من العرائش للجنات كما تقدم فى الآية (١٤١) صفحة ١٨٦. ﴿وقالوا يا موسى اجعل لنا إلهة﴾ : القائل هذا المنكر جهلهم أما هارون وأخبارهم فجهلهم بالله تعالى، منه.

﴿مستبر ما هم فيه﴾ : من التستبر وهو الإهلاك والتدمير، فمستبر أى مهلك ومخرب، انظر الآية (٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٥.

﴿أطيعكم﴾ : أطلب لكم كما فى الآية (٤٧) من سورة التوبة صفحة ٢٤٩.

(١) بالثور	(٧) فأغرقناهم
(٤) مشارق	(٥) ومغاربها
(٦) باركا	(٧) إسرائيل
(٨) وجاوزنا	(٩) إسرائيل
(١٠) يا موسى	(١١) آلهة
(١٢) واطل	(١٣) الملائم
(١٤) انجناكم	(١٥) آل

شيء يريد أشياء كثيرة ومن ذلك في القرآن ما في الآية (٢٣) من سورة النمل صفحة ٤٩٧ والآية (٢٥) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠.

المعنى :- يؤقنكم بكم أسوأ العذاب، وبين بعضه بقوله: يذبحون أبناءكم إخـ ما تقدم في الآية (٤٩) من سورة البقرة صفحة ١٠. وبعد ما فرغ سبحانه من قصة موسى وقومه شرع في بيان بدء وحى الشريعة إلى موسى، وقد كان بدء وحى الرسالة في الطور عندما رأى النار وهو راجع من مدين كما في الآيات (٩ - ٤٧) من سورة طه صفحات ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩. وآيات (٢٩ - ٣٥) من سورة القصص صفحات ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، فقال سبحانه ﴿وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾، إلخ، أى واعدنا موسى بأعطائه الألواح بعد ثلاثين ليلة يقضيها بعيدا عن قومه، فلما قضاهما زدناه عشر ليال لحكمة تعلمها. قال ابن عباس: كانت فتنة السامري لبني إسرائيل في هذه العشرة التى زادها سبحانه، انظر فتنة السامري في الآية (٨٥) من سورة طه صفحة ٤١٣، والمراد بالليل ما يشمل النهار وخمسه بالذكر لأن الليلة تسبق نهارها. وفائدة قوله: فتم الميقات أربعين دفع توهم أن تمام الثلاثين كان بالعشر كما يقال أتممت العشرة ذراهم بدرهمين تريد أنه لولا الدرهمان لم تصر عشرة. وقال موسى قبل ذهابه للموعد لأخيه هارون جلتك نافيا عنى فى مراعاة شؤون قومي، فأصلح من أمورهم ما يتطلب إصلاحا، ولا تطع من دعاك لإفساد. ولما جاء موسى عند الموعد وكلمه ربه بلا واسطة من وراء حجاب كما في الآية (٥١) من سورة الشورى صفحة ٦٤٦ تكليما ليس كتكليما فلا نعلم كيف كان. ولما رأى موسى أنه سبحانه كلمه مباشرة طمع فى أن يراه، فقال: رب أرنى ذاتك حتى أنظر إليك فأزاد شرفا. فقال سبحانه: لن ترانى يا موسى أبدا. لأن العين الثانية لا ترى الباقي. وهذا لا ينافى أنه يراه فى الآخرة. وأراد سبحانه أن يقنعه بعجزه عنها فقال: انظر إلى الجبل الذى هو أقوى منك فإن استقر مكانه عندما أتجلى له فسوف ترانى. فلما تجلّى ربه للجبل تجليا يليق به سبحانه لا نعرف حقيقته جعله مدكوكا مستويا بالأرض. عند ذلك سقط موسى على وجهه مغشيا عليه. فلما أفاق قال سبحانه، أى أنزهك تزيها عظيمها عن صفات المخلوقات تبث إليك من أن أسألك ما ليس لى به علم. وأتانا أول المؤمنين بعظمتك. قال الله يا موسى إني فضلتك على الناس باختيارك لتلقى وتبلغ رسالاتي ويتكلمى لك مباشرة. فخذ ما أعطيتك من النبوة والشرايع، واشكر على ذلك ولا تتطلع لما ليس فى قدرتك وأمرنا الملائكة بأن تكتب له فى الألواح كل شيء يحتاجون إليه فى دينهم وديارهم ولم يثبت من طريق مقطوع بصحته شيء يبين لنا حقيقة هذه الألواح ولا عددها ولا ما كتب فيها، هل كل التوراة أو

سورة العذاب ٢١٤
وَقَدْ ذَكَرْنَا لَكَ مِنْ زَكَاةٍ عَظِيمَةٍ * وَوَعَدْنَا مُوسَى
ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَتٍ رَبِّهِ أَزِيدُ
لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ
وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى
لِبِقْعَيْنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَطْرَافَ آيَاتِكَ قَالَ
لَنْ تَرَى بِلَاغِي وَلَكِنِّي أَنَظُرُ إِلَى الْخَلْقِ فَإِنِ اسْتَفْرَسَكَكُمْ
فَسَوْفَ تَرَوُنِي فَلَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُ بِذَٰلِكَ جَعَلَهُ دَكَّا
وَوَرَّى مُوسَى صَعْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْىَ آدَمَ
وَأَنَا أَوَّلُ الْفَرَسِينَ * قَالَ يُمُوتُ إِلَى أَصْطِفَيْكَ
عَلَى الْفَأْسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَةٍ تَخْذَمُ آيَاتِكَ وَكَرَى مِنْ
الْكَافِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْجَازِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

الخطاب لهؤلاء القساة غلاظ القلوب لعلمهم يشكرون نعمه فيستقيمون فقال: وإذا أنجيناكم من ذل قوم فرعون حال كونهم يذيقونكم....

المفردات :- ﴿سوء العذاب﴾ : أسوأ العذاب.

﴿لميقاتنا﴾ : الميقات هو الوقت الذى يحدد لعمل من الأعمال كمواقيت الحج، واللام بمعنى عند، كما فى قوله تعالى ﴿أقم الصلاة لدنوك الشمس﴾ الآية (٧٨) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٥.

﴿دككا﴾ : الدك الضغط القوى الشديد الذى يسوى الشيء المدكوك بالأرض، انظر الآية (٩٨) من سورة الكهف صفحة ٣٩٤؛

والمراد به هنا الشيء المدكوك وهو المراد فى قراءة دكاء. ﴿وخر موسى﴾ : الخرور السقوط من علو إلى أسفل كما فى الآية (١٠٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٩. ﴿صعقا﴾ : صيغة مبالغة من صعق الشخص بوزن تعب إذا مات من صاعقة أو أغشى عليه، والمراد هنا الثانى انظر صعق فى الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥ ومعانى الصاعقة فى الآية (١٣) من سورة فصلت صفحة ٦٣١. ﴿اصطفيتك على الناس﴾ : اخترتك مفضلا لك على الناس. ﴿رسالاتي﴾ : تقدم بيانها فى الآية (٦٢) من هذه السورة صفحة ٢٠٢. ﴿وكتبنا له﴾ : أى أمرنا الملائكة بالكتابة انظر الآية (١٢) من سورة يس صفحة ٥٨٠ والآية (٨٠) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٥. ﴿فى الألواح﴾ : جمع لوح، ولم يعلم على وجه القطع عددها، ولا حقيقتها، ولا من كتبها، ولا هل كان فيها كل التوراة أو بعضها، وبقيتها نزلت تباعا بعد ذلك. والذى يجب الإيمان به هو أنه كان فيها شيء من شريع الله الذى فى التوراة الصحيحة. ﴿من كل شيء﴾ : المراد بهذا التعبير هنا التخصيم لا التعميم الحقيقي يقول العرب دخلت السوق فاشتريت كل

(١) وواعدنا -	(٢) ثلاثين	(٣) واتممتها	(٤) ميقات	(٥) هارون
(٦) لميقاتنا	(٧) ترانى	(٨) سبعاثك	(٩) يا موسى	(١٠) يبرسالاتي
(١١) ويتكلمى	(١٢) آيتيك	(١٣) الشاكرين		

المعنى: بعد ما قال سبحانه كتبنا له في الألواح كل شيء، أى ما يحتاجون إليه في حياتهم وأخراهم، بين سبحانه ذلك بأنه مواعظ ترقق القلوب وتوقظ فيها الغشبية منه تعالى والرضية في ثوابه، وأنه تفصيل لكل ما أمروا به أو نهوا عنه أو أحل لهم وقال لموسى خذ هذه الأحكام بعزم وجد، انظر الآية (١٢٣) من سورة البقرة صفحة ١٢، وأمر قومك بعملوا بأحسن ما فيها وافضله سائركم يا من نجوتم من التيه دار الخارجين على أوامر ربهم وما صارت إليه من الخراب لتغيبوا فلا تقسموا وتخرجوا عن أمر ربكم مثلهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم من الهلاك، ويوضح المراد هنا الآية (٤) من سورة الروم صفحة ٥٢١، والآية (١٠) من سورة محمد، صفحة ١٧٢. ثم حذرهم سبحانه من التكبر المؤدى إلى إهمال التفكير في آيات الله تعالى ودلائل وجوده ووحدانيته، فقال: سبأصرف عن فهم آياتي القائمة في الأفق وفي الأنفس، سبأصرف عن فهمها الذين يتكبرون على الخلق، ويفضون قبول الصواب معتزين بغير الحق وهو الباطل والضلال والضلal بعد الحق إلا الضلال الآية (٣٧) من سورة يونس صفحة ١٧١، والآية (٥٢) من سورة فصلت صفحة ١٦٧. وإن يروا كل آية من آياتنا الدالة على صدق رسالتنا لا يؤمنوا بها لشدة عنادهم وتحكم الشهوات في أنفسهم، وإن يروا طريق الهدى لا يسلكوه، وإن يروا طريق الضلال يختاروه طريقا كل ذلك جزئناهم به بسبب أنهم ثبتوا وصمموا على تكذيب آياتنا المنزلة والمعجزة، وبسبب استمرارهم على الغفلة زمنا طويلا حتى طبع على قلوبهم فلا يتبينون للأدلة، انظر آيتي (٦، ٧) من سورة البقرة صفحة ٤. والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسالتنا للهائية، وكذبوا ببقاء ربهم يوم القيامة أى بالبعث والجزاء، بطلت كل أعمالهم التى عملوها في الدنيا وكانت مظنة نعمهم كصلة الرحم وأغاثة الملهوف، لأن شرط الانتفاع بها في الآخرة الإيمان، فلا يجزئون إلا جزاء عملهم وهو شر الجزاء، واتخذ قوم موسى من بعد ذهابه لميقات ربه من حليهم الذى أخذوه من المصريين صورة عجل بقر صنعه السامرى بحيث يخرج منه صوت كصوت البقر، وجعله إلهها يعبدونه تقريبا به إلى الله، انظر آيتي (٨٧، ٨٨) من سورة طه صفحة ٤١٤. ثم سفه عقولهم فقال: ألم يروا حين اتخذوا إلهها أنه لا يكلمهم ولا يقدر على هدايتهم إلى طريق الصواب، فهم اتخذوه إلهًا وكانوا ظالمين لأنفسهم وللحق بهذا الجرم الفظيع، ولما ظهر لهم خطوهم وندموا وعلموا أنهم قد ضلوا، رجعوا إلى الله قائلين لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا ويغفر لنا خطيئتنا لنكونن من الخاسرين ليعزى الدنيا والآخرة.

مَوْعِدًا وَيَقْبَلُونَ لَهُ كَلِمَةً سَافِهَةً فَتَكُونُونَ
يَا عَذْرَاءِ بِأَسْمَاءٍ سَامِرِيَّةٍ دَارَ الْمُعْتَدِلِ
سَمِعَتْ عَنْ آدَمَ الْبَيْنِ يَكُونُونَ فِي الْأَرْضِ يَمْتَرِ
الْحَقُّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً تُنَادِي بِهَا وَيُرْسِلُونَهَا فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا
أَرْشِدًا لَمْ يَلْبِسُوا سِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ اللَّهِ يَتَّبِعُوهُ
سِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَسْبَتْ لَهُمْ
أَنْفُسُهُمْ أَفَرَأَوْهُمُ إِذَا مَا كُنُوا يَمْعُونَ
هَلْ يَجْعَلُونَ لِمَا ظَنُّوا أَنَّ كَلِمَةً تَكُونُ مِنْ
بَعْدِهِمْ مِنْ حَلِيمٍ عَلِيمًا خَلَدُوا الْأَمْرَ يَوْمَئِذٍ
لَا يَكْفُرُونَ وَلَا يَحْجِزُهُمْ سَبِيلًا فَتَقَدُّوا كَوْنًا فَلْيَمْنُوا
وَلْيَأْمُرُوا بِالْعَمَلِ سَبِيلًا فَتَقَدُّوا كَوْنًا فَلْيَمْنُوا
وَلْيَأْمُرُوا بِالْعَمَلِ سَبِيلًا فَتَقَدُّوا كَوْنًا فَلْيَمْنُوا
وَلْيَأْمُرُوا بِالْعَمَلِ سَبِيلًا فَتَقَدُّوا كَوْنًا فَلْيَمْنُوا

معظمها والباقي نزل بعد ذلك ولا من الذى كتبها. ذكر المنار رأيا لابن جرير فأنظره. المفردات: .. هو عظة وتفصيلا، بدل أو عطيف بيان من كل شيء باعتبار محله وهو النصيب، فخذنها بقوة، بعد وعزيمة. فباحسنها: أى بأفضل ما فيها كالعمو بالنسبة لله هصاص وإبراء المعسر بدل انتظاره. انظر آيتي (٥٥، ١٨) من سورة الزمر صفحات ٦٠٨، ٦١٤.

فرد الفاسقين: كعاد وتعود وقوم لوم والمعاينة والنجابة بالشام.

والرشد والنفي: الهدى والضلال كما تقدم في الآية (٢٥١) من سورة البقرة صفحات ٥٢، ٥٤.

هل يجزئون: هل حرف استفهام يفيد الإنكار والنفي. وحبطت: بطلت وقوم موسى: المراد بعض قوم موسى وهم السامرى ومن أتبعه كما سيأتى في الآية (٨٧) من سورة طه صفحة ٤١٤.

حليهم: جمع حلى يفتح فسكون وهو ما يتزين به من ذهب أو فضة من حلى المصريين. فحسد: أى مجرد حسد لا روح فيه. فخوار: صوت البقر خاصة. فسمط في أيديهم: كناية عن العيرة والندم، ولعل أصل الكناية أن المتعير النادم يضرب يدا على يد كما في الآية (٤٢) من سورة الكهف صفحة ٣٨١، فالأصل ولما سقط بعض أيديهم على البعض الآخر فحذف الفاعل وقام الجار والمجرور مقامه.

(١) ساروكم	(٧) الفاسقين	(٢) آياتي
(٤) بآياتنا	(٥) غافلين	(١١) بآياتنا
(٧) أعمالهم	(٨) ظالمين	(٩) الخاسرين-

يقتلون لما نهيتهم، فلا تشمت بي أعدائي الذين عبدوا العجل فإنهم يتنمون إيمانتي، ولا تجعلني معهم وقربنا لهم في غضبك مع أنهم هم وحدهم الظالمون. وكان هارون شقيق موسى، وإنما ناداه بالأم فقط ليحمله على العطف بتذكره لها وما قاسته في المحافظة عليه عند ولادته من الشدائد والتعرض لفتك فرعون بها، انظر الآيات من (١٣ - ٧) من سورة القصص صفحات ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨.

فلما تبين لموسى عذر أخيه قال : يا رب اغفر لي ما أغلظت من قول وفعل مع أخى، واغفر لأخى ما عساه قصر فيه من منع القوم من الكفر لما هددوه بالقتل، واشملنا برحمتك التى وسعت كل شيء لأنك انتك أرحم الراحمين.

ولما فرغ سبحانه من حكاية ما حصل بين موسى وأخيه شرع فى بيان ما استحقه قومه من جزاء كفرهم فقال:

إن الذين اتخذوا العجل إلهًا سينالهم غضب من ربهم، ومن آثار هذا الغضب أن لا تقبل توبة أحدهم إلا يقتل نفسه كما فى الآية (٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١، وذلة فى الحياة الدنيا تقدم بيانها فى الآية (٦١) من سورة البقرة صفحة ١٢، منها للسامري خصوصا ما فى الآية (٩٧) من سورة طه صفحة ٤١٥، وهكذا الجزء الرابع نجزى كل من يفتري الكذب على الله يجعله يقبل وساطة آلهة تعبد من دونه. ومن هذا وما سيأتى بعده مباشرة وفى الآية (١٥٩) من هذه السورة صفحة ٢١٨ يظهر أن قوم موسى كانوا ثلاثة أقسام:

قسم كفر وصمم كالسامري وشيعته، وقسم تنبه وتاب، وقسم لم يشترك فى الجرم وانكره وهم من فى الآية (١٥٩) الآتية صفحة ٢١٨ وفتح سبحانه باب التوبة لكل مذهب مهما كان ذنبه حتى يقطع على الشيطان أمه، فقال: والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا أرى أخلصوا فيه وثبتوا عليه يقبلهم سبحانه لأن ربك أبهى النبى كثير المقفرة واسع الرحمة، فلا يرفض توبة تائب. ولما ذهب عن موسى الغضب باعتذار أخيه عاد إلى الأنواع فأخذها، وقتلها نسخ وكتب فيها هدى وإرشاد وسبب رحمة للذين يخافون غضب ربهم. ولما أراد موسى أن تكون التوبة من قومه عامة اختار من قومه سبعين رجلا.....

المفردات : : «أسفا» : الأسف الحزن، وأسف يوزن كتف شديد الأسف، وفعله أسف كتب.

«عجلتم أمر ربكم» : يقال عجله بفتح ثم كسر إذا سبقه.

«سكت عن موسى الغضب» : أصل السكوت ترك الكلام، والمراد هنا ذهب عنه الغضب.

«واختار موسى قومه» : الأصل اختار من قومه فحذف حرف الجر للعلم به.

المعنى : - ولما رجع موسى من الطور مكان المناجاة إلى قومه بنى إسرائيل حال كونه غضبان على أخيه هارون لضعفه فى سياسة قومه حزينا على ما وقع منهم، قال : بش خلافة خلافتكم لى من بعد ذهابى عنكم، فبذل أن تخلفونى بالمحافظة على تعاليمى خلفتمونى بضدها، هل استعجلتم أمرا من أمور ربكم وهو إعطائى التوراة، فلما لم أرجع إليكم بسرعة ظننتم موتى فغيرتم كما تغير الأمم بعد أنبيائها.

ثم طرح موسى الألواح من يده ليمسك بشعر رأس أخيه هارون ولحيته كما تنقيد الآية (٩٤) من سورة طه صفحتى ٤١٤، ٤١٥، يجره إليه عتابا له وتألما مع طيش بعضهم، وقال له ما متلك إذ رأيتم ضلوا ألا تتبعنى؟ انظر الآية (٩٢) من سورة طه صفحة ٤١٤. قال هارون لموسى : يا ابن أمى لا تعجل بتعنيفى فإنى لم أخطئ فى نصحتهم، انظر الآية (٩٠) من سورة طه صفحة ٤١٤، ولكنهم استضعفونى فلم يسمعوا نصحتى ولم يمتثلوا أمرى بل قاربوا أن

(٤) الحياة

(٣) الراحمين

(٢) الظالمين

(١) غضبان

من ٩ إلى ٢٧، فطلبوا من موسى أن يريهم الله جهره، انظر الآية (٥٥) من سورة البقرة صفحة ١١، فاخذتهم الرجفة فماتوا جميعا ثم أحياهم كما في الآية (٥٦) من سورة البقرة صفحة ١١. ويكون الترتيب بـ (ثُمَّ) في الآية (١٥٢) من سورة النساء صفحة ١٢٩ ترتيب منزلة الجريمة لا ترتيب زمانها، ولا شك أن عبادة العجل أفلح من سؤال الرؤية، ويؤيد ذلك آيتا (٥٤، ٥٥) من سورة البقرة صفحة ١١، ويكون الجزء الذي وقع على بنى إسرائيل متفقوا بعضه بالرجفة وهو ما حصل للبعبين، وبعضه بقتل الشخص نفسه وهو لمن ساءلوا السامري في عبادة العجل ثم أرادوا التوبة وبعضهم لم يقتلوا أنفسهم ولم تأخذهم الرجفة ولم يتوبوا وهم السامري وأشباعه، وقال موسى: يارب لو شئت إلح، يعني يارب لو أردت لأهلكهم قبل ذلك بإغراقهم في البحر وتركهم لفرعون يقتلهم، ولو شئت أهلكتي حين طلبت منك الرؤية، افتهلكنا الآن بما فعل السفهاء منا من سوء الأدب والجرأة على الله، ما هذا إلا ابتلاؤك وامتحانك سبحانه الذي اخترتني به انظر الآية (٨٥) من سورة طه صفحة ٤١٢، تمثل بسببه من تشاء، أي ما تلك الفعلة التي كانت سببا لأخذ الرجفة لهم إلا امتحاناً منك جعلته سببا لظهور استعداد بنى إسرائيل وما انطوت عليه سرائر كل فرد منهم من ضلال وهداية، وما استحقوا من ثواب أو عقاب، فميزت بها المؤمنين الثابتين كالذين سيأتى ذكرهم في الآية (١٥٩) من هذه السورة صفحة ٢١٨ وغيرهم ممن كفروا وتابوا، وغيرهما ممن لم يتب كالسامري ومن معه. وإذا كان الأمر كذلك فاعف عننا وارحمتنا لأنه لا مولى لنا سواك، وانت خير العافرين حلما وكرما فلا يعظم على مغفرتك ذنب، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أي حياة طيبة وتوفيقا للطاعة، واكتب لنا في الآخرة أيضا حسنة هي الجنة لأننا تبنا ورجعنا إليك، فما هنا كما في الآية (٢٠١) من سورة البقرة صفحة ٤٠ قال سبحانه: عذابى أصيب به من أنشاء لحكمة تقتضى زجره أو دفع ضرره عن الناس، وهو قليل ما يصيب بالنسبة لسعة رحمتي العامة لكل المخلوقات حتى الكافر منهم، انظر الآية (٦١) من سورة النحل صفحة ٢٥٢ والآية (٤٥) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨. أما رحمتي الخاصة وهي السعادة في الدنيا والآخرة فساكنيها الذين يتقون الكفر والمعاصي والتمرد على رسلهم، ويؤتون ما طلب

سَيُؤْتِيهِمْ رِجْلًا لَّيْسَ بِهَا قُلُوبُهُمْ الرَّجْلَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ لَغَيْتُ أَعْيُنَهُمْ مِنْ ثَمَلٍ وَأَلْيَيْتُ أُنْجُلِيكَ يَكُنَّ لَهَا أَلْسِنَةٌ يَبْتَغِيْنَ أَنَّ هِيَ أَلَا تَفْهَمُ فَعَلَّ بِهَا مِنْ نِسَاءِ تَتَّبَعْنِي مِنْ نِسَاءِ أَتُوبُ لَكَ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ * وَاصْطَبْنَا فِي هَذِهِ الْيَوْمِ حَسَنَةً وَإِنَّا لَآخِرُونَ يَا هُمْ هَذَا يَوْمُكُ أَتَيْتُكَ عَلَى عَذَابٍ مُمَسِّبٍ بِهِ مِنْ أَثْنَاءِ وَرَعَيْتُكَ وَبِمَتَّ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا كُنْتُمْ لَدَيْنَ يَتَّبِعُونَ وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِنَا يُتَزَوِّنَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أُتِيَ الْبُيُوتَ يُجْزَوْنَ بِحُكْمِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُكَلِّمُ الْمَلَائِكَةَ وَنِعْمَ الْكَلِيمُ ﴿٥٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَفْسٌ تَقُولُ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهَا الْمَاءُ وَهِيَ تَدْعِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَقُولُ لِمَنْ يُدْعِيهَا أَتَأْتِيهِمْ بَرْقًا سَاطِعًا أَمْ كُنْتُمْ لَكُمْ بُلُوبٌ ﴿٥٨﴾ أَمْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَفْسٌ تَقُولُ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهَا الْمَاءُ وَهِيَ تَدْعِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَقُولُ لِمَنْ يُدْعِيهَا أَتَأْتِيهِمْ بَرْقًا سَاطِعًا أَمْ كُنْتُمْ لَكُمْ بُلُوبٌ ﴿٥٩﴾ أَمْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَفْسٌ تَقُولُ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهَا الْمَاءُ وَهِيَ تَدْعِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَقُولُ لِمَنْ يُدْعِيهَا أَتَأْتِيهِمْ بَرْقًا سَاطِعًا أَمْ كُنْتُمْ لَكُمْ بُلُوبٌ ﴿٦٠﴾

المفردات: : ﴿لميفاتنا﴾ : الميفات هنا لغرض غير ما تقدم في الآية (١٤٢) من هذه السورة صفحة ٣١٤، فالأول كان لتلقى الأنواع، وهنا للاعتذار والتوبة من اتخاذ العجل، وقد تقدم معنى الميفات هناك.

﴿الرجفة﴾ : الصاعقة كما تقدم في الآية (٩١) من هذه السورة صفحة ٣٠٧.

﴿فتتلك﴾ : أي ابتلاؤك واختبارك.

﴿هكذا﴾ : رجعتنا وتبنا.

﴿فساكنيها﴾ : الضمير يعود على الرحمة بمعنى آخر لأن الأولى هي الرحمة العامة

كما سيأتى وإنما مرجع الضمير فهي الرحمة الخاصة وهذا يسمى في لغة العرب ﴿استخدام﴾ وهو ذكر الأشياء بمعنى وإعادة الضمير عليه بمعنى آخر، ومنه أنزلت السماء ماء فرعته الإبل، أي فرعت ما نبتت على الأرض لما نزل عليها الماء.

﴿الأمي﴾ : أصله المنسوب لأمه وأريد به من لا يقرأ ولا يكتب لأنه كيوم ولدت أمه.

﴿أصروهم﴾ : التكليف الشاقة كما تقدم في آخر سورة البقرة.

﴿الأغلال﴾ : جمع غل يضم أوله وهو في الأصل الحديد الذي يجمع يده إلى عنقه، والمراد به تصوير ما كانوا فيه من المشقة بصورة حسية.

المعنى: : واختار موسى سبعين رجلا من خيار قومه، فلما وصلوا جبل الطور غلبتهم غلظة الطبع كما هي عادتكم التي أبرزتها الآيات من (٤٠ إلى ٤٢) من سورة البقرة صفحات

(١) لميفاتنا	(٢) ولاني
(٥) بيأتنا	(٦) التوراة
(٩) الغيائت	(١٠) والأغلال.
(٧) ونهاعهم	(٨) الغيائت.
(٣) العافرين	(٤) الزكوة

المتنعن الذي يريد أن يظهر للناس التمييز بين من حُكِّم عقله في نفسه وشهواتها وبين من جعل عقله عبداً لشهوات نفسه، وعلى ذلك يترتب الجزاء العادل قال تعالى: ﴿وَأَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَ أَنْ يَقُولُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ. وَلَقَدْ فُتِنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْمَلُوا فِيهِمْ صُدُوقًا وَيُطِيعُوا الْكَافِرِينَ﴾ انظر آيتي (٦، ٢) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٠ و ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَى وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ إِلَيْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ النَّفِيرُ﴾ الآية (١) من سورة الملك صفحة ٧٥٤.

﴿رَأْمَةٌ مِنْهُمْ﴾: أي طائفة.

﴿ومعذرة إلى ربكم﴾: أى عذرا نعتذر به إلى ربكم. ﴿وبئس﴾: من البأس وهو الشدة، أى، شديد.

المعنى : . . واذكر ايها النبي ان قال ربك اني ابي اسرائيل استكثروا قرية اريحا من بلاد الشام وكلموا من خيراتها في اى جهة من نواحيها شئت لا يراكم احد، وقولوا عند دخول بانها كما في الآية (٥٨) من سورة البقرة صفحة ١١ مَلَأْنَا مِنْكَ بَارِبَ هُوَ اسْقَامَ خَطَايَانَا، وادخلوا باب القرية خاشعين لله منكسى رؤوسكم تواضعا له تعالى، اذا فعلتم ذلك فغير لكم خطايكم، وزيّد المحسنين ثوابا . فهاذا كان من بنى اسرائيل بعد هذه الاوامر والترغيب؟ كان منهم اثم بدروا قولا غير الذى قيل لهم كما يفعل المستهزئ، والمراد خالفوا مخالفة تامة، فانزلنا عليهم عذابا من السماء بسبب استمرارهم على الظلم وتجاوز الحد . قيل ان ما نزل بهم فى هذه الحالة كان طاعونا شديدا ففك بهم . واسأل ايها النبي ايضا اليهود المصامرين: لك تقدير يا اهلهم بما فعل اجدادهم لانهم ماضون على طريقهم وتحذروا لهم من ان يحل بهم ما حل باجدادهم اذا استمروا على ما هم عليه، اسألهم عن خبر القرية القريبة من البحر وما حل باهلها حين تجاوزوا حدود الله بالصيد فى يوم السبت الممنوع فيه العمل . الذين كانوا تابعين لابيهم ابيهم الذين ظاهروا، وحين لا يكون فى يوم السبت حيث يمكنهم العمل لا تاتيتهم وكان الله سبحانه عز وجل عازلا عن العمل عليهم يوم السبت امتحانا لهم لعلهم يتمسكون على الطاعة فيمتثلون على مناهيهم الشرسة فتستقيم احوالهم وايضا ليميز الغيبث من الطيب، وورد ان اليهود لما رأوا الامم لا يكسر يوم السبت المعمر عليهم الصيد فيه احتالوا على صيده يرمى الشياك وراء المسمك او إقامة سدود بعيدا عن الشياط فى داخل الماء، فقلوا ذلك يوم السبت والمسمك، كثير قوت يوم

[illegible]

ومن نعمنا عليهم أيضا أننا طأنا ظلمنا عليهم
الانعام حفظا لهم من حر النيب، وانزلنا عليهم
الامن والسلاوى، انظر ذلك كله فى الآية (٥٧)
من سورة البقرة صفحة ١١، وقلنا لهم كولا
من طيبات ما رزقناكم، وما ظلمونا بغيرهم
بهذه النعم، ولكن ظلمهم قاصر عليهم ضرره
لا يتعداهم الى غيره.

المفردات : . هذه القرية : هي
أربعاء.

رحمۃ : ای اسقاط لطمایانا .
سجدا : ای متواضعین .

وَفِي سَبِيلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا: أَيِ قَالُوا بَدَلِ
حَمَلَةِ حَنْطَلَةَ بَالْتُونَ.

﴿لِرَجْزٍ﴾: أي عذاباً. ﴿الْقَرْيَةَ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: عن ابن عباس أنها أَيْلَة، وكانت بين مدين والطور، مشرفة على شاطئ البحر. ﴿إِذْ يَمْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: أي حين يتجاوزون حدود الله بصيد السمك في يوم السبت وكان محرماً عليهم ذلك. ﴿وَجِئَانَهُمْ﴾: جمع حوت، والمراد به السمك مطلقاً كبيراً أو صغيراً. ﴿يَوْمَ سَبْتَهُمْ﴾: قال الراغب: أصل معنى السَّبْتِ القطع، تقول العرب سَبَّتَ على الحِطِّ يَسْبُتُهُ، يكسر الباء أو ضمها سبتاً أي قطعه، وسمى اليوم الذي يقع بين الجمعة والأحد بالمصدر ﴿السَّبْتِ﴾ لأن الله تعالى شرع لليهود قطع العمل فيه والفرغ للعبادة، فهذا الاسم مما اتخذته العرب من إسرائيل الذين احتلوا بهم في المدينة وما حولها. وقيل ذلك كان اسمه عند العرب (ثِيان) بكسر الشين والمراد من يوم ﴿سَبْتَهُمْ﴾ يوم قطع العمل للعبادة انظر الآية (٦٥) من سورة البقرة صفحة ١٢، والآية (٤٧) من سورة النساء صفحة ١٠٨، والآية (١٥٤) من سورة النساء صفحة ١٢٩. ﴿وَشَرَعَا﴾: أي ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل جمع شَارَعَ كَرَعَ وَارَعَ وسجد وساجد. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾: أي يوم لا يقطعون العمل. ﴿فَبَلَّوْهُمْ﴾: أي نجسهم، والمراد لغسلهم معاملة

(١) خطيباتكم
(٢) واسالهم.

(۲) واسطیہ

الشاطئ، حتى إذا دخل الليل وأراد السمك الرجوع إلى داخل البحر منغته السدود أو الشباك، فيصيدونه يوم الأحد طائنين أنهم بذلك أطاعوا الله وقالوا ما صدنا يوم السبت. ولما كانت هذه الحيل لا تخفى على الله عز وجل كان جزاؤهم ما يستلمه. كهذا البلاء والامتحان العظيم بظهور السمك بكثرة يوم السبت نبئلي ونمتحن هؤلاء اليهود بأشياء كثيرة بسبب فسقهم المستمر وخروجهم عن طاعة ربه. وكان اليهود في هذه القرية عند هذا الامتحان على ثلاث طوائف:

طائفة تعدت وعصت، وطائفة تقية نهتهم وحذرتهم سوء العاقبة ولم تكف عن النهي مهما أعرض عنها المخالفون، وطائفة صالحة أيضا نهت أول الأمر ولما ثبتت سكنت لاعتقادها أنهم بلغوا من الفجور حالة جعلتهم غير قابلين للنصيحة. وذكر القرآن أن الله عذب العاصين، ونجى الناصحين، وسكت عن الطائفة الثالثة، والجمهور على أنها نجت أيضا، لأن أسلوب كلامها يدل على أنها كانت مستبعدة لعمل المخالفين وأنها كانت مؤمنة بأن الله سبحانه سيدينهم، ولذلك قال عكرمة، لما سمع رجلا يقول إنها غير ناجية كيف هذا؟ ونحن نرى أنهم أنكروا، وكرهوا ما عمله العاصون. فإذا قلتم إن الله سبحانه وتعالى لم يقل فتجنباهم جميعا. نقول إنه سبحانه لم يقل أيضا فأهلكنا هذه الطائفة، ولعله سبحانه إنما خص بالذكر الذين استمروا على النهي لأنهم أعلى درجة، حيث حملهم الخوف من الله تعالى على مداومة النهي عن المنكر ومن هذا تعلم أن كل قرية ظهر فيها منكر إن لم يقم بعضها بالنهي عنه عم جميعهم العذاب، وإن نهت طائفة منهم وحل العذاب نجت هي منه.

في ذلك كله قال سبحانه: وإذا قالت أمة منهم أي طائفة من أهل هذه القرية تناقض الطائفة التي قامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لم تعظون قوما الله مهلكهم بإفنائهم كما أفنى عادا وثمود، أو معدنهم عذابا شديدا في الدنيا كما عذب آل فرعون بالقحط والمكدرات، أي لم تحاولوا هذا وهو لا ينفذ فيهم، لأن الله حكم بإهلاكهم أو تدينهم. قال الناهون عن المنكر: إنما فعلنا ذلك ليكون عذرا لنا نعتذر به إلى ربكم إذا سألنا يوم القيامة عن وقوع هذا المنكر في قريتنا، ورجاء في انتفاعهم بالموعظة فيبتشرون الله، أي أننا لم نياس منهم كما يستثم. فلما ترك العاصون ما ذكرهم به اتقواهم كأنهم نسوم، أنجبنا الذين ظلموا بسبب تعدى الحدود بعذاب شديد وهو البؤس وهو الشقاء في المعيشة بسبب استمرارهم على الفسق وتعودهم الاستهانة بأوامر الله.

عِزًّا عَنْ مَا بَرَأَ عَنْهُ فَلَمَّا كَمُ كُرُوا قُرَّةَ عَيْنٍ ۝
وَأَذَانًا لِّرَبِّكَ لِيَمِيعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَٰكُ يَوْمَ الْفَيْصِلَةِ ۝
يَسْأَلُهُمْ سِوَا الْمَدَائِبِ إِذْ رُبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۝
وَأَمَّا لَعْنُورُ حِمِمْ ۝ وَطَقَّسْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمَّا
بَيْنَهُمُ الصَّاحِرُونَ وَبَيْنَهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَلَبَّوْهُمْ وَالْمَسْنِينَ
وَالنَّيَّاتِ لَعْنُهُمْ يَرْجَحُونَ ۝ فَكَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
عَلَفَ دُونَ الْكِتَابِ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى
وَيَقُولُونَ سَبِّحْنَا وَإِنْ بَارَكْنَا عَرَضَ بَنِيهِمْ يَتْلُوهُ يَأْخُذُوهُ
أَلْزَمُوا عَلَيْهِمْ يَتَّقُوا الْكِتَابَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقَّ وَدُوسُوا مَا فِيهِ وَالْأَذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ لَا يُضِيعُ أَمْرُ الْمُضِلِّينَ ۝ * وَإِذْ بَشَّرْنَا

المختبر ليظهر للناس ما في طبائعهم فإذا وقع الجزاء آمن الجميع بأنه عدل منه تعالى.

«فخلف من بعدهم خلف»: أصل الخلف مصدر خلفه أي جاء بعده، جمل وصفاء بمعنى خليفة لمن قبله، فالمعنى جاء من بعدهم خلفاء لهم.

«ورثوا الكتاب»: المراد به التوراة.

- (١) خامسين
- (٢) القيامة
- (٣) وقطناهم
- (٤) الضالعين
- (٥) ويلوناهم
- (٦) بالجنات
- (٧) الكتاب
- (٨) ميثاق
- (٩) الكتاب
- (١٠) بالكتاب
- (١١) الصلاة.

المفردات: «عتوا»: العتو التجبر في

التكبر انظر ما سبق في الآية (٧٧) من هذ

السورة صفحة ٢٠٥.

«خاسئين»: أي أدلاء مباعدين عن كل

خير. «تاذن ربك»: أي أعلم إعلاما مؤكدا.

«يسومهم»: يلحق ويوقع عليهم.

«وقطعناهم في الأرض»: أي فسرقتنا

اليهود في أنحاء الأرض.

«أما»: أي فرقا.

«ويلوناهم»: أي عاملناهم معاملة

جماعات كل جماعة في قطر حتى لا يكاد يخلو منهم قطر، لا شراكة لهم إلا الدس والوقعة بين الدول، منهم الصالحون وهم الذين استقاموا وآمنوا بأنبياء الله بعد موسى إلى زمنه ﷺ، ومنهم أناس دون وصف الصلاح وهم درجات بعضها كافر أو قريب منه، وبعضها أقرب إلى الصلاح. واختبرناهم بالحسنات والخصب والعاقبة هل يشكرون عليها أم يكفرون، وبالسبيات كالعذب والمرض هل يصبرون عليها ليرجعوا إلى ربهم بالتوبة من ذنوبهم ويشكروا في السراء والعسر؟ انظر الآية (١٠) من سورة النحل صفحة ٣١١ والآية (١٢١) من سورة طه صفحة ٤١٩ والآية (٣٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٤ والآية (٢٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢. فخلّف من بعد ألقائهم ذرية ورثوا عن آبائهم التوراة ولكنهم لم يعملوا بها؛ لأنهم يأخذون متاع هذه الحياة الدنيا الرائل الزائل المحرم عليهم أخذها كالربا والرشوة، ويقولون في أنفسهم إن الله سيفتر لنا ذلك ولا يحاسبنا عليه، يرجون هذه المغفرة والحال أنهم إن بأنهم عرض حرام مثله يأخذوه، أي فهم مصرّون على الذنب عازمون على العود إليه، ومع ذلك يرجون المغفرة. ألم يؤخذ على هؤلاء الخلف عهد الله في التوراة بأن لا يتولوا على الله إلا الحق، والحال أنهم درسوا هذا الكتاب وفهموا ما فيه، وعلموا أنه ليس فيه حل أخذ الحرام ولا جواز مغفرة الذنب مع الإصرار عليه، ولو تبيّه هؤلاء قليلا لعلموا أن الدار الآخرة وما أعمده الله فيها للمتقين الذين يتقون المعاصي كالرشوة والسحت خير من هذا المتاع الفاني، انظر الآية (٤٢) من سورة المائدة صفحة ١٤٤، ١٤٥. أبعد ذلك تستمرون على عصيائكم فلا تفلتون وترجعون الخير على الشر، والنميم الدائم على الرائل والذين يتمسكون بكتاب الله وحبله المتين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه، وأقاموا الصلاة المفروضة في التوراة وفي القرآن بعد الإسلام، لا يضعف الله تعالى أجركم لأنهم معاصون، انظر الآية (٢٠) من سورة الكهف صفحة ٣٨٥.

ثم ختم سبحانه قصة بني إسرائيل بالتذكير ببدء حالهم عند إززال الكتاب عليهم، عقب بيان عاقبة أمرهم في مخالفتهم لهذا الكتاب والخروج على تعاليمه، ليربط مبدئهم ونهايتهم، ليظهر للناس أن طبعهم هو طبعهم إلى قيام الساعة، فقال: **وإذ نتقنا، أي واكتر أيها النبي إذ رفعا فوق رؤوس هؤلاء الجبل...**

فوعرض هذا الأدنى : المعرض مالا ثبات له، والمراد به هنا حطام الدنيا الرائل. والأدنى صفة لمقدر، والأصل متاع هذا الشيء الأدنى، والمراد بالشيء الحياة الدنيا.

فوسيطا الكتاب : أي العهد الذي جاء به كتابهم.

فأوردسوا ما فيه : أي قرءوا ما في الكتاب وفهموه. **فيمسكون بالكتاب** : أي يتمسكون بما فيه، يقال مسك بالشيء وتمسك به والمعنى واحد.

فوسيطا : أي رفعا كما في الآية (١٢) من سورة البقرة صفحة ١٣.

السنن : . . فلما لم يخرجهم العذاب الشديد وطغوا في تكبرهم عن ترك ما نهاهم عنه الواعظون، قلنا لهم كونا قردة خاسئين، أي تعلقت إرادتنا بجعلهم قردة، انظر الآية (١١٧) من سورة البقرة صفحة ٢٣ والآية (٤٧) من سورة آل عمران صفحة ٧٠ والآية (٨٢) من سورة يس صفحة ٥٨١. قيل أنهم مسحوا قردة وخنازير حقيقة وماتوا سريعا. وقال مجاهد : هو مسح معبري، أي مسحت قلوبهم فصاروا لا تقبل نصحا وأصبحوا كالفردة في الاحتقار والطيش والإقصاء.

ثم سارع سبحانه في بيان سنته في عقاب الأمة كلها بعد بيان عقاب طائفة منها فقال: **وإذ تأذنا أي أعلم إعلاما مؤكدا بالتقسيم الذي دلت عليه اللام في فليبعث** : الآتية والمعنى : واذكر أي الذين بعثناهم. **أخبر الله مقسما بعزته أنه ليبعث ويسلمن على هؤلاء اليهود إلى يوم القيامة** : أي يبعثهم أسوأ أنواع العذاب وأشدّه عقابا لهم على ظلمهم وقتلهم وفسادهم وإفسادهم، انظر به قضا سن ذلك في أول سورة الإسراء، وإن أردت تفصيلا لما حل بهم من الكلال على يد أكثر الأسم الكبيرة إلى وقتنا هذا فارجع إلى شرح حديث ٤٠٥ من كتابنا صفوة البحارى، فإنه سجل ما قرر لويس اليهودى الإنكليزى في كتابه **(المسألة اليهودية)** ويستجلى لك معجزة القرآن وصدق الرسول على أروع صورة.

إن ربك أيها النبي لسريع العقاب في الدنيا للأمة التي يغلب عليها الفساد، وأنه المصور رخيخ لمن رجع إليه وتاب، ومما عاقبتهم به أننا قطنناهم في الأرض حال كونهم جماعات

﴿بلى﴾ أعلم أيها المثقف المنتهى أن الراجح مما قرره علماء العربية أن حرف (بلى) لا يأتي في أكثر استعمالاته إلا بعد كلام فيه نفى، نحو قوله تعالى ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعن﴾ الآية (٧) من سورة التغابن صفحة ٧٤٦، ويكون مراد المتكلم بها في هذه الحالة هو إبطال النفي وإثبات ما بعده، وإن ذكر قبل النفي السابق على حرف (بلى) حرف استفهام، فإن كان استفهامنا مراد به التوبيخ فحرف (بلى) باق على معناه من إبطال النفي أيضاً كما سبق، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربي﴾ الآية (٣٤) من سورة الأحقاف، ونظير ذلك ما تقدم في الآية ٣٠ من سورة الأنعام صفحة ١٦٦، وإن كان الاستفهام للإنكار أى النفي كما هنا ويكون مضمون الكلام ثابتاً يكون معنى بلى تقرير المعنى المتحصل من النفيين وهو الثبوت.

وقال سيبويه إمام العربية إنه يصح في هذه الحال أن يجاب بحرف (بلى) وبحرف (نعم)، فيحرف (بلى) نظراً لظاهر لفظ النفي، وبحرف (نعم) نظراً لأن مضمون الكلام صار إثباتاً. ونعم يجاب بها الإثبات، فنحو (هل جاء زيد) إذا أردت الإثبات تقول في جوابه نعم، وإن أردت النفي تقول لا، وقد جاء في الحديث الصحيح الجواب بـ (نعم) بدل (بلى) بعد نفى مسبوق باستفهام إنكارى، وذلك في قوله ﷺ للأنصار يوماً في الحديث عن المهاجرين أستم ترون لهم ذلك؟ قالوا: نعم.

وقد جاء قليلا الجواب بـ (بلى) بعد كلام ليس فيه نفى، من ذلك ما رواه البخارى في صحيحه من قوله ﷺ لأصحابه (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قالوا: بلى) أى نعم نرضى، فاعلم ذلك واستصحبه معك في كل ما يأتي من حرف (بلى)، وإنما أفضت في هذا لأن أكثر المفسرين اضطربت أقوالهم في هذه الآية، ونسبوا لابن عباس رأياً لم يُسلمه العلماء له، ولم يرضه إمام العربية سيبويه.

﴿فانسلخ منها﴾: أى أهلها وتركها وراء ظهره كما تسليخ الحية من ثوبها وتطرحه وراءها. ﴿فأنتبه الشيطان﴾: فلحقه وتمكن من إغوائه بعد أن كان بعيداً عنه بسبب طاعته.

﴿الفاورين﴾: الفاسدين المفسدين، انظر الآية (٣٩) من سورة الحجر صفحات ٣٤٠، ٣٤١.

والآية (١٦) من سورة القصص صفحة ٥١٦ والآية (٣٧) من سورة الصافات صفحة ٥٨٩.

﴿أخلد إلى الأرض﴾: أى ركن وجمال إلى التسفل المنافى للرفعة بميله إلى ما على الأرض من زينة زائلة كما في الآية (٧) من سورة الكهف صفحات ٣٨٠، ٣٨١.

الْحَمَلُ قَوْلُهُمْ كَأَنَّهُمْ غُلَّةٌ وَكَفَرُوا أَنَّهُمْ وَاقِعٌ رِزْمٌ خُدْرًا
مَا أَتَيْتُمْ بِقُرَّةٍ وَأَذْكُرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا تَتْلُوا
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَنشَدَهُمْ نَسَبَهُمُ الْبَنَاتِ بِرَبِّكَ قَالُوا بَلَى سَهِدْنَا
أَن نُّقُولَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَرَضِينَ
أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَفْرَكَ بَابُوْنَا مِن قُلٍّ وَكُنَّا فَرِيقًا
يَبْعُدُ فَأْتِيْنَا كَمَا قَمَلُ الشَّيْطَانِ وَكَذَلِكَ يُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَأَنزَلَ عَلَيْنَا نَبَأَ الْبَنِينَ
عَائِيْنَهُ وَأَنشَدَنَا فَتَنَّا فُتِنَهُمُ الْبَطْلُ فَكَانَ
الْقَاوِرِينَ وَكَرِهْنَا لِقَوْمَيْهَا وَلَكِنَّهُمْ أَخْلَدُوا إِلَى
الْأَرْضِ وَاتَّبَعُوا مَوْنَهُ قَتَلُوا كُنُزَ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ
عَلَيْهِ بَلَهْتَ أَوْ تَزِرْ كَتَلَهُ فَذَكَرَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

المفردات: : ﴿ظلة﴾: أى غمامة، انظر الآية (٢١٠) من سورة البقرة صفحة ٤١ والآية (١٨٩) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١. ﴿أنشدهم﴾ على أنفسهم: المراد أوجدتهم شاهدين على أنفسهم بذلك بلسان حالهم، وقالوا إن شهادة الحال أصدق من شهادة اللسان، وهذا كثير في القرآن وفي كلام العرب يقال:

امتأل الحوض وقال كفى ويقولون في حال السارق، عينه تنطق بأنه سارق وفي القرآن الآية (١٧) من سورة التوبة صفحة ٢٤٢، والآية (٢٩) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٤، والآية (٧) من سورة العاديات صفحة ٨١٨ وهذا يدل صراحة على أن الحجة قامت على بنى آدم بهذا الميثاق على أن رب العالمين هو الله وحده، وبعد قيام هذه الحجة فلا حاجة إلى إرسال رسول في موضوعها وإنما تاتي الرسل بالشرائع فقط ﴿ألمست بركم﴾: الهمة في ﴿ألمست﴾ أصل معناها الاستفهام وهو طلب المتكلم من السامع أن يفهمه شيئاً خفى عليه علمه، واستعملت هنا في الإنكار الذى معناه النفى، وبما أن ما بعدها هنا وهو (ليس) تنيد النفى أيضاً، ومن المقرر أن نفى النفى إثبات

فإن مضمون الكلام يصير ثابتاً، ويكون قصد المتكلم بهذا التركيب هو حمل المخاطب على الاعتراف بما يفيد النفيين، ويكون المعنى حينئذ اعترفوا أنها المخاطبون بأننى أنا الله ربكم.

(١) أتيناكم	(٢) أتيناكم	(٣) أتيناكم
(٤) غافلين	(٥) الآيات	(٦) أتيناكم
(٧) آياتنا	(٨) الشيطان	(٩) لرفقناه
(١٠) هواء		

التوفيق. وعلى ذلك يكون قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبَيِّتَ رَسُولَهُ﴾ الآية (١٥) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦ مناه مذبذبين على ترك الشرائع وعلى جهل النبيات إلا بعد مجيء رسول يلقيها. ولو كان المراد ماكما مذبذبين حتى في عدم اعتقاد وجود إله لقال: وما كنا معذبين حتى نشهد المكلف على نفسه كما في هذه الآية التي معنا. فمحصّل المعنى أنه لا يتنهم الاعتذار بما ذكر لأنه سبحانه ينهم بإقامة الأدلة، وجعلهم مستعدين لمعرفة الحق من وجود إله صانع حكيم.

ثم أراد سبحانه أن يضرب مثلاً للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله ﷺ مع تأييدها بالآية العقلية فقال: **وَأَتَى عَلَى النَّاسِ وَمِنْهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ وَخَبِرَ الرَّجُلَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا الْمُنْزِلَةَ عَلَى رَسُولِنَا وَمَكَاهُ مِنْ عِلْمِهَا قَاهِمُهَا وَلَمْ يَلْتَمِثْ إِلَى الْاهْتِدَاءِ بِهَا أَى قَرَّبَتْ عَلَى اخْتِيَارِهِ هَذَا الْإِهْمَالِ خُضُوعًا شَهْوَةً نَفْسَهُ، أَنْ لَحِقَهُ الشَّيْطَانُ فَادْرَكَهُ وَحَادَهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَا يَفْلِتَ مِنْ سَيْطَرَتِهِ بَعْدَ أَنْ قَدَّرَ نُورَ الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ، فَاعْقَبَ ذَلِكَ أَنْ ضَارَ مِنَ الْعَاوِينَ الْفَاسِدِينَ الْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَرْفَعَهُ بِتِلْكَ الْآيَاتِ إِلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي تَوْجِبُ قَرْنِ الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ كَمَا فِي الْآيَةِ (١١) مِنْ سُورَةِ الْمُجَادَّةِ صَفْحَةَ ٧٢٧ لَرَفَعْنَاهُ بِأَنْ نَجِيرَهُ عَلَى الْهَدْيَةِ كَالْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّا لَمْ نَفْعَلْ لِمُخَالَفَةِ ذَلِكَ لِنُظَامِنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ جَمَلِ الْإِنْسَانِ مُخْتَارًا، وَعَلَى حَسَبِ اخْتِيَارِهِ نَسْهَلُ لَهُ مَا يَرِيدُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ كَمَا فِي الْآيَاتِ (١٨، ١٩، ٢٠) مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ صَفْحَتَيْ ٣٦٦، ٣٦٧، وَلَوْ اخْتَارَ الرَّفْعَةَ لَرَفَعْنَاهُ، لَكُلِّ هَذَا تَرَكْنَا هَذَا الرَّجُلَ وَشَأْنَهُ، فَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ التَّسْمُلَ وَأَبَى الرِّفْعَةَ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فِي الْمَلَاذِ الزَّائِلَةِ، انْطَرِ الْآيَةُ ٢٢ مِنْ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ صَفْحَةَ ٦١٢. فَصَارَ حَالُهُ كَحَالِ الْكَلْبِ يَلْهَثُ دَائِمًا، حَمَلَتْ عَلَيْهِ أَوْ تَرَكْتَهُ، فَإِنَّهُ مَكْرُوبٌ بِضِيقِ التَّنَفُّسِ. فَالْكَلَامُ تَمَثُّلٌ لِحَالِ الْمُحْرَمِ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِعِلْمِهِ بِحَالِ الْكَلْبِ فِي سُوءِ الْحَالِ وَقَلْقُ الْقَلْبِ وَاضْطِرَابُهُ وَعَدَمُ رَاحَتِهِ، فَهُوَ فِي هَمٍّ دَائِمٍ مُشْغُولٌ بِخَسَائِسِ الشَّهَوَاتِ، لَا يَرْضَى بِمَا قَسَمَ لَهُ مِنَ الْحَظوظِ، بَلْ يَرِيدُ طَمَعُهُ كَمَا نَالَ مَارَبًا، فَهُوَ فَاقِدٌ رِضَا الْقَلْبِ وَرَاحَةِ الضَّمِيرِ بِرِضَا اللَّهِ عَنْهُ. ذَلِكَ الْمَثَلُ الْغَرِيبُ هُوَ مِثْلُ كُلِّ مَكْذِبٍ بِآيَاتِ اللَّهِ مِنْ كَفَارٍ مَكَّةٍ أَوْ يَهُودٍ الْجَزِيرَةِ. انْطَرِ هُؤُلَاءِ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يُخْلِعَهُ صُدْرُهُ ضَمِيرًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يُصْعَدُ فِي السَّمَاءِ الْآيَةُ (١٢٥) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ صَفْحَةَ ١٨٢. وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ آيَاتِهِ فَأَهْمَلَهَا لَمْ يَبِينَهُ الْقُرْآنُ، وَلَمْ يَتَّقِ عَلَيْهِ الْعِلْمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَلَمْ يَصِغْ حَدِيثَ بَيْنِ اسْمِهِ وَلَا جَنْسِهِ وَلَا وَطَنِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَيْسَ لَهُ دَخَلٌ فِي مَكَانِ الْعِبَرَةِ فِي الْمَوْضُوعِ، فَلَا تَشْغُلُ نَفْسَكَ بِمَا لَا يُفِيدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.**

فَرَحَمَلْ عَلَيْهِ : أى تشدد عليه بالطرود والجزر وإيقاعه فيما يقبّه. **فَوَلَّيْتَاهُ** : اللهم فنتج فسكون : التفتس الشديد مع إخراج اللسان، ويكون في غير الكلب من شدة اللعب أو العطش، وقطعه لهث كمنح.

الْمَعْنَى : : وأذكر حين رفعنا جبل الطور فوق رؤوسهم لحملهم على الاهتمام بما في التوراة وعدم التمرد عليها، لأن القادر على ذلك قادر على محققهم إذا خالفوا، وقلنا لهم في حال رفع الجبل خذوا ما أمليناكم مما في التوراة بقوة وعزم على احتيال مشاقه، وتذكروا دائمًا ما فيه من الأحكام وأعمالها بها ليعدكم ذلك لتقوى الله. ثم بدأ سبحانه كلامًا جديدًا في شؤون البشر عامة من جهة ما أودعه في فطرهم وعقولهم من الاستعداد للإيمان بوجود خالق حكيم، بعد بيان هدايته سبحانه للبشر عن طريق الرسل والكُتب إلى كل مالا تصل إليه عقولهم من الخير في الدارين، فقال: **فَوَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْبَيْعَ** أى وأذكر أيها النبي لأمثلك حين أخذ ربك من بني آدم أي استخرج منهم ذريتهم بطنًا بعد بطن، وفطرهم على الإيمان، وجعل عقولهم تدرك بالضرورة أن كل فعل لابد له من فاعل، وكل حادث لابد له من مُحدث، وهذا هو المراد من قوله: **وَأَشْهَدُهُمْ قَاتِلًا لَهُمْ أَتَيْتَا طَائِعِينَ**، انظر الآية (١١) من سورة قول بلسان الحال، كما في قول السموات والأرض أتينا طائعين، انظر الآية (١١) من سورة فصلت صفتي ٦٢٠، ٦٢١: **ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ حِكْمَةَ هَذَا الْإِشْهَادِ** فقال: **فَوَإِنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**. والمعنى فعلمنا هذا معنا لاعتذاركم يوم القيامة بأن تقولوا إذا شاهدتم عذاب المشركين إنا كنا عن علم وجود إله واحد غافلين، أو تقولوا إنما اشترك آباؤنا من قبلنا ووجدنا نحن ذرية من بعدهم جاهلين بطلان شركهم فاقترننا بهم، افتهلنا يارب بما فعل الميطلون من آياتنا وجرونا إليه وتجعل عذابنا كعذابهم فالمراد أن الله تعالى لا يقبل الاعتذار بالجهل بوجوده، ولا بتقليد الآباء في ذلك، وهكذا التفصيل البديع تفصل لبني آدم الدلائل على وجود إله لهم يرجعون إذا تأملوا فيها عن جهلهم وتقليدهم الآباء، فالآيات تدل على أن من لم يبلغه رسالة رسول لا يعذر يوم القيامة في الشرك به تعالى، وإنما يعذر بمخالفة ما جاء به الرسل من النبيات والشرائع التي لا يصل إليها العقل. هذا ما رآه المحققون في معنى الآية، واختاره القاضي البيضاوي ويؤيده قوله تعالى **فَوَمِنْ بَنِي آدَمَ** ولم يقل (من آدم) وكذلك جمع الضمائر في قوله عز وجل **فَوَظَّهَرَهُمْ** ولم يقل من ظهره وكذا في قوله سبحانه **فَوَظَّيْتَهُمْ** ولم يقل (ذريته) لو كان المأخوذ منه هو آدم كما يقول بعض المفسرين فتأمل وبالله

منها؛ فمن استعمل ما وهبه الله من عقل وسمع وبصر في التدبر لغرض الوصول للحق هداه الله إليه، ومن أهملها وأفسد فطرته التي خلقها الله سليمة أضله. وقد تقدم تحقيق ذلك في الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، وسأنتي نظيرها في الآية (٣) من سورة الإنسان صفحة ٧٨١، وقد أجمال سبحانه هذا المعنى في الآية الأولى هنا، وفصله في التي تليها؛ فمنى الأولى : من يوقه الله لسلك سبيل الهداية بسبب حسن استعداده واستعماله لحواسه فهو المهتدي حقا الفائز بالسعادتين، انظر الآية (٩) من سورة يونس صفحة ٢٦٦، والآية (٢٧) من سورة الرعد صفحة ٢٢٥، والآية (٦٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٣٠، والآية (١١) من سورة التغابن صفحات ٧٤٦، ٧٤٧، ومن يضلله ويحرمه من هذا التوفيق لنقص فيه كسوق أو كبر أو كثرة كذب أو غير ذلك فهذا الطريق من الناس هم الخاسرون لغيرى الدنيا والآخرة، انظر آيتي (٢٦، ٢٥٨) من سورة البقرة صفحات ٦، ٧، ٥٤، والآية (١٠٨) من سورة المائدة صفحة ١٥٩، والآية (٥٢) من سورة يوسف صفحة ٣١١، والآية (٣) من سورة الزمر صفحات ٦٠٥، ٦٠٦، والآية (٢٨) من سورة غافر صفحة ٢٢١.

ثم فصل سبحانه هذا الإجمال فقال:

ولقد ذرأنا وأعدنا لهم كثيرا من الجن والأنس؛ لأنهم أهملوا عقولهم ومواهبهم فأصبحت عقولهم لا تفهم النافع من الضار، ولا يوجهون أبصارهم إلى التأمل في آيات الله ودقيق صنعه، ولا أذانهم إلى سماع الحق سماع فهم وتدبر. وقد كرر القرآن هذا المعنى في مواضع كثيرة، منها: الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤، والآية (١٠٨) من سورة النحل صفحة ٣١١، وآيتا (٢١، ٢٧) من سورة السجدة صفحات ٥٤٧، ٥٤٨، والآية (٢٣) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٣، والآية (٢٦) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠. أولئك الماهلون لمواهبهم كالأنعام من إبل ويقر وغنم فتى كونهم لا يتفهمون بحواسهم إلا قريبا يعود على متعة أجسامهم الفانية، بل هم أضل من الأنعام لأنها لا تفهم إلا ما فيه مصلحتها، أما هم فلا يفهمون إلا ما فيه

المضدرات : : «سواء مثلا» : المثل الحال والصفة، وساء أى قبيح، والمعنى قبيح حالا حال هؤلاء المكذبين. «ذرأنا» : أصل معنى الذرء بث الأشياء وتكثيرها، والمراد خلقنا بتقدير ونظام، انظر الآية (١١) من سورة الشورى صفحة ٦٢٩.

«وذروا» : أى اتركوا.

«يلحدون في أسمائهم» : ألحد أى مال عن الصواب.

«يهدون بالحق وبه يعدلون» :

تقدم بيانها في الآية (١٥٩) من هذه السورة صفحة ٢١٨. «سنستدرجهم» : أى نأخذهم درجة بعد درجة حتى يصلوا إلى ما فيه هلاكهم. «وأملى لهم» : أى أمهلهم.

«كيدى متين» : الكيد كالمكر هو التدبير الخفى بما يسوء الممكر به.

المعنى : : ذلك الحال هو حال المكذبين بآياتنا بعد ما جاءتهم واضحة قاطعة بصديق رسولنا فأعرضوا عنها، سواء في ذلك المشركون واليهود، فأقصص أيها النبي عليهم قصص مثل ذلك الرجل المشابه حاله حال المكذبين بما جئت به رجاء أن يتفكروا في هذه الحال فينجزروا عما هم عليه. فبحث صفة هؤلاء المكذبين في عداد الصفات، وما ظلموا أحدا بعملهم هذا وإنما ظلموا أنفسهم فقط. ثم أراد سبحانه أن يقرر ويؤكد تضمنون القصة السابقة من أن من تسبب في الهدى أو الضلال لابد أن ينتهى إلى الغاية التي جعلها الله لكل

(٢٠١) بآياتنا (٣) الخاسرون (٤) آذان (٥) كالأنعام (٦) العاقلون (٧) أسمائهم (٨) بآياتنا.

المفردات : : لجنة : جنون كما في الآية (٢٥) من سورة المؤمنون صفحتي ٤٤٧، ٤٤٨، والآية (٨) من سورة سبأ صفحتي ٥١٢، ٥١٣، مملوكات : هو الملك العظيم كما تقدم في الآية (٧٥) من سورة الأنعام صفحتي ١٧٤.

ويزدهم : يتركهم.

فيهمهون : يتخبرون كما تقدم في الآية (١٥) من سورة البقرة صفحتي ٥.

والساعة : أصل معنى الساعة عند العرب لحظة من الزمن، والمراد هنا القيامة، أي قيام الناس من القبور عند النفخة الثانية، والعرب تطلق اللفظ الدال على الزمن وتريد الحدث الواقع فيه، انظر تفصيل ذلك في شرح الآية (٩) من سورة الحج صفحتي ٤٢٤، ٤٢٥.

عند الكلام على لفظ اليوم، وانظر معاني هذه السورة صفحتي ١٩٧.

إيانها : متى. ومرسها : أصله مصدر الإرساء أي الإنبات، يقال رسا الشيء برسو أي ثبت كما في الآية (٤١) من سورة هود صفحتي ٣٩٠، وأرساه غيره أثبته، والمراد هنا حمولها ووقوعها.

ولا يحلبها لوقيتها : لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء وقوعها في وقتها، فالإلام في لوقيتها تسمى لام التوقيت كقوله فاقم الصلاة لدلوك الشمس وكتب الخطاب لمشر بقين في رمضان.

فثبتت في السموات : أي ثل عليها على أهل السموات والأرض فلا يستطيعون الوصول إليه فكانت حصى عنها : أصل مادة حصى تفيد المبالغة فيما تعلقت به كما في الآية (٤٧) من سورة مريم صفحتي ٤٠٠، ٤٠١، ومعنى التركيب كانك مبالغ في سؤال ربك عنها حتى توصلت إلى علمها، يقال فلان حصى عن الأمر أي مبالغ في البحث عنه، وتعرف حاله، ويطلق لفظ

(٤) السموات.

(٢) مرسها

(١) السموات (٧) طليانهم

هلاكهم وعذابهم الدائم في الآخرة، والأنعام لا تعذب وأولئك هم الكاملون في الغفلة عما فيه سعادتهم في الدارين. وبعد هذا أراد سبحانه أن يرشد عباده المخلصين إلى تذكره سبحانه وعدم الغفلة عن مراقبته مع البعد عن التلاعب بأسمائه وصفاته وتحريرها إلى معنى لا يليق به، فقال:

هو الله الأسماء الحسنى والمراد بالأسماء الانفاظ الدالة على الذات كلفظ الله، أو الذات والصفة كالرحمن، ونقبة المذكور في الآية (٢٦) من سورة العنكبوت وما بعدها صفحتي ٧٢٣، ٧٢٤. والحسنى مؤنث الأحسن. والمعنى : والله دون غيره جميع الأسماء الدالة على أحسن المعاني وأكمل الصفات فلا ذكره وسموه وتادوه بها، وابتعدوا عن الذين يلحدون أسمائه بالميل بانفاظها أو معانيها عن الحق من تحريفها أو تأويلها بما يفيد التشبيه بالمخلوقات وينافي الكمال، كتفسير علمه وقدرته وبصره وكلامه تعالى بأنها كلامنا وقدرتنا وبصرنا الخ، وكقول بعضهم لما سمع هتاراك وجه ربك : إن لله وجهاً أبيض يحيط به شعر أبيض. تعالى الله عن ذلك وعد بعضهم من الإلحاد فيها إدخال ما ليس منها فيها بتسميته سبحانه بما لم يسم به نفسه مما لا يليق بكماله وجلاله، كأن يقول المستهتر:

الله خادم خلقه، يريد راعي مصالحهم. تعالى الله عن ذلك علواً كبير. وكقول الفلاسفة: الله هو العقل المدير الأعظم.

ابتعدوا عن مثل هؤلاء فسيفاقون جزاء أعمالهم قريباً وبعد ما ذكر سبحانه صفات أهل جهنم وحذر ممن يلحدون في أسمائه قال: وممن يلحدون في أسمائه قال: وممن خلقتنا طائفة من الناس يحدون غيرهم إلى الضوابع بسبب حبهم الحق وبه يعملون إذا حكموا، وهذه الصفات ظاهرة في أمة محمد ﷺ السالكة في طريقه. أما الذين كذبوا بآياتنا المنزلة والموجودة في الكون فستتركهم في غيهم وضلالهم شيئاً فشيئاً من حيث لا يشعرون حتى يقوموا في المهالك، وسأهلهم وأمد لهم في الحياة كيما لهم ومكر بهم، وكيدى متين يقيم الظهور، أنظر آيات من (٥٤) إلى (٥٦) من سورة المؤمنون صفحتي ٤٥٠، ٤٥١.

﴿حَقِيقٌ﴾ أيضا على شديد البر واللفظ غيره، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿رأساً ستغفر لك ربى إنه كان من حقيقاً﴾.

المعنى : كذب هؤلاء الكفار رسولهم محمداً ﷺ، ولم يتفكروا في حاله من أول نشأته وفي أدلة نبوته، لو تفكرتم لعلمتم أنه ليس بصاحبكم محمد جنون، وما هو إلا نذير لمن عصي، واضح الإنذار. وبعد أن بين أنه نذير لهم بين يدى عذاب شديد طلب منهم النظر بالاهتمام والتفهم بالجنون العظمى فقال : أو لم ينظروا : أى هل كذبوا الرسول المعروف بينهم بالامانة والتفهم بالجنون وهو المعروف عندهم بالعتل الراجح، ولم يتأملوا في الملك العظيم وكل ما خلقه فيه شيء صغير أو كبير ظاهر أو باطن، فكل ذلك يدل على حكمة مدبر قدير لا يخلق هذا العالم عبثاً، ولا يترك الناس سدى بدون مرشد، كما فى الآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦، ولم يتفكروا فيما عسى أن يكون عليه الشأن من اقتراب أجلمهم وقدمهم على الله بسوء أعمالهم، فإذا لم يؤمنوا بهذا القرآن المملوء بالعبر والبراهين فبأى حديث بعد يؤمنون؟ أى ليس هناك ما هو مثله ولا قريب منه ينتظرون الإيمان به، انظر مثل ذلك فى الآية (٦) من سورة الجاثية صفحة ٦٦١، وآخر سورة المرسلات صفحة ٧٨٦.

من يضل الله لاستحقاقه ذلك فلا يستطيع مخلوق أن يهديه، ثم أشار إلى سبب إضلاله بقوله: ويذرهم فى طغيانهم أى تجاوزهم الحد بالكفر والعصيان يتحيزون لا يستطيعون خلاصاً وقد تقدم قريباً سنة الله فى الضلال والهداية فلا تغفل.

ولما سأله ﷺ عن موعد قيام الساعة، وأصل الساعة الجزء من الزمن، والمراد بها هنا ساعة خراب هذا العالم الذى يبدأ بالنفخة الأولى كما فى الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥ فقال سبحانه : يسألونك أبها النبى عن موعد قيام الساعة قائلين متى وقوعها وحصولها؟ قل لهم علم وقتها عند ربى وحده كما فى الآية (٣٤) من سورة لقمان صفحة ٥٤٤، لا يظهرها فى وقتها سواء سبحانه، نقل وغمض علمها على كل مخلوق، فلا تأتكم إلا بغنة بدون سبق شعور يسألونك هذا السؤال ويلعبون فيه كأنك عالم بها، فإذا كروا السؤال فكرر الجواب وقل لهم: علمها عند الله وحده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون اختصاصه سبحانه بعلمها.

ثم لما كان سؤالهم عن الساعة يشعر بأن بعضهم قد يخالجه ظن أنه ﷺ قد يقدر على ما لا يقدر عليه قدرة البشر من النفع والضرر، أراد سبحانه أن يبطال ذلك فقال: قل لهم أبها النبى إئتى بشر مثلكم لا أملك لنفسى جلب نفع ولا دفع ضرر إلا من شاء الله من نفع يعينى على جلبه أو ضرر يساعدننى على دفعه، ولو كنت أعلم الغيب كما ظن بعضكم لا ستكثر من

يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا ذَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَضَاعَفَتِ حُلَّتْ خَلَا خَلْقًا قُرْبَتْ بِهِ فَلَمَّا أَفْتَلَتْ دَعَا إِلَهُ رَهْمَا أَنْ يُبَدِّلَا مَوَاقِعَ لِقَايَهِمَا مِنْ أَتْرُكِهِمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَتْرُكِهِمَا فَلَمَّا دَعَا صِلَاً جَلَّالاً كَرِيمًا ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا أَفْتَلَتْ دَعَا إِلَهُ رَهْمَا أَنْ يُبَدِّلَا مَوَاقِعَ لِقَايَهِمَا مِنْ أَتْرُكِهِمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَتْرُكِهِمَا فَلَمَّا دَعَا صِلَاً جَلَّالاً كَرِيمًا ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا أَفْتَلَتْ دَعَا إِلَهُ رَهْمَا أَنْ يُبَدِّلَا مَوَاقِعَ لِقَايَهِمَا مِنْ أَتْرُكِهِمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَتْرُكِهِمَا فَلَمَّا دَعَا صِلَاً جَلَّالاً كَرِيمًا ﴿٣٦﴾

كل خير يرغب فيه الناس، كالمال العاقل من التجارة المبنى استكثاره على معرفة ما سيكون عليه الحال فى المستقبل مثلاً؛ ولدفعت عن نفسى كل سوء بالبعد عن أسبابه الخفية، وما أنا إلا نذير لكل عاص بالعذاب، وبشير للمؤمنين الصالحين بالجنة.

المفردات : : ﴿تضاعفا﴾ : أصل الضعاف الغطاء الذى يستر الشيء من فوقه، ومنه الضعاف فى قوله ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤، وتغشى الشيء غطاء؛ فهى كناية لطيفة عن أداء وظيفة الزوجية.

﴿فلما أفتلت﴾ : أى صارت ذات ثقل لكبر الحمل فى بطنها، فالهمزة تقييد الصيرورة كقولهم فلان أتمر وألبن، أى صار ذات تمر ولبن.

المعنى : : ختم سبحانه السورة بشيء مما بدأها به من الدعوة إلى التوحيد واتباع ما أنزله الله، والنهى عن اتباع غيره، والإشارة إلى نشأة الإنسان وعداوة الشيطان له وإغرائه بالمعصية إلخ، فقال هو الذى خلقكم من نفس واحدة أى من جنس واحد ليتم التألف، ولذا قال : وجعل منها زوجاً، أى من جنسها ليسكن إليها ويستريح، أنظر ما تقدم أول سورة النساء صفحة ٩٧، والآية (٢١) من سورة الروم صفحة ٥٣٣، فلما خالط الزوج الأثنى حملت حملاً خفيفاً أول الأمر لا تكاد المرأة تشعر به، فمررت به فى قضاء حاجاتها من غير مشقة، فلما صارت ثقيلة البطن وخافت هى وزوجها غافية الأمر دعوا الله ربهما قائلين يارب وعزتك أن تعطيتنا نسلاً صالحاً للحياة لا تنقص فى خلقته ولا فساد فى تركيبه لتكون من الشاكركين لتعملك، فلما أعطى الزوج والزوجة ولداً صالحاً كما طلبا جعلاً له تعالى شركاء فى شكر نعمه عليهم،

(١) واحدة	(٢) تضاعفاً	(٣) اتبعا
(٤) صالحاً	(٥) الشاكركين	(٦) آتاهما
(٧) فتالاً	(٨) صامتون	(٩) صادقين

رسولنا ﷺ، لقومه من كفار العرب أجمعين، بهذا التحدى بعينه، فى الوقت الذى كان فيه ﷺ، بهكة، ولم يؤمن به إلا عدد قليل، معظمهم من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة فى هذا الوقت العصيب، والكلار كثرة وقوة يرهبا الأقويا، يتحداهم خاتم الرسل ﷺ، هذا التحدى المستغفر للجنان، فضلا عما يدعون أنهم أشجع الشجعان من زملاء قريش والعرب أجمع ليسوا هم القائلين:

إذا بلغ الوليد لنا قطاما تخزله الجبابر ساجدينا .

تحداهم ﷺ تحديا مستغبرا مثيرا لغضبهم، مصحوبا بالاستخفاف بالهتهم التى يعبدونها من دون الله، والمادة بعجزها على ردوس الأَشهاد، قال سبحانه فى ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَضْطَاجُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيُجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. أنهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يصررون بها أم لهم أذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تتظنون. إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴿آيَاتِ ١٩٤﴾. ثم كيدون فلا تتظنون. إن هذه السورة صفحتى ٢٢٤، ٢٢٥: ﴿الَّذِينَ تَدْعُوهُمْ﴾ هم ما كانوا يدعونهم فى الشدة من دون الله، ويتقربون إليهم بالذباح وغيرها. ﴿وَعِبَادُ أَضْطَاجُكُمْ﴾ أى مخلوقات خاضعة لإرادة الله سبحانه يفعل بها ما يشاء، لا تملك لكم ضمرا ولا نفعا. ﴿وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ المراد بالشركاء هنا هذه المخلوقات التى جعلوها شريكة لله تعالى فى استحقاق الخضوع لها والتقرب إليها .

﴿فَإِنْ تَتُوبْ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ الْمَوْتِ﴾ أى فلا تمهلونى لحظة، ومعنى هذا التحدى المصغوب بالتسفيه لعقولهم، إن هذه الأشياء التى تدعو بها لقضاء حاجاتكم خصوصا التى لا يقدر عليها إلا الله، هم عباد لله خاضعون لإرادته وقدرته، كما أنكم خاضعون أيضا له تعالى، فكيف تمضونهم عليكم وتضعون أنفسكم دونهم فى المنزلة فتخضعون لهم، ثم ترقى فى تسفيهم فقال فادعوههم وانظروا هل يجيبونكم لما تريدونه منهم، فإنكم إن كنتم صادقين فى أنهم يستحقون العبادة فإنهم يجيبونكم لما تريدون، فإذا لم يجيبوا فاعلموا أنكم وأهلهم، فاحذروا السير فى هذا الطريق الموصلى للعذاب، فاحذروا السير فى هذا الطريق الموصلى للعذاب المقيم، ثم ترقى فى تسفيهم درجة أخرى لعل من فيه بقية من ضمير منهم يتبه فقال سبحانه ﴿لَهُمْ أَرْجُلٌ﴾

فتقربوا إليهم كما يتقربون إليه، ونسبوا إليهم ما لا يكون إلا منه سبحانه فأشرك بعضهم أصناما، وبعضهم يطلب حفظ ولده وماله من غيره تعالى، ويقدم لهم الذنور التى لا تقدم إلا له تعالى، بل بلغ من جهل الإنسان بقدر ربه أنه يشرك حتى بالشجر والحجر، تعالى الله وارتفع شأنه عن شركهم، لأنه هو وحده صاحب الفضل فى كل ما يقال الإنسان من نعم.

فالمراد من الآية بيان حال البشر فيما ملأ عليهم من نزغات الشرك الخفى والخبى، فمن الأول تقديم مصالحة الولد على مصلحة الدين فيدخر له ولا ينفقه فى سبيل الله، انظر الآية (١٥) من سورة التغابن صفحة ٧٢٧، أما الشرك الظاهر فلا يحصر، وقد شرب بعضه إلى كثير من المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله. فكانه سبحانه يقول: هذا هو شأن الإنسان إذا خاف شيئا لجا لله، وإذا اطمان نسي ربه وأشرك، انظر الآية (٦٥) من سورة المعنكوت صفحتى ٥٢٩، ٥٣٠. إنما نسب الشرك لجنس الإنسان مع أن فيه مؤمنين لأن الأحكام دائما تناط بالأغلب، وأغلب البشر كافر كما فى الآية (١٠٣) من سورة يوسف صفحة ٣١٨، فيكون الحكم بالنسبة للكثرة، والقلة مستثناة لفظا أو تقديرا؛ لفظا كما فى الآية ١٩ من سورة الماعج وما بعدها صفحة ٧٦٥ والآية (٣) من سورة العصر صفحة ٨٢٠، تقديرا كما فى الآية (١٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٧، والآية (٩) من سورة هود صفحة ٢٨٥، والآية (٣٤) من سورة إبراهيم ٢٢٥، والآية (٦٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٣، والآية (١٦) من سورة مريم صفحة ٤٠٣ وغير ذلك كثير. ثم أنكر سبحانه عليهم هذا الشرك وريخهم عليه فقال: أيشركون إلخ؛ أى هل يصح أن يشركوا معه سبحانه وهو الخالق لهم ولأولادهم ما لا يخلق شيئا من الأشياء مهما يكن حقيرا كما فى الآية (٧٢) من سورة الحج صفحة ٤٤٤، بل هؤلاء الشركاء يخلقهم وقتا بعد وقت أمام أبصارهم، ولكنهم لا يفتخرون فيسبون بين من يخلق ومن لا يخلق، بل هو مخلوق مثلم، انظر الآية (١٧) من سورة النحل صفحة ٢٤٧، وهؤلاء الشركاء مع كونهم مخلوقين لا يستطيعون نصرا لمن يعبدهم على أعدائهم بل ولا ينصرون أنفسهم إذا تعدى عليهم الغير بإهانة أو أخذ شيء من حولهم كما فى الآية المتقدمة من سورة الحج. وإن تدعوا أيها المشركون هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لله ليرشدوكم إلى ما تحبون لا يتموكم إلى مرادكم، أى لا يجيبونكم كما يجيبكم الله إذا لجاتم إليه، فمستو عندكم دعاؤكم لهم ويقاؤكم على صمتكم وسكويتكم أى لا فائدة من دعايتكم، ثم علل هذا سبحانه فقال فى تحدى

وكان المشركون اتفنا صنع آلهتهم حتى يدخلوا الرهبة في قلوب من يقف أمامها فوضعوا لها أعينا صناعية بها حديق من الزجاج والحوامر توجه جهة الداغل عليها كأنها تنظر إليه، لذا قال سبحانه محضرا أمرها:

وترى أيها المؤمن الناظر إليها أنها تنظر إليك، وفي الحقيقة هي لا تبصر.

ويعد ما فرغ سبحانه من بيان أصول العقيدة المبنية على التوحيد، شرع في بيان أصول الفضائل فقال حاثا على ثلاثة أصول منها: الأول:

خذ أيها المؤمن من الناس السهل، أى تقبل منهم سهل الأمور ولا تشق عليهم إذا ما طلبت من أحدهم شيئا، وأمر غيرك بكل خير واعتد عن مباشرة ومجادلة السفهاء شديدي الحق، وإن شعرت بوسوسة الشيطان فساغ بالاستعاذة منه إلى الله، واطلب منه حفظك فإنه سميع لعداء عبده، عليم بإخلاصه فيطرده عنه. وبهذا تكون من خيار المتقين الذين من صفتهم أنهم إذا شعروا بوسوسة الشيطان في معصية، تذكروا عداوته لهم وإنجاء الله لمن يلجأ إليه سبحانه، فإذا بصيرتهم تضيء، وإذا بعزمهم يقوى فيعزى الشيطان.

أما إخوان الشياطين الخاضعون لهم فإن الشياطين تشجعهم على الضلال والفساد. ثم لا يسكون عنهم حتى يهلكهم وقد بلغ من تبجح كفار قريش واستهتارهم الذي أوقمتهم فيه شياطينهم أنهم كانوا إذا فتر الوحي وترأخ نزوله زمنا، يتدرون سفاهة ويقولون اختر يا محمد آية من عند نفسك، اخترعها كما اخترعت غيرها زاعما أنها من عند الله.

قاتلهم الله أنى يؤفكون. فامر سبحانه نبيه أن يقول لهم فى أدب ووقار:

قل إنما اتبع ما يوحى إلى من ربي ولست بمتبع شيئا من القرآن من عدى لأنى، عاجز عن ذلك مثلكم، وهذا القرآن الذى أوحاه ربي إلى حجج تضيء القلوب كالبصائر لها، وهو نورها الذى يهديها للحق.

﴿فَإِنْ غَفَلَ﴾: أصل الغفل الغفص، يقال نرغه إذا طمنه ونخسه، فكان الشيطان ينخس الإنسان ليحفه على المعاصى، فالمراد وسوسته، انظر الآية (١٠٠) من سورة يوسف صفحة ٣١٨.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: أطلب منه أن يعينك ويعدك منه.

﴿طَائِفٌ﴾: الطائف هو من يدور على الشيء كما فى الآية (١٩) من سورة القلم صفحة ٧٥٨، والمراد هنا الوسوسة.

﴿يَمْدُونَهُمْ﴾: أى يعاونونهم.

﴿فِى الْغَى﴾: المراد به الضلال.

﴿لَا يَقْصُرُونَ﴾: أى لا يكونون ولا يتباطئون، فهو بمعنى يقصرون بتشديد الصاد المكسورة.

﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾: لو حرف يدل على العث على فعل ما بعده، واجتبتها: أى اخترتها وجئت بها أنت من عندك.

﴿بَصَائِرُ﴾: تقدم فى الآية (١٠٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٠ أن البصائر للقلوب كالبصر للعيون، فالعيون تدرك بالبصر، والقلوب بالبصائر.

المعنى: . . . وليس لهم آذان يسمعون بها طلباتكم فكيف تعبون من هو دونكم؟ فقل أيها الرسول لهؤلاء المصائب فى عقولهم نادوا من جعلتموهم شركاء لله ثم تعاونا معهم على كيدى ولا تتأخروا فأنى لا أبالي بكم جميعا، لأن متولى أمرى وناصرى هو الله الذى نزل على هذا الكتاب، أى القرآن المبطل لشرككم، وهو وحده الذى ينصر الصالحين من عباده؛ هذا هو الله الذى أعبد، أما الذين تدعونهم لنصركم ولما فيه نفكم فهم عاجزون لا يستطيعون نصركم، بل ولا نصر أنفسهم، فضلا عنكم، كما تقدم.

وكرها لزيادة توبيخهم وإن تدعوهم إلى أن يدرككم على ما ينصركم لا يسموا دعاءكم مطلقا.

من غير قصد .
إلى الكلام لإدراكه ، أما السمع فقد يحصل
السمع لأنه لا يكون إلا بقصد وتوجيه السمع
المفردات : ﴿استمعوا﴾ : الاستماع أبلغ من

❖ الإنصات السكوت لأجل الاستماع لا يشغل بغيره.

وهي التذلل له سبحانه والمبالغة في الخضوع.

﴿تَضَرُّعًا﴾: التضرع هو إظهار الضراعة

● خنفة: هي حالة الخوف والخشية.

الفقدو: أصله مصدر غدا يفقدو بوزن

نما إذا ذهب في وقت الغدوة وهي ما بين
الفجر وطلوع الشمس، ثم توسعوا في الغدو

له هنا وقته وهه الغدوة يضمه أوله، كما يقال آتاك طلوع الشمس، أي وقت طلوعها، حتى صار يستعمل في مطلق الذهاب، أنظر الآية (١٢) من سورة سبأ صفحة (٥٦٤)، والمراد

صفحة ٥٥٦، والآية (٢٥) من سورة الإنسان صفحة ٧٨٣.

﴿الذين عند ربك﴾ المراد بهم الملائكة.

والمراد به هنا الغنيمة لأنها من زيادة فضل الله.

﴿الأنفال﴾ : جمع نفل بفتح نين كسبب وأسباب وهو الزيادة ولذا قيل لصلاة التطوع نافلة،

هذات بينكم: ذات يمنى صاحب، صفة لمعدوف، والبين من أسماء الأضداد، ما يطلق على الوصل والفرقة، ومنه قولهم:

من الخير السعي في إصلاح ذات البين. والمراد هنا الفرقة.

(١) القرآن.

(٢) الآصال .

(٣) الغافلين.

وَأَنذَرْتُكَ فِي نَفْسِكَ نَصْرًا وَخِصْمًا وَوَدَّ الْيَهُودُ مِنَ
الْقُرْآنِ فَاسْتَعْمَلُوهُ وَانْصَبُوا عَلَيْكَ رُمُوحًا ۖ ﴿٣٩﴾
مِنْ رِيحِكُمْ وَعَلَى رُوحِهِ الْقَوْمُ يُؤْمِنُونَ ۖ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّا قَرِئُوا

وَأَنَّا إِنَّا خَشَرْنَا نَحْنُكَ
(٨) سُورَةُ الْاَلْفِ الْمَلْتِيَةِ

وَأَنَّا إِنَّمَا جِئْنَاكُمْ بِخَيْرٍ وَسِعَ لَكُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَالْحَبِيبُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ

المعنى: هذا القرآن بصائر، وكامل الهداية حتى كأنه هو نفسها، وسبب قوى لرحمة ربكم فى الدنيا والآخرة للذين يؤمنون به، انظر ما تقدم فى الآيات من (١٥٥ إلى ١٥٧) من سورة الأنعام صفحـة ١٩٠. ثم بين سبحانه الطريق الموصـل للرحمة بسبب القرآن، والموصل للتخلص من نزغات الشيطان، فقال: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له بفـعناية، وأنصتوا لنتفهموا معانيه لترجى لكم رحمة الله، واذكر أيها المؤمن ربك الذى خلقك وبرك برزقه وعنايته فى نفسك بأن تستحضر معنى أسمائه وصفاته وفضله عليك وحاجتك إليه، حال كونك متضرعا له، وخائفا من عقابه، واذكر أيضا بلسانك ذكرا أقل من الجهر الذى هو رفع الصوت، وفرق السريان يكون ذكرا وسطا كما فى الآية (١١٠) من سورة الإسراء صفحـة ٣٧٩، واذكر سبحانه فى طرفى النهار، لأن من افتتح نهاره بذكر الله واختتمه به كان جديدا بمراقبته تعالى طول يومه، ولا تكن من الغافلين عن ذكره فى سائر الأوقات فيفسد قلبك ويستولى عليك الشيطان.

ثم أكد سبحانه هذا الأمر بالإشارة إلى أنه تشبه بملائكة الرحمن فقال: إنا الذين عند ربك، الخ: عندية مكانة ومنزلة لا عندية مكان ومنزل، وهم الملائكة المقربون المشار إليهم فى الآية (١٧٣) من سورة النساء صفحتى ١٣٢، ١٣٣، لا يستكبرون كما يستكبر المشركون، ويسبحونه أى ينزهونه عن كل ما لا يليق به وله وحده يسجدون فلا يشكون معه أحدا.

سورة الأنفال

لما كانت واقعة بدر هي أول غزوة غنم فيها المسلمون، وكان في الجيش رجال في المقدمة يقاتلون وآخرون يحمون ظهورهم سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: كيف تقسم هذه الغنائم وفيما من قاتل فعلا ومن اقتصر عمله على حماية المقاتلين، ولمن الحكم في قسمتها ليعطى كلاً حقه؟ فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ إلى الآية (٤١) الآتية صفة حنتي ٢١٢-٢١٣، أي يسألك عن كيفية قسمتها وعن مستحقها، فقل لهم: أمرها متروك لله يحكم فيها بما يشاء حسب حكمته، ورسوله ينفذ ما أمره الله تعالى، فاتقوا الله في الاختلاف على حطام الدنيا، وأصلحوا الحالة المصاحبة لتفرقكم في هذا وفي غيره، فعالجوا أسبابها حتى تزول وتعل محلها المودة والإخاء والإيثار، وأطيعوا الله ورسوله في كل ما يأمركم به، ولما سمع المؤمنون هذا التوجيه الكريم أصبحوا أخوة متراحمين يقدم أحدهم أخاه على نفسه، أنظر آخر سورة النتح صفحتي ٦٨٣، ٦٨٤ والآية (٩) من سورة العشر صفحة ٧٣١.

شديد العقاب، ثم خاطب من بقى من المشركين بقوله: ذلكم أى فى الذى قدره الله هو ذلك الذى رأيتموه من الانكسار، فذوقوا هذا العذاب الشديد فى الدنيا، وإن لكم فى الآخرة عذاب النار إذا أصررتكم على كفركم، ثم أراد سبحانه أن يعلم المسلمين كيف يحاربون الكفار بعد هذه الموقعة فقال: **فيا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم** إلخ.

المفردات: **فوزحفاً:** هو مصدر زحف إذا مشى على بطنه كالحيات، ويشبه به مشى الجيش الكثير الذى يراه الناظر إليه لكثرة كانه يزحف، والمراد زاحفين.

فلا تولوهم الأدبار: لا تعطوهم ظهوركم، والمراد لا تهزموا. **ومتحرفا لقتال:** المتحرف هو المتحرف من جانب إلى آخر. **فأوحىنا إلى آخر:** أوحىنا إلى فئة: **المتحيز المنقل من حيز إلى حيز، والعيز المكان، والفئة الجماعة كما فى الآية (٢٤٩) من سورة البقرة صفحتى ٥١، ٥٢.** **فأبى بغضب:** أى رجع مقترنا بغضب. **فوماواه جهنم:** أى مسكه جهنم. **فبئس:** قبيح. **والمصيب:** النهاية التى صاروا إليها. **فولبلى المؤمنين:** أى يمتحنهم، انظر الآية (١٦٨) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٠. **فمومن:** مضفف، والمراد هنا مبطل. **فاستفتحو:** أى نظلوا من الله افتتح والنصر. **فافتتح:** النصر. **فوفتكم:** جماعتكم. **فالدواب:** كل ما دب على وجه الأرض.

المعنى: إذا لقيتم الكفار حال كونهم زاحفين لقتالكم زحفاً لكثرتهم فلا تقروا، ومن يفر منكم وقت القتال غير مهين يفر من أنواعه ليظهر بدهوه كان يوهم خصمه أنه منهزم ليغريه بأنواعه حتى يعتمد عن جيشه فيكر عليه فيقتله، أو غير منعاز إلى جماعة من إخوانه رأى

كثروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ﴿١﴾ ومن يومئذ يومئذ يروى ألا منحرفاً لقائل أو متحيزاً إلى فئة قديماً ﴿٢﴾ يغيب من الله وما أوتى جهنم وبئس المصير ﴿٣﴾ فلم تفلتوهم ولكن الله قتلهم وما ريت إذ ريت ولكن الله رمى وليلى المؤمنين به بلاء حساً إن الله يبيح لهم ﴿٤﴾ ذلهم وإن الله مؤمن صديد الكافرين ﴿٥﴾ إن تتلوهوا فقد جاء ذكر الفتح وإن تتلوهوا خير لكم وإن تؤذوا ننصركم إن تنصركم ننصره وإن توفوا نموت وإن تؤذوا ننصركم إن تنصركم ننصره وإن توفوا نموت وإن تؤذوا ننصركم إن تنصركم ننصره وإن توفوا نموت ﴿٦﴾ ولا تكفروا كافرين قائلين ﴿٧﴾ وأنتم تسعون ﴿٨﴾ ولا تكفروا كافرين قائلين ﴿٩﴾ وأنتم تسعون ﴿١٠﴾ * إن من الأدبار عند الله ومن لا يسمعون ﴿١١﴾

هذا الإمداد كان روحانياً لتتوية قلوبهم فقط فقال: وما جعل الله هذا الإمداد إلا بشيرا لكم بالنصر، ولتطمئن به قلوبكم فلا تخاف، وما النصر فى الحقيقة إلا من عند الله لا من ملك ولا غيره، لأنه سبحانه عزير أى غالب لا يغلبه شئ، حكم يعطى نصره لمن يستحقه، كل هذا يدل على أنه مدد مغبى فقط. وقد رأى بعضكم أن الملائكة قاتلت، ولكن المحققين على أنهم كانوا للتبشير والإطمئنان فقط، ويقوى هذا أنه لو قاتلت الملائكة لما بقى من المشركين أحد، ولما كان هناك حاجة إلى هذا العدد منهم، بل ملك واحد يكفى لإفناء أعظم منهم، ولما كان هناك حاجة أيضاً إلى إنشاء المعاس ليتقوا كما سيأتى، ولا لإنزال المطر لتثبت أقدامهم ولما كان لأهل بدر هذا الفضل العظيم، ولذهب معنى الاقتداء بالصائرين على القتال فى سبيل الله ولنضاع أيضاً معنى ابتلاء الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ليظهر المخلصين وغيره انظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحتى ٣٢، ٣٤ والآية (٤) من سورة محمد صفحتى ١٧٢، ١٧٣ ولما صح الحضر فى قوله **فوما جعله الله إلا بشيراً**، ولأن كل قتيل من المشركين كان معروفاً من قتله من المسلمين، وقال أبى جهل على الأخص معروف بالترائر، فإذا لم تقتل الملائكة أبى جهل فمن قتل إذاً هذا هو الحق فلا تغتر بكرة ما يبرى من أحاديث وآثار غير ذلك، فإنها ما بين ضعيف أو مرسل لا يقوى على الوقوف فى وجه الدليل القاطع، والله أعلم، وأذكروا إذا يفتشكم ربكم النعاس تأمينا لكم، وانظر بيان النعاس فى سبب كونه كذلك فى الآية (١٥٤) من سورة آل عمران صفحة ٨٨، وكان وادى بدر على سمعته كثير الرمال الناعمة لا يكاد يوجد فيه ماء، فمن فيه يحتاج للماء لوجوه عدة خصوصاً المسلم الذى يريد المهادرة للصلاة من كل حدث، فأكبرهم الله بإزالة المطر قبيل المعركة، ليتطهروا، ولتثبت أقدامهم فى أثناء المعركة فلا تقوص فى الرمال، ويذهب عنهم وسوسة الشيطان بما يحزنهم من عدم الصلاة لعدم المهادرة، ولم يكن التيسيم شرع فى هذا الوقت، وبذهاب وسوسة الشيطان تقوى قلوبهم، وقوة القلوب أقوى عامل فى الانتصار. وثبت أقدامكم فى الوقت الذى يوحى فيه ربك للملائكة بأنى معكم بالنعون، فثبتوا بالنعون بالطمئن والتبشير، سألنى فى قلوب الكافرين الرعب وهو الخوف الذى يملأ القلب وهذا حكاية لكلامه سبحانه الذى أخبر به رسوله ليخبر به أصحابه ليطمئنهم، ثم حكى سبحانه ما كان وجهه من الأمر للنبي ﷺ ليوجهه إلى أصحابه فقال: فاضربوا الكفار فى رءوسهم أى فى المقائل، أو عملوهم إن لم تستطيعوا قتلهم: لأن من قطعت أصابعه لا يمسك سيفاً. ذلك المتقدم كله أنزلناه بهم بسبب أنهم عادوا الله ورسوله، ومن يعاد الله تعالى ورسله حل به العذاب الشديد، لأنه سبحانه

تَكَاثَرَ الْعَدُوُّ عَلَيْهِمْ فَصَارُوا أَوْجُوحًا مِنْ الْجَهَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا، فَمَنْ يَفِرْ لَغَيْرِ ذَلِكَ أَوْ نَحْوِهِ فَقَدْ اسْتَحَقَّ غَضَبَ اللَّهِ، وَمَكَانَهُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ هُوَ جَهَنَّمُ، وَقَبِضَتْ مَصِيرًا ثُمَّ نَبِهَ سَبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنَّ طَاعَتَهُ سَبْحَانَهُ هِيَ سَبَبُ نَصْرِهِمْ؛ فَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ مَعَ قِتْلِكُمْ لَوْلَا تَأْيِيدُ اللَّهِ لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ سَبْحَانَهُ قَتَلَهُمْ بِنَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ وَجَّهَ سَبْحَانَهُ الْخُطَابَ لِنَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ: وَمَا رَمَيْتَ إِذَا رَمَيْتَ يَا مُحَمَّدُ التَّرَابَ فِي وَجْهِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي رَمَى. أَيْ أَوْصَلَهُ إِلَى عَيُونِهِمْ فَشَقَلُوا عَنْكُمْ فَهَزَمْتُمُوهُمْ. وَبَيَّانُ ذَلِكَ عَلَى مَا رَوَى أَنَّهُ ﷺ لَمَّا بَدَأَتْ الْمَعْرَكَةُ أَخَذَ قُبْضَةً مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ رَمَاهَا فِي جَهَةِ الْعَدُوِّ فَأَنَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ أَيْ قَبِضَتْ، فَأَوْصَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التَّرَابَ إِلَى عَيُونِهِمْ، وَصَحَّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: فَمَا رَمَيْتَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ بِسَهْمِكَ وَقَوْسِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي سَدَّدَ رَمِيكَ وَوَفَّقَكَ، وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا هُوَ تَعْوِيدُهُمْ بَعْدَ اخْتِذَاكَ الْأَسْبَابِ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ. انْظُرِ آيَةَ (١٤) مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ صَفْحَةَ ٢٤٢.

ففل سبحانه ذلك ليؤيد رسوله، ويمحق الكافرين، ويختبر المؤمنين بالחסنات من النصر والغنيمة، ليظهر شكرهم له، فيزيد نعمه عليهم إنه سبحانه سمع لدعائهم، علم بصدق نياتهم، (ذلكم) الخ، أى أن مراد الله هو ذلكم الذى حصل من البلاء ومن التوهين، أى إبطال كيد الكافرين به ﷺ ومحاولتهم القضاء على دعوته، وكان أبو جهل عند خروجه من مكة قال: اللهم إن ديننا قديم ودين محمد جديد فأى الدينين أحب إليك فانصر صاحبه ، ففى هذا خاطب سبحانه المشركين بقوله: إن تستفتحوا أى تطلبوا النصر فقد جاءكم النصر لأحق الطرفين به، فبعد هذا إن تنتهوا عن كفركم فانتهواكم خير لكم، وإن تعودوا لمحاربتة نعد لنصره عليكم، ولن تغنى عنكم جماعتكم شيئاً ولو كثرت عُدَّة وعدداً، لأن الله مع المؤمنين بالنصر، ومن كان الله معه لابد أن ينتصر. وبعد الفراغ من غزوة بدر انتقل سبحانه إلى إرشاد المؤمنين إلى طريق النجاح، وإلى عدم الطمع فى حطام الدنيا كما كان بعضهم طامعاً فى الغنائم، فقال: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عن الرسول وتعرضوا عن أوامره، والحال أنكم تسمعون منه كلام الله القاطع بوجوب طاعته، ثم قرر سبحانه هذا المعنى بقوله: ولا تكونوا كالذين ادعوا السماء والنهم وهم المناقضون وأهل الكتاب، أنظر الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٨، والآية (١٦) من سورة محمد صفحتى ٦٧٤، ٦٧٥، والحقبة أنهم لا يستمعون سماع قبول، ثم أراد سبحانه أنه يبين بشاعة حال هؤلاء الكفار الذين ينهاكم عن التشبه بهم تحذيراً للمسلمين منهم فقال: إن شر الدواب فى حكم الله ...

المفردات: ﴿الصم﴾: الذين لا يسمعون.

﴿البكم﴾: الذين لا يتكلمون...

﴿استجیبوا لله﴾: ای اجیبوا دعوتہ

بالطاعة والامثال مع العناية.

﴿لَمَّا يَحْيِيكُم﴾: أَي لِكُلِّ مَا يَجْعَلُ لِحَيَاتِكُمْ

قيمة كالعلم النافع والجهاد في سبيل الله من

الأمر الذي تحقق العزة والكرامة.

﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾: ہی کل ما ائتمن

عليه الإنسان من الحقوق العامة والخاصة.

﴿وَأُولَٰئِكَ فِتْنَةٌ﴾: أى سبب اختبار

وامتحان يطهر به الطائع وغيره.

المعنى: إن شر ما يذب على وجه الأرض هم الأشرار من البشر الذين أصعوا آذانهم عن سماع القرآن خوفاً من تأثيره عليهم، كما في الآية (٢٦) من سورة فصلت صفحة ٦٣٣، والذين يسمعون ولكن لا يريدون فهمه كالمناقضين في الآية (١٦) من سورة محمد صفحة ٦٧٤، ٦٧٥. والذين يستمعون للبحث عن شبهة يطعنون بها عليه كاليهود في الآية (٤١) من سورة المائدة صفحة ١٤٤، ومنهم من يسمع للنغم والطرب لا للفهم والاعتبار: هؤلاء كالأنعام بل هم أضل، انظر الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢. وإذا تأملت ما تقدم في آيتي (٨١، ١٧١) من سورة البقرة صفحات ١٦، ٣٠، ٣٢. وفي الآيات (٤٢، ٤٣، ٤٤) من سورة يونس صفحة ٢٧٣، والآية (١٢) من سورة المطففين صفحة ٧٩٧. تجلّى لك عدل الله في معاملة هؤلاء الكافرين ومن يليهم من العصاة، وهم بكم لا يقولون. ولا يعقلون الفرق بين الخير والشر، ولو علم الله فيهم استعداد للهداية وبقيّة من نور الفطرة لسمعهم سماع قبول وتدبر، ولو أسمعهم بعد علمه أن لا خير فيهم لتولوا عن القبول والحال أنهم معرضون قبل ذلك

(١) فؤادكم. (٢) الطيبات. (٣) أماناتكم. (٤) أمو الكه. (٥) اولادكم.

المفردات: **فُورِقْنَا**: صيغة مبالغة من
 مادة الفرق وهو الفصل بين شيئين أو أشياء،
 والمراد بالفرقان هنا كل ما يفرق بين الحق
 والباطل، من علم نافع، ونور بصيرة، ونصر
 على أعداء.. ويطلق على القرآن باعتباره
 اجتماعه على ذلك.

﴿لَيْسَ بِتُوك﴾: أى يمنعوك عن العمل

بربطك بوثائق كالمبين في الآية ١

3, 172 ² ³ ⁴ ⁵ ⁶ ⁷ ⁸ ⁹ ¹⁰ ¹¹ ¹² ¹³ ¹⁴ ¹⁵ ¹⁶ ¹⁷ ¹⁸ ¹⁹ ²⁰ ²¹ ²² ²³ ²⁴ ²⁵ ²⁶ ²⁷ ²⁸ ²⁹ ³⁰ ³¹ ³² ³³ ³⁴ ³⁵ ³⁶ ³⁷ ³⁸ ³⁹ ⁴⁰ ⁴¹ ⁴² ⁴³ ⁴⁴ ⁴⁵ ⁴⁶ ⁴⁷ ⁴⁸ ⁴⁹ ⁵⁰ ⁵¹ ⁵² ⁵³ ⁵⁴ ⁵⁵ ⁵⁶ ⁵⁷ ⁵⁸ ⁵⁹ ⁶⁰ ⁶¹ ⁶² ⁶³ ⁶⁴ ⁶⁵ ⁶⁶ ⁶⁷ ⁶⁸ ⁶⁹ ⁷⁰ ⁷¹ ⁷² ⁷³ ⁷⁴ ⁷⁵ ⁷⁶ ⁷⁷ ⁷⁸ ⁷⁹ ⁸⁰ ⁸¹ ⁸² ⁸³ ⁸⁴ ⁸⁵ ⁸⁶ ⁸⁷ ⁸⁸ ⁸⁹ ⁹⁰ ⁹¹ ⁹² ⁹³ ⁹⁴ ⁹⁵ ⁹⁶ ⁹⁷ ⁹⁸ ⁹⁹ ¹⁰⁰ ¹⁰¹ ¹⁰² ¹⁰³ ¹⁰⁴ ¹⁰⁵ ¹⁰⁶ ¹⁰⁷ ¹⁰⁸ ¹⁰⁹ ¹¹⁰ ¹¹¹ ¹¹² ¹¹³ ¹¹⁴ ¹¹⁵ ¹¹⁶ ¹¹⁷ ¹¹⁸ ¹¹⁹ ¹²⁰ ¹²¹ ¹²² ¹²³ ¹²⁴ ¹²⁵ ¹²⁶ ¹²⁷ ¹²⁸ ¹²⁹ ¹³⁰ ¹³¹ ¹³² ¹³³ ¹³⁴ ¹³⁵ ¹³⁶ ¹³⁷ ¹³⁸ ¹³⁹ ¹⁴⁰ ¹⁴¹ ¹⁴² ¹⁴³ ¹⁴⁴ ¹⁴⁵ ¹⁴⁶ ¹⁴⁷ ¹⁴⁸ ¹⁴⁹ ¹⁵⁰ ¹⁵¹ ¹⁵² ¹⁵³ ¹⁵⁴ ¹⁵⁵ ¹⁵⁶ ¹⁵⁷ ¹⁵⁸ ¹⁵⁹ ¹⁶⁰ ¹⁶¹ ¹⁶² ¹⁶³ ¹⁶⁴ ¹⁶⁵ ¹⁶⁶ ¹⁶⁷ ¹⁶⁸ ¹⁶⁹ ¹⁷⁰ ¹⁷¹ ¹⁷² ¹⁷³ ¹⁷⁴ ¹⁷⁵ ¹⁷⁶ ¹⁷⁷ ¹⁷⁸ ¹⁷⁹ ¹⁸⁰ ¹⁸¹ ¹⁸² ¹⁸³ ¹⁸⁴ ¹⁸⁵ ¹⁸⁶ ¹⁸⁷ ¹⁸⁸ ¹⁸⁹ ¹⁹⁰ ¹⁹¹ ¹⁹² ¹⁹³ ¹⁹⁴ ¹⁹⁵ ¹⁹⁶ ¹⁹⁷ ¹⁹⁸ ¹⁹⁹ ²⁰⁰ ²⁰¹ ²⁰² ²⁰³ ²⁰⁴ ²⁰⁵ ²⁰⁶ ²⁰⁷ ²⁰⁸ ²⁰⁹ ²¹⁰ ²¹¹ ²¹² ²¹³ ²¹⁴ ²¹⁵ ²¹⁶ ²¹⁷ ²¹⁸ ²¹⁹ ²²⁰ ²²¹ ²²² ²²³ ²²⁴ ²²⁵ ²²⁶ ²²⁷ ²²⁸ ²²⁹ ²³⁰ ²³¹ ²³² ²³³ ²³⁴ ²³⁵ ²³⁶ ²³⁷ ²³⁸ ²³⁹ ²⁴⁰ ²⁴¹ ²⁴² ²⁴³ ²⁴⁴ ²⁴⁵ ²⁴⁶ ²⁴⁷ ²⁴⁸ ²⁴⁹ ²⁵⁰ ²⁵¹ ²⁵² ²⁵³ ²⁵⁴ ²⁵⁵ ²⁵⁶ ²⁵⁷ ²⁵⁸ ²⁵⁹ ²⁶⁰ ²⁶¹ ²⁶² ²⁶³ ²⁶⁴ ²⁶⁵ ²⁶⁶ ²⁶⁷ ²⁶⁸ ²⁶⁹ ²⁷⁰ ²⁷¹ ²⁷² ²⁷³ ²⁷⁴ ²⁷⁵ ²⁷⁶ ²⁷⁷ ²⁷⁸ ²⁷⁹ ²⁸⁰ ²⁸¹ ²⁸² ²⁸³ ²⁸⁴ ²⁸⁵ ²⁸⁶ ²⁸⁷ ²⁸⁸ ²⁸⁹ ²⁹⁰ ²⁹¹ ²⁹² ²⁹³ ²⁹⁴ ²⁹⁵ ²⁹⁶ ²⁹⁷ ²⁹⁸ ²⁹⁹ ³⁰⁰ ³⁰¹ ³⁰² ³⁰³ ³⁰⁴ ³⁰⁵ ³⁰⁶ ³⁰⁷ ³⁰⁸ ³⁰⁹ ³¹⁰ ³¹¹ ³¹² ³¹³ ³¹⁴ ³¹⁵ ³¹⁶ ³¹⁷ ³¹⁸ ³¹⁹ ³²⁰ ³²¹ ³²² ³²³ ³²⁴ ³²⁵ ³²⁶ ³²⁷ ³²⁸ ³²⁹ ³³⁰ ³³¹ ³³² ³³³ ³³⁴ ³³⁵ ³³⁶ ³³⁷ ³³⁸ ³³⁹ ³⁴⁰ ³⁴¹ ³⁴² ³⁴³ ³⁴⁴ ³⁴⁵ ³⁴⁶ ³⁴⁷ ³⁴⁸ ³⁴⁹ ³⁵⁰ ³⁵¹ ³⁵² ³⁵³ ³⁵⁴ ³⁵⁵ ³⁵⁶ ³⁵⁷ ³⁵⁸ ³⁵⁹ ³⁶⁰ ³⁶¹ ³⁶² ³⁶³ ³⁶⁴ ³⁶⁵ ³⁶⁶ ³⁶⁷ ³⁶⁸ ³⁶⁹ ³⁷⁰ ³⁷¹ ³⁷² ³⁷³ ³⁷⁴ ³⁷⁵ ³⁷⁶ ³⁷⁷ ³⁷⁸ ³⁷⁹ ³⁸⁰ ³⁸¹ ³⁸² ³⁸³ ³⁸⁴ ³⁸⁵ ³⁸⁶ ³⁸⁷ ³⁸⁸ ³⁸⁹ ³⁹⁰ ³⁹¹ ³⁹² ³⁹³ ³⁹⁴ ³⁹⁵ ³⁹⁶ ³⁹⁷ ³⁹⁸ ³⁹⁹ ⁴⁰⁰ ⁴⁰¹ ⁴⁰² ⁴⁰³ ⁴⁰⁴ ⁴⁰⁵ ⁴⁰⁶ ⁴⁰⁷ ⁴⁰⁸ ⁴⁰⁹ ⁴¹⁰ ⁴¹¹ ⁴¹² ⁴¹³ ⁴¹⁴ ⁴¹⁵ ⁴¹⁶ ⁴¹⁷ ⁴¹⁸ ⁴¹⁹ ⁴²⁰ ⁴²¹ ⁴²² ⁴²³ ⁴²⁴ ⁴²⁵ ⁴²⁶ ⁴²⁷ ⁴²⁸ ⁴²⁹ ⁴³⁰ ⁴³¹ ⁴³² ⁴³³ ⁴³⁴ ⁴³⁵ ⁴³⁶ ⁴³⁷ ⁴³⁸ ⁴³⁹ ⁴⁴⁰ ⁴⁴¹ ⁴⁴² ⁴⁴³ ⁴⁴⁴ ⁴⁴⁵ ⁴⁴⁶ ⁴⁴⁷ ⁴⁴⁸ ⁴⁴⁹ ⁴⁵⁰ ⁴⁵¹ ⁴⁵² ⁴⁵³ ⁴⁵⁴ ⁴⁵⁵ ⁴⁵⁶ ⁴⁵⁷ ⁴⁵⁸ ⁴⁵⁹ ⁴⁶⁰ ⁴⁶¹ ⁴⁶² ⁴⁶³ ⁴⁶⁴ ⁴⁶⁵ ⁴⁶⁶ ⁴⁶⁷

وَأَسْأَلُكَ

هنا الأك

12

(مسورة الأنفال)

[illegible]

وفاطر علينا.. الخ: أى كما تقول يا هـ

هو صنف ٢٩٦.

هَؤُلَاءِ لَكَ بِعَذَابِ الْيَمِّ: مَنْ

قبلها، المفهوم من (ما) وهـ

روایات: آی و ولادت

أُولَئِكَ إِلَّا الْمُتَّقُونَ.

والبيت: إذا أد

المعنى: يأتيها

بين الحق كما فر

(١) المصاكيرين.

يقولونهم، أي لجمعوا إلى الإعراض السابق الانصراف اللاحق عن قبول الحق. وعندما هبنا سبحانه المؤمنين للإقبال على سماع الخير حتى لا يكونوا كشر الدواب قال: يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم الرسول المبلغ عن الله تعالى لما فيه حياتكم وعزكم، وأعلموا أن الله يحول بين المرء وبين ما يطمه بقلبه من طول الحياة وفسيح الأمل، بأن يميته فجأة أو قبل التمكن من الحصول على ما يشتهى. فالمراد لا تتأخروا عن عمل الخير لحماة فقد يعاجلكم الموت، فهذا أبلغ من قوله (اعمل لا تخترك كأنك تموت غدا) وأعلموا أنكم إلى الله تحشرون يوم القيامة فيجازيكم على قدر أعمالكم، واتقوا أيها المؤمنون وقوع فتنة بينكم بالتنازع والتخاصم على الدنيا، فقاوموها وتجنبوا أسبابها، بأن تهنى بعضكم بعضا عما يؤدى إليها: لأنها إن وقعت فسيعم عذابها الظالم والبرء. قال ﷺ (إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بينهم وهم قادرون على أن يذكروه فلم يذكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة). وأعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره. واذكروا أيها المؤمنون حين كنتم قلة ضعفاء في مكة وفي المدينة تخافون أن يتخطفكم الكفار من عرب أو فرس وروم، فأراكم سبحانه إليه، أي حماكم من عدو أضخم عددا وقوة وأيدكم بنصره في بدر، وسيؤيدكم على الفرس والروم إذا اتقيتم، ورتبكم من الطيبات كالفنائم التي لم تحل لأحد قبلكم لعلكم تشكرون نعمه بطاعة أوامر.

يأتها الذين آمنوا لا تخوفوا الله بتركه، فراضيه وارتكابه معاصيه، ولا تخوفوا الرسول بإهمال تعاليمه وإرشاداته، ولا تخوفوا أمانات المسلمين وهي كل ما كان بينكم وبين فادكم من شئون الدولة خصوصاً الحرسى منها، وما كان بين الأفراد بعضهم مع بعض، أى لا يجوز أن يحصل منكم ذلك خصوصاً وأنتم تعلمون مفاسد الخيانية فى الدنيا والآخرة. وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم أعطاها الله تعالى لكم ليحاربكم معاملة المجتبر المتمتع ليظهر من يقدم رضوان الله ومصالحة نفسه وولده، ومن ذلك أن ييخل الرجل بالمال يبذله فى سبيل الله ليدخره لولده أو يخلف على ولده من الموت إذا دعى للجهاد، أما من بدل ماله وولده فى سبيل الله فهو الذى نتج فى الاختيار فاستحق الجنة والأجر العظيم، انظر آيتى ٢٤، ١١١ من سورة التوبة بصفحات ٢٤٢، ٢٤٤، ٣١١، والآية (١٥) من سورة التاعين بصفحة ٢٤٧.

صفحتي ٧٢٣، ٧٢٤، وينصركم، ويكثر عنكم الصفائر، ويفسر لكم الكبائر، وليس هذا بعزيز عليه بأنه صاحب الفضل العظيم، ثم أراد سبحانه أن يذكر نبيه ببعض فضله عليه فذكر له حاله مع قومه بمكة وكيف نجاه منهم، وحسن هذا التذكير مجيئه عقب نصرته له على الظالمين الخائنين الصادين عن بيت الله فقال: ﴿وَإِذَا يَمْكُرُ بِكَ﴾ إلخ، وكان الذي حصل منهم أنهم لما مات عمه ﷺ وكان هو المدافع عنه، طمع كفار قريش في الخلاص منه، فاجتمع صناديدهم في ندوتهم يحقق التخلص منه ﷺ لأنه سفيه عقولهم وحقر آلهتهم، فقال قوم نخبسه حتى يموت، وقال آخرون لا بل نخرجه من مكة وقال آخرون غيرهم لا بل نقتله على أن من القبائل كلها فيتفرق دمه في القبائل ويعجز أهله عن القصاص له، عند ذلك أله السلام بما دبروه، وبلغه أن الله سبحانه أذن له في الهجرة إلى المدينة، مكرهم. فالمعنى: وأذكر أيها النبي فضل ربك عليك حين مكر بك

مكة، وفكروا في ربطك بالسلاسل، أو سجنك حتى تموت، أو

سائط العربية. ولعل الحكمة في تأخيريه سبحانه الإخراج

شوا عنه وعن الحبس واختاروا القتل، للإشمار

سورة محمد صفحة ٢٧٤، والآية (٩) من

سورة محمد صفحة ٢٧٤، والآية (٩) من

من طرفة تحت سطوة غضبيهم، بل

كانوا يتمنون بل إلى مكان نمت

تشبه بما في الآية (٨) من

ها المؤمنون، ويمكر

لحق وخذلان للباطل،

الآية (٩٩) من سورة

تتلى عليهم آياتنا

المنزلة في القرآن قال بعضهم ووافقه الآخرون لو نشاء لقننا مثل هذا القرآن، ثم عللوا ادعاءهم الباطل بما هو أشد منه بطلانا حيث قالوا: ليس هذا الكلام الذي يقوله محمد إلا أحاديث سطرت قديما في كتب الأولين فكتبت له وصار يرددوها، أنظر الآية (٥) من سورة الفرقان صفحات ٤٧٠، ٤٧١، ورد سبحانه على هذا الافتراء في مواضع أخرى من القرآن مثل ما جاء في آيتي (٣٧، ٣٨) من سورة يونس صفحة ٢٧٢.

والآية (١٢) من سورة هود صفحة ٢٨٥. ثم ذكر سبحانه نوعا عجيبا من عنادهم فقال:

﴿وَإِذَا قَالُوا لِلَّهِ: رَوَى أَنْ أَبَا جَهْلٍ وَجَمَاعَةٌ قَالُوا يَارَبَّ إِنَّكَ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقُّ فَإِنَّا نَفْضِلُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْنَا حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ تَهْلِكُنَا، أَوْ تَرْسُلَ لَنَا عَذَابًا آخَرَ مُؤَلَّمًا، فَإِنَّا لَا نَنْتَبِعُ إِلَّا رَجُلًا عَظِيمًا لَا فَتَى صَغِيرًا كَمُحَمَّدٍ. أَنْظِرِ الْآيَةَ (٣١) مِنْ سُورَةِ الزَّخْرَفِ صَفْحَةَ ٦٥٠، وَرَوَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ سِبْأٍ بَلَدٌ بَلْقَيْسُ: مَا أَجْهَلُ قَوْمُكَ حِينَ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ امْرَأَةً فَتَقَالَ الرَّجُلُ: قَوْمُكَ أَجْهَلُ مِنْ قَوْمِي حِينَ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنَّكَ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطَرْنَا عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ عَذَابٍ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَالْمَرَادُ يَقُولُهُ وَأَنْتَ فِيهِمْ أَيْ وَأَنْتَ رَسُولُهُمْ أَيُّهَا اللَّهُ مَرِيدًا لِعَذَابِهِمْ عَذَابُ إِثْمٍ، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولُوا فَاهْدِنَا إِلَيْهِ، ثُمَّ رَدَّ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: وَمَا كَانَ النَّبِيُّ، وَمَا كَانَ مَعَذِبُهُمْ وَفِيهِمْ مِنْ يَسْتَقْفِرُ وَهُمْ الْمُسْتَغْتَفُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ عَجَزُوا عَنْ الْهَجْرَةِ، أَمَا مَا دُونَ عَذَابِ النَّفْثِ فَإِنَّهُ يَقَعُ بِهِمْ إِذَا اسْتَمَرُوا عَلَى حَالِهِمْ.

وهذا معنى قوله وما لهم ألا يعذبهم إلخ، أي أي شيء من القوة ثبت لهم حتى يمنع عنهم عذابنا والحال أنهم يستحقونه بمنهم المسلمين من دخول المسجد الحرام. وقد عذبهم فعلا يقتلهم وأسرهم وهزيمتهم في بدر وهم حين منعوا الناس عن المسجد الحرام لم يكونوا أصحاب الولاية عليه لشركهم بالله صاحب البيت، ولا يصح أن يتولي بيت الله إلا الانتقاء الصالحون، ولكن أكثر الكفار لا يملون، أي لاحق لهم في الولاية على البيت، وقليل منهم يعلم ويعاند ورأى بعضهم أن ضمير أولياءه وأوليائه يعود إليه سبحانه وتعالى ثم بين سبحانه بعض ما يمنع ولايتهم على المسجد فقال: وما كان صلاتهم أي عبادتهم عند البيت الحرام إلا مكاء إلخ..

الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وهو الإسلا، فسيفتقونها في سبيل الشيطان ثم تكون عليهم حيرة عندما لدهاها عبا مع انكسارهم المرة بعد المرة، وفي الآخرة يساقون إلى جهنم فقط لا يرون غيرها. وسيفعل سبحانه ذلك ليميز أى يفضل الخبيث من الطيب فلا يجعلهما سواء كما فى الآية (١٠٠) من سورة المائدة صفحة ١٥٧ ، وآيات (١٨) ، ١٩ ، ٢٠ من سورة السجدة صفحتى ٥٤٦ ، ٥٤٧ ويجعل سبحانه الفريق الخبيث بعضه مضما فوق بعض فيجمعه فى جهنم كما يجمع الحطب حزما فى النار، وهذا إشعار يستهسى الإهانة. أولئك المجرمون هم وحدهم الخاسرون لكل خير. ثم فتح سبحانه باب الأمل فى رحمته فقال: قل لها الننى للذين كفروا إن ينتهوا عما هم عليه ويسلموا يفر الله لهم جميع ما سبق منهم من الكفر والمعاصى ، وأن يعودوا إلى معادتك والصد عن الإسلام فإن الله يفضى فيهم سنته ومريقته التى تفدها فى أمثالهم من الإهلاك كقوم نوح وعاد وشمود وفرعون، فإذا عادوا فقاتلهم أيها المؤمنون حتى لا يقع منهم أبناء لمن يسلم، ويصير الدين كله لله لا يستطيع أحد أن يعذب ويكره أحدا على ترك دينه انظر الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحتى ٥٢ ، ٥٤. فإن انتهوا عن الكفر وقتالك فسيجازيهم الله خيرا لأنه يصير بما يعملون، وإن تولوا وأعرضوا ولم ينتهوا فلا تبالوا بهم وأعلموا أن الله تعالى متولى أموركم ، وهو نعم المولى ونعم النصير، فلا يخاف من يتولاه ، ولا يغلب من ينصيره، وبعد ما نبه سبحانه المسلمين إلى ضرر التواحم على الدنيا وأعلمهم أن الأمر فى تقسيم الأيغال التى هى غنائم الحرب موكل إلى الله ورسوله، أراد هنا أن يبين هذا الحكم فقال: وأعلموا أن ما غنمتموه من شىء ولو كان قليلا، فالواجب أن يقسم إلى خمسة أقسام: خمس لله يصرف فيها يرضيه من مصالح المسلمين العامة، وللرسول يأخذ كفايته وكفاية نسائه.

المفرقات: **أيوم الترقان** ﴿٢٩﴾ من هذه السورة صفحتي ٢٣٠،
وقد أطلق على القرآن وما فيه من الآيات (١٨٥) من سورة البقرة صفحتي ٢٥، ٣٦ و
(٤) من سورة آل عمران صفحتي ١٢ و (١) من سورة الفرقان صفحتي ٤٧٠. ويوم المرقان هو
يوم ١٧ من شهر رمضان من السنة الثالثة من الهجرة، وهذا اليوم حصل فيه أول نزول القرآن

تيسير القرآن الكريم

مَكَانًا وَتَعْبِيدُهُمْ قَدْ جَاءَ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَيُفْعِلُونَ أَتَمَّكُمْ يُضْعِفُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَيُفْعِلُونَ مَا تَكْفُرُونَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ وَعَذَابٌ
كَرِيمٌ إِنَّ جَهَنَّمَ خَيْرٌ لَّكُمْ مِنْكُمْ لَيْسَ اللَّهُ الْغَافِلِينَ ﴿٢٥﴾
الْقَبِيلَ وَيَحْمِلُ الْقَبِيلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيُرِيدُ
جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَلَيْسَ هُمُ الْخَالِفُونَ ﴿٢٦﴾
قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنِّي بَعَثْتُ لَكُمْ رَسُولًا مِمَّنْ لَكُمْ سُلُوكٌ وَإِنْ
يُؤْمِرُوا فَقَدْ رَضَيْتُمْ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٧﴾ وَتَقْبَلُهُمْ خَيْرًا
لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَسَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا اللَّهُ فَإِنِ اتَّخَذْتُمُ قَوْلَ
اللَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ بَغْيًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ
مَوْلَاكُمْ يَمُوتُ أَلَمْ تَعْلَمُوا الْعَصِيدَ ﴿٢٩﴾ * وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَأْتِيهِ الْبُحْبُوحُ وَالْأَرْسُلُ وَيَلْقَى

تغليب المسلمين بمكة وغيرها كما في الآية (١٩١) من سورة البقرة صفحة ٣٧. ﴿ما ضمنت﴾ ما استوليت عليه من الغنائم، والغنيمة في عرف الشريعة ما استولى عليه المسلمون من المقتولات في حرب الكفار عبثاً، أما ما استولوا عليه من الأرض التي تفتح عبثاً فإنه لا يجب قسمتها كالغنائم فيها الإمام بما هو المصلحة.

المعنى: أراد سبحانه أن يبين عدم صحة ولا يثبتهم على المسجد الحرام فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾ الخ، روى أنهم كانوا يطوفون بالبيت رجالاً ونساءً متشاكين بالأذرع وهم يصفرون ويصفقون، ولعلها عادة تسربت إليهم من مزامير بني إسرائيل، فالمراد: وما كانت عبادتهم عند البيت الذي كرمه الله إلا لهوا ولعبا، فقلنا لهم ذوقوا العذاب الذي استحققتموه بسبب كفرهم المتأصل، ومن هذا العذاب ما حل بهم في بدر من قتل وأسر وهزيمة. ثم بين سبحانه ما كان من استعداد قريش لما حصل في بدر وما سيكون منهم لغيرها فقال: ﴿وَإِنْ سَبَّحْنَاهُ مَا كَانَ مِنْ اسْتِعْدَادٍ قَرِيشَ لِمَا جِئُوا بِكُمْ فِي الْبَدْرِ﴾

الجزء العاشر

المفردات: البيت: إذا أُطلق البيت في القرآن فالمراد به الكعبة.

﴿مكة﴾ : هو الصغير.

تَصَدِيقَةٌ : هو التَّصْفِيقُ .

ثم تكون عليهم حسرة ﴿٢٥﴾: انظر الآية (٥٥) من سورة التوبة صفحة ٢٥.

﴿فَإِنْ رَكَمَهُ﴾: يقال ركمه إذا جمع بعضه إلى بعض ، ومنه سبحانه مركوم انظر الآية (٤٤) من سورة الطور صفحة ٦٩٩ .

﴿مضت سنة الأولين﴾: أى طريقة الله فى معاقبة الأولين. ﴿ولا تكون فتنة﴾: المراد بها

(3) مولی:

(۳) وقایع و هم

(٢) الخاصرون.

(1) 100,000.

﴿وحيى﴾: يؤمن ، فالإيمان حياة من موت الكفر كما تقدم في الآية (١٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢ .

﴿قفة﴾: أصل القفة الجماعة ، واستعملها القرآن في الجماعة المقاتلة ، انظر الآية (٢٤٩) من سورة البقرة صفحتي ٥١ ، ٥٢ والآية (١٢) من سورة آل عمران صفحة ٦٤ .

المعنى: ويعطى من هذا الخمس الأول أقرب أهله ﷺ وعشيرته نسباً وولاء ونصرة في الدين، وبينهم ﷺ بأنهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب المسلمون منهم، ويعطى منه أيضاً المحتاجون من سائر المسلمين وهم اليتامى الفقراء والمساكين وابن السبيل، انظر الآية (١٧٧) من سورة البقرة صفحتي ٣٢ ، ٢٤ . وذكر البيهقي مع دخوله في المساكين دفعاً لتوهم أن النسيئة لا يستحقها إلا المجاهد وهو صغير لا يجاهد . والأربعة الأخماس الباقية تقسم على الجنود الذين حضروا المعركة، وقد سقط سهمه ﷺ وسهم قرابته بعد موته .

قسّموا أيها المؤمنون الغنائم كما امرتم إن كنتم آمنتم بالله إيماناً صحيحاً يوجب عليكم طاعته، وأتممت بما أنزلنا على عبدنا محمد من الآيات ، وأتممت بما أنزلنا عليكم عند التقاء جمعكم وجمع المشركين بيد من الملائكة والمطر والنعاس وكل أسباب القوة والنصر . وكل هذا يسير عليه تعالى لأنه سبحانه قدير على كل شيء . واذكروا أيضاً حين كنتم بناحية من وادي بدر قريبة من المدينة والأعداء في الجانب الأبعد منه، والحال أن ركب أبي سفيان الذي كنتم تريدونه في مكان أسفل مما أنتم فيه وهو ساحل البحر بعيداً عنكم ، وكان فرار أبي سفيان إلى الساحل وترك الطريق الأصلي هو السبب في التلاقي في هذا المكان في ذلك الوقت تواعد ولذا قال: ولو تواعدتم أنتم ونفير أبي جهل على التلاقي في هذا المكان في ذلك الوقت لأمكن اختلافكم في الميعاد لتهيبكم الحرب بدون استعداد كما تقدم، ولحصر غرضكم في

أخذ العير، ولأن غرض أكثر المشركين كان إنقاذ العير بدون قتال، ولكن جمعكم الله على غير موعد ولا رغبة ليقضى أمراً كان مقرراً في علمه أنه يفعل وهو قتالهم وهزيمتهم، ليهلك باستمراره على الكفر من أراد ذلك بعد وضوح الحق حتى لا يكون له عند الله يوم القيامة حجة، ويؤمن من آمن عن يقين بأن الإسلام حق ، وأن محمداً رسول الله صدقاً . وأن الله السميع لأقوال الطرفين، عليم بما في صدورهم، وسيجازي كلا بما يستحق . واذكر أيها النبي

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ
ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْقُرْآنِ يُدْعَى
إِلَى الْحَكَمِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ إِنْ أَنْتُمْ
الَّذِينَ دُمُّوهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ
وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافٍ فِي الْيَمِينِ وَلَكِنْ لَيَقْبِضَنَّ اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَقْصُودًا لَكُمْ مِنْ فَكِّ عَنْ يَمِينِهِ وَغِيٍّ مِنْ
حَيْثُ عَنْ يَمِينِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يَرْكُضُهُمُ
فِي مَتْنَانٍ قَلِيلًا دَرَأَ رَاكِبُهُمْ كَبِيرًا تَقَاتُمُ وَلَتُسْرَعَنَّهُ
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَمْعٌ أَعْيُنٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾
وَإِذْ يُرْكَبُونَ إِذِ الْقِتْمَنِ وَأَغْبَكُوكُمْ قَلِيلًا وَيَمْلِكُكُمْ
فِي الْأَعْيُنِ لَقَبَيْتُمْ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَقْصُودًا وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

وموقعة بدر . وقال بعض العلماء أن العادة جرت على أن يجعل اليوم المعين بالعدد محلاً لما وقع فيه من الحوادث وإن كانت في سنين متعددة، فيقولون: في يوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم نجى الله نوحاً، وفيه نجى موسى الخ، فالיום واحد وهو ١٧ من شهر رمضان حصل فيه حادثان عظيمان نزل أول القرآن في ليلته، وقد عهد نسبة ما في الليلة إليها تارة وإلى يومها أخرى، ووقع فيه أول قتال مع المشركين في بدر ، ولا شك أن أعظم نعمة هي نعمة نزول القرآن الفارق بين الحق والباطل إلى قيام الساعة، فهو الأولى

أن يسمى فرقاناً، أما انتصار المسلمين في موقعة أعضها انكسارهم في أخرى وهي أحد كما تقدم في آل عمران فليس له من المنزلة مثل ما نزل القرآن .

﴿الجمعان﴾: جمع المسلمين وجمع المشركين .
﴿العدوة﴾: جانب الوادي وناحيته والمراد وادي بدر .
﴿الدنيا﴾: مؤنث الأدنى بمعنى الأقرب، والمعنى الناحية القريبة من المدينة المنورة .
﴿الركب﴾: المراد به ركب أبي سفيان المشار إليه في الآية (٧) من هذه السورة صفحة ٢٢٧ .
﴿أسفل منكم﴾: المراد في مكان أسفل مما أنتم فيه وهو ساحل البحر كما تقدم .
﴿ولو تواعدتم لاختلفتن﴾: أي ولو اتفقتن على الموعد الذي تقابلتم فيه لاختلفتن فسبق أحدكما الآخر .

﴿لنهلك﴾: المراد بالهلاك هنا الكثر لأنه سببه .

- | | | | |
|---------------|----------------|-------------|---------------|
| (١) اليتامى . | (٢) المساكين . | (٣) أشتم . | (٤) الميعاد . |
| (٥) أراكم . | (٦) لتنازعن . | (٧) آمنوا . | |

الله عز وجل أن يستقيهم هذا العام كؤوس المنيا بدل الخمر، وتتوح عليهم النافحات بدل المغنيات، وذلك لأن الله تعالى محيط بكل أعمالهم وطفانيهم، فلا يفلت منه ظالم، واذكر أنها النبي لقومك حين زين الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم الإجرامية، ومنها البطر والرياء، وقال لهم بوسوسته الخفية: لن يطلبكم اليوم أحد من الناس كافة فضلا عن أتباع محمد الضعفاء، فأنتم أعز العرب نفرا، وإنني مع هذا جار لكم أساعدكم. قال البيضاوي: أوصهم بوسوسته أن أعمالهم التي زينها لهم من عبادة الأصنام والتقرب إليها بالنذور وغيرها نافعتهم ومجيرة لهم من الشدائد فلما تراءت الفتان وقرب كل منهم من الآخر رجع الشيطان إلى الورا، والكلام تمثيل لانتقطاع وسوسته. ثم زاد ما يدل على براءته منهم خوفا من أن يناله ما ينالهم فقال في نفسه: إنني بريء منك لأنني أرى ما لا ترون من مدد الملائكة وقوة المؤمنين المعنوية، إنني أخاف الله أي قال في نفسه أيضا إنني أخاف أن يهلكني الله بأن يسلط على ملكا يحرقني ويكون هذا اليوم هو يوم الوقت المعلوم الذي أنذرتني به في الآية (٢٨) من سورة الحجر صفحة ٢٤٠، ومثل هذا التمثيل سيأتي في الآية (١٦) من سورة الحشر صفحة ٧٣٢. وانكر أيها النبي لأمتك أيضا قول المنافقين في المدينة وهم الذين في قلوبهم مرض النفاق كما في الآية (١٠) من سورة البقرة صفحة ٤، فالعطف للتفسير: قال هؤلاء لما جاءهم الخبر بكثرة المشركين واستعدادهم وعزم المسلمين على قتالهم: ما جعل أتباع محمد يجازفون وهم قلة إلا غرورهم بدينهم الذي يقول لهم إن القليل منهم يغلب الكثير من غيرهم كما في الآية (٢٤٩) من سورة البقرة صفحتي ٥١، ٥٢، فرد سبحانه عليهم بقوله ﴿ومن يتوكل على الله﴾ إلخ، أي فهو الغالب لأن الله عز وجل أي غلب لا يغلب من يتوكل عليه، حكيم لا ينصر إلا صاحب الحق، ثم أراد سبحانه أن يبين كونه شديد العقاب فقال: ولو ترى، أي لو رأيت يا من يصيح منك الرؤية حين قبضت الملائكة أرواح قتلى بدر، وهم يضربون وجوههم إلخ، وجواب لو محذوف، أي لرأيت أمرا عظيما تشعرون منه الأبدان. وضرب الملائكة هنا من عالم الغيب لا يراه أحد، نظير ما تقدم في الآية (٣٧) من سورة الأعراف صفحتي ١٩٧، ١٩٨.

المفردات: ﴿عذاب الحريق﴾: أي المحرق، وهو عذاب النار كما في الآية (١٨١) من سورة آل عمران صفحة ٩٣.

﴿بظلام لليبس﴾: أي ليس بصاحب ظلم كما تقدم في (١٨٢) من سورة آل عمران صفحة ٩٣. ﴿كذاب﴾ أي عادتهم التي دأبوا عليها كما تقدم في الآية (١١) من سورة آل عمران صفحة ٦٤.

آل عمران صفحة ٩٣

وَأَذِّنْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ ۚ وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِكَافِرِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۚ

يفعل بالعبد إلا ما يستحقه، حكيم في أفعاله لا يسوى بين المؤمن والفاسق كما في الآية (١٨) من سورة السجدة صفحتي ٥٤٦، ٥٤٧ والآية (٢٨) من سورة ص صفحة ٦٠٠، وأيتي (٣٥)، (٣٦) من سورة القلم صفحة ٧٥٩.

وعادة هؤلاء الكفار التي داوموا عليها كعادة فرعون وقومه والذين من قبلهم من الأمم السابقة والملوك الظلمة، ثم فسر هذه العادة بقوله: ﴿كفروا بآيات الله﴾ فأخذهم الله بسبب ذنوبهم، ولم يظلم أحدا منهم شيئا، ونصر رسله والمؤمنين. إن الله شديد العقاب لمن يستحقه. ذلك الذي ذكر من عقاب كفار مكة بسبب كفرهم بنعمة الله عليهم بإرسال خاتم رسله منهم، وعقاب الأمم قبلهم بمثل ذنوبهم، كل هذا حصل بسبب أن الله عادل حكيم، فلا يصح في حكمه أن يغير نعمة أعطاها لقوم حتى يغيروا ما كانوا عليه من استقامة استحقوا بها النعمة. وكفار مكة كانوا قبل بعثة محمد ﷺ ينتظرون أن يرسل الله منهم رسولا كما أرسل

﴿إما تتقنهم في الحرب﴾: إما هي (ان وما) زيدت لتأكيد ربط الشرط بالجزاء، يقال يتقنه بوزن سمعه يسمعه معناه ظفر به. ﴿شرد بهم من خلفهم﴾: التشريد والتفريق، والمراد بمن خلفهم كفار مكة وأعوانهم.

المعنى: ويضربون ظهورهم وأفضيتهم ويقولون لهم ذوقوا مقدمات عذاب النار التي ستدخلونها يوم القيامة. وهذا الضرب والقول من الغيبيات لا تطلع عليه ولا تسمعه كما لا نرى ولا نسمع ما يحصل للنائم من شدائد؛ ذلك العذاب، بسبب ما قدمته أيديكم في الدنيا، وبسبب أن الله ليس بصاحب ظلم لعبد من عباده، بل هو عادل في حكمه لا

- (١) وادبرهم.
- (٢) بظلام.
- (٣) آل.
- (٤) بآيات.
- (٥) آل.
- (٦) بآيات.
- (٧) فأخذهم.
- (٨) آل.
- (٩) ظالمين.
- (١٠) عاهدت.

بالإسلام وأهله إلى اليوم. فيا ويلهم إن غفلوا عن إرشاد ربهم، ولما كان الاستعداد للحرب يحتاج إلى مال قال: وما تنفقوا من شيء قل أو أكثر في سبيل الله يؤد إليكم جزاؤه وأفيا يوم القيامة، وأنتم لا تظلمون منه شيئاً. وإن مالوا للصلح فمل إليه أنها النبي لأن دينك دين سلام، وفوض أمرك إلى الله ولا تخف كيدهم، لأنه هو السميع لكل ما يدبرون، العليم بنياتهم. وإن يريدوا أن يخدعوك باظهار رغبتهم في الصلح ليأخذوكم على غرة فإن الله كافيك كيدهم، لأنه هو الذي سبق أن أيدك بنصره في بدر، وبالأُنصار الذين لم يكونوا من بلدك ولا من قومك. ولما كان بين قبائل الأنصار في الجاهلية عداوات وحروب كما في الآية (١٠٢) من سورة آل عمران صفحتي ٧٨، وكان هذا من أهم العوائق لنصره. قال سبحانه ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي نصرك بهم بعد أن ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد حروب استمرت ١٢٠ عاماً، وبلغ من شدتها أنك لو أنفقت ما في الأرض جميعه لتصلح بينهم ما استطعت أن تجمعهم، ولكن نعمة الله عليهم بالإيمان الذي هو أقوى في المودة والمحبة من روابط الأنساب والأوطان جمعتهم، لأن الله عزيز أي غالب لا يعجزه شيء، حكيم في أفعاله فلا ينصر الباطل على الحق. وبعدما أمر سبحانه نبيه بالاستعداد والميل للصلح إذا رغب فيه أعداؤه وطمأنه بالتأييد، أمره بالتعرض على القتال عند الحاجة إليه كبدء العدو بالحرب أو الخيانة في، الصلح فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ إلخ أي كافيك وكافى من أتبعك من المؤمنين شر أعدائكم في الحرب أو الخيانة. فالكفاية الأولى كانت خاصة به ﷺ في حال الخيانة فقط، وهذه عامة له ولأصحابه في كل حال. ولما سمع المؤمنون هذا الوعد العظيم صلبوا يردونه عند كل شدة. أنظر ما حصل في أحد في الآية (١٧٣) من سورة آل عمران صفحة ٩١.

المفردات: ﴿حُرْضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أصل حرض من حرض حرضاً بوزن تعب إذا قارب على الهلاك والوصف منه حرض بفتح الحين على وزن المصدر، يقال رجل حرض أي قريب من الهلاك كما في الآية (٨٥) من سورة يوسف صفحة ٣١٦. وصيغة حرض بتشديد الراء تفيد إزالة الحرض الذي هو القرب من الهلاك، كما يقال مرضت المحموم، أي أزلت مرضه، وقشرت الشجر أي أزلت قشره، ثم استعمل التحريض في الحث الشديد على ما يمنع الهلاك من أول الأمر.

﴿أَسْرَى﴾: جمع أسير وهو ما يقع حيا من الجند في يد الأعداء في حرب.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حُرْضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِنْفَالِ﴾^١ إن يكن ينكر حُرْضَ صَيْرُونَ يَغْلِبُوا مَا تَشَاءُ وَإِنْ يَكُنْ يَنْكُرُ مَا تَقُولُ الْفَاءُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿أَلَمْ تَحَقِّقْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى الصَّيِيرِينَ﴾^٢ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَخْجُنَ فِي الْأَرْضِ يُرِيدُونَ عَرَصَ النَّبِيِّ أَنَّهُ يَرْبُدُ^٣ الْآيَةُ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَّ لَكَ وَمَا أَكْثَرُ عَذَابُ عَالَمٍ﴾^٤ نَكَلًا مِمَّا غَنِمْتَ عَنَّا يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ رَجِيمٌ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ إِنْ يَعْلَمِ

القتال ورغبهم فيه لدفع تعدى الكفار وإعلاء كلمة الحق والعدل على الباطل والظلم. ثم أمرهم سبحانه بأمر جاء في صورة الخبر ليكون كالإشارة لهم فقال ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ إلخ: أي يجب عليكم في حال قوتكم وظهور دولتكم أن يقف المقاتل منكم في وجه عشرة من الكافرين، وذلك لأنهم لا يتمسقون في علم الحقائق كما تعلمون، ولا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا كما في الآية (٧) من سورة الروم صفحة ٥٢١، فلا يدركون مرضاة الله في دفع الظلم وإقرار السلام والحرية، والفوز بإحدى الحسينيين النصر والعهدة، أو الموت شهداء والفوز بنعيم الآخرة. وكان هذا حال المؤمنين في قوتهم.. وقد تواتر في كل التواريخ أن جيوش المسلمين كانت في حرب الروم ٢٤ ألفاً وكان جيش هرقل ٢٠٠ ألف ومع ذلك غلبهم المؤمنون، ولكن لما فسدوا وأهملوا دينهم انقلب الحال، ولن يرجع إليهم عزهم إلا إذا اتبعوا تعاليم دينهم. وبما أنكم الآن أيها المؤمنون ما زلتُم لم تستكملوا قوتكم التي ترهبون بها كل من يريد بكم سواء لضئف عددكم وعدتكم فإن الله يخفف عنكم ويجعل الحكم أنه يجب على

(١) صابرون.

(٢) الآن.

(٣) الصابرين.

(٤) كتاب.

(٥) حلالا.

﴿يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾: أصله من شخن الشيء السائل غلظ ولم يسيل واستقر في مكانه، ثم استعير للشبات الناشئة من القوة والتفوق على الغير، يقال شخن بوزن كرم بكرم بضم الراء، وأشخنه إذا بالغ فيه. ومنه ﴿حَتَّى إِذَا الْخُتْمُوهُمْ﴾ الآية (٤) من سورة محمد صفحتي ٦٧٢، ٦٧٣. والمراد هنا حتى يثبت أمره ويستقر ملكه في الأرض، وتفسير الإثخان بالمبالغة في القتل تفسير بسببه.

المعنى: يأيها النبي حرض المؤمنين على

المفردات: ﴿ورزق كريم﴾: هو الجامع لكل صفات الحسن كما تقدم في الآية (٤) من هذه السورة صفحة ٢٢٧، ولذا فسرهم بعضهم بالجنة.

﴿أولو الأرحام﴾: أصحاب القرابة الذين يجمعهم رحم واحد غالباً.

﴿في كتاب الله﴾: أي حكمه الذي كتبه وقرضه على عباده.

سورة التوبة

﴿براءة من الله﴾: أي تبرؤ

﴿الذين عاهدتم﴾: أي كنتم عقدتم معهم

معاهدة.

﴿فسبحوا في الأرض﴾: أصل السباحة جريان الماء، ثم استعمل في السير الاختياري، أي سبوا في أنحاء الأرض حيث شئتم أربعة أشهر تبتدئ من يوم ١٠ من ذي الحجة كما سيأتي، فهي غير الأربعة الأشهر الآتية في الآية (٣٦) من هذه السورة صفحة ٢٤٦.

﴿غير معجزى الله﴾: أي لا تعجزونه بالهروب منه أو التحصن إذا أراد عقابكم.

﴿وإذا من الله﴾: أي إعلام.

﴿يوم الحج الأكبر﴾: هو يوم عيد الأضحي، لأن فيه تمام أعمال الحج، ووصفه بالأكبر لأن العمرة تسمى حجا أصغر، لأنه يزيد عنها ركناً كما تقدم في الآية (١٥٨) من سورة البقرة صفحة ٣٠.

(١) وجاهدوا.

(٢) كتاب.

(٣) عاهدتم.

(٤) الكافرين.

(٥) أذان.

عليهم بما في صدورهم، حكيم يماثل كلا بما يستحق، ولما فرغ سبحانه من بيان قواعد سياسة الحرب والسلام والأسرى والغنائم، ختم ذلك بما يناسبها من قواعد ولاية المؤمنين بعضهم لبعض بسبب الإيمان والهجرة واختلاف ذلك باختلاف الأحوال، فقال ﴿أَنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...﴾ إلخ، وليبيان ذلك يحسن أن نعلم أن المؤمنين كانوا في عصره ﷺ وهو بالمدينة على أربعة أنواع: النوع الأول: هم المهاجرون السابقون قبل نزول هذه السورة، والثاني: الأنصار وهم من أهل المدينة، والنوع الثالث: المؤمنون من أهل مكة الذين لم يهاجروا، والرابع: المؤمنون الذين هاجروا بعد ذلك، وقد بينت هذه الآيات حكم كل منها، فالقسم الأول والثاني بعضهم أولياء بعض، أي يتولى كل منهم من أمر الآخر ما يتولا لنفسه، فأصبحت مصالحهم مشتركة بينهم كأسرة واحدة، حتى أن المهاجر كان يرث الأنصاري الذي لا وارث له من أقاربه وبالعكس، واستمر هذا التوارث إلى أن نزلت آيات الموارث في أول سورة النساء فتغير الحكم، والقسم الثالث: وهم الذين لم يهاجروا وبقوا بأرض المشركين مالكم من ولايتهم من شيء أي ليس بين المسلمين في المدينة وبينهم موالاة كالسابقة إلى أن يهاجروا فيكون لهم ما لإخوانهم، ولكن لهم عليكم شيء واحد هو أنه إذا تعدى عليهم المشركون لأجل دينهم وطلبوا منكم أن تصبروهم يجب عليكم نصرهم إلا في حالة واحدة هي حالة ما إذا كان المعتدى المقيمين بدار الكفر كفاراً بينكم وبينهم معاهدة ولم تنقض مدتها، فإنه في هذه الحالة يجب تقديم حفظ العهد على نصرتهم؛ وذلك لأن الإسلام شدد في المحافظة على العهد وعاب على اليهود كثرة نقضهم له واستهانتهم به، والله بما تعملون بصير فخافوا مخالفته، وهل رأيت أيها القارئ أنبل من هذه الأخلاق الإسلامية في المحافظة على المعاهدات، والذين كفروا بعضهم بوالى بعضاً في التعاون ضد المسلمين، فيجب أن تحذروهم جميعاً بالمحافظة على كل ما أمركم به، فإنكم إن لم تعملوا ما أمركم به من المحافظة على العهد تحصل فتنة شديدة في الأرض، وفساد كبير بانتشار القوضى وسفك الدماء، ثم بين سبحانه فضل القسمين الأولين وما أعده لهم في الآخرة فقال: والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين أورا ونصروا أولئك هم وحدهم المؤمنون إيماناً حقيقياً، وأعاد ذكر أوصافهم السابقة للإشارة إلى أنها هي سبب استحقاقهم لما بعدها.

قيل آخرها، وكانت مساقفها طويلة شاقة، برز تفارق المناقطين ودماسهم مما سياتى الحديث عنه فى أغلب السورة، عند ذلك بدأ المشركون يتعمرون ويتربصون فى سرائرهم بالمسلمين، فكان من الحكمة وقد ثبت بالتجربة أنهم لا عهد لهم كما فى الآية (٧) التالية صفحة ٢٤٠. ولا يمكن الاطمئنان إلى معاشرتهم فى ظل معاهدات يُسهل لهم شركهم الغدر بها، كان من الحكمة أن يؤمن الله الدعوة من شهرهم، فامر سبحانه أولاً بقطع ما كان معهم من عهود مطلقه لم تنقيد بوقت معين، ومن كان منهم له عهد بأقل من أربعة أشهر يكمل له إلى نهاية أربعة أشهر من هذا التاريخ، ومن كان له مدة فوق الأربعة أشهر يكمل له عهده إلى آخر مدته مهما طالت، وأمر ثانياً بتطهير جزيرة العرب من المشركين حتى لا يبقى فيها دينان انظر الآية (٥) وما بعدها صفحة ٢٤٠، والآية (١٢٢) من هذه السورة أيضا صفحات ٢١٢، ٢١٤، فانزل سبحانه من أول السورة إلى الآية (٢٨) سنة ٩ فى موسم الحج، وقد كان على رأس الحجاج المسلمين أبو بكر رضي الله عنه، فأرسل ﷺ بما نزل عليا بن أبى طالب ليقراه على الناس يوم العيد فى منى، فقرأ عليهم جميعا، وكانوا خليطا من مسلمين ومشركين وقال بعده: لا يقرب البيت بعد اليوم مشرك، ولما سمع المشركون فى الجزيرة ذلك وكانت مكة فتحت فى رمضان سنة ٨ هجرية قالوا بلغ محمد، أننا قد نبذنا عهده وأنه ليس بيننا وبينه سوى السيف، ومعنى الآيات هذه براءة من الله ورسوله إلى كل معاهد من المشركين، فقولوا لهم سيروا فى الأرض حيث شئتم مطمئين مدة أربعة أشهر فقط، وفكروا فيها، فإن رجعتكم عن شرككم فيها وإلا فما أنتم بقادرين على أن تعجزوا الله تعالى إذا طلب إهلاككم، وأنه سيخزيكم بالقتل والنال فى الدنيا وبالعذاب فى الآخرة. وعندما قرر سبحانه الحكم أمر بإعلانه فقال: وأذان فى الناس يوم الحج:.. إلخ، أى هذا إعلان صادر من الله ورسوله إلى جميع الناس يوم الحج الأكبر، وهو اليوم العاشر من ذى الحجة الذى يجتمع فيه الناس بعضى، بأن الله برئ من المشركين، وكذا رسوله برئ منهم ومن عهودهم، وقولوا لهم إن يتيم عن الشرك وانعذر فمعلمكم وهو التوبة خير إلخ. المفردات: هتوليتهم: أى يتيم على التولى والإعراض عن التوبة.

المعنى: لهم مغفرة تامة ماحية لكل ذنب، ولهم فى الآخرة رزق كريم، والمصنف الرابع هم الذين آمنوا بعد نزول هذه الآية وهاجروا وجاهدوا، فالمراد بها جاهدوا وبجاهدوا معكم، فحكم هؤلاء أنهم منكم أيها السائقون يستحقون ما يستحقهم، وسباق الكلام يفيد أنهم أقل درجة عند الله، لأنه جعلهم قسما مستقلا تابعا، وقد صرح بهذا التفصيل فى الآية (١٠٠) من سورة التوبة التالية صفحات ٢٥٨، ٢٥٩، والآية (١٠٠) من سورة الحديد صفحات ٧٩٩، ٨٠٠، والآيات (٨، ٩، ١٠) من سورة العنكبوت صفحة (٧٢١) وقد جاءت مزية السبق مطلقه فى الآيات من (١٠ إلى ٣٦) من سورة الواقعة صفحات ٧١٢، ٧١٤، وجاء تقدير جزائهم على قدر أعمالهم فى الآية (١٩٥) من سورة آل عمران صفحات ٩٥، ٩٦. وعندما فرغ سبحانه من ولاية الإيمان والهجرة فقط أراد أن يبين ولاية القرابة بين أصحاب الولاية السابقة فقال: هزأوا بالرحام بعضهم أولى ببعض أى بعضهم أحق بالإرث من المهاجرين والانصار الأجانب، وهذه الأحقية كتبها الله تعالى وفرضها على عباده، أى فولاية الرحم مقدمة على ما هم أعم منها وهى ولاية الإيمان والهجرة، فإذا استوى رجالان فى نسبتتهما إلى الميت من حيث الإيمان والهجرة وامتناز أحدهما بقرب النسب قدم على الآخر، وهذا الحكم انتهى بنزول آيات المواريث أول سورة النساء. ثم ختم سبحانه السورة بقوله **وإن الله بكل شئ عليم** ليفيد أن ما شرعه من الأحكام فى هذه السورة صادر عن علم محيط بكل ما يتعلق بمصالح المؤمنين، انظر الآية (٥٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٠.

وتسمى براءة. أما تسميتها بالتوبة فلأن قصة توبة كعب بن مالك الآتية فى الآيات (١١٧، ١١٨، ١١٩) صفحات ٢١٢، ٢١٣، أهم توبة شهدتها المسلمون فى عصره ﷺ انظر شرح صفحة ٢٤٧ وفيها إمام المتأخرين عن هذه النزوة، وأما تسميتها براءة فظاهر من افتتاحها ولم تقتنع بالبسملة كغيرها لأنه ﷺ لم يأمر بها، فظن بعضهم أنها مكمللة للاتصال وعددها سورة واحدة مكمللة لل سبع الطوال، وفهم بعضهم أنها سورة مستقلة وتركت البسملة لما قاله ابن عباس أن البسملة فى رحمة وأمان وهذه نزلت لرفع الرحمة والأمان عن المشركين. وسبب نزولها أنه ﷺ لما خرج لغزوة تبوك التى نزل أغلب السورة فيها من أول الآية (٣٨) إلى

﴿استجاركم﴾: أصل معنى استجار طلب الجوار، والمراد استأمنك وطلب منك أن تؤمنه.

﴿مأمنه﴾: المكان الذي يأمن فيه بين أهله.

﴿فما استقاموا﴾: ما اسم شرط يدل على الزمن، والمراد أي زمان استقاموا لكم فيه.

المعنى: فالتوبة خير لكم في الدنيا والآخرة، وإن داومت على إعراضكم فاعلموا أنكم لا تنجرون الله إذا أراد تعذيبكم.

ثم ذكر سبحانه بعضاً من هذا العذاب في أسلوب تهكم بهم فقال: ويشر الكافرين أنها النبي بعذاب شديد الألم. فكانه يقول: إذا تولوا فأحسن خبر يسمعون به هو إنذارهم بالعذاب، ثم استثنى سبحانه من الذين ثبرا من عهودهم وهددهم بالعذاب فقال ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾ ولم ينقصوا شيئاً من عهودكم، ولم يساعدوا عليكم عدواً، فهؤلاء حافظوا على عهدهم تماماً إلى آخر مدتهم، ولا تسوهم بالخائنين: إن الله يحب المتقين لمعاصيه ومنها نقض عهد من حافظ عليه، فإذا انقضت مدة الأشهر الأربعة المحرم عليكم القتال فيها فاقبلوا من تشاءون من المشركين الخائنين للمهد في أي مكان وجدتموهم فيه، وخذوا من تشاءون منهم أسرى، وحاصروهم إذا احتموا في حصن، ولا تمكثوهم من الخروج حتى يسلموا أو يموتوا، واقعدوا لهم في كل مكان ترصدون فيه حركاتهم، وليس المراد الحصر في هذه الثلاث، بل المراد اقلعوا بهم كل ما ثرونه مناسباً للمصلحة ولتدبير شؤون الحرب، وإنما أجاز الأسر هنا وقد كان منه في غزوة بدر في الآية (٦٧) من سورة الأنفال صفحة ٢٢٧، لأن سورة التوبة نزلت سنة ٩ هجرية وقد قوى المسلمون وأصبحوا لا يخشون الأسر، فالحالة هنا تغيرت، فإن تابوا عن الشرك ودخلوا في الإسلام، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فاتركوهم وشأنهم، لأن الله واسع المغفرة فيغفر لهم كل ما سبق، رحيم بعباده المؤمنين.

وبعد أن بين سبحانه حكم التائبين بالفعل أراد أن يبين حكم من يظهر استعداده للتوبة فقال سبحانه ﴿وإن أحد من المشركين﴾ إلخ؛ فهذا تخصيص لقوله السابق ﴿فاقتلوا المشركين﴾ إلخ، فيفيد أن المشركين الذين بلغوا نذر عهودهم أو انتهت مدتها هم على ثلاثة

غير لكو وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله
ويشر الذين كفروا بعتاب أبيهم ﴿إلا الذين عاهدتم
من المشركين﴾ ثم لا ينقصكم شيئاً ولا يظلموكم
عليكم أحداً فاعلموا إليهم عهدهم إن ملئتم
حب التيقن ﴿فإذا سلخ الأشهر الحرم﴾ فاقبلوا
المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم وأحصروهم
واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة فسواء سلبهم إن الله غفور رحيم ﴿وإن
أحد من المشركين استنار﴾ فآزره حتى يسع
كلم الله ثم أبلغ مائة ذليل بأنهم قوم لا يعلمون ﴿كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾ فاستناروا

﴿لم ينقصكم شيئاً﴾: من شروط العهد

وحافظوا عليها تامة.

﴿ولم يظلموكم عليكم أحداً﴾: أي لم

يعاونوا عليكم عدواً.

﴿فإذا سلخ﴾: أصل السلخ الكشط، يقال

سلخت الجلد عن الشاة أي كشطته وفصلته

منها، ولما كان الزمان محيطاً بكل ما فيه،

عبر عن ذهابه بالسلخ، فالمراد انفصلت

وانقضت مدة الأشهر.

﴿الأشهر الحرم﴾: الموهدة المتقدمة في

قوله ﴿فسيجعوا في الأرض أربعة أشهر﴾

وليس في الأشهر الحرم المحرمة على الدوام الآتي ذكرها في الآية ٢٦ صفحة (٢٤٦).

﴿واحصروهم﴾: في المكان الذي تحصنوا فيه وامنعوهم من الخروج منه.

﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾: المرصد المكان الذي يرصد فيه العدو، والمراد مراقبة

مسالكهم حتى لا يفلتوا.

﴿فدخلوا سبيلهم﴾: أي فاتركوا لهم طريق حريتهم.

- (١) عاهدتم.
- (٢) يظلموكم.
- (٣) الصلاة.
- (٤) اتوا.
- (٥) الزكاة.
- (٦) كلام.
- (٧) عاهدتم.
- (٨) استقاموا.

﴿الآ﴾: الإل الرحم والقرابة.

﴿ولا ذمة﴾: أى عهدا.

﴿فقصدا عن سبيله﴾: صد فعل يستعمل

لازما بمعنى أعرض ومتعديا بمعنى منع غيره

والكل هنا صحيح.

﴿وساء﴾: أى قبيح.

﴿كثروا إيمانهم﴾: أى استمروا على نقض

عهودهم التى أكدوها بإيمانهم المغافلة.

﴿وطنوا فى دينكم﴾: عطف لبيان نوع من

أنواع نقض العهد، وليس المراد به تقييد حال

قتالهم بالجمع بين الأمرين الحرب مع الطعن

فى الدين. وإنما المراد أن الحرب نقض للعهد.

والطعن فى الدين نقض للعهد، فهو كما قال الأوسى هو من عطف الخاص على العام لأن

الفعل الواقع بعد شرط يفيد العموم فى مصدره فكانه قال إن حصل منهم نقض للعهد ومن

أفراد النقض للعهد الطعن فى الدين.

(١) باقراهم.

(٢) فاسقون.

(٣) بايات.

(٤) الصلاة.

(٥) وآثروا.

(٦) البركة.

(٧) الآيات.

(٨) إيمانهم.

(٩) هاتلرا.

(١٠) إيمان.

(١١) قتالون.

(١٢) إيمانهم.

لَكَرَّ وَتَقِيْمُوا لَكُمْ اِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْاَتْقِيَّةَ ۝ كَيْفَ
وَاِنْ يَظْهَرَا عَلَيْكَ لَا يَرْفُقْ بِكُمْ اُولَٔئِكَ
يَرْضَوْنَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ يَرْضَوْنَكُمْ
اَشَدَّ وَبِاَيِّتِ اللَّهِ تَعَالٰى فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلٰى سَيِّئَةٍ
اِنَّكُمْ لَسَاءٌ مَا كُفَرْتُمْ بِمَلٰٓئِكَةِ ۝ لَا يَرْفُقُونَ فِىْ مَوَاقِفٍ اِلَّا
وَلَا ذِمَّةً ۝ وَارْتَبِكُمْ اَللّٰهُ لَمَّا كُنْتُمْ تُخْفَوْنَ
الْمَلَائِكَةَ وَكَانَ اَللّٰهُ اَكْرَمَ فَخَرَّكَ فِى الْاَيِّتِ وَيَقْعِلُ
الْاَيِّتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَاَنْ تَكْفُرُوا بِاللّٰهِ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَمَنْ بَعَثَ فِىْ دِيْنِكُمْ نَبِيًّا اَتَىٰ الْاَكْثَرُ
اِنَّهُمْ لَا اِيْنُ لَهُمْ اَللّٰهُمَّ يَتَّبِعُونَ ۝ لَا تُغَيِّرْ قَوْمًا
تَكَفَرُوا اَللّٰهُمَّ وَهُمْ يَنْتَظِرُ الرَّسُوْلَ وَهُمْ يَتَوَكَّرُوْنَ اَوَّلَ
مَرَّةٍ اَعْلَمْتُمْ فَلَمَّا اَخْبَرْنَا اَنْ عَسَوْهٖ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝

اقسام: قسم مُصر على الشرك ومصمم على الخيانة، وهذا يقال فى أى مكان وجد فيه، وقسم تائب وآمن، وقسم يطلب سماع القرآن ليتدبره، فالمعنى: وإن طلب منك أنها التنبى أحد من المشركين الأيمان ليسمع كلام الله ليطلع حقيقة الإسلام فيجب عليك أن تؤمنه، ثم بعد ما يسمع القرآن أبلغه فى أمان إلى دار قومه التى يأمن فيه على نفسه ويكون حرا فيما يختار، وذلك الأمر الذى أمرناك به من تمكينة من سماع القرآن بسبب جهلهم حقيقة الإسلام وإنما دفعهم لحربك عصبيتهم الجاهلية، فإذا بدر منهم استعداد للنظر والتدبر فى القرآن فمكهم، ثم رجع سبحانه إلى بيان الحكمة فى التبرؤ من المشركين وقطع عهودهم فقال: كيف يكون للمشركين المستهينين باليهود المجترئين على نقضها عهد محترم عند الله وعند رسوله والاستهتاهم بالإذكار والتعجب، والمعنى بآية صفة يثبت للمشركين عهد يقره الله ورسوله، وسيأتى تفصيل أسباب عدم احترام عهدهم فى الآيات (٨، ٩، ١٠) الآية فى هذه السورة صفحة ٢٤١، وقبل ذكر هذه الأسباب استثنى سبحانه منهم من حافظ على عهده وهم المشار إليهم فى الآية (٤) هنا، وهم حتى من بنى بكر من كنانة كما تقدم.

وبيان ذلك أن الدين عاهدوه عام الحديبية سنة ٦ هجرية التى ذكرها فى الآية (١٨) من سورة الفتح صفحة ٢٨١، كانوا كفار قريش وقبائل العرب حول مكة، وقد نقض قريش وكثير من العرب العهد، وكان ذلك سببا لغزوة الفتح سنة ٨ هـ، وحافظ على عهده حتى من بنى بكر من كنانة، فهم المقصودون هنا بقوله ﴿ولا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ أى قريبا منه وبحوازه فى الحديبية، وأعاد استثناءهم لبيان تأكيد الوفاء بالعهد مع شرطه الموجب للوفاء وهو الاستقامة فقال سبحانه ﴿فما استقاموا﴾، ولما فتح مكة سنة ٨ هجرية دخل جميع أهلها من قريش فى الإسلام، وبقي قبائل من العرب المشركين حول مكة لم يسلموا، وهم الذين أمر الله سبحانه بنقض عهدهم وحربهم ما عدا من حافظ منهم على العهد.

المعدرات: ﴿يظهروا عليكم﴾: المراد يتشوقون عليكم فى القوة ويظفرون بكم.

﴿ولا يرفقوا فيكم﴾: أى لا يراعون فى معاملتكم.

﴿أئمة الكفر﴾: صناديده وزعماءه.

﴿لا أيمان لهم﴾: المراد ليس لهم إيمان يوثق بها.

﴿الآء﴾: كلمة مركبة من همزة استفهام استنكاري تقيد النفي، ومن اللام النافية.

ومجموعهما يفيد الحث والتحريض على ما بهما.

﴿تقاتلون قوما﴾: المراد بهم الذين كانوا حول مكة ولم يدخلوا في الإسلام بعد وكانوا تبعاً

لقريش فيما يأترون به ويعادون النبي ﷺ قد جاء ما يؤيد ذلك في المنار جزء ١٠ صفحات

١٥٠، ١٥١، ١٨٣، ٢٣٥. ﴿هموا بإخراج الرسول﴾: عندما تأمروا على حبسه أو إخراجاه أو

قتله، كما تقدم في الآية (٢٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١.

المعنى: فاستقيموا لهم محافظين على العهد ماداموا مستقيمين عليه، إن الله يحب

المتقين لكل معصية ومنها الغدر، ثم شرع سبحانه في بيان أسباب عدم احترام عهدهم

المشار إليه سابقاً فقال ﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾ إلخ، أي كيف يكون لهم عهد محترم وهم

إن يظفروا بكم لا يراعون في معاملتكم حقوق قرابة ولا عهد، وفي حالة ضعفهم يرضونكم

بكلام عذب فيه إظهار محبتكم وحب الخير لكم، وهذا الكلام مجرد أنفاظ تخرج من أفواههم

فقط ولا صلة لها بما في قلوبهم، لأن قلوبهم المملوءة بالحق والحسد تأبى أن توافق أفواههم

كما قال سبحانه في موضع آخر ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ الآية (١١) من سورة

الفتح صفحتي ٦٧٩، ٦٨٠، وأكثرهم فاسقون أي خارجون على قيود العهد والطاعة.

ثم بين سبحانه بعضاً من أسباب فسقهم فقال ﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ أي

استبدلوا بامتثال آيات الله التي تأمر بالاستقامة والمحافظة على العهد ثمناً قليلاً من حطام

الدنيا والافتعاس في الشهوات، فأعرضوا عن الحق بسبب هذا الاستبدال الخسيس وصرفوا

غيرهم عنه، إنهم قبح عملهم الذي استمروا عليه حتى صار طبعاً لهم فهم بسبب ذلك لا

يقتصرون في عدم احترام القرابة والعهد عليكم فقط، بل هذا هو طبعهم مع كل مؤمن. أولئك

هم وحدهم المعتدون على حدود الله، ثم بين سبحانه ما سيكون منهم في المستقبل وأنه لا

يتعدى أحد أمرين فقال: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فهم حينئذ إخوانكم في

الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وبهذه الأخوة يسقط كل ما سبق من عداوة. ﴿ونفصل

الآيات﴾ أي نأتى بها مفصلة ومبينة للحق والباطل، والفضيلة والردية، ينتفع بها الذين يطمون

العلم النافع فيصلون لمعرفة الحق وإن استمروا على نقض أيمانهم التي أكدوا بها عهودهم

لكم وطعنوا في دينكم كعادتهم فتقاتلوهم لأنهم صناديد الكفر وقواد، كما أنهم في الحقيقة لا

أيمان لهم محترمة، فتقاتلوهم راجين بذلك أن ينتهوا عن الكفر والفساد. ولما كان بعض

المسلمين يظن أنه لو أمهل هؤلاء الكافرين لآمنوا، كما تقدم في الآية (٢١٦) من سورة البقرة

صفحة ٤٢، قطع سبحانه هذا الظن بالحث على قتالهم فقال ﴿لا تقاتلون﴾ أي كيف لا

تقاتلون ﴿قوما نكثوا أيمانهم﴾ التي أكدوا بها العهد المرة ثلث المرة، وقد سبق منهم بمكة أنهم

تبعوا قريشاً فيما مضى وهموا بإخراج الرسول على الوجه الذي كانوا يريدونه كما تقدم في

الآية (٢٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١، وهناك بينا سبب ذكر الخروج فقط، وهم الذين

بدعوكم بالإبداء والفتنة بمكة، وبتمصمهم على القتال في بدر بعد علمهم بنجاة العير كما

تقدم في أسباب الحرب في بدر في سورة الأنفال، وبمجيئهم لأحد كما تقدم في الآية (١٢١)

من سورة آل عمران صفحة ٨٢، وانظر آيات (٢، ١، ٣) من سورة الممتحنة صفحة ٧٣٤.

٧٣٥. فهل مع كل هذا تخافونهم؟ لا تخشوهم فالله وحده هو الذي أحق أن تخشوه، لأنه يضمر

ويشع وهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً، إن كنتم مؤمنين حقاً. وهذا تحريض شديد على كف شر

هؤلاء المشركين الذين بقوا حول مكة متمسكين بشركهم، وكانوا يشاركون قريشاً قبل فتح مكة

وإسلام أهلها في كل تدبيرهم ومكائدهم للنبي ﷺ ومتضامنين معهم في حروبهم للمسلمين.

فكل ما كان ينسب لقريش قبل إسلامها فهو ينسب إليهم.

المفردات: ﴿ثم﴾: تقدمت في الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢ إنها تقيد الاستفهام

المتعجب.

المفردات: ﴿وترى صورا﴾: انظروا.

﴿يرأى الله بأموره﴾: أى يعذاب بأمور
بأنزله بكم.

﴿ومواطن﴾: جمع موطن، والمراد به هنا
المكان الذي وقعت فيه حرب.

﴿يوم حنين﴾: هو يوم السبت ١٦ من شوال من
السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة مباشرة.

﴿فكشركم﴾: فكأنوا أثري، عشرين ألفا
١٧٠٠٠، وهو عدد لم يبلغه جيش
المسلمين قبل ذلك.

﴿فوضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾:

الرحب السعة، والباء بمعنى مع، و(ما) تجعل ما بعدها مصدرا، فالعنى ضاقت عليكم الأرض
مع سعتها.

﴿أنزل الله سكينته﴾: السكينة اسم الحالة النفسية الحاصلة من طمأنينة القلب وعدم الاضطراب.

﴿فنجس﴾: أصل النجس بالفتح مصدر نجس الشيء من باب تعب، فالشئ نجس نجس بكسر
الجيم، وأريد بالمصدر هنا الشخص النجس بالكسر مبالغة، ومنه شريد خبيث النفس يضر
من يتصل به. ﴿وعامهم هذا﴾: هو سنة تسع هجرية.

﴿وعيلة﴾: فقرا.

المعنى: إذا كان واحد مما ذكر من الآباء وما بعدهم أحب إليكم من الله ورسوله ومن

الجهاد في سبيل الله فائتم ضعاف الإيمان أو منافقون، ومن كان هذا شأنهم فليتظنوا ما

(١) الفاسقين.

(٢) الكافرين.

(٣) قائلوا.

وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ مَن يَشَاءُ خِطَّى بِأَنِّي اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَكَأَنَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٧﴾ لَقَدْ تَعَزَّزَ اللَّهُ فِي مَوَاقِفٍ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُوزُكُمْ فَلَمْ تُفَكِّرْ عَنَّا
شَيْئًا وَفَاقَتْ عَظِيمَكُمْ أُولَئِكَ الْأَرْضُ يَا رُحْمَتٌ ثُمَّ دَلَّيْنَا
مُتَّبِعِيَّ ﴿١٠٨﴾ ثُمَّ أَزَلَّ اللَّهُ سَبِيلَكُمْ عَلَى رُسُولِهِ وَوَلَّى
النَّبِيِّينَ وَأَرْزَلَ جُيُوشَ أَرَضِيَّتِهِ وَعَدَّيْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا
وَوَدَّيْنَا جَرَاءَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ يُرَبُّ اللَّهُ مَن يُعِدُّ
ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ فَتُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ بِأَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّا الْفَرِيقُونَ نَجِسٌ فَلَا يَفْرُقُوا الْمُسْلِمِينَ الْأَرَامَ
بَعْدَ عَامِهِمْ حَقًّا وَإِنَّا نَجِفُّ عَمَلَكُمْ فَيُفَكِّرُ اللَّهُ
مِن قَبْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١١﴾ قَتَلْنَا
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ

الحكم، لأنه وضع للشئ في غير محله. ثم بين سبحانه الحكم الصحيح على أبلغ وجه فقال
﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ من
غيرهم ممن عمل صالحا غير عملهم، فضلا عن لا عمل له من الخير إلا السقاية والعمارة،
وهم المشركون الذين يظنون ذلك. وأولئك هم المنافقون بالنعيم الممتاز الذي يتيه بعد ذلك
بأنه نعيمان: أحدهما روحاني وهو أعلاهما، والآخر جسماني، فقال: يبشركم بهم على لسان
ملائكته عند الموت برحمة عظيمة خاصة بهم فوق الرحمة العامة الشاملة لكل مخلوق كما
في الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧، وبرزوا منه أكبر لا يخالفه ولا يعقبه
سخطا؛ فالنعيم الروحاني قسمان: عطف وإحسان خاص، ورضا لا يقدر قدره أحد. والنعيم
الجسماني جنات تجري من تحت غرفها الأنهار لهم فيها نعيم من كل ما تشتهيه الأنفس وتلذذ
العين فوق نعيم من لم يعمل عملهم من السابق إلى الإيمان والهجرة والجهاد، انظر من الآية
(١٠) إلى الآية (٣٦) من سورة الواقعة صفحة (٧٣، ٧٤). مقسم أى لا يزول حال كونهم
خالدین في تلك الجنات أبدا، وكل هذا ليس بعيدا عليه تعالى، لأن له أجر عظيم لا يعرف
قدره غيره سبحانه. ولما كانت علاقات القرابة والنسب وتشابك المصالح مازالت قائمة بين
المؤمنين وبين بعض المشركين المقيمين حول مكة وفي أنحاء الجزيرة، وكان بعض المسلمين
يجول في نفسه اللغور من قتالهم لظنه أنه أصبح أمنا من تقوهم، ولرجاء إيمانهم كما تقدم،
والله يعلم أنهم خيلاء لا يصلح معهم إرشاد. حذر المسلمين من اصطفاء أحد منهم فقال: لا
تتخذوا آباءكم وأخوانكم أصفياء تطعنونهم على أسرار أمتكم ما داموا يستحقون الكفر
ويقدمونه على الإيمان بالله ورسوله، وبعد هذا التحذير فمن يتوهم منهم فهو الظالم لنفسه
بتعريضها لنفس الله وسخطه. ثم هدد سبحانه بما هو أقوى في منعهم فقال: قل لهم أيها
الذين إن كان آباؤكم الذين تقاضون بهم وتعززون بالنسبة إليهم كما تقدم في الآية (٣٠) من
سورة البقرة صفحة ٣٩، ٤٠ وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اكتسبتموها
بهجودكم فهي عزيزة عليكم وتجارة تخافون بوارها ومساکن ترضونها، إن كان كل هذا مما
تركتموه وراءكم أحب إليكم من الله ورسوله إلخ.

يأمر الله به لهم من العذاب والبعد عن هدايته، لأن الله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته المفضلين غيره عليه.

ثم أراد سبحانه أن يبين للمسلمين أن الخير ليس في ولاية الأقرباء غير المسلمين بل في طاعة الله، لأنه هو الذي يضر وينفع، فقال مخاطباً المؤمنين: ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة من مواطن القتال مع قلة عددكم وعدتكم كيوم بدر وخيبر والأحزاب وفتح مكة وقتال يهود قريظة والتضيير إلى غير ذلك، وخص يوم حنين لما فيه من العبر الكثيرة فقال (ويوم حنين) أي واذكروا يوم حنين حين أعجبكم كثرتكم وكانت الحرب فيه بين المسلمين وبين هوازن وثقيف وكان جيش الكفار نحو ثلاثين ألفاً، وكان في جيش المسلمين عشرة آلاف ممن جاءوا من المدينة لفتح مكة وألفان من أهل مكة الذين أسلموا حديثاً، وكان فيهم ضعاف الإيمان الذين تسببوا في الهزيمة أول الأمر، ولما رأى بعض المسلمين كثرة جيشه قال: لن تغلب اليوم. فسمعها ﷺ فلم تعجبه، لأنها تدل على الغرور وعلى اعتماد الشخص على كثرة العدد، والغفلة عن الله سبحانه وقد كان ما خشيته ﷺ؛ فلما التقى الجمعان وهزم المشركون سارع أهل مكة لجمع الغنائم وتركوا الحرب، فارتقى جنود المشركين أعلى الجبال من خلف المسلمين واشتدوا في ضربهم، فذعر المسلمون واختلط الأمر، و أشيع أنه ﷺ قتل، ففر جيش المسلمين مسرعاً في الإديار، وعند ذلك أنزل الله سكينته على رسوله وعلى نحو ثمانين (٨٠) من المؤمنين معه، وأنزل جنوداً روحانية من الملائكة لم تشاهدها بأعينكم ولكن وجدتم أثرها في قلوبكم من الشبات بعد الإنهزام، وسيأتى توضيح ذلك في الآية (٤٠). وقد بقى ﷺ راكباً بغلته كالطود الراسخ يقول منادياً (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب).

فسمعه بعض المسلمين فتنادى في المتهزمين أن رسول الله لم يصب بسوء، فرجعوا وسيوفهم تلمع كأنها الشهب، فظن المشركون أن هذا مدد جديد أدرك المسلمين، فوقع في قلوبهم الرعب، فانهزموا وتركوا وراءهم نساءهم وأطفالهم وجميع أموالهم من إبل وبقر وغنم، وكان ذلك جزاء الكافرين في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد. ثم يتوب الله من بعد ذلك على

من يشاء منهم، وهم الذين أيقظتهم الحوادث، وكشفت غشاوة قلوبهم من المؤمنين الفارين، والله كثير المغفرة لمن رجع إليه، زحيم لا يعجل العقوبة. ومن أراد تفصيل ما حدث في هذه الغزوة وسبب انكسار المسلمين أولاً وانتصارهم ثانياً، والعبر الكثيرة في ذلك، فليرجع إلى شرح حديث رقم ٤٠١ من كتابنا صفوة البخاري.

وبعد ما بين سبحانه ما كان من شأن المشركين مما تقدم في الآية (١٧) المتقدمة صفحة ٢٤٢، وغيرها أمر بإبعادهم عن المسجد الحرام فقال:

يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون أشرار خبيثاء، فلا تعلموهم يقربون المسجد الحرام بعد عامهم هذا. ولما كان أهل مكة ينتفعون بكثرة الحجاج والمستمزين، وكان المشركون يحجون ويعتصرون على طريقتهم المشوبة بالشرك، طمأن سبحانه أهل مكة بقوله ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ من الغنائم وكثرة الحجاج من المسلمين وغير ذلك، وقوله (إن شاء) ليعلمنا أن نرجع كل الأمور إليه سبحانه ونقطع النظر عن غيره، إن الله عليهم بالمخلص منكم، حكيم فيما يعطي ويمنع. وبعد أن فرغ سبحانه من الكلام على مشركي العرب أراد أن يظهر الجزيرة من أهل الكتاب أيضاً إذا لم يستقيموا ويخضعوا لحكم الإسلام، وهذا تهديد للكلام في غزوة تبوك مع الروم وهم أهل كتاب وما فيها من فضيحة المناقطين كما سيأتى، فقال:

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون﴾ إلخ؛ أي قاتلوا من اجتمعت فيهم أربع صفات سلبية هي سبب عداوتهم للإسلام: الأولى: أنهم لا يؤمنون بالله على الوجه الحق لأنهم عدوه، فبعض اليهود قال العزيز ابن الله، والتصارى جعلوا المسيح إلهاً أو ابناً له، والجميع اتخذوا من أحبارهم ورهبانهم أرباباً لهم كما سيأتى والثانية عدم إيمانهم باليوم الآخر على الوجه الصحيح لأنهم يقولون إن الحياة فيه روحية فقط يكون الناس فيها كالملائكة، والصحيح أن الإنسان فيها هو الإنسان بجسمه وروحه، ويقول اليهود لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة كما في الآية (٨٠) من سورة البقرة صفحات ١٥، ١٦، إلى غير ذلك ما يضعف قيمة الإيمان باليوم الآخر. انظر الآية (١٦٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٠، ولا يحرمون أي يحلون ما حرم الله...

بما يروونه من عدلهم، وفضائلهم، التي يشاهدونها في معاملتهم، ويدركون أنها أقرب إلى هداية أنبيائهم، كأنه يقول: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر... إلى أن قال: ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب، أي قاتلوا من ذكر عند وجود مقتضى القتال، كاعتداء عليكم، ومساعدة عدوكم، وتهديد أمكم بأى صورة من الصورة، حتى تأمنوا عدوأنهم... يخضعون لدولتكم، ودفع الجزية، لتكون مقابل ما يدفعه المسلم من الزكاة، ليصرف من الجميع في مصالح الدولة.

﴿عزيز﴾: من يسميه أهل الكتاب عزرا.

﴿بأقارهم﴾: أى قولا وكلاما لا يقصد الفم إلى العقل، لأنه باطل لا يستند إلى دليل، انظر الآية (٥) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠، والآية (٤) من سورة الأحزاب صفحة ٥٤٩.

﴿يضاهون﴾: يشابهون ويحاكون به. ﴿وانى﴾: أى كيف.

﴿يرفكون﴾: يصرفون عن الحق. ﴿أجبارهم﴾: جمع جبر بفتح الجاء وكسرهما وهو العالم من أهل الكتاب.

﴿رهبانهم﴾: جمع راهب، وأصله عند النصارى المتقطع للعبادة، والمراد به هنا ما يشمل المتعبد عند الجميع. ﴿نور الله﴾: المراد به القرآن وما فيه من الهداية، انظر الآية (١٦٢) من سورة النساء صفحات (١٢٠، ١٢١)، والآية (٨) من سورة التغابن صفحة ٧٤٦.

﴿يظهروه﴾: يعليه بقوة البرهان ووضوح تعاليمه ومواقفته للعقول السليمة ولمصلحة الناس كافة، انظر ما تقدم فى شرح الآية (٩٢) من سورة البقرة صفحات (٢٧، ٢٨، ٢٩).

المعنى: قاتلوا الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله فأكلوا السحت والربا ولحم الخنزير، وقاتل بعضهم بعضا كما فى الآية (٨٤) من سورة البقرة صفحة ١٦، وانظر آيتى (١٢، ١٣) من سورة المائدة صفحة ١٤٩، ولا يتدينون بدين الحق الذى فى كتبهم بل حرقوه وبللوه، ثم بين سبحانه هؤلاء الذين جمعوا بين كل هذه الجرائم فقال: ﴿ومن الذين أوتوا الكتاب﴾: فقاتلهم عند وجود مقتضى للقتال كإظهار المعاداة لكم والاتصال بعدوكم أو فعل أى شئ مما يهدد

ما من لله ورسوله ولا يدينون الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يظفوا لكم من يدوهم مشركون. وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولكم يا فوضوهم يفسدوهم قول الذين كفروا من قبل قل الله أعلم بما فى صدورهم ان يؤفكون. ان الذين أجابوكم ورويتهم أنيابا بن من الله واليسوع ابن مريم وما أمرنا إلا بعبادتنا إنا نحن وحدنا لا إله إلا هو فمخترت عن غيركم. يريدون أن يطفئوا نور الله بأقوالهم ويأبى الله إلا أن يثبت نوره ويذكره الكافرون. هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولذكره الأشركون. * يأتى الذين آمنوا أن

فيقال ليس لى بكذا يد، أى لا أقدر عليه، فالمراد ألا يهرق بما يشق عليه.

﴿روهم صاغرون﴾: أى خاضعون لحكم الدولة غير متبردين. وقيل فى المنار عند هذه الآية: اليد السعة والقدرة، فلا يظلمون ولا يرهقون، فهذا القيد لمصالحهم، والقيد الثانى لمصالح المؤمنين، وذلك بخضوعهم لسيادة المسلمين، وبهذا يكون قد مهد السبيل لهدايتهم للإسلام.

(١) الكتاب

(٢) صاغرون

(٣) النصارى

(٤) بأقارهم

(٥) يضاؤون

(٦) قاتلهم

(٧) ورهبانهم

(٨) واحدا

(٩) سبحانه

(١٠) يطفئوا

(١١) بأقارهم

(١٢) الكافرون

المفسدورات: ﴿والذين أوتوا الكتاب﴾: هم اليهود والنصارى ومن فى حكمهم كالصابئين المتقدم ذكرهم فى الآية (١٧) من سورة البقرة صفحات ١٢، ١٣، والمراد بالكتاب جنسه فيشمل التوراة والإنجيل والزيور وغيرها.

﴿الجزية﴾: هى مقدار من المال يدفعه

الكتابى على قدر طاقته مجازاة عن تكفل

الدولة بحماية نفسه وماله وعرضه ودينه،

وإلا يكلفه يحرب إذا تطوع.

﴿حسنى يعطوا الجزية عن يد وهم

صاغرون﴾: ﴿ومن يد﴾ تطلق اليد على القدرة

أمنكم حتى يعطوا الجزية كل بحسب قدرته وهم خاضعون لحكمكم ومحافظون على نظام دولتكم. ثم يَبَيِّن سبحانه بعض ما تقدم مجملا فقال: وقالت اليهود أى بعضهم عزيز ابن الله، ويقال إن هؤلاء قد انقضوا وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك القول الذى قالوه عن العزيز والمسيح قول صادر من الفم فقط ليس له فى الوجود حقيقة، إن هو إلا محض افتراء يهاهون به قول الكفار قبلهم من مشركى العرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، سبحانه عما يصفون انظر شرح الآية (١١٦) من سورة البقرة صفحة ٢٣، وبراهمة الهند والبوذيون والصينيون الذين يقولون بحلول إلهه فى بعض المخلوقات سبحانه ربنا عما يصفون. فالمراد تسفيهه الكتابيين بأن عقيدتهم تسريت إليهم من المشركين قبلهم، فهم لهذا يستحقون أن يدعى عليهم بالهلاكي، ويقال فيهم قاتلهم الله، كيف يصرفون أنفسهم عن معرفة الحق الواضح.. ثم أراد سبحانه أن يبين شيئا من هذه المضاهاة فقال: اتخذوا رجال دينهم وعبادهم أربابا أى أنزلوهم منزلة الرب فى تحليل الحرام وتحريم الحلال؛ ورد فى الحديث الصحيح أن بعض من أسلم من أهل الكتاب لما سمع هذه الآية قال يا رسول الله ما كنا نجعلهم أربابا، فقال ﷺ: أليسوا كانوا يحرمون لكم ويحلون وتتبعونهم؟ قال: نعم، فقال ﷺ: هو ذلك، لأن هذا لا يكون إلا من الرب سبحانه، وقد اتخذ النصارى فوق ذلك المسيح بن مريم رباً لهم حيث جعلوه ابن الرب سبحانه ربنا عما يشركون، والحال أنهم جميعا ما أمروا فى كتبهم وعلى لسان رسلكم إلا ليعبدوا الله إلهها واحدا، لأنه لا إله إلا هو سبحانه، أى تنزيها له تعالى عن شركهم له غيره فى الألوهية والربوبية يريد هؤلاء الكتابيون أن يطفئوا نور الله الذى أفاضه على الخلق فأصبح ساطعا كالشمس بأفواههم الهزيلة، والكلام تسفيه لقولهم وإظهار لطيفهم بمظهر من يظن أن ضوء الشمس فى علاها كضوء فتيلة الزيت يطفئه نفس الطفل الخافت، أى فهم محاولة فاشلة، لأن الله لا يريد إلا أن يتم نوره ببعثه خاتم النبيين والرسول إلى الخلق أجمعين ولو كره الكافرون، ثم أراد سبحانه أن يبين كيف يتم نوره فقال هو الذى أرسل رسوله محمداً بالهدى الأكمل ودين الحق الثابت الذى لا يتسخه دين بعده، يجعله مستتباً على كل دين، لما فيه من حجج قاطعة وعلم صحيح، ووضوح عقائده، ولموافقة شرعه لمصالح الناس كافة، ولو كره المشركون هذا التثوق.

كثيراً من الأخبار والأخبار تأكل أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكفرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيترهم يتعاب السر يوم يحسب عليها نار جهنم فتكون بها جهنم وجنهم وظهورهم هذا ما كثرتم لأنفسكم قدوة ما كنتم تكفرون (٩١) إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا في أنفسكم وكتبنا للشركين حاقة كما ينقلبون زبانية في الكفر يضل به الذين كفروا إنا أنزلنا ما علموا أن الله مع المتقين (٩٢) ليواظبوا على ما علموا أن الله حرم الله

﴿عدة ما حرم﴾: أى عدد الشهور المحرمة بتقطع النظر عن تعيينها.

المعنى: بعد أن بين سبحانه سوء حال اتباع الأخبار والرهبان فى تضليلهم لأتباعهم، ليحذر المؤمنون من أن يبين بعضا من حال هؤلاء الأخبار والرهبان فى تضليلهم لأتباعهم، ليحذر المؤمنون من الوقوع فيما وقعوا فيه فقال مؤكدا ما حصل منهم: ﴿يأنها الذين آمنوا إن كثيرا من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ من السحت والرشاوى لتخفيف أحكام التوراة كما تقدمت الإشارة إليه فى الآية (٩١) من سورة الأنعام صفحة ١٧٧، والآية (١٦٩) من سورة

- (١) أموال.
- (٢) بالباطل.
- (٣) كتاب.
- (٤) السموات.
- (٥) قاتلوا..
- (٦) يقاتلونكم.
- (٧) ليواظبوا.

المفردات: ﴿فى كتاب الله﴾: فيما كتبه

وقدره فى الأزل.

﴿أربعة حرم﴾: مفرداتها حرام كسحب

مفرداتها سحاب، ونسبت بذلك لأن الله حرم

فيها القتال على لسان إبراهيم وإسماعيل.

﴿القيم﴾: المستقيم.

﴿النسب﴾: مصدر كالحرقيق والصهيل، من

نسأ الشيء نسأ أى أخره، والمراد هنا تأخير

حرمة شهر إلى آخر.

﴿ليواظبوا﴾: ليواظفوا.

تلاعب بعض رؤسائهم كما سيأتي. وذلك التحريم لهذه الأشهر الأربعة هو دين الله المستقيم الذي لا عوج فيه، فلا تظلموا أنفسكم في هذه الأشهر بانتهاك حرمتها والقتال فيها، وقالوا المشركين جميعا كما يتناولونكم جميعا، واعلموا أن الله مع المتقين لما يفضيه، معهم نصره وتأييده. ثم بين الله بعض جرائم المشركين في هذا الموضوع فقال:

إنما النسوة الذي يفعله مشركو العرب كفر يضاف إلى كفرهم الأساسي، لأن تحليل ما حرم الله كفر كما أن شركهم به تعالى كفر. وبيان ذلك أن العرب كانوا لا يقطعون عن الغزو والعرب فينتهب القادر منهم الضعيف، فإذا ما اشتبكت قبيلتان في حرب ودخل شهر من هذه الأشهر الأربعة، أو طال عليهم انتظار الشهر الحلال وخاصة في مدة الثلاثة شهور الحرم المتوالية، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، فإن القوي منهم يعلن في قومه أنه أحل لهم شهر المحرم مثلاً، وينقل حرمة إلى شهر صيفر، فإذا جاء العام التالي ووجد أن الحالة تستدعي القتال في صفر فإنه ينقل التحريم إلى شهر ربيع وهكذا، وكان أول من فعل ذلك زعيم منهم يسمى (التمس) بفتح القاف واللام وتشديد وفتح الميم. فهذا النسوة يضل به زعماء المشركين أتباعهم حيث يوهمونهم أن الله أجاز لهم حق نقل الحرمة من شهر إلى آخر، فكانوا إذا أحلوا شهراً حرموا الآخر مكثفين بأنهم وافقوا عدد الأشهر التي حرم الله القتال فيها.

ولكن هذا تحليل منهم، لأن الله حرم أشهراً معينة فطاعته تقتضي المحافظة على الحرمة، وعلى الأشهر التي عينها سبحانه على لسان أنبيائه إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم السلام فمثمهم في باطلهم كمثل من يصوم بدل شهر رمضان شهر شوال مثلاً، فإذا ما سئل يقول إن الله أوجب على صوم شهر وقد صمته مع أن الله أوجب عليه صيام شهر معين لا مطلق شهر، فالتلاعب به كفر صريح.

المفردات: ﴿وما لكم﴾: الاستهزاء بالإكثار والتوبيخ، والخطاب للمسلمين.

﴿أنتمروا﴾: أسرعوا في الذهاب إلى ما يرضى الله.

﴿وأناتلتم﴾: أضلها بتألفتم أي بتباطؤكم.

الأعراف صفحته ٢٠. ومن استحل أرواح أموال غير اليهود كما في الآية (٧٥) من سورة آل عمران صفحتي ٧٤، ٧٥، وما يأخذ رجال الكنيسة ليغفروا الذنوب ويدخلوا الجنة، إلى غير ذلك، والمراد بالأكل مطلق الأخذ كما تقدم مكرراً في أول سورة النساء صفحة ٩٧ ويصدون الناس عن سبيل الله ودينه الحق الموصل إلى الجنة محافظة على رؤسائهم. ثم حذر المسلمين من المبالغة في حب المال حتى لا يكونوا مثلهم فقال:

﴿والذين يكتزون الذهب والنفضة﴾ يمنع حقوق الله فيهما وحقوق الفقراء، ولذا قال ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ وهو طريق الخير للمسلمين ﴿وفيشركهم بعباد أئيم﴾ يلاقيهم يوم يحصي على هذه الأموال في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم أي محيطه بهم من كل جانب، ويقال لهم إن هذا الذي تكون به هو ما كنزتموه ولم تعطوا منه حقوق الله والناس، فذوقوا اليوم وبال كنزكم، وعبر عن الخير السيئ بالتبشير وهو لا يكون إلا بخير للسخرية بهم كما تقدم مراراً، وتخصيص الذهب والنفضة بالذكر لأنهما الغالبان في أساس المعاملة في ذلك الوقت لا لخصوصهما وذاقهما، فالمراد كل ما يعتقده الناس أساس تعامل بينهم، والله قادر على أن يجعل غير الذهب أشد في الإحراق منه، هذا إذا لم يقل إن الكلام كناية عما سيئال الذين يكتزون الأموال ولا ينفقونها في سبيل الله من المذاب الشديد في الآخرة. ثم رجع سبحانه إلى الكلام عن أحوال المشركين وما يطلب في معاملتهم بعد الفتح، بعد أن ذكر شيئاً من أعمال أهل الكتاب التي اشتركوا فيها مع المشركين.

فقال: ﴿إن عدة الشهور...﴾ الخ، المراد أن عدد شهور السنة اثنا عشر شهراً فيما قدره الله لنظام خلقه ليعملوا به في عباداتهم كالحج والصوم، ومعاملاتهم كالإجارة والبيع، أنظر الآية (١٢) من سورة الإسراء صفحتي ٣٦٥، ٣٦٦. وهذه الأشهر اثنا عشر كتبها الله وقدرها على هذا النظام من يوم أن خلق السموات والأرض وجعل منها على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام أربعة أشهر يحرم القتال فيها، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وكانت العرب تعترم ذلك التحريم حتى إن الرجل منهم يلقب قاتل أبيه فيها فلا يسمه بسوء، إلى أن

﴿خفافاً﴾: جمع خفيف، وتكون الخفة بسبب الصحة والنحافة والشباب والنشاط وعدم الشواغل.

﴿ثقالاً﴾: جمع ثقیل، ويكون الثقل بسبب مرض أو سمن أو كبر أو كسل أو شواغل.

﴿كلمة الدين كفروا﴾: هي كلمتهم التي اتفقوا فيها على قتله ﷺ، وكانوا مجتمعين في دار الندوة فتجاه الله سبحانه من كيدهم، انظر الآية (٣٠) من سورة الأنفال صفحة ٣٢١

﴿وكلمة الله﴾: هي كلمته التي وعد فيها أنبياءه بالنصر، انظر الآية (١١٥) من سورة الأنعام صفحة ١٨١، الآية (٥١) من سورة غافر صفحة ٢٢٤.

المعنى: فهم لم يحافظوا إلا على العدد، ولكن أهملوا عين الأشهر المحرمة فأحلوا ما حرم الله، أي وحرّموا ما أحل، وقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فظنوا التبيح منها حسناً، والله لا يهدي الكافرين الذين اتبعوا تزيين الشيطان، انظر الآية (٩) من سورة يونس صفحة ٢٢٦.

وما تقدم في الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨. وبعد أن أمر سبحانه بتطهير جزيرة العرب من المشركين وأذنانهم، أراد أن يؤمن المسلمين من غدر جيرانهم نصارى الروم ومن قد ينضم إليهم ممن هم تحت سلطان المسلمين من نصارى العرب، وكان نصارى الروم قد شرعوا وهم أخيراً خلق الله. ومن تحت سلطانهم من نصارى العرب، وكان نصارى الروم قد شرعوا في إعداد جيش لمهاجمته ﷺ في المدينة، وقد علم بذلك الرسول ﷺ من تجار قادمين من الشام، فعزم على مهاجمتهم في دارهم قبل أن يهاجموه في داره، فأمر بالاستعداد لسفر طويل، وكان ذلك في رجب عام ٩ هجرية، وكان الحر شديدًا، والمسلمون في عسرة من الزاد والركائب، وبعد أن شاور ﷺ وصل الخبر للروم، فخافوا وأرسلوا وفداً لمصباحته فلقبه في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق في مكان يقال له (تبوك) بفتح التاء وضم الباء مخففة، وصالحوه على أن يدفعوا له الجزية، فرجع ﷺ بعد أن مكث في تبوك بضعة عشرة ليلة، وتسمى هذه الغزوة غزوة تبوك أو غزوة المسرة، لما سيأتى في الآية (١١٧) من هذه السورة

فَيَمْلَأُ مَأْوَئَهُمْ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُمْ سَاءَ أَهْلِيهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ عَاهَدُوا مَعَكَ مِنَ الْكُفَرِ إِذَا قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَكُمْ وَالْكَافِرِينَ مِنَ الْكُفَرِ أَمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ فِي الْأَرْضِ الْأَكْبَرِ لَا يَقْبَلُونَ إِلَّا تَنَبُّؤًا بِعَيْنِكَ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِيلُ قَوْمًا غَيْرُكَ وَلَا تَفْرَهُهُ نَبِيًّا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ إِلَّا تَنْصَرُّهُمْ فَقَدْ صَرَّهُ اللَّهُ وَإِذَا نَزَعْنَاهُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَائِيًا ثَلَاثِينَ إِذْ هُمَا فِي الْقَارِ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيهِمْ يُخْرَدُونَ زُرُومًا وَجَعَلَ كُلُّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْفُلْفُلَ وَكَلَّمَ اللَّهُ فِي الْمَلَأَةِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ انْتَبِهُوا خَافًا ذُقُوا إِذَا جَاءَ الْفُلْفُلَ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

﴿أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾: قال القرطبي (من الآخرة) أي بدلا من نعيم الآخرة، فمن تضمن معنى البدلية كما في الآية (٦٠) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٢.

﴿إلا تنفروا﴾: أصلها إن لا تنفروا، وكذلك ((لا تنصروه)).

﴿أخرجهم الذين كفروا﴾: تسببوا في إخراج الله له بالخروج.

﴿ثلاثي اثنين﴾: واحد من اثنين.

﴿في الغار﴾: هو فجوة في أعلى جبل ثور على مسافة ساعة من مكة.

﴿لصاحبه﴾: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

﴿سكينة﴾: تقدم بيانها في الآية (٣٦) من هذه السورة صفحة ٢٤٤، وستأتي في الآية (٤) من سورة الفتح صفحة ٦٧٨.

﴿يجنود لم تروها﴾: هم الملائكة، وقد تقدم أن للملائكة تأييدا روحانيا باتصالها بنفس المؤمن، كاتصال الشيطان ووسوسته في نفس الناسق بدون أن يراه، انظر الآية (٢٧) من سورة الأعراف صفحات ١٩٥، الآية (٣١) من سورة المائدة صفحات ٧٧٦، ٧٧٧.

- (١) أعمالهم.
(٢) الكافرين.
(٣) بالحياة.
(٤) متاع.
(٥) الحياة.
(٦) لصاحبه.
(٧) وجاهدوا.
(٨) بأموالكم.

والمعنى: أى شئ حصل لكم أيها المسلمون حتى ملتم إلى راحة الأرض ونعيمها وتباطأتم عن نصره الله عندما قال لكم النبي انشروا في سبيل الله؟ هل رضيتم براحة الدنيا ولذاتها الرزائة بدلاً عن نعيم الآخرة الباقية؟ إن كان الأمر كذلك فقد استبدلتم الأدنى بالأعلى، لأن متاع الدنيا إذا قيس بمتاع الآخرة قليل جداً، حتى يكاد أن يكون لا شئ فأن لم تنفروا للجهاد عندما يطلب بكم الرسول ذلك فإن الله يذبكم عذاباً اليماً، ويستبدل بكم قوماً غيركم أحسن منكم، ولا تغفروا بامتناعكم شيئاً لأنه على كل شئ قدير، فإن لم تنفروا الرسول على أعداء الحق فسيغفروا الله بقدرته وتأييده كما نصره حين تسبب الكافرون في إخراجهم من مكة، انظر بيان ذلك في الآية (٣٠) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١، حال كونه ﷺ أحد رجلين حين كانا في الغار ورأى صاحبه أقدام الكفار عند باب الغار، فقال له ﷺ:

لا تحزن لأن الله معنا بنصره وحمايته، فانزل الله الطمأنينة والأمن على رسوله، فشملت صاحبه، وأبىء الله بجنود من عنده سبحانه لم تروها يا من كنتم تطاردونه، وجعل سبحانه نجاة رسوله كلمة الذين كفروا التي أجمعوا فيها على قتله، جعل كلمتهم هي السفلى حيث أحبطها وأرجعهم خائبين، والحال أن كلمة الله وهي وعده رسله بالنصر وعلاء كلمة التوحيد هي العليا، أى الغالبة، والله عزيز غالب حكيم لا ينصر إلا المؤمنين. ثم جدد سبحانه الأمر بالجهاد بعد التوبيخ على تركه فقال: انفروا إذا دعيتم للجهاد على أى حال كنتم عليها من صحة أو مرض أو غنى أو فقر... إلخ، وجاهدوا بأموالكم.

المفردات: ﴿عرضاً﴾: ما يعرض للإنسان من متاع الدنيا، انظر الآية (١٦٩) من سورة الأعراف صفحة ٣٢٠.

﴿قاصداً﴾: معتدلاً بلا مشقة.

﴿الشفقة﴾: المسافة التي تملح بمشقة. ﴿خفا الله عنك﴾: أى تجاوز عن مواخذتك على اجتهدك، فهي كلمة عتاب رقيقة.

﴿إنبائهم﴾: الإنبعاث هو التوجه إلى الشئ بششاط.

﴿فبططهم﴾: التبطيط التعويق عن الشئ وإقامة المراقيل في سبيله..

صفحة ٢١٢ مما سبقت إليه الإشارة، وكانت هذه الغزوة سبباً في تطهير المسلمين من أخطر عدو بين جنبيهم وهم المنافقون فقد فضحهم الله في هذه السورة بما لم يسبق مثله، فمزال يقول حتى كشف سترهم وستر أخبت رجالهم، ونزل في شأن هذه الغزوة من أول الآية (٣٨) حتى آخر السورة.. ولتسهيل فهم ما يأتي يحسن أن تعلم أن المسلمين كانوا بالنسبة لهذه الغزوة على أربعة أقسام:

القادرون على الغزو وعدته وسارعوا إلى إجابته ﷺ، وهؤلاء أكثر الصحابة ونزلت فيهم الآيات (٤٤، ٨٨، ١٠٠، ١١١، ١١٢، ١١٧) من هذه السورة صفحات ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢. والقسم الثاني: وهؤلاء هم القادرون كسابقهم ولكنهم تشاقلوا أولاً بتأثير المنافقين، ولكن أدركهم لطف الله فأسرعوا بالسفر، ومما نزل فيهم آيات (٣٨، ١١٧) هنا وصفحة ٢٦٢. القسم الثالث: وهم العاجزون عن السفر أو عن عدته، ونزلت فيهم آيات (٩١، ٩٢) صفحة ٢٥٧. القسم الرابع: وهم المتخلفون مع القدرة من كل وجه وهم أربعة أنواع: الأول من تخلف كسلاً ولم يعتذر للنبي ﷺ قبل السفر، ولما رجع ﷺ وسأله اعترف بخلفه ونزل فيهم آيات (١٠٦، ١١٨، ١١٩) صفحتا ٢٦٠، ٢٦٢. والنوع الثاني من استئان قبل السفر واعتذر بأعذار باطلة فأنزل لهم الرسول وهو لا يعلم حقيقتهم، وهؤلاء هم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وجماعة من قومه، ونزل فيهم كثير من آيات السورة من أول الآية (٤٢) وما بعدها ونزل فيهم أثناء السفر قبل رجوعه ﷺ إلى المدينة آيات (٨٣، ٩٤، ٩٥) صفحات ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٧. والثالث بقية منافق المدينة والمنافقين من الأعراب المقيمون حول المدينة وهؤلاء تخلفوا بدون عذر، ولما رجع ﷺ اعتذروا بأعذار كاذبة، فصدقهم وقبل أعذارهم، ونزل فيهم الآية (١٢٠) من هذه السورة صفحة ٢٦٢. والرابع المنافقون الذين سافروا معه ﷺ تورطاً وهؤلاء هموا باركئاب أشيع جريمة، ونزل فيهم الآية (٧٤) من هذه السورة صفحة ٢٥٤. ومن أراد تفصيل ما حدث فليرجع إلى مقدمة شرح حديثي (٤٩٤، ٤٩٥) من كتابنا صفوة البحار.

من العدو، والحال أن فيكم أناسا ضعاف العقول والعزيمة يسمعون كثيرا لدهسهم، والله عليهم بالطالمين منهم وبما هم مستعدون له، وسيجازيهم. وعزتي لقد طلب هؤلاء ففتنكم من قبل هذه الغزوة كما سبق في غزوة أحد، انظر الآية (١٢٢) من سورة آل عمران صفحة ٨٢. وقد قلبوا الأمور على كل وجه، وأعملوا فكرهم ليؤذوك ويبتطلوا دعوتك حتى جاء الحق الذي وعداك به الله من نصرك وإعلاء كلمته، وظهر أمر الله وعلا شرعه بفتح مكة وكثرة الداخلين في الإسلام.

ثم أخذ سبحانه في بيان نوع آخر من المنافقين فقال: ومنهم فريق يقول الذنن لى فى التعود يا رسول الله ولا توقنى فى الفتنة أى المعصية، وذلك أن بعض هؤلاء ادعى أنه إذا رأى جمال نساء الروم لا يضبط نفسه، وبعضهم ادعى أن له أطفالا يخشى إذا تركهم أن يصبح قلبه موزعا وفكره مشتتا فيقصر فى القتال. فرد الله عليهم بقوله ألا أنهم يعلمهم هذا قد عصوا وسقطوا فى هاوية الهلاك، وإن نار جهنم لمحيطة بهم فى الآخرة لكفرهم.

ثم بين سبحانه حالة خبيثة من حالاتهم فقال: إن تصيبك أيها النبي حسنة كنصر أو غنيمة تسرهم وإن تصيبك مصيبة كما وقع فى غزوة أحد يقولوا قد تنبها للأمر وأخذنا عدتنا بالعذر من قبل الوقوع فى هذه المصيبة وينصرفون عن مكان اجتماعهم الذى تجمعوا فيه بهذا القول إلى بيوتهم وهم شديدو الفرح لما أصابكم. وليس هناك عدو أقسى منهم. فبأنها النبى قل لهم لن يصيبنا إلا ماكتبه الله لنا وقدره علينا حسب حكمته، وهو وحده متولى أمورنا ونحن عبده راضون بما يفعل فينا، وعلى الله فليترك المؤمنين حقا، فلا يجزعون لما يصيبهم. وقل لهم أيضا ماذا تنتظرون لنا من الشر بينما ليس هناك شيء يمكن انتظاره لنا إلا واحدة من نهايتين حستين: إما النصر والغنيمة، وإما الاستشهاد فى سبيل الله الذى وراءه نعيم ليس بعده نعيم. ولكن نحن ننتظر لكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده يحكمكم كما حل بعصاة الأمم السابقة، أو يعذاب بأيدينا من أسر وقتل؛ وما دام الأمر كذلك فانتظروا إنا معكم منتظرون. ثم بين سبحانه بعضا مما سيلاقيهم مما سيحزنهم حزنا شديدا فقال: قل لهم أيضا: انفقوا ما شئتم فى الجهاد وفى الزكاة طائمين لتستروا نفاقكم.

وقلبوا لك الأمور: أى قلبوا آراءهم على كل وجه ليختاروا ما فيه ضررك.

جاء الحق: هو النصر الذى وعد به الله.

ووظهر أمر الله: أى غلب دينه وعلا شرعه بدخول الناس فيه أفواجا.

ولا تفتنى: أى توقنى فى الفتنة قالها بعضهم لما علم أن السمر سيكون لبلاد الروم، يريد أنى قد افتن بعامل نساء الروم فافق فى المعصية.

وقفى الفتنة سقطوا: أى وقعوا فى المعصية العظمى وهى النفاق.

وقد أخذنا أمرنا من قبل: أى احترسنا وابتعدنا عن الخطر.

وقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا: الأصل فى الشدائد أن يقال: كتب عليه، كما قال

سبحانه فولبذ الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم الآية ١٥٤ من سورة آل عمران صفحة ٨٨، وما فى الآية (٧٧) من سورة النساء صفحتى ١١٢، ١١٤ وفى الخير أن يقال: كتب له، قال

تعالى: وواكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧ ولكنه

سبحانه هنا نبه المؤمنين إلى أن يفيطوا المنافقين بأن يقولوا لهم: كل ما يصيبنا من ريبنا فتحن عنده نعمة يخفف بها عنا دنوبنا أو يرفع بها درجاتنا عند، وبذلك لا تكون تقمة كالذين يحصل لهم.

وهل تربصون: أى تنتظرون.

واحدى الحسنيين: هما النصر والغنيمة أو الاستشهاد فى سبيل الله.

ومن عنده: كالصيحة والصاعقة مما حل بمن قبلكم.

أو بأيدينا: أى بقتلكم وأسروكم.

المنى: بين سبحانه حكمة كراهة إيمانهم بقوله ولو خرجوا فيكم إلخ: أى لو خرج هؤلاء المنافقون المستأثرون فى جماعتكم أيها المؤمنون ماذاوكم شيئا إلا شرا واضطرابا وضعفا فى القتال إذا قاتلتم وخلالا فى النظام، حال كونهم بهمهم هذا يطلبون لكم الفتنة يخونكم

المعنى: وأنفقوا كارهين خوف عقوبة الرسول لكم إذا امتنتم، فمهما أنفقتم في الحالين فلن يقبل منكم ما أنفقتموه مادمت خارجين عن الإيمان وما منعهم من قبول نفقاتهم شيء إلا كرههم بالله ورسوله، وعدم إتيان الصلاة إلا في حال كسلهم وعدم إنفاقهم إلا وهم كارهون لهذا الإنفاق في سرائرهم، وإن كانوا في الظاهر يوهمون أنهم راضون. وإذا كان هذا حالهم في تخلفهم عن الجهاد حفظاً لأنفسهم ولأولادهم من القتل فيه، ولأموالهم من أن تصرف فيما لا يريدون. فلا تعجبك أيها السامع أموالهم التي تعبوا في جمعها، وحرصوا على حفظها، ولا أولادهم الذين تعبوا في تربيتهم والحرص على صحتهم، لأن الله تعالى ما أعطاهم ذلك إلا لأنه أراد أن يعذبهم في الدنيا بأخذ الأموال في الزكاة والجهاد مع اعتقادهم أن لا فائدة لهم في ذلك، ويقتل الأولاد في الجهاد، فيقتلهم الحزن في نهاية الأمر ويموتون وهم كافرون فيخلدون في جهنم. ومن فضائلكم أنهم يحضون بالله أنهم لمنكم في الدين، أي مؤمنون مثلكم ليستروا أنفسهم، وليسوا في الحقيقة منكم ولكنهم يفعلون ذلك لشدة خوفهم منكم أن تغفلوا بهم ما تفعلون بالمشركين من القتل والأسر وأخذ الأموال، وقد بلغ الضيق بهم أنهم أمسوا في حالة لو يجدون معها مكاناً في أي جهة ولو في منتهى الضيق لاحتموا به، وليس هناك أنفس من أصحاب هذه المعيشة.

ومن قبائحهم التي يقصدون بها الصد عن الإسلام بالظن في نبيه أن منهم فريقاً يطعن عليك في توزيع الصدقات، وذلك أنه ﷺ كان يعطى المؤلفقة قلوبهم كما سيأتى. قال بعض المنافقين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله:

فإن أعطوا من الصدقات ولو بدون استحقاق رضوا، وإن لم يعطوا منها لعدم استحقاقهم يسخطوا بسرعة. ولو أنهم رضوا بتأاتهم الله وقالوا حسبنا الله أي كافينا فإذا لم تأخذ ما نريد هذه المرة فسيؤتينا من فضله قريباً ما يرضينا ويعطينا رسوله مما يرد عليه من الغنائم ونحن لا نرغب إلى غير الله في شيء لأنه سبحانه مالك كل شيء، لو فعلوا وقالوا ذلك لكان خيراً لهم.

أَوْ كَرِهَ أَلِيٌّ يَحْتَبِلُ يَنْكَرُ إِنْ كُنْتُمْ تَوَّابِينَ ﴿٥٠﴾
وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالٌ وَلَا يَنْفِقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥١﴾ فَلَا تَحْجِبْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ
إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ بِيَافِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرِزْقَ أَنْفُسِهِمْ
وَهُمْ كَثِيرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ إِنَّهُمْ لِنَكَرٍ وَمَا لَهُمْ
بِنَكَرٍ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٣﴾ لَوْ جَعَلُوا مَلْجَأَ
أَوْ مَعْرَكًا أَوْ مَدَنًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ﴿٥٤﴾
وَيَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَصْدَاقِ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا نِفَا رُؤُوسًا
وَإِنْ تَرَوْهُمْ فَقَاظِمُوا فِي سَخِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا نَحْنُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٦﴾

المفردات: ﴿تزهق أنفسهم﴾: أصل الزهوق الخروج بصعوبة.

والمراد هنا الموت تعذيب كما في الآية (٥٠) من سورة الأنفال صفحتي ٢٢٤، ٢٢٥.

﴿يفرقون﴾: أي يخافون خوفاً شديداً.

﴿ملجأ﴾: حصن يلجئون إليه.

﴿أو مغارات﴾: جمع مغارة وهي مكان في

داخل جبل، وتسمى غاراً.

﴿أو مدخلا﴾: أي سرباً في الأرض يدخله

الإنسان بمشقّة كحجر الثعلب..

﴿يجمعون﴾: أي يسرعون في اضطراب،

مأخوذ من جموح الدابة..

﴿يلمذك في الصدقات﴾: أي يعيبك في توزيع الصدقات.

- (١) فاسقين.
- (٢) نفقاتهم.
- (٣) الصلاة.
- (٤) كارهون.
- (٥) أموالهم.
- (٦) أولادهم.
- (٧) الحياة.
- (٨) كافرون.
- (٩) مغارات.
- (١٠) الصدقات.
- (١١) آتاهم.
- (١٢) راغبون.

هو رضى سبيل الله ﷻ: هو كل طريق يوصل لمرضاة الله فيشمل الجهاد وغيره، انظر الآية (٢١٧) من سورة البقرة صفحة ٢٣، والآية (٩٩) من سورة آل عمران صفحة ٧٩ وغير ذلك.

رواين السبيل: هو المسافرين المقطع عن بلده واحتاج إلى ما يوصله.

﴿أذن﴾: أي يصدق كل ما يسمع، فسموه لعنهم الله باسم آلة السمع مبالغة كما يسمى الجاسوس عينا.

«وَيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَزْيَدُ لَا يَصْدَقُ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا دُفِنُوا، فَالْتَعْبِيرُ كَمَا فِي الْآيَةِ (١٧) مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ صَفَحَتَي ٣٠٤، ٣٠٥.

وَيُحَادِدُ اللَّهُ: أي يعاديه بأن يضع نفسه في حد أي جانب والله سبحانه في جانب كالمسابقة.

وَيُحَذِّرُ الْمُنَافِقِينَ: عجيب أمر هؤلاء المنافقين، إن خوفهم من أن ينزل الله تعالى ما يفرضهم يدل على إيمانهم بأن الرسول ﷺ ينطق عن الله ما يقول، ولكن مرض النفاق متبعين منهم لا يمكنهم من إدراك طريق النجاة.

﴿وَنُغَوِّضُ﴾: أى ندخل فى أحاديث التسلية واللعب لا نقصد جدًّا.

المعنى: كما تولى سبحانه تقسيم الغنائم ليدفع عن رسوله الشبهة كما في الآية (٤١) من سورة الأنفال صفحتي ٢٢٢، ٢٢٣، أراد سبحانه أن تقطع دسائس المنافقين فقسم زكاة الأموال بنفسه فقال: إنما الصدقات، أي الزكاة تعطى للمذكورين فقط لا تتعداهم إلى غيرهم، ولإلزام حق التعميم والتخصيص حسب المصلحة.

فرض الله هذا التقسيم فريضة فليس لأحد تعضده، وقد أُنقط عمر رضي الله عنه سهم المؤلفنة قلوبهم لأن الإسلام قوى وليتس في حاجة إليهم، والله واسع العلم بمصالح عباده، حكيم قبيها يشرع لهم.

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْعَانَهُ نَوْعًا آخَرَ مِنْ قِبَالِ الْمَنَافِقِينَ وَهُوَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَجْرُو عَلَى الطَّمَنِ فِيهِ كَلِمَةً فَإِذَا قِيلَ لَهُ قَدْ يَبْلُغُ مَا تَقُولُ مُحَمَّدًا ، فَيَقُولُ لَا تَخَافُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا أَذْنٌ ، أَيْ يَصْدُقُ كُلُّ مَا يُقَالُ

تفسير القرآن الكريم

* إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالسَّكِينِ وَالْمُعْتَصِفِينَ عَلَيْهَا
 وَالَّذِينَ قُلُوبُهُمْ فِي الرَّقَبِ وَالَّذِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَبِالنَّسِيلِ فَرَضَ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٥﴾
 وَهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنِّي وَلِيُّكُم مَّا آتَاكُمْ مِنْ الْأَمْوَالِ
 لَكُمْ يَقُولُونَ إِنَّا وَلِيُّكُم بِالْأَعْيُنِ وَالَّذِينَ تَدْعُوا لِيُخْرِجُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمَ الْأَمْرَ
 بِالْحَقِّ يَوْمَ اللَّهِ تَكُونُ لَكُمْ رُسُلُ اللَّهِ وَالَّذِينَ لَمْ يَكُنِ
 لَكُمْ رُسُلٌ قَالُوا لَا تَنْزِلْهُمْ خُلْدًا فِيمَا دُونَ الْغَنِيِّ
 يُجِزُهُمْ إِنْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَنْ يُخْلَقُوا
 اللَّهُ دَرَسُوا قَالُوا لَا تَنْزِلْهُمْ خُلْدًا فِيمَا دُونَ الْغَنِيِّ
 يُجِزُهُمْ إِنْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ يَحْذَرُ الْمُشْكَرُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ
 مِنَ النَّبِيِّينَ يَكُنِ فِيهَا آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
 مَّا تَعْبُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَسْأَلُواكَ مَا مَلَكَكُمْ

المفردات: هو الفقراء والمساكين ٤: لم يجمع القرآن بينهما إلا في هذه الآية ويرى بعض العلماء أنهما إذا اجتماعا كما هنا كانا صنفين متغايرين كل منهما محتاج لكن أحدهما أشد حاجة.

وقد جاء الفقير مقابلًا للفقى في الآية (٦) من سورة النساء، صفحة ٩٨، والآية (٣٢) من سورة النور، صفحة ٤٦٢. ورأى بمضمونهما صنف واحد يختلف بالوصف لا بالذات، فالفقير مأخوذ من الفاقة وهي الداهية في الآية (٢٥) من سورة القياسمة، صفحة ٧٨٠، والمساكين مأخوذ من المسكون

وهو عدم الحركة للعجز والنقاعة، فهما كقولك في الشخص الواحد أنه عالم وتاجر.

﴿العاملين عليها﴾: هم من يوظفهم الإمام على جبايتها.

﴿المؤلفة قلوبهم﴾: هم جماعة يراد تأليف قلوبهم بالاستعانة للإسلام، أو خف شرهم عن المسلمين أو رجاء نفعهم في الدفاع.

خوفى الرقاب العبيد بشرائهم وعتقهم.

هو والغارمين ﴿١٠﴾ هم الذين استدانوا في غير معصية ولا سفه وعجزوا عن السداد.

(١) والمساكين..

(٣) والعاطلين.

(٣) والغارمين.

(٤) خالد ا.

(٥) المناقون.

له، وسأحلف له ما قلت فيصدقني، يريدون أخزاهم الله أنه ﷺ حماة الله يخدع ويسهل غشه. فرد سبحانه عليهم: قل لهم أيها النبي: محمد أذن خير لكم، أي لا يسمع التنمية والشر، ومن كان كذلك فهو خير صرف لكم لو كنتم تعقلون وتكفون عن نفاقكم.

ثم بين المراد بكونه أذن خير بقوله: يؤمن بالله أي يصدق بما يوحيه الله، ويصدق المؤمنين الصادقين في إيمانهم لأنه يصفهم من الكذب، وهو رحمة للذين آمنوا منكم إيماناً صحيحاً لأنه كان سبب هدايتهم. والذين يؤذون رسول الله يمثل ما تقولون لهم عذاب شديد الأليم. ومن شأن هؤلاء المنافقين أنهم يعتمدون في ستر عيوبهم على الحلف ليرضوكم عنهم وتصرفوا عن دسهم كما في آيتي (٥٦، ٤٢) من هذه السورة صفحتي ٢٤٨، ٢٥٠، وسيأتي في آيات (٧٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٧) من هذه السورة صفحات ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٠، والآية (٣) من سورة المنافقون صفحة ٧٤٣، والله ورسوله أحق أن يرضوه بطاعته إن كانوا مؤمنين حقاً بالله الذي يحلفون به. ألم يعلم هؤلاء أنهم يعلمهم هذا قد عادوا الله ورسوله، ومن يعاديهما فإن له نار جهنم خالداً فيها، وذلك هو الخزي العظيم، ولما كان المنافقون في اضطراب فكري كما في الآية (٢٠) من سورة البقرة صفحتي ٦، ٥، والآية (١٤٣) من سورة النساء صفحة ١٢٧ والآية (٤) من سورة المنافقون صفحة ٧٤٣، كانوا بينما هم يسخرون فيما بينهم بالنبي ﷺ سرا يخافون أن يفضحوا ومن ذلك أن بعض من كان منهم في غزوة تبوك قالوا فيما بينهم هل يظن محمد أنه سيفتح قصور الشام وحصونها زاعماً أنهم كقبائل العرب ويتغلب عليها بسهولة؟ كلا. فقال بعضهم: كفوا لئلا يعلم ما تقول فقال الله فيهم: يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة أي مجموع آيات تخبرهم بما في قلوب المنافقين، قل لهم أيها النبي استهزئوا ما شئتم فإن الله سيظهر ما تُخافون من إظهاره، ولئن سألتهم عما قالوا وكيف قالوه ليقولن اعتذار أقبح من الذنب: إنما كنا نخوض في حديث للتسلي لا نقصد جداً.

المفردات: «ويقبضون أيديهم»: أصله ضم أصابع اليد إلى باطن الكف، وكفى به عن الامتناع عن الإنفاق في الخير كالجهاد، انظر الآية (٧) من سورة المنافقون صفحتي ٧٤٣، ٧٤٤.

وَلَعَبٌ قُلُوبُ الَّذِينَ وَاعَىٰ وَرُسُلُهُمْ كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ ﴿١٠﴾ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ دَعْوَةً بَعْدَ إِعْيَاكَ إِنْ نَفَخَ مِنْ فَمِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَقَدْ أَعْلَلَ ثَمَرَهُ ﴿١١﴾ وَكَانَ يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَثَمًا يُكَفِّرُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ بَأْسًا ﴿١٢﴾ وَلِلَّهِ الْغَنِيُّ وَالْكَافُّ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِي حَسْبِهِمْ وَلَهُمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿١٣﴾ كَذَلِكَ يَنْفَخُ الْفُتُورُ ﴿١٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ النَّاسَ إِذَا اسْتَفْتَوْا هُمُ الْقَاتِلُونَ ﴿١٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ النَّاسَ إِذَا اسْتَفْتَوْا هُمُ الْقَاتِلُونَ ﴿١٦﴾ وَعَدَّ اللَّهُ النَّاسَ إِذَا اسْتَفْتَوْا هُمُ الْقَاتِلُونَ ﴿١٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ النَّاسَ إِذَا اسْتَفْتَوْا هُمُ الْقَاتِلُونَ ﴿١٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ النَّاسَ إِذَا اسْتَفْتَوْا هُمُ الْقَاتِلُونَ ﴿١٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ النَّاسَ إِذَا اسْتَفْتَوْا هُمُ الْقَاتِلُونَ ﴿٢٠﴾

«نسوا الله»: المراد نسوا إطاعة أوامر الله فكأنهم نسوه.

«فتسيهم»: المراد عاملهم بالمثل، فترك رحمتهم وجعلهم كالشيء المنسى المهمل.

«فاستمتعوا»: أي ازدادوا في التمتع.

«بخلاقهم»: أي نصيبهم من حظوظ الدنيا، انظر الآية (٢٠٠) من سورة البقرة

صفحتي ٢٩، ٤٠.

«وخضتم»: أي دخلتم في الباطل.

«حبطت»: بطلت.

المعنى: كنا نلعب وتلعب لتسهل قطع الطريق بالمداخبة. ولما كان قولهم هذا يتضمن استهزاء قال: قل لهم هل ضاقت عليكم سبل التسلية فلم تجدوا إلا التسلية والاستهزاء بالله

- (١) وآياته.
- (٢) إيمانكم.
- (٣) المنافقون.
- (٤) والمنافقات.
- (٥) المنافقين.
- (٦) الفاسقون.
- (٧) المنافقين.
- (٨) والمنافقات.
- (٩) خالدين.
- (١٠) أموال.
- (١١) وأولاد.
- (١٢) بخلاقهم.
- (١٣) بخلاقكم.
- (١٤) بخلاقهم.
- (١٥) أعمالهم.

الريح المقيم، وثمود وقد أخذتهم الصيحة، وقوم إبراهيم الذين أهلكوا هم وزعيمهم نمرود، وأصحاب مدائن الذين أخذتهم الرجفة. والمؤتكتات وقد حمل قريتهم عليها سافها. فعلنا بهم كل هذا بعد أن جاعتهم رسلهم بالبيانات فأعرضوا عنها، وما كان الله ليظلمهم، فقد حذرهم ولكهم أصروا على ظلم أنفسهم بجحودهم وعنادهم، فأنتم إذا أصرتم على كركم وعنادكم ستكونون في الشقاء مثلهم، لأن سنة الله وعدله لا يتغيران.

وكما أن المنافقين والمنافقات بعضهم من بعض فكذلك المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض بالمحبة والنصرة والمودة، فكلمهم يأمرهم بكل خير وينهون عن كل منكر، ويقيّمون الصلاة ويؤتّون الزكاة ويطيّعون الله فيما أمر به في كتابه والرسول فيما أُرشد إليه في سنته فأولئك سيرحّمهم الله برحمته الخاصة المبينة في الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧، فيوفّقهم للخير في الدنيا، ويجزّل لهم المطاء في الآخرة، لأنه سبحانه عزيز أي قوى غالب لا يعجزه شيء أراد، حكيم في قضائه وحكمه وتصرفاته ثم بين سبحانه شيئاً مما سيرحّمهم به فقال: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسكن﴾ أي قصوراً وغرفاً من فوقها غرف كما في الآية (٢٠) من سورة الزمر صفحتي ٦٠٨، ٦٠٩ تطيب الإقامة فيها.

هذه المساكن في جنات الخلد. كما أن لهم فيها نعيماً روحانياً هو رضا عظيم من الله، ليس هنا أسعد عند النفوس من نعيم تشمر معه أن المنعم به سبحانه راض عنها. وفسره بعضهم بأنه النظر إلى وجهه الكريم، وذلك النعيم بقسميه الجسماني والروحاني الممد للمؤمنين والمؤمنات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده، ثم هدد المنافقين وأندهم بالجهاد كالكاغربين المجاهدين إذا استمروا على نفاقهم فقال: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين، أي بذل جهدي في مقاومة شر الفريقين الذين يخالفون المؤمنين ولا تؤمن غائلتهم فعاملهم بالمعاملة المناسبة لسوء حالهم. وجهاد الكفار بالسيف أي الحرب، وجهاد المنافقين بإقامة حدود الله عليهم إذا ظهر منهم أسباها بدون قبول عذر منهم، وقضّهم، وعدم الصلاة على من يموت منهم، ومنعهم من الخروج مع المسلمين في الجهاد، إلى غير ذلك مما يؤلم النفس ويحز فيها، ويجعلها ذليلاً بين قومها، وفي الآخرة مأواها جهنم، وقبعت جهنم مصيراً.

النَّصِيرُ ﴿يَخْلُقُونَ لِلَّهِ تِلْكَ الْأَمْثَالَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْكَافِرِينَ
وَكُفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَإِسْلِيمِهِمْ وَمَا يَكُنْ لَّآبِتَاتٍ وَمَا تَقْوَمُوا
إِلَّا أَنْ أَخَذْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَضِيَّةٍ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُنْ
خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَكُنْ لَهُمْ عَذَابُ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا كُنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دِينٍ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٠﴾
* وَهُمْ مِنْ عِندِ اللَّهِ أَيْنَ نَأْتِيَهُمْ مِنْ قَضِيَّةٍ لِنُصَدِّقَ
وَلِنُكْفِرَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا عَاهَتْهُمْ مِنْ قَضِيَّةٍ
يَخْلُوعُوا، وَتُوبُوا وَهُمْ بِمَرْضُونٍ ﴿٢٢﴾ فَأَعْتَبْتُمْ يَنَاقًا
فِي تُلُوتِيمٍ إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْتُمْ يَكُنْ أَخْلَقُوا اللَّهُ مَا وَدَّوْهُ
وَيَكُنْ كَلَامًا يَكُونُونَ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْصَرِّفُ
وَيُجَوِّدُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ
الْمُطْرِقِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصُّدُوكِ وَالَّذِينَ لَا يُجِدُونَ

من المؤمنين في أمر صدقاتهم.

المعنى: أراد سبحانه بيان سبب الأمر بجهادهم، وهو أنهم يقولون الكلمة الدالة على الكفر، فإذا سئلوا أنكروا وحلفوا ما قالوا؛ وأنهم أظهروا الكفر بعد أن كانوا لا يظهرون إلا الإسلام وأنهم هموا بما لا يمكن أن ينالوه وهو اغتياله ﷺ في أثناء رجوعه من تبوك، وذلك أن الطريق كان به ممر قصير المسافة ولكنه ضيق وقرق جبل عال، فلما وصل إليه ﷺ أراد أن يخبر الطريق ويترك بقية الجيش يسير ببطن الوادي وهو طريق واسع لكنه طويل، فبينما هو ﷺ في وسط هذا الممر والليل مظلم وإذا برجال يسرعون بالهم بريدون من أمانة ناقته ﷺ حتى

تقع من سيف الجبل، فأعلمه الله تعالى أمرهم قبل أن يصلوا إليه، ولم يكن معه سوى حذيفة ابن اليمان وعمار بن ياسر، فأمر ﷺ حذيفة أن يردهم عنه، فرجع بعصاه وصار يضرب وجوه

- | | |
|---------------|---------------|
| (١) إسلامهم. | (٢) أغنامهم. |
| (٣) آتانا. | (٤) الصالحين. |
| (٥) آتاهم. | (٦) آتاهم. |
| (٧) ونجواهم.. | (٨) علام. |
| | (٩) الصدقات. |

المفردات:- ﴿قالوا كلمة الكفر﴾: هي، قول بعضهم لئن كان محمد صادقاً فيما يقول عنا فتحن شر من الحمير.

﴿وهو ما لم ينالوا﴾: هو همهم بقتله ﷺ، كما سيأتي بيانه.

﴿وما نقيموا﴾: أي كرهوا وعادوا من أنفسهم

ينقم من باب ضرب يضرب.

﴿يلمزون﴾: اللمز الطعن مع الاستغفاف.

كما تقدم في الآية (٥٨) من هذه السورة

صفحة ٢٥٠.

﴿في الصدقات﴾: أي يلمزون المتطوعين

من المؤمنين في أمر صدقاتهم.

﴿المخالفون﴾: الذين خلفهم الشيطان وكسلهم. ﴿هيمعدهم﴾: أي قمعوهم.. ﴿خلاف رسول الله﴾: أصل خلاف مصدر خالف واستعمل ظرفاً بمعنى بعد، كما في الآية (٧٦) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٥، ويصح المعنيان هنا على أن يكون المصدر حالاً بمعنى مخالف. ﴿ولا تنفروا﴾: أي لا تسرعوا في الخروج مع محمد. ﴿ورجعك الله﴾: رجع يستعمل لازماً بمعنى عاد كما في الآية (١٥٠) من سورة الأعراف صفحة (٢١٦)، ومتعبداً بمعنى أرجع كما في الآية ٤٠ من سورة طه صفحتي (٤٠٨، ٤٠٩)، وما هنا من الثاني.

﴿الخالقين﴾: الخالف هو المتخالف عن غيره.

المعنى: وسخرون من المؤمنين الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا المال القليل. فجازاهم الله تعالى بأن جعلهم سخرية للمؤمنين ولناس أجمعين بوضيعة لهم في هذه السورة بما لم يسبق له مثيل، حتى قال بعض الصحابة: إن من أسماء السورة (الناضحة)، ولهم في الآخرة عذاب شديد الألم، وكان لعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ولد صالح مخلص في إيمانه هو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول فجهاداً ولده عبد الله يطلب من النبي صلوات الله عليه أن يستغفر له، وكان ﷺ رقيق القلب رحيماً كما وصفه ربه في آخر هذه السورة، وكان كلما اشتد به إيذاء قومه يقول: اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. فلما استغفر ربه لعبد الله بن سلول، والله وحده هو الذي يعلم أنه سبب كل بلية، وأن لقبول الاستغفار شروطاً بينها الآية (١٤) من سورة النساء صفحة ١١١، والآية (٨٢) من سورة طه صفحة ٤١٢، قال سبحانه استغفر لهم أو لا تستغفر إلخ أي استغفارك وعدمه سواء، ففهمنا

(١) الفاسقين. (٢) خلاف. (٣) يجاهدوا. (٤) بأموالهم. (٥) شاتلوا. (٦) الخالقين.

إِلَّا جِهْدِمُ غَيْرَهُمْ زَيْدًا يُغِثُ لَهُمْ زَيْدًا عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا اتَّخَذُوا لَهُمْ سَبِيلًا لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتْمُؤُنَ فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّبَعْتُمُ الْوَسْوَاسَ الْخَافِيَّ لَا يَدْعُو الْبَاطِلَ إِلَّا لِيُفْضَلَ عَلَيْهِمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ يُغْفِرْ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا حَرِّمْتُ لَكُمْ أَنْ تُحِبُّوا الْبَاطِلَ أَنْ تُحِبُّوا الْبَاطِلَ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا لَكُمْ كُنْتُمْ تُخَالِفُونَ لِأَفْهَامِكُمْ الْأَفْهَامَ الْخَالِفَةَ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حِكْمٌ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّبَعْتُمْ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حِكْمٌ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّبَعْتُمْ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حِكْمٌ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

الإبل وكانت نحو عشرة، ففزعوا وظنوا أن مكرهم قد اقتضخ، فأسرعوا حتى اختلطوا بالناس فقال ﷺ لعذبة: هل عرفتهم؟ فقال: لا، لأنهم كانوا ملثمين والليل مظلم، ولكن عرفت إبلهم، وهي ناقة فلان وناقة فلان، فقال ﷺ: ما كانوا يريدون؟ أنهم كانوا يريدون قتلى، وسماهم له، فقال: ألا تأنان لنا يا بني الله فنضرب أعناقهم؟ فقال ﷺ: لا تشعلوا أثلاً يتحدث الناس أن محمداً شرع يقتل أصحابه، وأمره ألا ييوح بأسمائهم لأحد، ومنه سمي جذبة صاحب السر. وما نقيم هؤلاء المنافقون على الإسلام شيء إلا لأن الله أغناهم بسببه من فضله، والرسول أغنى عنهم من الغنائم، فالكلام من قبيل قولك مالي عند فلان ذنب إلا أنني أحسنت إليه، أي ليس لكرهائيتهم سبب، بل الأسباب متوفرة لحبه، فإن يتوبوا عن النفاق والجرائم يكن ذلك المطالب خيراً لهم، وإن يتولوا ويعرضوا عما دعوا إليه من التوبة يذنبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة. كما تقدم في الآية (٥٥) من هذه السورة صفحة ٢٥٠ وما سيأتي في آيتي (٨٥، ١٠١) من هذه السورة أيضاً صفحتي ٢٥٦، ٢٥٩، ومالهم في الأرض كلها أقل ولي يتولى أمورهم ويخفف عنهم، ولا نصير يدفع العذاب عنهم. ومن هؤلاء المنافقين من عاهد الله تعالى وأقسم لئن آتاهم الله من فضله مالا كثيراً ليشكروا نعمته بالصدقة والأعمال الصالحة، فلما آتاهم الله من فضله ما طلبوا بخلو به وانصرفوا عن طاعته والحال أنهم مصممون على الإعراض بمبالغون فيه على عادتهم، فجعل الله عاقبة أمرهم نفاقاً راسخاً في قلوبهم لا يفارقها إلى يوم لقائه في الآخرة وذلك بسببين: الأول: أنهم أخلفوا الله ما وعده، والثاني: أنهم كانوا مستعترين على الكذب حتى استحال عليهم تركه، وأقبح أنواع الكذب حال النفاق؛ لأن باطنه يكذب ظاهره. ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله يعلم سرهم الكامن في نفوسهم وما يتاجون به فيما بينهم من الإثم والدوران ومعصية الرسول كما في الآية (٩) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٦، لأنه سبحانه واسع العلم بكل غيب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن فطائع هؤلاء المنافقين أنهم لا يكتفون ببخلهم بل تعدوه إلى ذم المؤمنين المتطوعين في أمر صدقاتهم وذلك إن النبي ﷺ حث أصحابه يوماً على الصدقة فجاء رجال بأموال كثيرة، فقال المنافقون فيما بينهم: والله ما جاء هؤلاء إلا رياء، وجاء رجال فقراء بقدر ضئيل على قدر طاقتهم، فقال المنافقون: إن الله عن صدقة هؤلاء لغني.

المفردات: الجهدهم: طاقتهم.

هو سخر الله منهم: أي جازاهم على سخريتهم بما تستحق.

أكثر منه فلن أغفر لهم، فالتعير بسبعين مرة كناية عن الكثرة يدون حد. ثم بين سبحانه عدم العقوبة بقوله: ذلك بأنهم أى بسبب أنهم كفروا بالله ورسوله، والله تعالى لا يهدي الكافر العاص عن الإيمان به تعالى المصمم على ما هو عليه.

ثم شرع سبحانه في بيان حال فريق من المنافقين وهم المتخلفون عن الغزوة كما تقدم وبيان ما يجب أن ياملوا به بعد الرجوع إلى المدينة، ونزلت هذه الآيات في أثناء السفر، فقال: فرح الذين منعهم الشيطان عن السفر بقعودهم في بيوتهم بعد سفر رسول الله أو حال كونهم مخالفين رسول الله بقعودهم هذا، وكهروا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله واعتقادهم أنه لا مصلحة لهم في ذلك ولبعد شقة السفر، وقالوا تشبها لمن أراد الخروج لا تخرجوا مع محمد في الحر الشديد، قل لهم أيها النبي إذا خضتم من حر الدنيا فتنار جهنم أشد حرا، فكيف لا تخافون منها لو كنتم تملكون حقيقة الأمر، فالأولى بهم أن يضحكوا قليلا وسيكون كثيرا، فهو أمر بمعنى الخبر، أي أن ضحكهم وفرحهم بتخلفهم قليل جدا بالنسبة ليكاثرهم مما أعد لهم من العذاب جزاء ما استمروا على اكتسابه من الخيائث، فإن أزعجك الله إلى طائفة من المنافقين المتخلفين، وإنما قال طائفة لأن من المتخلفين من كان صادق العذر،

ومنهم من تاب كالثلاثة الآتى ذكرهم فى الآية (١٨) من هذه السورة صفحة ٣٦٢. فاستأنوك
أبها النبى للخروج إلى غزوة أخرى يظنونها سهلة كثيرة المغنام، أو إلى غير الغزو كحج مثلاً
كما قال أمثالهم فى الآية (١٥) من سورة الفتح صفحة ٦٨٠، فقتل لهم أبها النبى: لن تخرجوا
معى أبداً، لأن الله تعالى نهى لخطرهم فى الآية ٤٧ المتقدمة صفحة ٢٤٩، ولن تقتاتوا معى
عدوا ولو هجم علينا فى ديارنا كما حصل فى غزوة الخندق الآتى ذكرها فى سورة الأحزاب،
ولأنكم رضيتم أنفسكم بعمار القعود أول مرة دعوتهم فيها دعوة خاصة للغزوة شاقة كما تقدمت
الإشارة إليه وكما سيأتى فى الآية (١١٧) من هذه السورة صفحة ٣٦٢، فاقعدوا مع المتخلفين
من العجزة والنساء والصبيان الذين لا يكفون شرف الدفاع.. ولما مات ابن سلول المتقدم
الحديث عنه طلب ابنه عبد الله من النبى ﷺ أن يصلى عليه عليه، فمنعه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
بذلك احتقار الناس لأبيه، فأراد ﷺ أن يصلى عليه، فممنعه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه، فقال ﷺ: دعنى يا عمر فقد يكون ذلك سبباً فى إيمان كثير من قومه، فأنزل الله
سبحانه: ولا تصل أبها النبى على أحد من المنافقين مات أبداً إلخ.. وكان ذلك من المواضيع

لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ۖ وَقَدْ آذَنَ كَذِبًا اللَّهُ رَسُولُهُ ۖ سَيُجِيبُ
ذَلِكَ الْقَوْمَ الْعَظِيمَ ﴿١٠٠﴾ وَبَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
أَعْدَاءَ اللَّهِ هُمْ جَنَّتْ تَجَرَّى مِنْ حَيْثُهَا الْأَنْهَارُ ۖ خَلِيلِينَ فِيهَا
وَأَزْوَاجَهُمْ هُمْ الْخَلِيلُونَ ۚ وَالْأَزْوَاجُ هُمُ الْفُلُوحُونَ ﴿١٠١﴾
الْأَرْسُلُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ جُهِلُوا بِأَمْرِهِمْ ۖ وَالنَّاسِيبُ
وَأَزْوَاجُهُمْ هُمُ الْخَلِيلُونَ ۚ وَالْأَزْوَاجُ هُمُ الْفُلُوحُونَ ﴿١٠٢﴾
فَتَرَىٰ تَكُنْ مَعَ الْقَدِيرِينَ ﴿١٠٣﴾ نَصْرُوا يَانَ بَكْرًا مَعَ
وَجْهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْكَ أُولَ الَّذِينَ أُظْلِمُوا مِنْهُمْ ۖ فَقَالُوا
وَعَمَّ كَيْفَ رَأَيْتَ ۖ وَإِلَّا لَبِثْتَ سَوْفَةً ۖ إِنَّ أَعْيُنَنَا عَلَى اللَّهِ ۚ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بَنِي آدَمَ فِي دِينِهِ ۖ وَهِيَ الْقَوْمَ
وَمَا نَزَّلُوا مَعَ الْفُصُحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ
مَاتَ أَبَا وَكْرَةَ عَنْ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ تَعْرَوْنَ إِلَيْهِ رَسُولَهُ

قبول الصواب.

الذين كذبوا: هم قوم من منافقى الأعراب لم يسافروا ولم يعتذروا.
سكان البادية وهو اسم جنس لا واحد له من لفظه؛ وينسب إليه الواحد فيقال أعرابى. «وقعد المعتذرون»: أى المعتذرون، والمراد هنا بعذر صحيح بدليل المقابلة. «من الأعراب»: هم

- (١) فاسقون.
(٢) أمّوهم.
(٣) وأولادهم.
(٤) كافرون.
(٥) وحاهدوا.
(٦) استأنذك.
(٧) القاعددين.
(٨) جاهدوا.
(٩) باموهم..
(١٠) إلخيرات..
(١١) جنات.
(١٢) الأنهار.
(١٣) خالدين.

التي وافق فيها الوحي رأى عمر كما تقدم في
أسرى بدر، انظر الآية (٦٧) من سورة الأنفال
صفحة ٢٢٧.

۲۲۷ ذخیره

المفردات: ﴿أولو الطول﴾: أى أصحاب القدرة على الجهاد بالنفس والمال.

من الأعمال الشاقة، كما قال في النساء
الكبيرات: قُوتُ، انظر الآية (٦١) من سورة
النور صفحة ٤٦٨.

﴿وَوُطِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: أَيِ اغْلَقْتُ عَنْ

به من علامات الاخلاص.
قصر لا عن تعمد، رحيم بعباده المخلصين ثم ذكر سبحانه بعض هؤلاء المحسنين لما امتازوا

فقال: ﴿ولا على الذين﴾ الخ، أى ولا لوم فى التخلّف على الذين إذا أتوك لتحملهم، أى لتعطيلهم ما يحملهم من الإيل أو غيرها ليسافروا معكم للجهاد، وقلت لهم لا أجد ما أحملكم عليه من الركائب، انصرفوا عن مجلسك وأعيتهم تقويض دمعنا حزنا على عدم قدرتهم على شراء ما يحملهم، وكان عدد هؤلاء سبعة رجال أطلق عليهم الصحابة بعد نزول هذه الآية ﴿البكاؤون﴾ وهذا أجل مظهر للفريق بين المنافق والمؤمن الصادق، فهؤلاء لا لوم عليهم، إنما اللوم على الذين يستأذنونك فى التخلّف وهم أغنياء فسادون على ما يلزم المجاهد. وروى أنفسهم أن يكونوا مع الخوالم، وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون، تقدم شرحها فى الآية (٨٧) من هذه السورة صفحة ٢٥٦، وإنما أعادها لزيادة توبيخهم وإبرازهم فى صورة النساء، وهذا أشد من الصاعقة على نفس العربى.

ثم أراد سبحانه أن يبين ما سيكون من هؤلاء المنافقين المتخلفين بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة فقال: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ أى سيقدم إليكم هؤلاء الأغنياء المتخلفون بلا عذر أعدارا كاذبة إذا رجعت من سفرهم، قل لهم أيها النبي : لا تعتذروا بالباطل فإننا لن نؤمن بأي من نصدقكم، انظر الآية (١٧) من سورة يوسف صفحتى ٣٠٤، ٣٠٥. قد نبأنا الله تعالى بعض أخباركم التى فيها كلام صدر منكم، وإنكم منافقون كاذبون فى اعتذاركم، وسيرى الله تعالى ورسوله بعد الآن أعمالكم وهل تتوبون أم تصرون على نفاقكم، فاحترسوا لأنكم ستردون فى الآخرة إلى الله الذى يستوى فى علمه ما خفى وما ظهر، فينتقم بما استمرتم على عمله فى الدنيا ونجا نكم عليه.

المفردات: ﴿انقلبتم إليهم﴾: أصل معنى انقلب تحول من جهة إلى أخرى، والمراد رجعت.

﴿رجس﴾: أي قذر مغنوی كما تقدم فی الآية (٩٠) من سورة التائدة صفحة: ١٥٥.

وَمَا لَهُمْ بِهِمْ : أَي مَكَانَهُمُ الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ.

﴿وَاحْذَرُوا﴾: أَيِ أَحَقِّ وَأَوْلَى.

جدود ما أنزل الله: هي أحكامه من

الطلاء: صفحة ٧٤٨.
النساء: صفحة ١٠٠، والآية الأولى من سورة
أوامر ونواهي، انظر الآية (١٢) من سورة

﴿مفرما﴾: أى غرما وهو ما يكره المرء أداءه

ويعتبره غرامة له. ﴿ويترى﴾ أى ينتظر.

الدوائر: جمع دائرة، وهي ما يدور به

المأخوذة من (ينفك).

المعنى: سيؤكدون لكم أَعْدَاؤُهُم بِالْأَيْمَانِ الكاذبة عند رجوعكم من السفر لأجل أن تعرضوا عن توبيخهم، فَأَبْرَضُوا عَنْهُمْ إِعْرَاضَ إِهَانَةٍ وَاِحْتِقَارٍ لا إعراض صفع كما كانوا يطلبون لأنهم رجس، فيجب البعد عنهم لاستحالة إخلاصهم ماداموا مصممين على النفاق، ولجؤهم في الآخرة جهنم جزاء ما استمروا على عملة في الدنيا. ثم بين سبحانه غرض آخر لحنفهم غير مجرد الاعتذار فقال: يَنْصَلُّونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فتديموا معاتلتهم السابقة بظواهر إسلامهم لينستروا فضيحتهم وينتقموا بما ينتفع به المؤمنون، فإن ترضوا عنهم فرضا بعد علمكم بحالهم

(١) ومأواهم.
(٢) الفاسقين.
(٣) قريات.
(٤) صلوات.
(٥) والسابقون.
(٦) المهاجرين..

المفردات: «مردوا»: مرد على الشيء بوزن نصر مردوا إذا مردن عليه واعتاده حتى يتعذر عليه تركه.

«وسمعتهم مرتين»: إحداهما بالمصائب والمضائى، والثانية عند الموت، انظر ما تشدّم فى الآيات (٥٧، ٧٢، ٨٢، ٨٣) من هذه السورة صفحات ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٥ والآية ٥٠ من سورة الأنفال صفحتى ٢٢٤، ٢٢٥. «وتطهرهم»: من دنس البخل والذنوب.

«ووزنكهم»: تسمى فى نفوسهم فعل الخير.

«ووصل عليهم»: أى ادع لهم.

أَتَبَرَّهٖمۡ بِأَحْسَنِ رِزْقٍ ۖ أَلَمْ يَرْضَآ عَنْهُ وَآءَدۡ لَهُمۡ جَنَّتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ خَلِيلِينَ يَبِيتُ أَبْدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٥﴾ وَبِمَنۡ حَوَّلَكُمۡ مِنَ الْأَعْرَابِ مُبْتَغًى ۖ لَّيْسَ لَهُنَّ الذِّمَّةُ ۖ رُءُوۡا عَلَی الْإِثْقَالِ لَا تَمْلِكُمۡ مِنْ شَيْءٍ سَنُلْقِيَهُمْ شُرَكَائِيهِمْ ۖ يَمُرُّونَ إِلَىٰ عَلَی عَظِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَأَنزَلْنَا عُذْرًا ۖ لَّيْسَ بِذُنُوبِهِمْ جَلَلُ أَعْمَالِهِمْ ۚ صَلَٰوَةً وَأَنۡكَرَ سَبِيلًا ۚ عَلَی ٱللَّهِ أَنۡ يُغِیۡبَ عَنْكُمۡ ٱلۡأَنۡبَیَآءَ ۖ فَتُؤۡخَذُ بِكُمۡ ۖ غَوۡرٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٧﴾ خُلِدۡ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ صِدَقَۃٌ يُّؤَدُّونَهَا ۚ وَتُرَكَّبُ بِهَا ۖ وَصَلَّیٰ عَلَیۡكُمۡ ۖ إِنَّ مَوَٰزِينَكَ سَكَنٌ ۚ لَّمۡ يَؤۡخِذْ بِكُمۡ ۖ أَلَّا یَعْلَمَ أَنَّ ٱللَّهَ ۖ یَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ۖ وَیَاۡدُ الصَّٰدِقِیۡنَ ۚ وَٱللَّهُ ۖ هُوَ التَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٨﴾ وَفِی ٱلْأَمۡرِ لَیۡسَ لَیۡسَ ٱللَّهُ ۖ عَلَیۡكُمۡ وَرُسُلُهُ

«وسكن لهم»: أصل السكن سكنون النفس وطمئنتها وأطلق على الصلاة مبالغة كأنها هي نفس الاطمئنان، والمراد أنها سبب اطمئنان.

المعنى: إن بعد السابقين فى المنزل هؤلاء الذين اتبعوهم متحابين بإحسان إيمانهم وأعمالهم وأقوالهم بأن تكون جميعها كاملة، هؤلاء جميعاً رضى الله عنهم بسبب إحسان أعمالهم، ورضوا عنه بما أنعم عليهم فى الدنيا والآخرة، وهباً لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، وهذا هو الفوز العظيم الذى لا فوز بعده... وبعدما بُيِّنَ سبحانه حال كامل الإيمان أراد أن يبين أصدانهم ومردة المنافقين من أهل الحضر والبادية فقال: «وومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة» منافقون مثلام، الجميع بلغوا غاية الإنفاق، لا حولكم من الأعراب منافقون، والمواد أنها سبب اطمئنان.

(١) بإحسان.	(٢) الجنات.	(٣) الأنهار.	(٤) خالدين.	(٥) منافقون.
(٦) وأخرون.	(٧) صالحة.	(٨) أموالهم.	(٩) صلواتك.	(١٠) الصادقات.

قلن يتفهم ذلك، لأن النفاق هو رضا الله تعالى، والله لا يرضى عن الفاسقين، ثم شرح سبحانه فى بيان حال الأعراب المنافق منهم، والكافر المجاهر، والمؤمن، فقال: «والأعراب أشد كفراً» إلخ أى كافرهم أشد فى الكفر من كافر الحضر، لأنهم أغلظ طبعاً وأقسى قلباً، والمنافق منهم أشد نفاقاً من منافق الحضر لصفاء أذهانهم وقوة بيانهم، وهذه صفات تساعد على إتيان النفاق.

وجميع الأعراب أولى من أهل الحضر بالجهل بحدود ما أنزل الله على رسوله لبعدهم عن أهل العلم ورواة السنة، والله أعلم بأحوال أهل الحضر والبادية، حكيم فى مجازاة كل بقدر ذنبه. ولما تقدم فى الآية (٩٠) من هذه السورة صفحتى ٢٥٦، ٢٥٧ بيان حال المعتزدين من الأعراب أراد أن يبين حال من أنفق منهم فى الجهاد خوفاً من افتضاح امره، فقال: «وومن الأعراب من يتخذ» إلخ، أى يعتبر ما ينفقه خوفاً من المؤمنين غرامة ثقيلة عليه دفعها، ويتنظر أن تحل بكم المصائب ليتخلص منكم، ألا فليعلم هؤلاء أن المصائب التى تسوء وتؤذى ستحل بهم وحدهم؛ لأن الله تعالى سمع لأقوالهم المنكرة، علم بجث قلوبهم الذى يستوجب حلول المصائب.

ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعتبر ما ينفقه فى سبيل الله، وسيلة لأمرين عظيمين: الأول التقرب عند الله والثانى دعاء الرسول المستجاب له بالبركة والمغفرة: ألا إن نفقتهم ستكون قرية لهم، وهذا وعد منه تعالى بقبوله قربانهم، وهو يتضمن إجابة دعاء الرسول لهم ثم فسر سبحانه ما وعد به فقال: سيدخلهم الله فى مكان رحمته، وهى الجنة، إنه سبحانه غفور لمن يخلص فى أعماله ما قد يقع منه من تقصير، رحيم بهم فيهدتهم إلى الصراط المستقيم، ثم شرع سبحانه فى تقسيم المؤمنين الصادقين والمنافقين من أهل الحضر والبادية فقال: «هو السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار» وهم الذين آمنوا قبل الهجرة.

وكان المسلمون ضعافاً، ويلحق بهم فى الحكم كل من جاهد بإخلاص لنصرة دين الله فى أوقات محنته، وناله ما نالهم من أشد أنواع البلاء، أنظر الآية (١٠) وما بعدها من سورة الواقعة صفحتى ٧١٣، ٧١٤.

المفردات: ﴿الغيب والشهادة﴾: يطلق الغيب على كل ما غاب عنا، والشهادة على ما حضر.

﴿مرجوع لأمر الله﴾: أى مؤخرون إلى أن يظهر أمر الله فى شأنهم.

﴿مسجدا ضرازا﴾: هو المسجد الذى بناه المنافقون فى ضواحي المدينة ليدبروا فيه الكيد للمسلمين والإضرار بهم.

﴿إرصادا﴾: أى انتظارا وترقبًا لقدم الكافر أبى عامر الراهب كما سيأتى.

﴿لمسجد أسس على التقوى﴾: هو مسجد قباء الذى بناه رسول الله ﷺ أول يوم دخل فيه المدينة مهاجرا.

﴿أن يطهروا﴾: يبالغون فى الطهارتين المفضية والحسية وربما كانوا يحافظون على

الاستنجاء بالماء..

﴿بنيانه﴾: أصل البنيان مصدرا كالغفران وأريد به هنا الشيء المبنى، وهو المسجد.

﴿شقاء﴾: أى طرف كما فى الآية (١٠٣) من سورة آل عمران صفحات ٧٩، ٨٠.

﴿حرف﴾: هو البئر غير المبنى أو الحفرة.

﴿هار﴾: أى متصدع آيل للسقوط

- (١) عالم.
- (٢) والشهادة.
- (٣) وآخرون.
- (٤) لكاذبون.
- (٥) بنيانه.
- (٦) وروضان.
- (٧) بنيانه.
- (٨) الظالمين.

(الجزء الحادى عشر)

٢٦٠

وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَيَرُونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالْأَشْهَادِ
فَيُنْفِثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٧٦﴾ وَآخِرُونَ مَرَجُونَ
لِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّمَا يَخْصِيهِمْ وَإِنَّمَا يُنَوِّبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عِلْمُ
حَكِيمٍ ﴿٢٧٧﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
وَتَفَرُّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَادْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ كَمَا يَكُونُونَ ﴿٢٧٨﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ
عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَمَلٍ يَوْمَئِذٍ أَمَّا أَنْ تَقُومَ فِيهِ فَبِرِجَالٍ
يُخَيِّرُونَ أَنْ يُطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٢٧٩﴾
أَمَّا مَنْ أَسْسَ بَيْتَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ
فَإِنَّ رِجْلَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨٠﴾

سورة التوبة

الجزء الحادى عشر

٥٧٠

تعرفهم أنها النبى لشدة حرصهم، فهم اتقن للتناق من فى آيتى (٣٠، ٢٩) من سورة محمد
صفحة ٦٧٦. نحن نعرفهم، سنعدنهم مرتين فى الدنيا بالعذاب الظاهر والباطن، ثم يردون فى
الآخرة إلى عذاب عظيم وهو الدرك الأسفل فى جهنم كما فى الآية (١٤٥) من سورة النساء
صفحة ١٢٨. ومن حوكم من الأعراب ومن أهل المدينة قوم آخرون ليسوا من المنافقين ولا
من السابقين الأولين ولا من الذين اتبعوهم بإحسان بل من المؤمنين المذنبين، وكانوا سبعة.
فلما رجع ﷺ أعلنوا عن توبتهم برطهم أنفسهم فى أعمدة المسجد وأقسموا أن لا يفكهم
أحد غيره ﷺ.

فلما رآهم النبى ﷺ قال: لا أفعل حتى يأتني لى الله فيهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية:
فأطلق سراحهم، هؤلاء اعترفوا بذنوبهم التى منها التخلف عن الغزوة بدون عذر، ولم يكذبوا
كالمنافقين، وخطوا عملا صالحا وآخر سيئا، أى جمعوا بينهما، لكنهم خائفون من ربه،
وليسوا مصريين على معصيتهم؛ لذلك كانوا محل رجاء قبول توبتهم؛ لأن الله تعالى غفور لمن
تاب، رحيم بمن يحسن توبته، انظر الآية (٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١، و(٨٧) من
سورة طه صفحة ٤١٣، و(٧) من سورة غافر صفحة ٦١٨. خذ أيها النبى من أموال هؤلاء
المعترفين بذنوبهم ومن سائر المؤمنين صدقة من الزكاة الواجبة أو التطوع لتكون سببا فى
تطهيرهم من النقائص وتركيزهم فى فعل الخيرات، واسأل الله تعالى لهم دوام التوفيق والبركة.
لأن دعاءك مطمئن لقلوبهم فى أن الله تعالى قبلهم، والله سبحانه سمع لدعائك عليهم بما
فيه مصلحتهم فيجيبه لهم، ألم يعلم أولئك التائبون والمؤمنون كافة أن الله تعالى هو يقبل
التوبة متجاوزا عن ذنوب عباده المخلصين فى توبتهم؟ وهذا تحريض لهم على التوبة النصوح.
ويتقبل الصدقات ويتيب عليها، وأنه سبحانه كثير قبول التوبة بعد التوبة مهما تكررت بتكرار
الذنوب، الرحيم بفتح باب الأمل وإغلاق باب اليأس. فخذ منهم الصدقة وقل لهم اعملوا
لدنياكم وآخرتكم كل ما تستطيعون من الخير، فإن الله يرى عملكم خيرا كان أو شرا فراقبوه،
وسيراه رسوله فيشهد لكم أو عليكم، كما فى الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧.

هؤلاء، ونريد أن تصلى لنا فيه، فوعدهم ﷺ بعد رجوعه من تبوك، فلما رجع أنزل الله تعالى فيهم هذه الآيات.

فأمر ﷺ بحرقه فحرق وجعل مكانه منزلة، فهذا ما قال الله فيه: اتخذوا مسجدا لأغراض أربع: الإضرار بالمؤمنين وتقوية الكفر بالتأمر فيه بعيدا عن أعين المؤمنين، والتفريق بين المؤمنين حيث يصلون فى أماكن مختلفة فيسهل عليهم الدس وتمزيق الوحدة، وانتظارا لقدوم من جازب الله ورسوله من قبل فى أحد وغيرها.

وإذا سألت هؤلاء المنافقين عن سبب بناء هذا المسجد فسيفعلون ما أردنا إلا الأغراض العنسى التى سبق أن قالوها، والله يشهد أنهم لكانبون فى إيمانهم، لا تتم أيها النبى للصلاة فيه أبدا، وعزتى لمسجد أسس على التقوى أى قصد بنيائه عند وضع أساسه من أول يوم تقوى الله وهو مسجد قباء الذى بناه المسلمون خارج المدينة يوم دخوله ﷺ، أحق أن تقوم فيه، لأن فيه رجال يحبون أن يبالغوا فى تظهار أنفسهم بكرة العبادة فيه، وبما يلزم ذلك من طهارة أبدانهم وثيابهم، والله تعالى يحب المطهرين بالطهارة المعنوية والحسية، ومن أحبه الله رضى عنه، ونال كل خير.

ثم أبرز سبحانه الفرق بين أهل المسجدين مسجد النفاق، ومسجد الإيمان، فقال: أقمن أسس بنيانه على قصد تقوى الله وطلب رضائه خير أم من أسس بنيانه على طرف بئر متصدع فانهار وسقط به فى نار جهنم، لأنهم ظالمون، والله لا يهدى الظالمين. ومضى التمثيل هل يستوى من أسس دينه على قاعدة محكمة هى تقوى الله وطلب رضاه، بمن أسسه على أضعف القواعد وهى الباطل والنفاق الذى لا يثبت، فأوقعه الباطل فى نار جهنم.

المغدرات: «ورببة فى قلوبهم»: هى الاضطراب الفكرى والخيرة.

«ومن أوفى بهذا»: من أسس استقوام مشرب بمعنى النفس، أى لا أحد أوفى.

«والسائحون»: تطلق السياحة على مجرد السير فى الأرض كما فى الآية (٢) من سورة «التوبة» صفحة ٢٩، وعلى السير للنظر والاعتبار كما فى الآية (١٢٧) من سورة آل عمران.

المعنى: ويرى عملكم المؤمنون أيضا فيشهدون لكم ويعاملونكم بحسبها، وفى النهاية ستردون بالبعث إلى الله الذى يستوفى فى علمة الغائب والعاصر فيخبركم بما كنتم تعملون. ويجازيكم عليه ومن تأخروا عن الغزوة آخرون آخر الله البيت فى أمرهم إلى أن يظهره سبحانه فى وقته المناسب.

وكان هؤلاء ثلاثة كما سيأتى فى الآية (١١٨) من هذه السورة صفحة ٢١٢ وهم: كعب بن مالك، ومرار بن الربيع، وهلال بن أمية، وكانوا تخلفوا بلا عذر ولا اعتذار على نية للحاق به ﷺ، ولكنهم أنصرفوا عن هذا لا عن نفاق فلما رجع ﷺ وكان ما كان من كذب المنافقين وقوية التائبين الذين ربطوا أنفسهم فى أعمدة المسجد كما فى الآية (١٠٢) السابقة من هذه السورة صفحة ٢٥٩، ولم يكذب هؤلاء ولم يربطوا أنفسهم، أنزل الله تعالى فيهم هذه الآية التى أنهمت أمرهم، فأصبحوا لا يدرون هل يعتذبهم كما فعل بالمنافقين أو يتوب عليهم كالمعترفين، وظهرت حكمة هذا الإبهام فى مقاطعة المؤمنين لهم حتى زوجاتهم فى كل شيء حتى فى الكلام كما سيأتى فى الآية (١١٨) من هذه السورة صفحة ٢١٢، والله عليم بحال عباد، حكمهم فى تربيتهم، وفيما يشرعه لهم، وتركهم على هذا الحال خمسين يوما كما سيأتى.

ثم شرع سبحانه فى بيان مكيدة خطيرة من مكائد المنافقين، كان بعض بسطاء المسلمين سايهرهم فيها ليحذر من الوقوع فى مثلها، فقال (والذين اتخذوا مسجدا) إلخ.

ومن المنافقين رجال من الخزرج، وحاصل قصتهم أن رجلا منهم يدعى أبا عامر الراهب كان تنصر فى الجاهلية ولما انتشر الإسلام فى المدينة غضب الراهب وصار يساعد قريشا فى أحد وكل حروبهم، ولما يسى سافر إلى بلاد الروم ليستعين بقميص، وأوعز إلى اثنى عشر رجلا من أتباعه المنافقين أن يبنوا مسجدا بعيدا عن مسجده ﷺ الكبير ليعبدوا فيه من يساعده عند قدومه بجيش الروم، فلما فرغوا من بنائه أرادوا تقرير المسلمين حتى يكثروا الصلاة فيه فيخذعونهم، فقالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله إنا فى أطراف المدينة وعندنا مرضى وعجزة ومن يحول بينهم المطر وبنين مسجداك، وقد بنينا مسجدا لتسهيل الصلاة فيه على مثل

ما بين سبحانه حال فريق من المناققين بلغ الغاية في الإيمان الكامل فقال (إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم) الخ: مثل سبحانه بلغ الغاية في الإيمان الكامل فقال (إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم) الخ: مثل سبحانه بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله ومنعهم نظير ذلك نعيم الجنة، والبيع والشراء، والحقيقة أنه لا بيع ولا شراء؛ لأن الأنفس هو خالقها، والأموال هو رازقها، فلا إعطاء منه فضل وكرم، ثم يبيِّن سبحانه كيف باع وبيع المؤمنون أنفسهم فقال: يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون العدو تارة، ويقتلهم العدو أخرى، فهم مثابون على الحالين، وعد بذلك وعداً حقاً أثبتته في الكتب المنزلة الصحيحة، فكل من قتل في الدفاع عن سبيل الله فله الجنة، ولا أحد أشد وفاء بالعهود من الله، وإذا كان الأمر كذلك فاستبشروا أنها المجاهدون يبيعكم الذي يابعتهم به ركم لأنكم يمت فانيا بنعم دائم، ذلك البيع الرابع هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده.

ثم بين سبحانه أصحاب هذا البيع فقال: ﴿التَّائِبُونَ﴾ إلخ، أى هم الكافرون فى التوبة، العابدون، أى البالغون التهاية فى العبودية لله تعالى، ﴿الْحَامِدُونَ﴾ فى السراء والضراء، السائحون، بالصيام والجولان الفكرى فى ملكوت الله لزيادة الاعتبار (الراكعون، الساجدون) أى المصلون الفرض والنفل، ﴿الْأَمْرُونَ﴾ بكل معروف يقره الشرع ويرضاه العقل السليم، ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو ما لا يقره شرع، ثم وصفهم فى النهاية بصفة جامعة وهى ﴿الْحَافِظُونَ﴾ لكل حد من حدود الله وهى شرائع التى فصلت بين الحلال والحرام كما تقدم فى الآية (٩٧) من هذه السورة صفحة ٢٥٨. وبشر أنها النبى هؤلاء المؤمنين الموصوفين بما تقدم بنعيم لا يحيط به البيان. ولما كانت عاطفة حب الآباء قوية إلى حد جعلت عبدالله بن عبدالله بن أبى بن سلول يطلب منه ﷺ أن يستغفر لأبيه كما تقدم فى الآية (٨٠) من هذه السورة صفحة ٢٥٥، وكان ﷺ كلما تذكر دفاع عمه أبى طالب عنه فى مكة تأقت نفسه الشريفة أن يطلب من الله تعالى التخفيف عنه، وكان بعض الصحابة يستغفرون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك، لما كان كل هذا، منعه سبحانه بقوله (ما كان للنبي) إلخ أى صرح ولا جاز للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين البعيدين، بل ولو كانوا أصحاب قرابة، من بعد ما تبين لهم أنهم ماتوا مشركين، فاستحقوا عذاب الحميم .. ولما كان مما شجعهم أنهم كانوا يعلمون أن إبراهيم خليل الله استغفر لأبيه، بين سبحانه وجه خطئهم، فقال (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) إلخ.

صفحة ٨٥، والآية (٢٠) من سورة العنكبوت
صفحة ٥٢٢، وتطلق مجازاً على جولان الفكر
فى ملكوت الله تعالى للعبرة ولو كان الشخص
مقيماً كما فى الآية (١٩١) من سورة آل
عمران صفحة ٩٥، والآية (١٨٥) من سورة
الأعراف صفحة ٢٢٢، والآية (٦) من سورة ق
صفحة ٢٨٨، وعلى الصيام لأن كلا من
السائح والصائم يترك كثيراً من شهواته.
ولما وصفت النساء بهما فى الآية (٥) من
سورة التحريم صفحة ٧٥٢ رأى البعض أن
يكون المراد منها ما يشترك فيه الرجال
والنساء وهو الصيام والتعكر.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾: (ما كان) تأتي في القرآن بمعنيين: الأول النفي نحو (ما كان لكم أن تتبوا شجرها) الآية (٦٠) من سورة النمل صفحة ٥٠١، والثاني النهي نحو ما هنا وما في قوله تعالى (وما كان لكم أن تؤثروا رسول الله) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب صفحات ٥٥٨، ٥٥٩.

المعنى: سيستمر بناؤهم الذي نبوه لأغراض خبيثة مثار شك واضطراب وخوف مستقر في قلوبهم حتى بعد هدمه من أن يصيهم المؤمنون بسوء، ولا ينقذهم منه إلا أن تنقطع قلوبهم بالموت. وفي الآية (٦٤) المتقدمة من هذه السورة صفحة ٢٥١. و(٤) من سورة المنافقون صفحة ٧٤٢ تصوير لبعض هذا الخوف، والله أعلم بأسرار خلقه، حكيم فيها بفعل بهم وبعد

(١) يقاتلون.	(٢) أمرهم.	(٣) بنيانهم.
(٤) الثانيون.	(٥) القرآن.	(٦) التوراة.
(٧) السائحون.	(٨) الحامدون.	(٩) العابدون.
(١٠) الآمرون.	(١١) الساجدون.	(١٢) الرَّاكِعُونَ.
(١٣) إبراهيم.	(١٤) أصحاب.	(١٥) الحافظون.

﴿صافقت عليهم الأرض بما رحبت﴾: تقدم فى الآية (٢٥) من هذه السورة صفحة ٢٤٤. ﴿وضافت عليهم أنفسهم﴾: معنى النفس فى الأصل الذات وأريد بها هنا القلب لأنه به حياة الذات، والمعنى ضاقت قلوبهم على سرورهم فلا يدخلها منه شيء وليس فيها إلا النعم والعزن.

﴿ولمجا من الله﴾: هو المأوى الذى يلجأ إليه الشخص ليقية ما يتعبه.

﴿ثم تاب عليهم﴾: أى وقتهم لإخلاص التوبة..

﴿وليتوبوا﴾: أى ليستبهم التوبة عند كل ذنب.

المعنى: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه مما يدخل فى عموم الأمر باتباعكم له، لأنه لم يكن لسبب من الأسباب إلا لسبب واحد هو أنه كان وعد أباه بأن يستغفر له ربه، انظر الآية (٤٧) من سورة مريم صفحات ٤٠٠، ٤٠١، و(٤) من سورة الممتحنة صفحة ٧٢٥.

فلما تبين له أنه عدو له حين مات على الشرك تبرا منه، إن إبراهيم لكثير التآوه خوفا من ربه وتحسرا على قومه، قوى العلم الموجب للثبات على ما يرضى الله. ثم أراد سبحانه وتعالى أن يطمئن الذين استغفروا لإبائهم الكفار قبل علمهم بالنهاى عنه، وأن يحذر من الوقوع فى معصية بعد العلم بحرمتها فقال: ﴿وما كان الله من لعنف الله لعباده أن يحكم على قوم بالضلال ويجزى عليهم أحكامه بعد أن هداهم للإسلام حتى يبين لهم بالوحي بيانا صريحا ما يتقونه ويحرم عليهم، إن الله بكل شيء عليم، فيعلم من يخالف عن جهل أو عن علم، فيجازى كلا بما يستحق، ولا يجوز عن المجازاة، لأن له وحده التصرف فى السموات والأرض وما فيها، يعنى من يشاء ويميت من يشاء، وليس لكم من دونه من يتولى أموركم وينفكم، ولا من ينصركم بدفع العذاب عنكم إن خالفتم.

ثم رجع سبحانه لتتبعهم الكلام على التائبين من ذنب التكلف مع تفصيل ما حل ببعضهم ليرتب عليه ما يتبغى أن يعمل مع من أصر على النفاق ولم يسارع إلى التوبة، فقال: لقد تاب الله على النبى من بعد ما صدر عنه من الإذن للمنافقين كما تقدم فى الآية (٤٢) من هذه النبوة صفحة ٢٤٨، وعلى المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى وقت الشدة من كل مفواتهم

إِلَّا عَنْ مَّوَدَّةٍ وَرَحْمَةٍ إِلَهِ فَلَيْتَ بَيْنَ ذِي أَوَّلٍ عَدُوِّهِ
تَبَرَّأْتُهُ إِنَّ إِلَهِي لَإِلهٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْطِيَ
مُومِنًا بَعْدَ إِذْ مَدَّ لَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ نَحْنُ وَرَبُّكَ وَرَبُّكُمْ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن رَّبٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٢﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ الَّذِينَ آمَنُوا فِي سَائَةِ الْمَسْرِ مِنْ بَيْتِ مَكَّةَ
يَرْجِعُ قُلُوبُ رَبِيعِي يَتَّبِعُهُمْ تَابُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَرْجِعُ
رَبُّكَ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى
إِنَّمَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ
أَنْفُسُهُمْ وَظَلَمُوا أَنْ لَا تَلْمِزُ لَهُمُ الْآيَةُ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
يَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ مَوْجِبُ التَّوْبِ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

المفترقات: ﴿ولا واه﴾: هو كثير التآوه والتألم.

﴿إذ هداهم﴾: أى بعد أن هداهم:

﴿ساعة﴾: المراد بالساعة هنا مطلق الزمن.

﴿المسيرة﴾: هى الشدة والضيق الذى كانوا فيه وقت الشروع فى الغزو من شدة الحر وقلة الطعام والماء، حتى أكلوا التمر المدود، والشعير المسوس، وعصروا كرش البعير ليشربوا مائه، كما تقدم عند الآية (٣٨) من هذه السورة صفحة ٢٤٧.

﴿ثم تاب عليهم﴾: الضمير هنا راجع للفريق الذين كادت قلوبهم أن تزيغ. والمراد أنه أحسن توبتهم لأنهم ظارموا الشدائد فحالوا بذلك بين قلوبهم وبين الزيغ.

﴿عرف رحيم﴾: الرأفة الرقيق بالضعيف خاصة، والرحمة أعم.

﴿الثلاثة﴾: هم كعب بن مالك وصاحبه المشرك بهما فى الآية (١٠٦) من هذه السورة صفحة ٢٦٠.

﴿والذين خلفوا﴾: أى تركهم الله ولم يبت فى أمرهم كما يبت فى أمر المعترفين.

(١) إبراهيم.

(٢) لأواه.

(٣) هداهم.

(٤) السموات.

(٥) والمهاجرين.

(٦) الثلاثة.

المفردات: «خُلعة»: المراد بها هنا
الشدة في حال القتال وعدم التساهل،
فتشمل الجراءة والصبر.
«رجسا»: أصل الرجس الشيء القذر،
والمراد هنا القذارة المعنوية، وهي الكفر
والنفاق.
«يفتتون»: أي يختبرون حتى يظهر
حانهم للناس.
«وعزیز علیہ»: أي شديد وشاق على
نفسه.

﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ خُذْ زِينَتَكَ﴾ : أَيْ، عِنْتَكُمْ وَاللَّيْلُ نَفِثَتِينَ كُلَّ مَكْرُوهُ يُثْقِلُ عَلَى النَّفْسِ حَتَّمَا.

﴿العرش﴾: يراد به مركز تدبير أمور الخلق ولا تعلم حقيقته. انظر الآية (٣) من سورة

المعنى: ولتكونوا في جال العرب أشداء بعيدين عن التهاون مع الأعداء حتى يشعروا
بثقتكم فينزعجوا عن حربكم، واعلموا أن الله مع المتقين لمخالفته بالمون والتأييد. وما تقدم
في الآية ٧٢ من هذه السورة صفتي ٢٥٢، ٢٥٤ يدل على دخول المنافقين في الكفار المأمور
بالشدّة معهم، كل يحسبه، ولذا ذكر بعد الأمر بالشدّة هنا بعض جرائم المنافقين للتبرير
القسوة معهم فقال ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ الخ: أي ومن أحوال المنافقين الشنيعة أنهم كانوا

[illegible]

(۱) ایمان.
(۲) کافرون.
(۳) یراکم.

ليخرجهم عليه يوم القيامة أحسن جزاء، ثم أراد سبحانه أن يبين أن الخروج العام لا يكون إلا ليخرجهم عليه، كأن يخرج ﷺ بنفسه لفروة مهمة.

فقتل إرميا كما كان المؤمنون ﴿٣٨﴾ الخ، فمعنى هذه الآية كما قال ابن عباس وقتادة وغيرهما أن المؤمنين بعدما نزل من الآيات في توبيخ المتخلفين عن غزوة تبوك كما جاء في الآيات (٣٨) وما بعدها من هذه السورة صفحة ٢٦٧ كانوا إذا بعث ﷺ بشا تسابقوا عن آخرهم إلى التفرير وتركوا النبي ﷺ وحده مع قلة قليلة وانقطعوا عن التمسكه في الدين، فأمرُوا في هذه الآية أن ينفِر للجهاد مع كل فرقة طائفة ويبقى سائرهم مع النبي ﷺ بالمدينة ليتفقوا فيما يجد من أحكام الدين وما ينزل من القرآن عليه ﷺ في تلك الفترة فالضمير في قوله ﴿ليتفقوا﴾ هو الذين بقوا في المدينة، والفرقة الباقية مع النبي ﷺ بعد الفرق التي نفرت للجهاد والضمير في ﴿رجعوا للمجاهدين﴾ هو الذين بقوا في المدينة.

والمعنى لينذر الفرق الباقية قوتهم، النافذين إذا رجعوا إليهم، ينذرونهم بما حصلوا عليه في أيام غيبة هؤلاء المسافرين من العلوم، التي سمعوها من النبي ﷺ وهم مقبضون معه بالمدينة فالتفتقه في الدين لا يكون إلا ممن هو مع النبي ﷺ، الذي هو مصدر الشريعة، والمسافر للعرب ليس أمامه ما يتفقه منه.. فتوزع الضمائر هنا مفهوم من سياق الكلام..

والمعنى أى وما كان من شأن المؤمنين ولا مما يجب عليهم أن ينفروا جميعاً لأمر سهل، فغفلا نفر للقتال فى هذه الحال من كل فرقة كبيرة منهم كالقبيلة وأهل المدينة طائفة أى جماعة بقدر الحاجة ليتأتى لجملة المؤمنين التفتحه فى الدين بأن يقوم الباقون فى المدينة معه وَالْمُؤْمِنُونَ بعضهم ما يتجدد نزوله من الوحي، وليعلموا قورهم الذين نفرو للعدو إذا رجعوا إليهم رجاء أن يعذبوا مخالفة ما نزل من الوحي وهم غائبون... وهذا يكون مجموع المؤمنين قد حافظوا على المصلحتين.

ولما كان القتل شرع لتأمين القاصمين بالدعوة، كان الواجب أن يحمي ظهورهم بتطهير الوسط الذي يعيشون فيه من كل ما يفضي منه عليها، فقتل سبعهائه: هربا بها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، أي الأقرب فالأقرب، فطهروا المدينة أولا ثم ما حولها، ثم مكة ثم ما حولها، ثم جزيرة العرب، وهكذا، لأن قتل الأبعد مع ترك العدو الأقرب لا يفضي خطره خصوصا مع قوم لا أمان لهم.

إذا أنزلت سورة من القرآن عليه ﷺ فمن هؤلاء المنافقين خيلاء يقولون مستهزئين لضعفاء الإيمان التشكيك وإخوانهم المنافقين ليثبتوا على النفاق، يقولون مستهزئين: من فيكم زادته هذه السورة إيمانا؟

وأجاب سبحانه عن سؤالهم ليحزنهم بقوله: فأما الذين آمنوا إيمانا صادقا فزادتهم السورة يقينا واطمئنان قلب، وهم يستبشرون بنزولها، لأنه سبب لزيادة درجاتهم وأما الذين فى قلوبهم مرض النفاق فزادتهم كبرا ونفاقا مضموما إلى كفرهم السابق، واستمروا عليه حتى ماتوا وهم كافرون.

ثم ويخبرهم على غفلتهم بقوله ﴿أو لا يرون﴾ إلخ: أى أجهلوا ولا يعلمون أنهم يفتنون بالجهاد معه ﷺ، ويمانيون انتصاره فى كل عام مرة أو مرتين، ثم لا يتوبون عما هم فيه ولا يعتبرون بأن ما حصل لم يكن إلا بتأييد الله تعالى. ولما فرغ من حالهم عند نزول السورة وهم بعيدون عن مجلسه ﷺ، أراد أن يبين حالهم وهم بمجلسه الشريف.

فقال: وإذا ما أنزلت سورة تبين بعض جرائمهم أو تطلب الجهاد كما فى الآية (٢٠) من سورة محمد صفحة ٦٧٥، نظر بعضهم إلى بعض ليتشقوا على الهرب كراهة سماعها قائلين: هل يراكم إذا انصرفتم أحدا، ثم انصرفوا من مجلسه ﷺ عند وجود الفرصة، صرف الله قلوبهم عن الإيمان لإصرارهم على النفاق بسبب عدم فهمهم الصحيح!

ثم خاطب سبحانه العرب جميعا ليوبخ من حاربه ﷺ منهم فقال ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ أى عربى مثلكم شديد على نفسه مشقتكم وما ينالكم من سوء العاقبة، انظر أول سورة الكهف صفحة ٣٨٠، حريص على إيمانكم وصلاح حالكم، بالمؤمنين منكم ومن غيركم، ﴿وقف رحيم﴾، تقدم بيانهما فى الآية (١١٧) من هذه السورة صفحة ٣٦٢.

ثم وجه سبحانه الخطاب له ﷺ تنبيهية له وتطمينا فقال: ﴿فإن تولوا﴾ إلخ: أى فإن أعرضوا عن الإيمان بك فقل لهم حسبى الله، أى كافينى كل شر، فهو خير لى منكم، لا إله إلا هو عليه وحده توكلت فلا أعول على غيره، وهو رب العرش العظيم، لا يعلم مقدار عظمتة غيره سبحانه.

هـ	مقدمة الطبعة الأولى.....
ط	مقدمة الطبعة الثانية.....
م	بعض مبادئ مهمة تعرض لها القرآن.....
١	مقدمة الطبعة الثالثة.....
٢	سورة الفاتحة.....
٣	سورة البقرة.....
١٣٢	سورة آل عمران.....
١٩٩	سورة النساء.....
٢٧٧	سورة المائدة.....
٣٣٦	سورة الأنعام.....
٤١٤	سورة الأعراف.....
٤٩٠	سورة الأنفال.....
٥١٩	سورة التوبة.....